

لعبة الغالب والمغلوب بين العرب.. وإيران.. والغرب

مقابلات فؤاد مطر



في

المجلد الثالث

1991 - 1983



لعبة الغالب والمغلوب بين العرب.. وإيران.. والغرب

مقالات فؤاد مطر

في **التضامن** AT-TADAMON
مجلة العرب من المحيط إلى الخليج

المجلد الثالث: (1983-1991)



المقابلات

من أبريل 1983 إلى ديسمبر 1991

المجلد الثالث



محتويات المجلد الثالث

- 9..... حوار من 3 حلقات مع الوزير الأول التونسي محمد مزالي: هذه قصتي مع بورقيبة و"البورقيبة" 1983
نُشر الحوار في مجلة «التضامن» بتاريخ 29 أكتوبر/ تشرين الأول 1983
كيف ينظر رئيس الحكومة التونسية محمد مزالي إلى الواقع المغربي والتطورات الداخلية من خلال مقابلة أجراها معه الصحفي والكاتب فؤاد مطر في تونس
- 22..... محمد مزالي لـ «التضامن»: الأمان شعار المرحلة المقبلة وما حدث في لبنان لن يتكرر في المغرب العربي 1983
نُشر الحوار في مجلة «التضامن» بتاريخ 4 فبراير/ شباط 1983
- 33..... رئيس الوزراء التونسي محمد مزالي في حديث مثير للتساؤلات مع «التضامن»: 1985
نُشر الحوار في مجلة «التضامن» بتاريخ 23 نوفمبر/ تشرين الثاني 1985
- 41..... مقابلة مع الرئيس حسني مبارك 1983
نُشر الحوار في مجلة «التضامن» بتاريخ 5 نوفمبر/ تشرين الثاني 1983
هكذا روى الرئيس المصري حسني مبارك للتطورات والعلاقات والتمنيات من خلال مقابلة أجراها الصحفي والكاتب فؤاد مطر معه في مكتبه
- 58..... نميري: نهاية العالم قد تبدأ من لبنان ولا إمامة بعد اليوم في السودان 1983
نُشر الحوار في مجلة «التضامن» بتاريخ 12 نوفمبر/ تشرين الثاني 1983
... وفي مقابلة مطولة أجراها معه الصحفي والكاتب فؤاد مطر في الخرطوم يقول الرئيس جعفر نميري ما لم يكشف عنه من قبل
- 69..... نميري المصري ومصر السودانية 1984
نُشر الحوار في مجلة «التضامن» بتاريخ 26 مايو/ أيار 1984
- 76..... رؤية مستقبلية للشيخ سعد العبدالله: أمن العرب بأيديهم وخلافاتهم مقتلهم 1984
نُشر الحوار في مجلة «التضامن» بتاريخ 31 مارس/ آذار 1984
قضايا بالغة الأهمية تناولها ولي عهد الكويت الشيخ سعد العبدالله في مقابلة أجراها معه الصحفي والكاتب فؤاد مطر في الكويت من بينها تشخيصه جوهر الخلافات العربية التي يقول في شأنها "خلافات الأقارب دعوة إلى أساطيل الأجانب"
- 82..... قوة الكويت كما يراها الشيخ سعد العبدالله 1990
نُشر الحوار في مجلة «التضامن» بتاريخ 15 يناير/ كانون الثاني 1990
- 87..... مقابلة مع الرئيس معمر القذافي (1) 1985
الحوار المثير للجدل مع القذافي قبل 30 سنة على هاشم التحالف مع الخميني
نُشر الحوار في مجلة «التضامن» بتاريخ السبت 7 سبتمبر/ أيلول 1985
مواقف ووجهات نظر وتحليلات وإتهامات ونقدات موجعة صدرت عن العقيد معمر القذافي وذلك في إجاباته عن أسئلة وإستفسارات طرحها عليه في مقابلة جرت في خيمته الصحفي والكاتب فؤاد مطر

- 103..... مقابلة مع الرئيس معمر القذافي (2)
القذافي يعود متدرجاً إلى التفرغ العربي
حوار آخر مثير للجدل مع الأخ معمر وقد أعاد النظر في الموقف من إيران
نُشر الحوار في مجلة «التضامن» بتاريخ السبت 10 أبريل/ نيسان 1987
- 117..... مقابلة مع الرئيس معمر القذافي (3)
في حديث جرى في خيمته في "سرت" العقيد معمر القذافي لـ "التضامن":
مطلوب من القمة العربية برنامج لنشر الانتفاضة
نُشر الحوار في مجلة «التضامن» بتاريخ 8 أبريل/ نيسان 1988
- 125..... مقابلة مع عبدالله بشاره
ثلاث لاءات في حديث مع عبدالله بشاره
تزامن مع المباحثات الإيرانية - السعودية والعراقية - البريطانية
نُشر الحوار في مجلة «التضامن» بتاريخ السبت 14 ديسمبر/ كانون الأول 1985
هكذا رؤية عبدالله بشاره الأمين العام لـ "مجلس التعاون الخليجي" تضمنتها إجاباته عن أسئلة وإستفسارات طرحها عليه في مكتبه في
الرياض الصحافي والكاتب فؤاد مطر إلى جانب رؤية لوزير الخارجية العثمانية يوسف بن علوي حول الحرب العراقية - الإيرانية
- 131..... مقابلة مع عبدالله بشاره ويوسف بن علوي
هموم الخليج في حديثين: مع عبدالله بشاره ويوسف بن علوي
نُشر الحوار في مجلة «التضامن» بتاريخ 22 نوفمبر/ تشرين الثاني 1986
- 149..... مقابلة مع الأستاذ محمد حسنين هيكل (1)
«بصرحة»... مع وقف التنفيذ مؤجلة؟ واردة؟ مؤجلة؟ واردة؟ مؤجلة
نُشر الحوار في مجلة «التضامن» بتاريخ السبت 4 كانون الثاني/ يناير 1986
في مقابلة من حلقتين أجراها معه الصحافي والكاتب فؤاد مطر يكشف محمد حسنين هيكل عن مواقف ووقائع يتسم كلامه حولها
بالصراحة من بينها رفضه المطلق القيام بدور بين السلطة المصرية وإسرائيل
- 157..... مقابلة مع الأستاذ محمد حسنين هيكل (2)
في الجزء الثاني من حديث محمد حسنين هيكل في «التضامن» حول «بصرحة» ولماذا تأجلت عودتها
نُشر الحوار في مجلة «التضامن» بتاريخ السبت 14 كانون الثاني/ يناير 1986
- 169..... مقابلة مع وزير الخارجية العراقية طارق عزيز (1)
حوار في الجو مع طارق عزيز: نجتمع مع السوريين بعد العيد ولا نقبل بالأسد وسيطاً مع إيران
نُشر الحوار في مجلة «التضامن» بتاريخ 7 يونيو/ حزيران 1986
من المقابلات الصحافية غير المسبوقه ظروفاً ومواقف تلك التي أجراها الصحافي والكاتب فؤاد مطر داخل رحلة جوية بين بغداد
وسويسرا مع وزير خارجية العراق طارق عزيز ومن أبرز ما قاله "لا نقبل بالرئيس حافظ الأسد وسيطاً مع إيران"
- 177..... حوار في الجو مع وزير الخارجية العراقية طارق عزيز (2)
في الجزء الثاني من حديث جوي جرى بين بغداد وزورخ طارق عزيز:
النظام الإيراني يقامر ويعالج الخسارة... بالمقامرة
نُشر الحوار في مجلة «التضامن» بتاريخ 14 يونيو/ حزيران 1986
- 185..... حوار الساعتين مع وزير الخارجية العراقية طارق عزيز (3)
في حديث عن الحرب والسلام طارق عزيز لـ «التضامن»: نحتفظ بحقنا في طلب قوات عربية
نُشر الحوار في مجلة «التضامن» بتاريخ 15 نوفمبر/ تشرين الثاني 1986
- 199..... مقابلة وزير الخارجية العراقية طارق عزيز (4): تحرير «الفاو» درس لإسرائيل
نُشر الحوار في مجلة «التضامن» بتاريخ 7 مايو/ أيار 1988
- 209..... مقابلة مع طارق عزيز حول إيران وسوريا وعفلق بعد الوفاة (5)
حديث عن القمة وإيران والموقف المطلوب من سوريا
وعن ميشال عفلق وهل لمواقفه الأخيرة تأثير على الدبلوماسية
نُشر الحوار في مجلة «التضامن» بتاريخ 7 أغسطس/ آب 1989

- 221..... مقابلة مع أبو الزعيم
أبو الزعيم ... الخارج على زعامة أبو عمار في مصارحة مع «التضامن»
نُشر الحوار في مجلة «التضامن» بتاريخ 29 نوفمبر/ تشرين الثاني 1986
عندما يخرج رفيق النضال وهو هنا أبو الزعيم على قيادة أبو عمار ويبرر ذلك بكثير من الوقائع والمواقف وذلك في مقابلة أجراها معه الصحافي والكاتب فؤاد مطر في عرينه في العاصمة الأردنية
- 243..... مقابلة مع زيد الرفاعي (1)
في حديث شمل الهموم والمشاكل... والتطلعات زيد الرفاعي لـ «التضامن»:
هذه أحوال الأردن في منتهى الصراحة
نُشر الحوار في مجلة «التضامن» بتاريخ 1 نوفمبر/ تشرين الثاني 1986
في مقابلة تناول فيها رئيس وزراء الأردن زيد الرفاعي حقائق حول الأوضاع العربية. وحول ما يخص المملكة الأردنية الهاشمية قال الصحافي والكاتب فؤاد مطر إنه سمع من الملك حسين تحليلاً حول الأوضاع العربية بدت بعض الكلمات كم لو أنها صادرة عن أحزان دفينه في نفس الملك
- 261..... مضر بدران وزيد الرفاعي في حديثين منفصلين لـ «التضامن»
الحديث مع مضر بدران رئيس حكومة العهد البرلماني
الأحوال العامة والموقف من التطورات في تشخيص لها من إثنين من أهل السياسة والسلطة في الأردن مضر بدران وزيد الرفاعي
- 273..... مقابلة مع زيد الرفاعي «رئيس ما قبل نيسان»
نُشر الحوار في مجلة «التضامن» بتاريخ 19 مارس/ آذار 1990
- 283..... مقابلة مع الرئيس ياسر عرفات (1)
في حديث خاص لـ «التضامن» أبو عمار: كل إمكانيات تحت تصرف اللبنانيين لمنع التقسيم
نُشر الحوار في مجلة «التضامن» بتاريخ 24 سبتمبر/ أيلول 1983
لا ينسى الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات لبنان عند إجراء المقابلات الصحفية معه وعلى سبيل المثال فإنه في لقاء أجراه معه الصحافي والكاتب فؤاد مطر على خلفية إنشقاق أبو الزعيم عنه، وكلاهما عاشا المحنة الفلسطينية في لبنان، قال "أضع كل إمكانياتي تحت تصرف اللبنانيين لمنع تقسيم لبنان" الذي كان ملاذاً كريماً للرئيس عرفات ومقاتلين من حركة "فتح"
- 291..... مقابلة مع الرئيس ياسر عرفات (2)
لقاء مع أبو عمار "عميد الصابرين العرب"
نُشر الحوار في مجلة «التضامن» بتاريخ 17 يناير/ كانون الثاني 1987
- 305..... مقابلة مع رئيس الوزراء العراقي طه ياسين رمضان
حديث شامل مع طه ياسين رمضان حول الحرب والسلام والمنطقة
نُشر الحوار في مجلة «التضامن» بتاريخ 19 سبتمبر/ أيلول 1987
هكذا كانت رؤى طه ياسين رمضان أحد الصامدين في قيادة الرئيس صدام حسين، أوردها في لقاء أجراه معه الصحافي والكاتب فؤاد مطر وأتبعها بمقابلة مع وزير الأوقاف والشؤون الدينية عبدالله فاضل، الذي هو ظاهرة غير مسبوقه في من يشغلون منصباً وزارياً ذي مسحة دينية
- 314..... مقابلة مع عبدالله فاضل وزير الأوقاف والشؤون الدينية العراقي
نُشر الحوار في مجلة «التضامن» بتاريخ 10 أكتوبر/ تشرين الأول 1987
- 323..... مقابلة مع الرئيس صدام حسين
صدام حسين في حوار المفاجآت الفكرية: تبدلت نظرتي إلى مفهوم الوحدة
نُشر الحوار في مجلة «التضامن» بتاريخ 19 فبراير/ شباط 1988

من المقابلات النادر محتوى كلام الرئيس صدام حسين فيها، تلك التي أجراها معه الصحافي والكاتب فؤاد مطر وفيها قال إن نظرتة إلى مفهوم الوحدة تبدلت وأنه "عربي أولاً وبعثي ثانياً وأن الوحدة التي بين العراق والسعودية والكويت والأردن واليمن أقوى من الوحدة الدستورية بين مصر وسوريا قبل الانفصال"

مقابلة مع أمير البحرين الشيخ عيسى « 331

عن المؤتمر والاجتماعات الكثيرة والنتائج القليلة

نُشر الحوار في مجلة «التضامن» بتاريخ 9 أبريل/ نيسان 1990

حوار مع الوزير الأول التونسي

محمد مزالي (1)



حوار من 3 حلقات مع الوزير الأول التونسي محمد مزالي: هذه قصتي مع بورقيبة و"البورقيبة"



السيد مزالي يتحدث إلى الكاتب والصحافي فؤاد مطر

يوم الثلاثاء الموافق للثامن عشر من الشهر الجاري، تشرين الأول (أكتوبر) 1983 أعلن الرئيس التونسي الحبيب بورقيبة أن الذي سيخلفه في رئاسة الجمهورية التونسية هو الوزير الأول (رئيس الوزراء). وبهذا التحديد الذي جاء على لسان الرئيس بورقيبة لدى إفتتاحه السنة القضائية تكون التساؤلات حول مَنْ يكون خليفة بورقيبة قد إنتهت. وإلى ذلك يصبح من الجائز إعتبار السيد محمد مزالي رئيس الوزراء الحالي في تونس الرئيس المقبل للجمهورية التونسية. رئيس مجلة "التضامن" فؤاد مطر كان في تونس قبل ثلاثة أسابيع من إعلان الرئيس بورقيبة عنّ يكون خليفته، وهناك إلتقى مع السيد محمد مزالي حيث دار حديث نشره (في 3 حلقات) قدّم له بالآتي فيما يلي:

للمرة الثالثة خلال أكثر من ثلاث سنوات أقابل رئيس الحكومة التونسية السيد محمد مزالي. وفي كل مرة أشعر أن المسافة بين طموح هذا الزعيم السياسي وبين ما تحقق شاسعة. وقبل بضعة أيام توجهتُ إلى منزل الوزير الاول التونسي الكائن في إحدى ضواحي العاصمة التونسية لإجراء حديث معه. وقبل أن أبدأ الحديث كنتُ حريصاً على أن أعرف ما إذا كان رئيس الحكومة التونسية مازال يمارس رياضة الجري، وهل أنه يجد الوقت لهذه الممارسة على رغم المشاغل التي لا نهاية لها. وفوجئتُ بأن الوزير الأول لا يكتفي فقط بالجري صباحاً ومساءً، وإنما أيضاً يكتب تجربته، وأنه يقضي بضع ساعات في الأسبوع يراجع في أوراق قديمة، ويسجل على أوراق نقاطاً تفيده عند الكتابة. ولقد غبطته على هذا النشاط وهذه الدينامكية وتمنيّتُ له الخير ومواصلة الجري والكتابة. وبما أن محور ما يكتبه السيد محمد مزالي هو الرئيس الحبيب بورقيبة والبورقيبية، فإنني تمنيتُ عليه

قبل أن أ طرح بعض الأسئلة حول مسائل مختلفة أن يروي لنا بعض الذكريات عن العلاقة بينه وبين الرئيس بورقيبة، وعن رأيه في أسلوب الرئيس بورقيبة في الحكم، وعن البورقيبية وعما إذا كانت إكتسبت مفهوماً جديداً بحيث لم تعد في الثمانينات هي نفسها بورقيبية الخمسينات.

«التضامن»: حول ذكرياته عن علاقته بالرئيس بورقيبة قال السيد محمد مزالي:

أول مرة رأيت فيها الرئيس الحبيب بورقيبة كانت في آخر شهر يوليو (تموز) من عام 1933 بمناسبة ختان ابنه الحبيب الإبن في «المنستير»، وهي ومسقط رأس الرئيس، حيث إنتظمت مهرجانات شعبية شاركت فيها فرق موسيقية وعدد كبير من المواطنين. وأخذني أبي، رحمه الله، معه إلى الحفل الذي أقيم في المدينة، كانت أول مرة أرى فيها الرئيس، ولكني رأيته المرات العديدة فيما بعد يزور «المنستير» ويعقد الإجتماعات. وكنت دائماً إلى جانب أبي، لأن أبي كان مشتركاً في الشعبة الدستورية، يعني في الحزب، وعرفته فيما بعد أي بعد الحرب وذلك قبل أن يسافر على الأقدام إلى مصر، خاصة يوم أن إلتقينا في القطار الرابط بين العاصمة تونس ومدينة سوسة وكان ذاهباً إلى «المنستير» لحضور زفاف ابن أخته، وكنا حينذاك جماعة من التلاميذ بالمدرسة الصادقية إجتمعنا به وتحادثنا إليه.

وإجتمعت به أيضاً في شهر أبريل (نيسان) 1950 عندما جاء إلى باريس وأقام بنزل «لوتيسيا». وفي تلك الأيام، أي الأيام الأولى من شهر أبريل (نيسان) سنة 1950، أذكر أنه عقد ندوة صحفية وأعلن فيها عن بعض نقاط يمكن لفرنسا أن تتفاوض في شأنها مع «الحركة الدستورية» للتدرج بتونس شيئاً فشيئاً نحو الإستقلال. ثم تعرفت إليه المرات الكثيرة. والحقيقة أن أول مسؤولية أسندها إليّ بصفة رسمية إلى جانب العمل والإتصالات وإجتماعاتي معه وإليه هي عندما عيّني في 30 من كانون الأول (ديسمبر) عام 1958 مديراً عاماً للشباب والرياضة. وكان منصبي مرتبطاً بالرئاسة مباشرة، وكنت أحضر إجتماعات مجلس الوزراء. بحيث كنت في منزلة كاتب الدولة، وكنت آنذاك نائباً في مجلس النواب، وأعطي ميزانية الشباب والرياضة أولوية خاصة في مداخلاتي في جلسات المجلس.

والذي يجلب نظرك ويفرض نفسه عليك لأول وهلة عندما تقابل الرئيس بورقيبة هو قوة تأثيره وعمق إيمانه وبلاغة الحجة والبرهان لديه، وبسعيه دائماً إلى تحميس الشباب ومحاورته. وعندما أصبحت مسؤولاً وجدت من الرئيس دائماً التأييد وهذا هو شأن المسؤول المبتدئ، فعندما يجد من رئيسه الدعم والعون، لا أقول ترتفع



صورة تاريخية تعود إلى العام 1965 ويبدو فيها الرئيس بورقيبة

يقدم محمد مزالي إلى الرئيس الراحل جمال عبد الناصر

معنوياته فقط بل يجازف ويغامر ويتقدم من دون أن يخشى القيل والقال أو النكسات. وهذا جُربته ولمسته طوال علاقته مع الرئيس في مختلف المهمات التي أضطلع بها. ومنذ أن إستدعاني في 23 نيسان (أبريل) 1980 وشرفني بتعييني وزيراً أول منسق لعمل الحكومة أولاً ثم وزيراً أول، وجدتُ منه التأييد والحوار وقابلية النقاش حول بعض المسائل. فعندما أبدي له رأياً يصغي إليّ، وأحياناً يقول إن هناك ناحية لم يفكر فيها وهي مهمة ويعدّل موقفه. والرئيس يتوسم الخير دائماً. وحقيقة هناك شرف في العمل مع هذا الرجل العظيم العملاق وهو حظ تاريخي.

ثانياً هناك إمكانيات يومية للإثراء معنوياً وتاريخياً وسياسياً في الإحتكاك به والإستماع إلى آرائه ثم الشعور بالراحة في العمل معه نظراً للثقة التي منحها ويمنحها دائماً إليّ وأراه دائماً يمنح الثقة نفسها إلى كل الأعضاء الذين يعملون معه.

«التضامن»: في الإطار النفسي، هل يمكن أن نسمع منكم تقييماً لدور السيدة الماجدة وسيلة كصاحبة دور سياسي في الحياة السياسية التونسية وهو دور غير مطروق في العالم العربي؟

محمد مزالي: السيدة الرئيسة هي زوجة الرئيس وهي المعنية بالخصوص بشؤون زوجها وبحياته الخاصة وبإستقبالاته وتنظيم المآدب التي يقيمها على شرف سامي زائريه. هذا من جهة، حيث أنها كزوجة تقوم بواجبها وهو واجب عظيم وخطير. ولكن من ناحية أخرى شاءت الصدف السعيدة أن زوجة الرئيس هي مناضلة ناضلت في صفوف الحزب وفي أيام الكفاح، وعشرتها منذ أربعين سنة إلى جانب الرئيس جعلتها تحذق السياسة وتعرف الناس ولها تجربة والحق يقال إن آراء الرئيسة مفيدة ولها معلومات وذكاء سياسي يسلم لها به كل الناس. وأعتقد أنها خير النصوح للرئيس وهي تعينه كثيراً على تحمّل مسؤوليته طبعاً.

«التضامن»: هل تعتبر أن البورقبيية بات لها مفهوم جديد في ضوء التطورات الكثيرة التي طرأت عليها في المجالين العربي والدولي، بمعنى هل أن البورقبيية في فترة من الفترات أرسيت كقواعد للسياسة في العالم العربي، وما يخص تونس كان لها التميز. ثم أن تطورات كثيرة طرأت، أي أنه بين الخمسينات لنفترض وبين الثمانينات حصلت أشياء كثيرة؟ هل البورقبيية مبادئ ثابتة لا تتحرك أم أنها نمط من أنماط السياسة جامد ولا يتطور؟

محمد مزالي: لا، البورقبيية بإعتقادي هي تمش عقلي وتعامل مع الواقع السياسي والواقع البشري. فالبورقبيية أسلوب في العمل وفي التعامل مع الناس ومع الأشياء لتحقيق الأهداف الإستراتيجية القريبة والبعيدة. فعندما كان الهدف أيام الكفاح إستقلال تونس وضعت البورقبيية خطة تعتمد على مبادئ، فأولاً وإنطلاقاً من أن القوى متفاوتة، وأن السياسة يُحكم لها أو عليها بالنتيجة لا بمجرد ترديد النوايا والأهداف المقدسة، نظراً لهذا كله فإن الخطة البورقبيية تتمثل في معرفة الخصم وفي التأثير عليه نفسانياً حتى يتزحزح شيئاً فشيئاً عن موقعه ويختار في آخر المطاف أخف الضررين. وهذا يعني أن الكفاح من أجل الإستقلال في البورقبيية، أو في منطق البورقبيية، ليس إنتصار جيش أو قوة مادية على قوة مادية بل هو إنتصار الحق والقيم والحرية بالطرق النفسانية. حتى المقاومة والمعارك التي وقعت فهي مجرد عناصر.

إذاً، فالبورقبيية تعتمد على علم النفس وتعتمد على الواقع وعلى الممكن. على أن الإكتفاء بالممكن في المرحلة الأولى لا يعني السهو عن البقية وإنما هي المراحل.

المراحل هي تقسيم الصعوبة عملاً بالتمشي «الديكارتية» عندما يقول الفيلسوف الفرنسي «دي كارت»: «عندما تكون العضلة كبيرة ومستعصية يجب تقسيمها إلى عضلات صغيرة والتغلب عليها واحدة فواحدة». وهكذا حققنا الإستقلال الداخلي بالطرق المعروفة ثم الإستقلال التام. ولكن وثيقة الإستقلال لم تكن سوى وثيقة

ووجب فيما بعد تجسيما في كل القطاعات، في النقل الجوي وفي البريد وفي الإذاعة وفي الإدارة الجهوية وفي الحرس وفي الجيش الخ.... ثم قضية الجلاء، عن كامل الجمهورية ماعدا بنزرت ثم حضر المعركة في مدينة بنزرت حيث دفعنا مهراً غالياً للجلاء عن مدينه بنزرت. إستشهد أكثر من 1500 شاب من عناصر الأمن والجيش لتحقيق الإنتصار. ثم جاء بعد ذلك دور الأراضي التي إستغل المعمرّون الفرنسيون أخصبها وأحسنها. فأصدر الرئيس بورقيبة قانون تأميم الأراضي في 12 من مايو (أيار) 1964 وفي الوقت نفسه كانت هناك حرب الجزائر والتأييد لها. وهذا له قصة كبيرة ليس هنا موضع الحديث عنها. كذلك بناء الدولة، ثم التصدي إلى معركة التنمية ووضع مخططاتها وبرامجها.

اليوم الطريقة البورقيبية تعتمد على الوحدة القومية مثلما إعتدنا عليها في وقت الكفاح. نحن لا نناضل بالإنسحاب إلى طبقة أو إلى فئة أو إلى جيل دون غيره، نحن نناضل من منطلق الوحدة القومية بإعتبار أن الحق ليس هو محرك التاريخ وليس بإثارة الحق يُكتسب البريق ولا الإشعاع السياسي.

مزالي والديمقراطية

في شهر آذار (مارس) من العام 1956 صدر الكتاب السادس في سلسلة (كتاب البعث) وهي سلسلة منشورات شهرية تونسية، وكان هذا الكتاب بعنوان (الديمقراطية) لمؤلفه محمد مزالي، وهو كتاب يقع في 116 صفحة ويشتمل على أربعة أجزاء، الجزء الأول عن الديمقراطية كواقع، والثاني عن تاريخ الديمقراطية، والثالث عن الديمقراطية كمثال أعلى، والرابع حول كيف تُحقّق الديمقراطية. وفي معالجته لكيفية المشاركة الجماهيرية في حماية مكسب الديمقراطية يقول محمد مزالي في الجزء الرابع من كتابه هذا:

(...) وأخيراً تبقى مسألة المراقبة الواعية اليقظة التي لا بد أن يقوم بها المواطنون حتى تحيا الديمقراطية وتتمو وتتحسن، مبدأ وتطبيقاً. والمراقبة أمر ضروري لأننا نعيش في دنيا البشر، والبشر ليسوا خيراً فقط ونفوسهم أمارة بالسوء، وعزائمهم تتفاوت قوة وضعفاً... فما الذي يضمن للمواطن أن النائب أو الوزير لا يزال مكرساً جهوده في خدمته منصرفاً بكليته إلى الصالح العام).

ثانياً تحقيق الثورة لا يتم بالقوانين فقط ولا بالأمر، وإنما بنظرية وبأسلوب يقوم على مبدأ تغيير ما في الإنسان إستيحاء من الآية الكريمة «إن الله لا يغيّر ما بقوم حتى يغيّروا ما بأنفسهم». ثم الإكتفاء بالممكن في إنتظار الذي هو أبعد إمكاناً. والتعاون مع الناس ومع الجيران وعدم إستعمال المساومة لفائدة معسكر ضد معسكر. فهناك أخلاقية، وهناك الواقعية في خدمة المثالية.

هذا هو المنهاج البورقبي. «البراغماتية» كأداة لتحقيق هدف أعلى يبدو بعيد المنال، وواقع تونس اليوم يعكس نجاح البورقبيية، فتونس حققت في سبع وعشرين سنة فقط الكثير في كل الميادين بإمكانات متواضعة وذلك بفضل المنهجية البورقبيية.

وما يهمني أن أذكره هو أن البورقبيية لا تتغير ولكن الأهداف هي التي تتغير، والملابسات تتغير لكن التمشي في إعتقادي يبقى من دون تغيير.

«التضامن»: حول تجربة الإنفتاح على القوى المعارضة،

ما هو تقييمكم لهذه التجربة حتى الآن؟

محمد مزالي: أعتقد بكل تواضع أن هذه التجربة، أو هذه السياسة في الحقيقة لم تعد تجربة إذ مرّت عليها ثلاث سنوات ونصف فهي سياسة وإتجاه نتائجها طيّبة. في الناحية السياسية شعر المواطنون بأن هناك إنفراجاً وأنهم أحرار وأنه لا يوجد قهر ولا قسر ولا نظام بوليسي أبداً. ثانياً الحياة النقابية أصبحت معتادة وطبيعية، هناك قادة قوميون نقابيون وقادة جهويون ومحليون وإنتخابات حرة وإتحاد الشغل أصبح يقوم بوظيفته كأحسن ما يكون في نطاق الحوار. الحوار لا يعني إننا متفقون دائماً ولكن يعني إننا نتحاور وإننا إذا إختلفنا نحترم بعضنا البعض، وكل واحد يستعمل ما لديه من إمكانيات للضغط على الآخر. فالنتيجة بعد ثلاث

سنوات إن الحياة النقابية اليوم حياة عادية وأصبحنا الآن نتحاور مع النقابات لتحسين الإنتاجية ولتتمتين صيغ مساهمة الطبقة الشغيلة في ربح معركة التنمية وفي دعم الإقتصاد التونسي وفي جعل الصادرات التونسية منافسة لغيرها، أي إننا دخلنا حقيقة في طور الإيجابي، وهناك الحزب الشيوعي الذي أعيد الإعتراف به وهناك مجموعات لم يعترف بها إلى حد الآن ولكنها تعمل ولها جرائد وهي موجودة على الساحة. ولكن الإنفتاح الذي نقصده ليس فقط إعترافاً بأحزاب، هو أيضاً إنفتاح على أنفسنا وعلى الشعب. فالحزب الاشتراكي الدستوري والحكومة التونسية لا زالتا على سنة الحوار والإتصال المباشر. وهذا مغاير لما هو عليه الأمر في بعض الدول الأخرى الأوروبية منها مثلاً حيث يوجد فريق خاص، أي لكل حزب مجموعته سواء من المثقفين أو من الصحفيين، وكلما يتصلون بالشعب. ولكن نحن بالعكس منفتحون على الشعب. وكلما جاءت مشكلة أو قضية أو إختيار نتصل بالشعب حتى في شؤون التنمية. فمثلاً كنت أخيراً في منطقة «باجة» وكان هناك مئات من المهندسين ورجال الأعمال والعملة وننظر في المشاريع المبرمجة في مناطق الشمال الغربي، ونتحاور. والملتقى دام ليومين. نحن لا نحكم بالواسطة أو بالنيابة. هذه هي منهجية الحياة السياسية في تونس، وهناك أيضاً التفتح على الخارج، على جيراننا، مع الدول العربية، مع الغرب مع الشرق مع روسيا والصين واليابان والسودان، فلا عداوة لأي كان سواء التونسي أو الشقيق أو الصديق، وفي المحصلة إن الحياة السياسية أحسن حالاً وأكثر هدوءاً وإنفراجاً، وأعتقد أنه في حالة وجود خلاف بين بعضنا البعض هناك تقدير متبادل، ولا يوجد حق، ولا شعور بالحسرة.

«التضامن»: هل أن الحوار متواصل مع أقطاب المعارضة ورؤساء الأحزاب؟

محمد مزالي: كلما سنحت الفرصة إتصلنا بهم وإتصلوا بنا. فأكثرهم زملاء دراسة أو أصدقاء كنا في الحزب مع بعضنا. فإتصالنا بهذا أو ذاك من الإخوان ليس حدثاً كبيراً.

«التضامن»: هل تشعر أحياناً إزاء مواقف من بعض القوى السياسية أو المعارضين بندم لأنك أقدمت

على تجربة الإنفتاح والحوار الديمقراطي؟

بالعكس كلما عشت يوماً آخر إزدددت إيماناً بأن السياسة الوحيدة المجدية هي سياسة التفتح. حتى أن ملف الحكومة ملف قوي نستطيع أن ندافع عنه أمام أي كان.

«التضامن»: حتى بالنسبة للذين أساءوا الفهم أو أساءوا إستقبال هذه البادرة بشكل إيجابي؟

محمد مزالي: لا يهم، فهم عدد قليل والقانون موجود لمن يزيغ عن القانون أو عن الحقيقة أو عمل إلى السلب أو الشتم، ولهذا فالتفتح ليس التسيب. التفتح هو تمكين كل مواطن من حقه في التعبير وفي الممارسة الديمقراطية وفي الإجتماع وتكوين الجمعيات والكتابة إلى آخره.... ولكن في إطار القانون.

«التضامن»: هل هناك إجراءات محتمل إتخاذها بالنسبة إلى عناصر موجودة في السجن، أو موجودة في

الخارج ولم تعد؟

محمد مزالي: بالنسبة لمن هم في الخارج، كل من دخل إلى تونس وطالب بتسوية وضعه تمّ له ذلك. والعدد القليل الذي لم يدخل بعد فهو أبى ذلك، وفي ما يخص المسجونين فقد عفا الرئيس عن الكثير منهم، بمن فيهم بعض المسؤولين والقادة الكبار مثل عبد الفتاح مورو ونجيب العياري، أعفي عنهم لأسباب صحية وغيرها. وكلما سنحت الفرصة بادر السيد الرئيس بالعفو بقلب عطوف. هذا هو الإتجاه ولسنا حقودين.

«التضامن»: لفت نظرنا كصحفيين نتابع الحياة السياسية في تونس، كلام قُلتموه في آيار (مايو)

الماضي، وأشرت فيه إلى أن الايام القليلة المقبلة ستشهد خطوات عملية لتكريس التعددية فهل حصل شيء في هذا الإطار أم أن الوعد ما زال قائماً؟ وبالإضافة إلى ذلك، هل أن تجربة التعددية تشكل معوقات في السعي

المبدول لإقامة وحدة بين دول المغرب العربي على أساس أن الحزبية مرفوض من ليبيا مثلاً وعلى أساس أن تعدد الأحزاب مرفوض من الجزائر مثلاً؟

محمد مزالي: كلما نتقدم نحقق شيئاً لصالح الديمقراطية، أما جواباً عن الشق الثاني من السؤال حول التعددي ووحدة المغرب، فلا أعتقد أن التعددية في تونس معوّق للوحدة المغربية لأننا متفقون، والحمد لله، على أن وحدة المغرب العربي هي وحدة وظيفية يعني أن يجتمع رؤسائنا ويجتمع الحكام في كل بلد، والإتفاق على ملفات، على قضايا، على إجراءات سواء جمركية أو سوق مشتركة أو تعليم واحد أو إعلام منسق... ولكن كل حكومة تتخذ ما تراه في بلادها على النحو الموجود في السوق الأوروبية المشتركة، بحيث تبقى الملكية في المغرب، والنظام الجماهيري في ليبيا، والنظام الرئاسي في تونس وفي الجزائر. أي أن هذا ليس بديلاً للوحدة فيجب أن يرسخ في الأذهان أن الوحدة ليست الاندماج، لأن الوحدة بين أخوين تحت سقف واحد أصبحت مستحيلة اليوم، يعني أن أخوين من أب واحد وأم واحدة لا يمكن أن يعيشا تحت سقف واحد. فكل واحد منهما له بيته ولكنهما يجتمعان.

«التضامن»: بمعنى لن تكون هناك دولة وحدة؟

محمد مزالي: لا، يكون هناك هيكل وحدوي. فأنا أتصور مثلاً المغرب العربي كخطوة نحو الوحدة العربية يكون أولاً هيكل تنفيذي وهو يتمثل في قمة تجتمع مرة كل ستة أشهر أو مرة كل سنة. وهناك مكتب يجمع وفوداً من أربعة أو خمسة برلمانات أو ما يحل محل البرلمانات كاللجنة الشعبية العامة مثلاً ومؤتمر الشعب العام في ليبيا، وهياكل في التربية وهياكل في الإقتصاد... نجتمع ثم كل واحد ينفذ ما يخصه. مثلاً إتفقنا مع المغرب والجزائر على توحيد التعليم الابتدائي، وزير التربية في المغرب لا يحل محل وزير التربية في تونس، فكل واحد ينفذ ما يخصه.

ونمشي اليد في اليد. لا نتصور حكومة واحدة فالخوّر الذي يفسر خيبتنا وإنتكاساتنا هو أن البعض من القادة، رحمهم الله أو سامحهم الله، تصوّروا أن الوحدة هي حكومة واحدة، كأن هناك حاجة إلى هارون الرشيد جديد أو عبد المؤمن بن علي في الدولة الموحدية. ففي وقتنا الحاضر، كما قال الأخ العقيد معمر القذافي في إجتماعه بنا في مدينة المنستير، أن الآن في ليبيا توجد مقاطعات وتوجد لجان شعبية. فلا يمكن لأي كان في ليبيا أن يقرر بالنسبة لليبيا كلها. فنحن في عصر اللامركزية وليس في عصر التمرکز السلطوي الواحد.

«التضامن»: هل حصل تفاهم على هذا الأمر؟

محمد مزالي: طبعاً، عندما إجتمعنا بالأخ معمر القذافي وبجلالة الملك الحسن الثاني وبالأخ الرئيس بن جديد إتفقنا مثلاً على عقد مؤتمر الأحزاب، والعقيد القذافي يؤكد أنه سيشارك في إجتماع الأحزاب، ربما سينعقد في الجزائر في تشرين الثاني (نوفمبر) أو بعده.

«التضامن»: هل سيكون هناك تسمية لهذا الهيكل الوحدوي أيضاً؟

محمد مزالي: أمر محتمل فبالنسبة لتونس وليبيا هناك هياكل وحدوية سمينها اللجنة العليا المشتركة، وبين - الجزائر وليبيا هناك إسم آخر يشبه هذا ولكن لا يوجد إسم حكومة مغربية واحدة لأنه لا معنى لها. بمعنى يجب أن نعذل عن تصوّر ضرورة وجود هيكل فوق.

«التضامن»: فجأة لوحظت حرارة في إستقبال العقيد معمر القذافي في تونس، وأيضاً حرارة في إستقبال الملك الحسن الثاني لسيادتك عندما زرت الدار البيضاء، وكانت هناك حرارة أيضاً عند زيارة الرئيس الشاذلي بن جديد إلى تونس. فأين كانت هذه الحرارة مختزنة. لماذا لم يكن هذا الود غير بارز على السطح؟

محمد مزالي: على كل حال كان الود موجوداً أو لعل الأسباب هي التي أبرزته بوضوح أكثر. صحيح أن

بعض المسائل حصلت في الماضي لكن الأخوة المغربية حقيقة تاريخية.

«التضامن»: هل يعني هذا أن تلك المشاعر عفوية؟

محمد مزالي: طبعاً وإلا فكيف نفسر قيام الثورة المغربية في الخامس من كانون الأول (ديسمبر) عام 1952 عندما إغتيل المرحوم فرحات حشاد في تونس؟

«التضامن»: إذا كانت الأمور على هذه العفوية فكيف يجوز - في بعض الفترات - أن تضرب دولة أخرى؟

محمد مزالي: يحدث هذا في مستوى السياسيين، أما الشعوب فهناك أخوة وعفوية وكان دائماً يحز في نفوس الشعوب أن تقع جفوة بين المسؤولين.

«التضامن»: هل إنسحبت هذه العفوية الآن على السياسيين أيضاً؟ وهل أنت متفائل؟

محمد مزالي: في المحصلة الإجمالية الجواب نعم. والحقيقة إنني متفائل لأنني رجل عمل وأظن دائماً متفائلاً وحتى لو حصل غداً - لا قدر الله - أمر يعرقل فإني أتصدى له، وأتغلب عليه بعد عام أو عامين.

«التضامن»: يمكن أن نعتبر سنة 1983 سنة زيارات فهل هناك نتائج ملموسة؟

محمد مزالي: أجل، فأول نتيجة وأهمها هي صفاء الجو بين القادة، وربح معركة الثقة، لأن الثقة لا بد من توفرها، وهذه الثقة تزعزعت في وقت من الأوقات لأسباب في هذه المنطقة أو تلك. الآن نحن بصدد ربح المعركة، معركة الثقة، وللتدقيق أقول كدنا نربحها، ولكن ما زال أمامنا أن نتغلب بحول الله على بعض المشاكل بعد أشهر خصوصاً مشكلة الصحراء. ثم هناك نتائج عملية واضحة كتلك التي توصلنا إليها بين تونس والجزائر وهي نتائج باهرة وخارقة للعادة على مستوى إقامة مشاريع مشتركة وفي الاتفاق على منزلة الحدود بينهم ومنحهم بطاقة للعبور بكل حرية على جانبي الحدود وفي عمق 15 كيلومتراً متراً وهناك مشاريع أخرى نحن بصدد التفكير فيها، فبين تونس والمغرب أطحننا بعدد من الحواجز الجمركية وبين تونس وليبيا توصلنا إلى تطوير العلاقات التجارية وكان البلاغ المشترك ينص على أمور محددة ودقيقة، كما زار تونس نحو ثمانين ألف أو مائة ألف سائح ليبي، كذلك أقبل الإخوان الجزائريون على بلدنا.

«التضامن»: لكن في هذا الإطار نفسه نلاحظ أن تونس هي الحلقة الأضعف عسكرياً في المجموعة المغربية. فهل أخذتم ذلك في الاعتبار؟

محمد مزالي: بديهي إننا عندما نتفق كلنا كمغاربة فإن دور الجيش المساهمة في معركة التخلف ينقص لأن دوره يصيح كالتشجير وتعبيد الطرقات وبناء الجسور.

«التضامن»: هل نقوش هذا الأمر؟

محمد مزالي: بين تونس والجزائر هذا الشيء موجود وتم تبادل الزيارات. وإتفقنا على أن يساهم الجيشان التونسي والجزائري في تطوير المناطق الحدودية والحد من الفقر والبؤس الموروثين عن الإستعمار، وقد قلت ولمرات عديدة أن الإستعمار الفرنسي أراد أن تكون المناطق الحدودية بين تونس والجزائر مناطق قحط وجفاف، وعلينا أن نجعلها مناطق رخاء وهنا دور الجيش.

«التضامن»: ما الذي يمنع من وضع ما يشبه الإيديولوجية للعمل الوحدوي المغربي؟

محمد مزالي: الخلاف هنا. فهل المطلوب منا أن ننكب على وضع وثيقة ثم نقضي سنة أو سنتين أو أكثر في النظر في جزئياتها وتفاصيلها وفي المفعول به والفاعل والبدل أم نكون مثل السيد «جوردان» الذي يكتب النثر ولا يعرف أنه يكتب النثر، فنحقق الوحدة بالعمل اليومي؟ أيهما أكثر إلحاحاً وأيسر تحقيقاً، إقامة مصنع مشترك وإلتزام الجزائر وتونس بالتزود بمحركات «ديزل» من ذلك المصنع بدل إستيرادها من أوروبا، أم السباحة

في عالم الإيديولوجيا؟ أنا أفضل المضمون، ومشكلتنا كعرب هي هذه: إننا نختلف في الوثائق وعلى الوثائق أو في الدساتير أو في القوانين الداخلية.

«التضامن»: المقصود بالإيديولوجيا هو أن يكون هناك أحياناً أساس ما للعمل الوجدوي.

محمد مزالي: أفضل إيديولوجيا هي أن نفكر في وحدة جمركية والسوق الأوروبية المشتركة مثلاً حققت هذه الوحدة. واليوم يجتمع خبراء كبار من المغرب والجزائر وتونس لإعداد أرضية للتفاوض مع السوق المشتركة من دون ضوضاء. فهل الأحسن أن نجتمع من أجل هذا أم من أجل وضع وثيقة إيديولوجية؟ المهم أن تكون كل خطوة نخطوها تقربنا من الوحدة.

«التضامن»: هل تتوقعون أن تكون هناك معركة إنتخابات نيابية في تونس أم تتم الإنتخابات في مناخ

مثالي؟

محمد مزالي: مازلنا بعيدين عن الإنتخابات النيابية...

«التضامن»: هل إبتعد محمد مزالي المثقف والكاتب ورجل

الفكر تماماً عن عالم الثقافة، أي هل هناك فجوة بين مزالي رجل الدولة والسياسة والحكم وبين رجل الفكر؟

محمد مزالي: هذا غير ممكن، ربما لا يكون الوقت متاحاً لي للكتابة الأدبية أو المطالعة الأدبية بسبب إنشغالي بقراءة التقارير الإدارية والسياسية، لكن لا يمكننا أن نفرّق بين هذا وذاك.

«التضامن»: في أوروبا، مثلاً، نجد رجل الدولة يكتب ويسجل

أحياناً تجربة؟

محمد مزالي: نعم... ولكن هل يحدث في أوروبا أن يعمل رجل الدولة خمس سنوات أو ستة أعوام من دون أن يأخذ إجازة؟ هذا غير موجود. أنا مثلاً أعمل منذ سنوات من دون أن أنعم بيوم إجازة، فهم أكثر حظاً منا في أوروبا.

«التضامن»: هل رسمت في ذهنك صورة لتونس بعد عشر

سنوات؟

محمد مزالي: بل، أتصور أن تكون تونس بعد عشر سنوات حققت التصالح بين الأجيال، بين الشباب الطالع والمتسرع في تحسين ظروف عيشه وإندماجه في المجتمع وبين الأجيال الأخرى. كما أمل أن يزول التفاوت الجهوي. وثالثاً أن تبلغ أعلى درجة ممكنة من الديمقراطية مع توفر الحد الأدنى من الانضباط والإنتاج، وأن تكون تونس عنصراً عاملاً وحيّاً في بناء المغرب العربي الكبير. هذه بعض الملامح الكبرى لتونس كما أتصورها في المستقبل.

«التضامن»: هل من جديد بين تونس وفرنسا بمناسبة زيارة

ميتران إليكم قريباً؟

محمد مزالي: هي زيارة رسمية نأمل أن تدفع التعاون بين البلدين خطوة إلى الأمام ولكن لا يوجد شيء خاص.

وحدة المغرب العربي الكبير

عروبية السيد محمد مزالي هي إحدى خصائصه وسماته التي عرف بها مفكراً وكاتباً وسياسياً، وهو إلى ذلك أحد المتحمسين لبناء المغرب العربي الكبير، وله الآن تحت الطبع كتاب يحمل عنوان (في سبيل وحدة المغرب العربي الكبير) والكتاب عبارة عن مجموعة من المقالات والمحاضرات التي عبّر من خلالها محمد مزالي، وعلى إمتداد ربع قرن، عن حماسه تجاه قيام المغرب العربي الكبير، ونقتطف هنا فقرة من محاضرة بعنوان «الأسس الفكرية والإقتصادية لوحدة المغرب العربي الكبير» يقول فيها محمد مزالي:

(... إن فكرة وحدة المغرب العربي في الأربعينات والخمسينات كانت قبل كل شيء تجسيمياً لوحدة الحركات التحريرية الثلاث ضد الإستعمار الفرنسي في سعيه الحثيث منذ أواخر القرن التاسع عشر لفصل هذه الرقعة من الأرض العربية عن سائر الوطن العربي. فكان رد الفعل عنيفاً والإرادة واضحة بيئةً لتمسك أهل المغرب العربي بهويتهم بعد أن بحثوا عنها طويلاً وخاضوا طوال القرون الأحداث للظفر

«التضامن»: لاحظتُ أنكم إستقبلتم نائب الرئيس السوداني اللواء عمر الطيب بكثير من الحرارة، فهل هذه طريقتكم في إستقبال ضيوفكم أم ان السودان يعينكم بشكل خاص؟

محمد مزالي: كلهم سواسية، وكنت سألتني منذ حين عن حرارة الإستقبال الذي حظي به الأخوة الليبيون والجزائري والمغاربة فالكل سواء عندنا. ولما زارنا أمير قطر الشيخ خليفة بن حمد وولي عهد الكويت الشيخ سعد العبدالله الصباح إستقبلناهما بمثل الحرارة التي نستقبل سائر الإخوة. نحن أناس عندما نفتح قلبنا نفتحه بصدق.

«التضامن»: ويلاحظ هذا في الدفاء الذي تحوطون القيادة الفلسطينية في تونس..

محمد مزالي: من شمائلنا أن نكرم الضيف ونضعه على رؤوسنا كما يقال.

«التضامن»: ألا تعتقد أن وجود القيادة الفلسطينية هنا يحدث حساسيات مع بعض القوى الكبرى؟

محمد مزالي: لا أبداً، الشيء الوحيد الذي لمسنه أن الصهاينة قاموا بدعاية ضدنا في ألمانيا وأوروبا عموماً بهدف ضرب صناعة السياحة التونسية، إلّا أننا معترفون بهذا الوجود الفلسطيني ونعتبر أننا نقوم بواجبنا، كما الأخوة الفلسطينيين، والحق يقال، منضبطون ومقدّرون لظروفنا ولم نرَ منهم ما يكدرنا، بل بالعكس. وأنا شخصياً مرتاح ولا أشعر بأي مشكل.

نُشر الحوار في مجلة «التضامن»
بتاريخ 29 أكتوبر/ تشرين الأول 1983

محمد مزالي في سطور



➤ من مواليد مدينة المنستير في 23 من كانون الأول (ديسمبر) عام 1925.
➤ تلقى التعليم الثانوي في المدرسة الصادقية بين عام 1940 وعام 1947 وفي عام 1950 حصل على ليسانس في الفلسفة من كلية الآداب جامعة السوربون بباريس وفي العام 1954 حصل على دبلوم الدراسات العليا وكان موضوع أطروحته مقارنة تحليلية (بين تهافت الفلاسفة للغزالي و«تهافت التهافت» لابن رشد).

➤ إشتغل في سلك التدريس في العام 1950 حيث عمل مدرساً للفلسفة والآداب في المدرسة العلوية وقام بتدريس الفلسفة الإسلامية في المدرسة الصادقية وفي الزيتونة.

➤ عام ١٩٥٥ قام بتأسيس مجلة (الفكر) التي ما تزال تواظب على الصدور عشر مرات في السنة.

➤ ترأس نادي إتحاد الكتاب في تونس.

➤ إلى جانب تعلّقه بالآداب والفكر والثقافة عرف عنه تعلقه بممارسة الرياضة وخصوصاً رياضة الجري التي يمارسها ثلاث مرات في الأسبوع، وإلى ذلك أن أول منصب أسنده إليه الرئيس بورقيبة كان منصب مدير عام الشباب والرياضة. وفي العام 1959 قام بتأسيس معهد تكوين اساتذة الرياضة وشجع على إلحاق العنصر النسائي في المعهد وكانت شقيقة زوجته أول فتاة تلتحق بالمعهد.

➤ شغل أيضاً منصب وزير الصحة.

➤ له عدة إصدارات وأول الكتب التي أصدرها كان كتاباً بعنوان (الديمقراطية) وله تحت الطبع كتاب بعنوان (في سبيل وحدة المغرب العربي الكبير).
➤ في 23 من نيسان (أبريل) عام 1980 كلفه الرئيس بورقيبة بالوزارة الأولى (رئاسة الوزراء).

➤ متزوج وله أربعة أولاد وبناتان، وزوجته هي السيدة فتحية مزالي عضو الديوان السياسي للحزب الدستوري ورئيسة الإتحاد القومي للمرأة التونسية.

حوار مع الوزير الأول التونسي

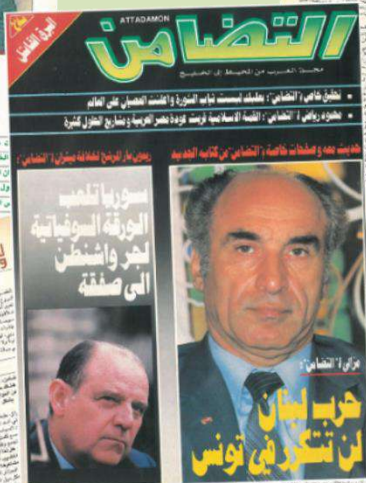
محمد مزالي (2)



محمد مزالي، الوزير الأول التونسي.

الأمان شعار المرحلة المقبلة
وماهذه شغل لي إنني بكتور في المغرب العربي

ت هاف مصلحتات والتدين سطوتوا خلال الأحداث شخيا وإسرا إيهام
والقن الحرة وحبب أن يسلطان التدين عل الرومعه وإرتام ورومعه
أن استعلا الأحداث. فريق سياسي متعدد الاتجاهات وفريق من دفاع الحرف
وإل تعبير العربي لمختلفة وكذا مختلف المراكز كان إيجابيا نظر
من القوي السياسية بفتح عهدا قويا شوقا في الحروب. «مؤامرة في التدين»



محمد مزالي لـ «التضامن»: الأمان شعار المرحلة المقبلة وما حدث في لبنان لن يتكرر في المغرب العربي



السيد محمد مزالي يتحدث إلى الصحفي والكاتب فؤاد مطر

في قلب العاصمة التونسية شارع له نكهة خاصة وشكل خاص. ومثلما إنه لا يمكن التلفظ بإسم روما من دون إرفاق ذلك بلفظ «فيا فينيتو» أحد أهم شوارعها، ولا التلفظ بإسم باريس من دون إرفاق ذلك بلفظ «الشانزليزيه».. فإنه من الصعب على المرء ألا يرفق لمجرد أن يلفظ إسم تونس بإسم «شارع الحبيب بورقيبة».

وتتفرع من «شارع الحبيب بورقيبة» أهم الشوارع التجارية في العاصمة التونسية ومنها «شارع باريس» و«شارع قرطاج» و«شارع جمال عبد الناصر».

ويبدأ هذا الشارع بساحة ينتصب فيها تمثال للرئيس الحبيب بورقيبة فوق صهوة جواد عربي أصيل وينتهي ببداية شارع فرنسا الذي يبدأ في نهايته باب البحر. ومن هذا الباب ندخل إلى الأسواق القديمة مروراً بالسفارة البريطانية التي ما زالت على ما كانت عليه منذ ما قبل الإنتداب الفرنسي عام 1881.

من الأسواق القديمة نصل إلى «نهج القصبة» الذي يوصل إلى ساحة الوزارة الأولى و«نهج جامع الزيتونة» وهو يوصل إلى جامع الزيتونة الذي كان بمثابة جامعة تونس قبل العام 1960 وبات بعد ذلك «أزهر تونس» أو «نجفها الأشرف».

وميزة «شارع الحبيب بورقيبة» الذي يتدفق عليه الألوف من الشوارع التي أشرنا إليها، أن الأرصفة في منتصفه. إلى اليمين شارع ضيق نسبياً وإلى اليسار شارع مماثل. وفي الوسط شارع كأنه الساحة الطويلة

تحيط به أشجار في غاية الجمال. وتحت هذه الأشجار هنالك عدد من باعة الورد وعدد من الأكشاك التي تجد فيها ما يصعب أن تجده من مجلات في أكشاك أي عاصمة عربية باستثناء بيروت في أيام عزها .

وفي هذه الساحة الطويلة يسير الجميع وهم في غاية الإطمئنان. وفي الشهرين الأخيرين من فصل الربيع يتدفق باعة الياسمين المضموم والمنسّق كأنه شجر رأس صبية وحيدة سرّحته لها والدتها. وتبقى رائحة الياسمين إلى الحد الذي يجعل المرء يتصور نفسه أنه في حلم.

وفي الساعات الأخيرة من النهار تمتلئ أشجار الشارع على الصفيّين بالطيور التي تحط على الأغصان ثم تحلق ثم تعود وتهدهد لنفسها من أجل أن تنام. بالعشرات، بل بالمئات، وأحياناً بالألوف تكون هذه الطيور التي يسمونها عصافير الزيتون. وقد أطلقوا عليها هذه التسمية لأنها تشبه حبة الزيتون المبقعة .

كذلك فإنه في الساعات الأخيرة من النهار وحتى الساعات الأخيرة من الليل يسير الشبان بالمئات في هذا الشارع الجميل، أو يتوزعون على المقاهي المقامة على الرصيفين ويعكسون بذلك إنطباعاً بأن هنالك بطالة لا مثيل لها في دول المغرب العربي أو أن هنالك جنوحاً لدى الشباب نحو التسكع. وإلى ذلك إن اللافت للانتباه هو أن مقاهي الرصيفين في «شارع الحبيب بورقيبة» مكتظة دائماً حتى في ساعات العمل الرسمية الأمر الذي يعني أن هنالك ألوفاً من الشباب التونسيين يعملون عاطلين عن العمل وهي ظاهرة أو «وظيفة» من ابتكار إخواننا التونسيين .

والقصد من هذا التقديم هو القول إنه عندما تكون البطالة مستشرية يصبح من الطبيعي حدوث تلك الإضطرابات قبل حوالى شهر والتي كادت تجعل من «تونس الخضراء» «تونس حمراء».

ولعل هذا الحديث مع رئيس وزراء تونس السيد محمد مزالي يجيب عن بعض التساؤلات حول التطورات التي إستهدفت هز الإستقرار التونسي وحول ما ستكون عليه حال تونس والتونسيين والعلاقة مع دول منطقة المغرب العربي في المرحلة المقبلة.

وتبقى الإشارة إلى أن تحليل «التضامن» لواقع الحال في تونس وفي ضوء ما جرى سجلناه في «كلمة التضامن». كذلك تبقى الإشارة إلى أن «التضامن» تنفرد إبتداءً من هذا العدد بنشر صفحات من كتاب عن تجربة مزالي في الحكم ومن قبل في العمل السياسي والحزبي. وسيصدر الكتاب بالفرنسية بعد أسبوعين ثم بالعربية وبلغات أخرى بعد ذلك.

تونس - فؤاد مطر

«التضامن»: الملاحظ أن شأن تونس ودول المغرب عموماً تعاضم نتيجة الإضطرابات التي شهدتها دول المشرق. هل بعد الذي شهدته تونس من إضطرابات دموية معناه أن الشأن لن يعود قوياً وهل معناه أن حروباً أهلية من نوع حرب لبنان يمكن أن تتكرر في منطقتكم؟

محمد مزالي: شخصياً يصعب عليّ التكهن بمثل هذه الأحداث، لكن أشعر بالحدس، وبالتفكير كذلك، أن جوابي سيكون: لا، لأسباب كثيرة. ربما هناك أياد في مكان ما، في قاعات عمليات، في مكان ما، تسعى إلى تعميم الفوضى ودك الأنظمة القائمة في البلدان المغربية وخاصة الأنظمة المعتدلة، الأنظمة الجدية، الأنظمة الشعبية. وهذا يدخل في إطار إستراتيجية تهدف إلى هز الإستقرار وتغيير الأوضاع والزج بالعالم العربي في دوامة من العنف واللاإستقرار. ولست أدري من يستفيد وما هي الجهات التي يمكن أن تستفيد من مثل هذه الإضطرابات، فهناك اليمينية المتطرفة أو «الخمينية» التي تدعو إلى جمهوريات إسلامية - ونحن نعلم ما هو محتوى هذا الشعار ومفهومه - وهناك من يدعو إلى أنظمة يسارية أو «يسراوية» (أي متطرفة أكثر من اليسارية) لجعل المغرب العربي، والعالم العربي، يدوران في فلك العالم الإشتراكي.

وفي الواقع - وفي إنتظار مآل هذه التصورات أو هذه المخططات، - وهو في الحقيقة أضغاث أحلام - يبقى المستفيد في الوقت الراهن هو الدولة الصهيونية التي ما تزال تقتل الأمل في الأمة العربية وتعمل على شل حركتها وتحجيم شبابها وإلهائه بمشاغل أخرى، والمستفيد أيضاً هي جبهة الأغنياء، سواء أكانوا في الشرق أم في الغرب، الذين يسعون إلى إبقاء العالم الثالث في حالة الدون وحالة الفقر والخصاصة، حتى يبقى دائماً متركباً من مستهلكين يظلون بإستمرار عالة على الغير.

لكن هذا قد يكون تصوراً لهذه الأيادي ولهذه الإستراتيجية الشيطانية، إلا أنني لا أعتقد أن ما حدث في لبنان يمكن أن يتكرر في منطقة المغرب وأن ما أصاب المشرق العربي يمكن أن يصيب المغرب العربي، أولاً لأن هناك دماً في قلب المشرق العربي وهو إسرائيل وما جره وجودها من إحتلال أراض وتشريد مئات الآلاف من اللاجئين الفلسطينيين، ثم هناك لبنان الذي أصبح - من سوء الحظ مرتعاً لهذه القوى الظلامية الهدامة لأنه متكون على أساس طائفي، ونجح خصوم لبنان في تجريده من الرابطة الطائفية - أو الدينية - وتقويتها، وهذا أكبر خطر عرفه لبنان في العقد الماضي. زد على ذلك المشاكل الدينية في دول عربية أخرى. أما في المغرب العربي فالواقع أن هناك إنسجاماً، فهناك دين واحد ومذهب واحد ولغة واحدة، وعناصر إستقرار أعتقد إنها أقوى من عناصر اللاإستقرار والتهميش والضياع. ثم إن عوامل التقارب والتعاون بين بلدان المغرب العربي عوامل جدية ولها جذور تاريخية وشرعية سياسية نتجت عن الكفاح المشترك.

وما نلاحظه اليوم من تعاون بين تونس والجزائر وبين تونس والمغرب، وفي درجة أخرى، بين تونس والجمهورية الليبية، دليل على أن هناك قوى خير تراهن على التعاون وعلى الإستقرار. والمهم - للجواب على سؤالكم - هو أن نعرف هل أن القيادات ستبقى قوية ومستعدة شرعيتها من الشعب وواعية بهواجس شعوبها أم أن شيطان الطموح السياسي والتكالب على الحُكم سيتغلب على الروح المدنية والعاطفية الوطنية، هذا هو السؤال، أي بتعبير آخر هل سيبقى السياسيون في المغرب العربي على أخلاقيتهم وسيضعون مصلحة شعوبهم فوق مصلحة طموحاتهم الشخصية أم لا؟ أنا أعتقد أن كل المؤشرات رغم بعض النكسات تفيد أن المغرب العربي، لهذه الأسباب وغيرها، لن يعرف الحروب الأهلية ولا الظواهر المأسوية التي يعرفها اليوم المشرق العربي وبالذات لبنان من سوء الحظ.

التعبير عن النوايا

«التضامن»: في الإطار نفسه وفي ضوء ما حدث ألا ترى أن هناك حاجة إلى أن تعبّر دول منطقة المغرب العربي عن النوايا بشكل أكثر تحديداً، وهل ترى أن ما حدث يشكل دافعاً أكبر نحو وحدة المغرب العربي؟

محمد مزالي: طبعاً أمام هذه الأخطار، وبعد التأمل في الأسباب التي أدت إلى تدني الوضع في المشرق وتثنيه، على القيادات السياسية في المغرب العربي أن تتعظ وأن تتحد وأن تجمع كلمتها. وهذا عامل جديد من العوامل التي يجب أن تجمع وتوحد.

«التضامن»: هل لنا أن نعرف ما هي الدولة الأكثر تأثراً بين دول المغرب العربي بما حدث في تونس والتي أبلغتكم مشاعرها؟

محمد مزالي: الجزائر التي تأثرت إيجابياً وتعاطفت، والمغرب أيضاً. فكل دول المغرب العربي تعاطفت ولكن الجزائر تعاطفت تعاطفاً إيجابياً أكثر بحكم الحدود المشتركة وغيرها من العوامل.

التعددية والتعايش مع الجيش

«التضامن»: تبين أن التعددية لا تمنع تفجراً يمكن أن يحدث مثل التفجر الذي حدث وأن الجيش هو الذي وضع حداً للإضطراب الذي حدث. هل من شأن ذلك أن يجعل صيغة الإستقرار رهناً بفكرة التعددية وبالحماية العسكرية في الوقت نفسه؟ وهل في تقديرك يمكن أن يتعايش الإثنان طويلاً؟

محمد مزالي: أظن أن المعادلة تختلف عما تشير إليه. فلنأخذ أولاً التعددية التي أصبحت واقعاً اليوم. لقد أثبتت الأحداث أنها لم تشمل كل التونسيين ولم توطر كل المواطنين وخاصة شرائح الشباب في سن الثامنة عشرة والعشرين والخمس والعشرين الذين لفظتهم المدارس أو الذين إحتوتهم البطالة. فالأحزاب - وحتى إتحاد العمال - لم يستطيعوا إحتواءهم لأنهم عاطلون عن العمل، ولذا فلا يمكن أن نقول إن التعددية وحدها كافية لتكون ضماناً للإستقرار. فقد يكون الإستقرار من دون تعددية وقد تكون التعددية غير كافية لضمان الإستقرار. لكن التعددية - مبدئياً - عنصر إيجابي من عناصر الإستقرار. هذا من ناحية. أما من ناحية الجيش أيضاً فقد إضطرننا إلى اللجوء إلى الجيش لأن قوات الأمن - على قدرتها - لم تقم بواجبها وكان يجب أن تقوم بواجبها - وأسباب عدم القيام بالواجب كثيرة - لأنها لو فعلت لحالت دون قيام هذه الإضطرابات أو على الأقل لحالت دون إستشرائها. هذا أمر لا أشك فيه، وأعتقد أنه كان يمكن أن لا يتم اللجوء إلى الجيش لو قام المسؤولون الكبار - لا الأمن كأمين، لأن رجال الأمن في مستوى طيب وسلوكهم يرضي - إنما أقصد القيادات التي لم تقم بواجبها. هذه هي المأساة، وهذا ما عبّر عنه في مناسبات كثيرة بعد 3 كانون الثاني (يناير) بالخصوص. وبالتالي فأنا أضع المعادلة في صيغة أخرى هي كالاتي: التعددية ضرورية لأنها عنصر إيجابي، علينا كدولة جمهورية منظمة أن نعتمد دائماً ويجب على قوات الشرطة حتى نحول دون المظاهرات أو إستباحة المدن والعواصم من قبل بعض «الفلتاء» (الفلتانيين)، أما الجيش فمهمته أن يحمي الوطن ويصون البلاد من كل هجوم خارجي.

الدوافع الداخلية والمنشطات الخارجية

«التضامن»: هل هناك تأكيد نهائي من جانبكم بأن الأحداث كانت بدوافع داخلية أو بمنشطات خارجية؟ محمد مزالي: زيادة سعر الخبز كانت السبب. هذا أمر لا شك فيه. كنا نتصور أن هذا الغضب المشروع أمر لا شك فيه سيكون وقتياً، وأنه سيزول أو يتناقص بمجرد إدراك الطبقات الكادحة وذوي الدخل المتواضع لأهمية ما سميناه «الإجراءات المرافقة» والمتمثلة بشكل خاص في إسناد العمال والشيوخ وعمال حظائر الشغل والأجراء ضعفاء الحال الذين يأخذون مساعدات من التضامن الإجتماعي، إسنادهم منحة شهرية تعوّض لهم نسبة كبيرة مما يحصل لهم من خفض بالبطاقة الشرائية بسبب زيادة سعر الخبز ومشتقات الحبوب، وإبقاء المواد الأساسية الأخرى على مستواها من حيث التسعير مثل الماء والكهرباء واللبن واللحم والمحروقات والسكر والشاي، هذه هي الإستراتيجية الأصلية. لكن من سوء الحظ هذه الاجراءات لم يتم تنفيذها في الأحيان ولا تقديمها مبسطة إلى كل الناس، وهذا يجب أن نذكر به.

فالعصب إذأ وارد، وكنا ننوي تجاوز هذا الغضب بعد أيام، إلا أننا لم نستطع ذلك. ثم إغتتم الفرصة فريقان: - فريق سياسي ينقسم بدوره إلى مجموعات «خمينية» أو يسارية متطرفة، وكل من يحمل بذرة حقد على النظام: فالذي تقدم بطلب ترخيص لبناء مسكن وتباطأت الإدارة في مده بها يضيق ذرعاً ويغتنم هذه الفرصة للتعبير عن غضبه، أو الشخص الذي طلب شغلاً ولم يحصل عليه يفعل الشيء نفسه، أو الشباب المرفوض من المدارس... فهذا كله فريق متركب من أصناف عديدة.

- وفريق آخر قليل العدد ولكنه قوي الفعالية، وهو فريق قُطّاع الطرق والسارقين الذين لم يخلُ منهم مصر (أي بلد) ولا عصر والذين وجدوا تونس العاصمة بشكل خاص يوم الثلاثاء 3 كانون الثاني (يناير) من دون شرطة تحميها فإستباحوها وعاثوا فيها فساداً وكادوا - لا قُدّر الله - أن يتركوها أثراً بعد عين لو لم أدرك شخصياً الأمر وأنا في قصر هلال صحبة الرئيس (المدينة التي أسس فيها الرئيس بورقيبة «الحزب الدستوري الجديد» قبل خمسين سنة من الآن) في نواحي الساعة الواحدة بعد الظهر فأذنتُ للجيش بالنزول إلى العاصمة وحمايتها وحماية المواطنين وأرواحهم وأرزاقهم، لأن الأمن كان مفقوداً.

«التضامن»: سأحاول أن أرسم تصوراً لما شعرنا به من بعيد، فالأمر ظهر أمامنا كأفراد متتبعين لما يحدث في تونس والعالم العربي - أن الساحة عبارة عن حالة فوضى حصلت من جانب، وتعقّل وحكمة من جانب الرئيس الحبيب بورقيبة، وديناميكية في المعالجة من جانب الحكومة. ولاحظنا في الوقت نفسه أيضاً أن الفوضى أكبر من الحزب الذي يحكم وأكبر من حركته، كما لاحظنا أن الأحداث جرت بسرعة فالتدخل تم بسرعة، ومنع التجول وُضع بسرعة ورفع حظر التجول وعودة الحياة العادية حصلوا بسرعة أيضاً. والقصد بهذا الكلام أمران: هل أن داخل الحزب - الذي يحكم - مواقع خلل معيّنة تجعل المرء يفترض أن فراغاً حصل وكان يمكن أن يؤدي إلى أمور خطيرة. هذا هو الأمر الأول. أما الثاني فهو: هل أن هذه السرعة في تلاحق الأحداث وفي مواجهتها تعني أن هناك أيضاً حلاً بالسرعة نفسها يمكن توقع طرّحه مستقبلاً من طرف حكومتكم؟

محمد مزالي: تدخل السيد الرئيس تم كما تعلم يوم الجمعة، أي بعد أن إستتب الأمن فأبى السيد الرئيس إلا أن يضمن الأمن حتى يدرك الجميع إن الدولة قوية، وإن النظام واثق من نفسه، وعندما إستتب الأمن وعم الهدوء، تفضّل السيد الرئيس بالإعلان عن التراجع في زيادة أسعار الخبز والمعجنات وأعطى الحكومة توجيهاته لتقديم إقتراحات فيما يتعلق بتسديد العجز الناتج عن حذف الدعم عن الخبز ومشتقات الحبوب والذي يبلغ أكثر من 100 مليون دينار (نحو 74.7 مليون دولار) .

هذا من جهة، ومن جهة أخرى لم يكن الحزب فعلاً - كما أشرت - في المستوى ولم يكن رجاله في عدة جهات وخاصة في العاصمة في المستوى أيضاً. لا محالة نحن نظريتنا ألاّ يتدخل رجال الحزب مباشرة لأن هذه المهمة منوطة بعهدة رجال الأمن، لكن كانت هناك أُمكانيات لملء الساحة والتعبير عن تعلّهم بسياسة الحكومة، على الأقل بالتظاهر وبالهتاف. إلا أن الذي حصل أن بعض الأقليات الموحى إليها من الذين يصح فيهم قول شوقي في «كليوباترا»: «عقولهم في آذانهم» هتفوا ضد رئيس الحكومة، وهذا ما يثبت أن المستهدف ليس الخبز بل رئيس الحكومة.

لكن الحكومة لم يفلت الأمر من يديها، بل كانت دائماً ماسكة بزمام الأمور، وإتخذت القرارات الواجب إتخاذها بكل سرعة، وبكل هدوء بال، وأثبتت انها قادرة - اليوم وغداً - على أن تكون في مستوى الأحداث، وسترى أنني سأقدم إلى الرئيس بعد أسبوعين بإقتراحات مالية، ثم فيما بعد إلى البرلمان، توفّق بين تسديد العجز وبين الإبقاء على مؤشر الأسعار في أدنى مستوى حتى لا يقع تضخم، وكذلك إجراءات من شأنها أن تعبّر أكثر من ذي قبل عن مقوّم من مقومات سياستنا، وهو السعي نحو المساواة والعدالة الإجتماعية، وجعل القادرين على الدفع يدفعون والفقراء يتحسنون في منزلتهم وفي موارد عيشهم .

«التضامن»: هل مثل هذه الصيغة يحصل للمرة الأولى في تونس؟

محمد مزالي: في هذا النوع نعم. لكن كانت حدثت رجة في 25 - 26 يناير (كانون الثاني) 1978، وكانت مواجهة إستعد لها الطرفان: الحكومة حينذاك من جهة، وإتحاد الشغل والقوى العمالية من جهة أخرى - وهنا الفرق - إذ كان كلا الطرفين يعلم ما ينتظره ويعرف على أي شيء كان مقدّماً، فإستعد العمال وإستعدت الحكومة

وكانت المواجهة وكانت الضحايا وكانت الرجة.
أما في 25 يناير 1984 فكانت الأمور تلقائية أو مدبرة لكن بسرعة عجيبة، والحكومة بوغتت وظهرت في بعض مصالحها ثغرات.

تأميم الصراعات داخل الحزب

«التضامن»: المعروف أن الصراع مشروع في جميع أحزاب العالم وحتى في الأحزاب العريقة، لكن عندما تواجه الأمة مخاطر ويواجه الكيان الحزبي خطراً ما، تؤمّم هذه الصراعات أو تتجمد، وبالتالي تضيق رقعة الطموحات أو التطلعات. هل مثل هذا الأمر ممكن أن يحدث - في تقديرك - بالنسبة إلى الحزب الدستوري الحاكم في تونس ورجالاته؟

محمد مزالي: طبعاً. نحن الآن متفرغون لدعم الهدوء، وهذا أول واجب، وقد حصل ذلك الآن، على الأقل بنسبة كبيرة. وثانياً نحن منهمكون في إعداد قانون ميزانية جديد. وعندما ننتهي من هذين الأمرين سنتفرغ إلى البحث عن الإجراءات الكفيلة بدعم الحزب والحكومة وإيجاد مزيد من الإنسجام والفعالية.

«التضامن»: شكّلتكم لجنة تحقيق...

محمد مزالي: أجل تكونت لجنة تحقيق يرأسها الوكيل العام لمحكمة التعقيب وتتربك من أربعة أفراد...

«التضامن»: ... فهل في نهاية التحقيق ستكون هناك محاكمات علنية ولأشخاص أياً كانت مواقعهم؟

محمد مزالي: لا، لا أعتقد لأن المهم هو أن يعرف السيد الرئيس ما هي الأسباب التي أدت إلى هذه الإضطرابات وإلى هذا العجز في مواجهة الأمور، لتلافيه على الأقل. وللرئيس أن يقرر ما يراه.

«التضامن»: وهل الذين سقطوا في هذه الإضطرابات وقُتلوا سيتم تصنيفهم على سبيل المثال أو الافتراض

- شهداء من جانب حكومتكم؟

محمد مزالي: لا، هم ضحايا، وهناك أطفال أصابتهم طلقات الرصاص أو داهمتهم السيارات بمجرد الصدفة. وهناك مواطنون ضربهم قُطّاع الطريق بالحجارة وماتوا إثر نزيف طويل. وقد أمكن مثلاً منذ أيام إلقاء القبض على خمسة من المنحرفين قتلة لمواطنين آمنين. وهناك أيضاً بعض الأفراد الذين ماتوا وهم يتظاهرون أو يتناولون على قوات الأمن والجيش لإفتكاك سلاحهم أو لحرق بعض الأملاك، فهم - أي القتل - أصناف وعددهم نحو ثمانين قتيلاً.



الرئيس الحبيب بورقيبة وإلى جانبه محمد مزالي

شعار المرحلة المقبلة

«التضامن»: ما هو - إذا جاز السؤال - شعار المرحلة المقبلة بالنسبة إلى حكومة السيد محمد مزالي؟ محمد مزالي: أولاً: دعم الإطمئنان في نفوس المواطنين لأن واجب الحكومة وواجب الدولة الأول هو أن يشعر المواطنون بأنهم آمنون على أرواحهم وأرزاقهم وذويهم. هذا أول شيء قبل الخبز وقبل الحرية. ثانياً: دعم الحكومة والإدارة لتكون أقدر على تحقيق مطامح المواطنين وتنفيذ ما جاء في خطة التنمية. ثالثاً: مواصلة المسيرة الديمقراطية والإنتحائية والتعاون مع كل الأشقاء لمقاومة التخلف والفقر، فعدونا هو الفقر وليس لنا عدو آخر. وأؤكد لك أنه لو كانت لنا عشرون مليون طن من البترول لكانت سياستنا الاقتصادية أنجح بكثير، لأن المسألة ليست مسألة إختيارات إقتصادية وإجتماعية بل مسألة إمكانيات.

البرلمان يقوم بواجبه

«التضامن»: سيادة الوزير الأول، هل ستبقى وزيراً للداخلية بعد أن إنتهى منع التجول، وهو المظهر الحذر لما حدث، وهل ستجري إنتخابات جديدة لكي يحل برلمان فعال محل البرلمان الحالي الذي نلاحظ من بعيد أنه لا يحظى بالحد الفعال من مصداقية الناس؟

محمد مزالي: بقائي في وزارة الداخلية هو رهن إشارة السيد الرئيس، لكن أنا شخصياً أود أن أبقى بعض أسابيع أو أشهر لتستقر الأمور في الأمن ونطمئن على الفعالية المطلوبة.

وفيما يتعلق بمجلس النواب أختلف معكم أو مع من يقول هذا الكلام، إذ أعتقد أن مجلس النواب يتمتع بهيبة ويقوم بواجبه، ولا أعتقد أن مصادقته على قانون المالية وعلى سياسة الحكومة الإقتصادية نتيجة لعدم تمثيليته بل هي نتيجة لإقتناع أفرادها بأن تلك الإجراءات هي في صالح الشعب، وأنا أعتقد مع النواب أن ما صوّتوا عليه هو عين مصلحة الشعب، وأنه - لو إستطعنا أن نواجه هذا الغضب وأن نتجاوزه بإجراءات إنسانية وإجتماعية - لإستطاعت تونس أن تكون مثلاً في ما يجب أن تسلكه دول العالم الثالث من حيث التقويض ثم حذف صندوق التعويض الذي هو بئر بلا قاع. ويشرف مجلس النواب أنه صادق على هذه الإجراءات. وأنا أؤكد مرة أخرى أن حذف الدعم سواء في سنة أو في عشر أمر ضروري لكي تصبح تونس حرة مستقلة. أما أن نعطي تسعين مليماً لكل مواطن غني أو فقير أي أن كل من يشتري رغيفاً بـ 80 مليماً ندفع له تسعين مليماً كتعويض لنصل إلى السعر الحقيقي فهذا عين الجور، وهو مخالف للعدالة الإجتماعية.

وأنا أعتقد أن مجلس النواب يقوم بوظيفته وأحبيه وأعلم إلى أي حد يقوم هذا المجلس بواجبه لأنني أمارسه كممثل للسلطة التنفيذية وأعرف إلى أي حد في اللجان وفي الجلسات العامة يحرص النواب المحترمون على الدفاع عن الشعب والتحري والنقاش العسير والمستفيض معي أنا ومع الحكومة. أما ما عدا ذلك فهو حرب أعصاب يروج لها بعض المعارضين لسبب سياسي، أي حتى تقع إنتخابات ونعوّض الحكومة بمنطق «إنتقل من الكرسي حتى أحل محلك».

موقف دول الإستثمار العربي

«التضامن»: هل عبّرت دول الإستثمار العربي، بشكل أو بآخر، عن تعاطفها معكم بعد هذه الأحداث، وهل طلبت في الوقت نفسه من جانبكم نوعاً من التظمين بالنسبة إلى سياسة الإستثمار العربي في تونس؟ محمد مزالي: لم نر من هذه الدول إلا الخير والتعاطف الإيجابي، ولم تطلب منا أي دولة من هذه الدول ضمانات جديدة. والذي أعرفه هو أن هذه الدول أيدتنا ودعمتنا عن طريق حكامها أو سفرائها. وأقول أكثر من

هذا: فأنا شخصياً معتز بأني تلقيت مكالمتين هاتفيتين من رجلين أعمال كبيرين من السعودية قالوا لي إنهما أصبحا أكثر إيماناً بتونس وأكثر استعداداً لمزيد من الإستثمار في تونس، وأحدهما سيأتي يوم الجمعة وأقبله وسيعلم بصوته عن ثقته في تونس، والثاني سيجيء بعد مدة.

«التضامن»: هل هناك مانع من معرفة إسميهم؟

محمد مزالي: الأول هو الشيخ صالح كامل وهو شريكنا في مشروع ضفاف بحيرة تونس وله مشروع حي ضخم في شمال البلاد، أي في «غار الملح»، وغيرهما من أم المشاريع، والثاني هو الشيخ يوسف الخريجي الذي له مشروع سياسي كبير - ما زال في طور الدراسة - في جزيرة «جربة».

العلاقة مع المعارضين

«التضامن»: هل يمكن ان نسأل سيادتك عن علاقتك بالمعارضة وبإتحاد الشغل بجناحيه...؟

محمد مزالي: الإتحاد له جناح واحد...

«التضامن»: وجناح السبعة؟

محمد مزالي: هؤلاء مطرودون ولم يبقوا في الإتحاد.

أولاً مع المعارضين علاقاتنا طيبة، وإن كنا لم نتصل في هذه الظروف، أي لم أبادر أنا ولا بادرُوا هم بالإتصال، ولكن العلاقة طيبة كما قلت، وهي مبنية على القبول من الطرفين (جنّلمان أجريمنت). وبالنسبة لإتحاد الشغل ثانياً علاقاتنا طيبة جداً معه، ونحن دائماً على إتصال مع الأخ حبيب عاشور رئيس الإتحاد.

نُشر الحوار في مجلة «التضامن»

بتاريخ 4 فبراير/ شباط 1984

حوار مع الوزير الأول التونسي

محمد مزالي (3)



رئيس الوزراء التونسي محمد مزالي في حديث مثير للتساؤلات مع «التضامن»

في كل مرة نلتقي فيها خليفة الرئيس الحبيب بورقيبة رئيس وزراء تونس محمد مزالي نحترق في قدرة هذا الرجل على مواجهة كل هذه العواصف التي تهب في وجه حكومته وتحديداً في وجه رهائنه: الرهان على الأخذ بالخط القومي والرهان على اعتماد النهج الديمقراطي.

وهذه المرة بالذات إلتقيت بخليفة الرئيس بورقيبة في ظروف بالغة التعقيد. ذلك أن محمد مزالي خارج من وقفات مع النفس نتيجة إعتداء إسرائيلي ونتيجة توتر مع الجارة ليبيا بلغ الدرجة ما قبل الحمراء، ونتيجة محاولات لتفجير التناقضات في الداخل حيث أن «سكارغيل التونسي» أي الزعيم النقابي الحبيب عاشور يحاول منذ بعض الوقت أن يحذو حذو «سكارغيل البريطاني» الزعيم النقابي القوي الشأن في قطاع المناجم والذي أرقى حكومة السيدة مارغريت تاتشر لبضعة أشهر.

كان مسرح اللقاء صالة الاجتماعات الملحقة بمكتب الوزير الأول والتي يطيب له فيها دائماً إستقبال الصحفيين والكتاب وكان ذلك يوم الأربعاء 13 تشرين الثاني (نوفمبر) 1985. وخارج مبنى الوزارة الأولى في حي القصبة حيث مكتب خليفة بورقيبة كانت التساؤلات تتلاطم كما أمواج البحر في أيام شتاء. ومثلما الجو العام ملبد بالتساؤلات فإن الحديث الذي أجريناه مع محمد مزالي حفل أيضاً بالكثير من التساؤلات. ولكنني وأنا أقدم في هذا العدد، الحديث الذي أجريناه مع محمد مزالي تاركاً إلى العدد المقبل بعض الإنطباعات وبعض الملاحظات على هامش الزيارة إلى تونس وهامش الحديث، أجد نفسي أسجل التقدير لهذا النمط من رجال الدولة الذين لا يضيقون بالإستفسار ولا يعتبرون أن هنالك أموراً تدرج تحت بند المحرمات التي لا يجوز تناولها وكأنما هي حقل ألغام تنفجر بمن يجرب الإقترب منها.

«التضامن»: أود بادية ذي بدء أن أقول بأنني كمواطن عربي يراقب من بعيد ما يجري في تونس وما يجري لها أشعر ببعض القلق وأحياناً بالقلق المفرغ.

محمد مزالي: ما الذي يجري لتونس وما الذي يجري فيها ولماذا القلق؟

«التضامن»: أستاذن الوزير الأول خصوصاً إننا نرتاح إلى مجلسه لكونه رجل فكر ورجل قلم في المزيد من التوضيح.

محمد مزالي: فلنستمع

«التضامن»: هنالك حالات تربص بتونس. وهنالك أجواء تجعل المرء يتساءل: هل يمكن أن تتكرر المأساة اللبنانية بشكل آخر وبأساليب مختلفة؟ هل إن هذا القلق والخوف في محله أم أن في الأمر مبالغيات؟

محمد مزالي: العربي الذي يقلق على تونس هو محب لها. والمحب لتونس يحميها.

الحب... الذي قتل

«التضامن»: ما أكثر الذين كانوا يحبون لبنان. وتبين أن حبهم هو ما ينطبق عليه القول التوصيفي المعبر والشائع «ومن الحب ما قتل». يا ليت الحب كان قليلاً.

محمد مزالي: صحيح أن هنالك جهات كثيرة تتربص بتونس لكن هنالك أيضاً جهات أكثر حريصة عليها. وبعض المتربصين بتونس يضمرون لها العداة إما لأن البعض منهم يريد الوحدة معها بالرغم منها وإما لأن هناك تناقضات في المنطقة وإختلافاً في وجهات النظر. وهؤلاء يريدون أن تدفع تونس الثمن. كذلك هنالك بعض الجهات الاقتصادية الإستعمارية التي تتوجس خيفة من التوجه الإستقلالي للبلاد وهو توجه نظيف يتلاءم ومصصلحة تونس ولا يتواطأ مع أي جهة من الجهات الأجنبية.

«التضامن»: هل أن ذلك يحمل في طياته الخطر على تونس وهل انكم تتعاملون مع هذه الأمور بأسلوب من يواجه الخطر أم أسلوب من يرصد مخاوف، وهل أن الحزب الدستوري مازال قادراً على مواجهة المخاطر بموقف جماهيري أم أن الأحزاب الأخرى التي أجزمت لها تأخذ من وهجه ومن دوره؟

محمد مزالي: النظام التونسي قوي وهو متجذر في أعماق الجماهير فضلاً عن أن الحزب الدستوري وخلافاً لما يعتقد البعض ما زال موضع ثقة الجماهير وما زال موضع آمالها في تحقيق التنمية وما زال في الوضع الجيد من حيث التنظيم.

«التضامن»: ولكن القوة التي للنقابات ولزعيمها الحبيب عاشور تترك مجالاً للأخذ والرد في هذا الأمر.

محمد مزالي: الديمقراطية المعمول بها في تونس تجعل من الحبة قبة كما يقول المثل الشائع، بمعنى أن أي حادث بسيط يقع في تونس تنتقله الوكالات بفضل المناخ الديمقراطي وتنسج عليه أحزاب المعارضة بفضل المناخ الديمقراطي أيضاً.

«التضامن»: ولكن الأمور ليست بخير تماماً. ولا أخفيك بأنني سمعتُ الكثير من جهات غير مشاركة في الحكم عن إرتباكات وإخفاقات، بل وسمعتُ منهم، وتحديداً من بعضهم، تفسيرات ووقائع توحى بأن الأحوال...

محمد مزالي: لا بد أنهم صوّروا الأمر لك كما يصورونه للآخرين على أن تونس فوق بركان.

«التضامن»: ليست تماماً إنما بدت الصورة قاتمة إلى حد كبير وبدت الأحوال من خلال ما يقولونه غير طيبة إطلاقاً.

محمد مزالي: أود أن أطمئن بأن تونس قوية بفضل الرئيس الحبيب بورقيبة ورصيده وتوجيهاته وشعبيته وبفضل تنظيمات حزبنا. ولأن النظام قوي فإنه يترك الصحف تكتب ما تشاء ويترك الناس يتكلمون كما يريدون لكن الحقيقة شيء وما يُكتب أو يقال في النوادي والمقاهي والصالونات شيء آخر.

الجسم الصحيح البنية... والجرائم

«التضامن»: هل يمكن أن نتوقع نتيجة لذلك فرض قيود على ما يكتب وإجراءات بحق من يتجاوز الحدود

في المناقشة. وهل يمكن أن نفترض أن الخيار الديمقراطي سينحسر شيئاً فشيئاً؟

محمد مزالي: بالرغم من كل شيء سيستمر المناخ الديمقراطي السائد.

«التضامن»: إنها ثقة كبيرة بالنفس أم أنه التحدي أم...؟

محمد مزالي: إن تونس شأنها شأن جسم صحيح البنية إلا أن هذا الجسم غالباً ما يكون مهدداً بجراثومة.

ومهمتنا هي أن نحافظ على لياقة هذا الجسم ونقيه من الجراثيم ومن الحشرات. ولقد مرت علينا أزمات كثيرة

وإستطاع الجسم التونسي لأنه صحيح البنية أن يواجه الجرائم والحشرات ويقضي عليها قبل أن تفتك به. ونحن جاهزون لأي مواجهات محتملة لكننا متمسكون بالخيار الديمقراطي .

«التضامن»: في هذا الإطار نسأل الوزير الأول: مادام الأمر كذلك فلماذا لا يتم حل المشكلة مع إتحاد الشغل ومع الحبيب عاشور بالمفهوم الديمقراطي الذي تشيرون إلى إصراركم على التمسك به؟

محمد مزالي: لا مشكلة مع إتحاد الشغل. هنالك مشكلة بين النقابيين، أما ما يقال بأن هنالك مشكلة مع إتحاد الشغل فإن ذلك مجرد وهم في خيال البعض.

«التضامن»: كل هذا الذي نسمع به ونلاحظه وكل هذه الحملة في الصحافة الرسمية التونسية على

الحبيب عاشور ونقول لنا أن لا مشكلة وأن الحديث حول وجود مشكلة لا يعدو كونه وهماً في خيال البعض؟

محمد مزالي: نعم لا مشكلة مع إتحاد الشغل. كل ما في الأمر أن هنالك زعيماً أو «زويماً» إسمه الحبيب عاشور قررنا ألا نتعامل معه لأنه شبه النظام في تونس بأنه مثل النظام في إسرائيل وفي جنوب أفريقيا وشم بعض الوزراء وهنالك تسجيل موجود لدينا يؤكد ذلك. ونحن كحكومة تؤمن بالخيار الديمقراطي قررنا ألا نتعامل معه. إننا نتعامل مع إتحاد الشغل ونؤمن بأهمية وجود إتحاد شغل قوي. وفي إستمرار إن العلاقة طبيعية وطيبة مع إتحاد الشغل. يحدث أحياناً أن يتقدم الإتحاد ببعض المطالب فندرسها وننفذ ما يمكن تنفيذه منها كما حدث منذ خمس سنوات أو نقول بأننا غير موافقين على الطلبات أو غير قادرين على التنفيذ. وفي مثل هذه الحال إما أن يقتنع النقابيون بالظروف الإقتصادية الضاغطة ويشدون الأحزمة من منطق وطني وواقعي وإما يحاولون إرغامنا على زيادة الأجور باللجوء إلى الإضراب. وعندما يتقرر الإضراب يكون معنى ذلك توقّع حدوث إحدى حالتين، إما أن ينجح الإضراب ويضغط على الحكومة إلى درجة إقرار مبدأ الزيادة وإما أن نقول لا كما فعلت الحكومة البريطانية مع نقابة عمال المناجم. وللمناسبة إن الإضراب في بريطانيا الذي قام به عمال المناجم إستمر عاماً كاملاً ومع ذلك لم تقم القيامة في حين أن هنالك من يقيم الدنيا ويقعدها من أجل إضراب يستغرق بضعة أيام.

إن أصول الأسلوب الديمقراطي تجيز أن يكون هنالك إضراب وتجيز التعبير وتجيز أيضاً حجب الأجر عن الذين لا يعملون. وكل هذه الأمور نأخذ بها ومن هنا القول إنني لا أعتبر أن هنالك مشكلة مع إتحاد الشغل كإتحاد. تكراراً إن مشكلتنا هي مع «الزوييم» الذي إسمه الحبيب عاشور. نحن ديمقراطيون وهو غير ديمقراطي.

الإضراب في تونس وإستهجان الآخرين

«التضامن»: من هنا يبدو الأمر وكما لو أن الجانب الأساسي من أزمة تونس هي أنها تدفع ثمن الديمقراطية، هل معنى ذلك أن الثمن باهظ وأنه قد يأتي وقت تعيدون النظر في الأمر؟

محمد مزالي: نحن نعتز بأننا ندفع ثمناً باهظاً من أجل الديمقراطية ولكننا نزداد تمسكاً بالديمقراطية. وأجد نفسي هنا أتساءل: لو أن بعض الدول العربية وبعض دول العالم الثالث عموماً تأخذ بالأسلوب الديمقراطي وتجيز الإضراب لكانت الإضرابات التي ستحدث فيها كثيرة ولكانت أفرزت مشاكل وإضطرابات.

وأنا لست ضد الإضراب وسيبقى الإضراب حقاً يضمنه الدستور. بل أكثر من ذلك إنني شخصياً مع مبدأ الإضراب علماً بأنه سلاح ذو حدين، وقُلت للنقابات إنه مثلما أن لكم الحق في إعلان الإضراب فإنني كحكومة لي الحق في رفض الطلبات. ومن أجل ذلك أستغرب هذه الضجة التي تثار حول الإضراب في تونس.

«التضامن»: أليس من الطبيعي عندما يكون الإضراب حقاً مكتسباً أو مجازاً في دول قليلة أن يتحدث

عنه الآخرون بإستهجان. وتونس هي الأكثر تقدماً من حيث الوجود النقابي ومن كفالة الدستور لحق الإنسان في التعبير عن مطالبه بواسطة الإضراب.

محمد مزالي: أنا مع الإضراب كمبدأ وهو وسيلة ديمقراطية شرط أن يتم اللجوء إليها من منطلق وطني وبعيداً عن المؤثرات الخارجية.

«التضامن»: لكن الإضراب يدمر أحياناً. ها هو لبنان دفع ثمن الإضراب والحرية والديمقراطية سيادته وإستقلاله وحرية وطمأنينته وقدرته على إتخاذ القرار. وها هو بالرغم من كل الذي حدث له في عشر سنين مازال عندما تقع كارثة ما به تنطلق الدعوة إلى الإضراب ويحدث الإضراب إنما لا يتغير شيء من الأمر.

محمد مزالي: هنالك عوامل أخرى تسببت في أزمة لبنان وجعلته يقاسي من مأساته التي يعيشها منذ عشر سنين. إن مأساة هذا البلد ليست في الديمقراطية والحرية وإنما في توافر عوامل أخرى ليست موجودة والحمد لله في تونس ومن أجل ذلك فلا خطر على تونس من الديمقراطية ولا خوف منها.

«التضامن»: لا أخفيك بأنني حائر في أمر هذه الحماسة من جانبك لمبدأ الإضراب.

محمد مزالي: إنني لست متحمساً وإنما مطمئن. وقد نسمع بعد أسبوع عن إضراب أو إضرابات أخرى. هذا ليس معناه أن نتأثر أو أن نحزن مادامنا نمسك جيداً لمقاليذ الأمور ومادامنا نحترم حق الإضراب.

«التضامن»: لا شك أن الإضراب في بعض جوانبه هو متنفس معقول أحياناً.

محمد مزالي: إنه ليس فقط كذلك عندنا. إنه حق مشروع وهو أيضاً وسيلة ضغط قد تأتي نتيجة وربما لا تأتي. المهم إننا متمسكون بالإضراب كمبدأ وكقانون.

«التضامن»: من التوتر بينكم وبين إتحاد الشغل ننقل إلى التوتر الذي بينكم وبين الحُكم الليبي. هل...

(لم يتركني الوزير الأول أكمل سؤالي وقال: هل تعتبر إعتداء ليبيا علينا حالة توتر؟!)

سأعيد السؤال بصياغة أخرى وهي: هل بعدما زاركم رئيس وزراء المغرب بعدما نشأت الأزمة بين تونس والجمهورية الليبية...

(لم يرحّب الوزير الأول بالصيغة الجديدة للسؤال وقال: تقول إنه نشأت أزمة بين تونس وليبيا؟! (الذي يجب أن يقال هو أنه بعدما أقدمت ليبيا على طرد 32 ألف مواطن عربي تونسي رجالاً ونساءً وأطفالاً وبعضهم مضى على ولادته أربعون يوماً...)).

محمد مزالي: لقد حجزوا ممتلكاتهم وضربوهم وأبعدوهم. ليس هكذا فجأة نمنا بخير وإستيقظنا على حالة توتر. ان الذي حدث ابتداءً من الخامس من شهر آب (أغسطس) 1985 هو أن النظام الليبي أو عفواً اللجان الشعبية أقدم على طرد أكثر من 32 ألف تونسي.

«التضامن»: هنالك مفارقة تدعو إلى المزيد من التأمل وتتلخص بالآتي: لا الجزائر إستطاعت أن تزيل أسباب التوتر التونسي - الليبي ولا أنتم إستطعتم إزالة أسباب التوتر بين الجزائر والمغرب. معنى ذلك أن دول المغرب خالية من أصحاب المساعي الحميدة.

محمد مزالي: يقول العلماء إن كيفية وضع المشكلة هو نصف حل للمشكلة. ومن هنا يجب ألا نقارن بين قضية الصحراء والعلاقات بين الجزائر والمغرب من جهة وبين الإعتداء الليبي على تونس. هنالك فرق بين الحالتين. إن المغرب لم يعتد على الجزائر ولا الجزائر إعتدت على المغرب في حين أن ليبيا إعتدت علينا. أرسلت طروداً ملغومة وأرسلت إرهابيين وإخترقت الأجواء.

(كرر مزالي عبارة «ليبيا إعتدت علينا» أكثر من مرة). وعندما بدأت أتأهب لطرح سؤال جديد حول التنسيق المستجد بين مصر وتونس قال بحدة لم ألاحظها عليه في لقاءاتي السابقة به (4 لقاءات): إن الذي فعلته ليبيا هو إعتداء. الطائرات الجزائرية لم تخترق المجال الجوي للمغرب في حين أن الطائرات الليبية إخترقت مجالنا الجوي. ولم يقتصر الأمر على ذلك بل إنهم إستدعوا المسؤولين في سفارتنا في طرابلس وقالوا لهم إننا خرقنا

مجالكم الجوي كتنبه أول حتى تسكت الصحافة والإذاعة التونسية. كذلك أرسلوا طروداً ملغومة ذهب ضحيتها أبرياء. مثل هذا الأمر لم يحدث بين المغرب والجزائر. لماذا بدل القول إنها أزمة أو حالة توتر كما ذكرت لا يقال إنه إعتداء ليبي على تونس. إعتداء. إنه إعتداء....

«التضامن»: كيف تتصور أن الأمور ستعود طيبة مع الجماهيرية الليبية؟

محمد مزالي: لا مشكلة بيننا وبين شعب ليبيا. ولن تعود الأمور طيبة إذا كان النظام الليبي لن يعوّض على المواطنين العرب التونسيين المسحوقين المضروبين ويعطيهم أموالهم وممتلكاتهم ومستحقاتهم المحجوزة في المصارف الليبية ويعيد إليهم أجهزة التلفزيون والسيارات والأثاث وكذلك يدفعوا ثمن البضائع التي أرسلها إليهم التجار التونسيون البسطاء ويكفوا عن الإرهاب. إذا حدث ذلك يستقيم الأمر.

«التضامن»: ما هي من وجهة نظركم أسباب الخلاف مع الجماهيرية الليبية؟

محمد مزالي: لا أجد هنالك أي خلاف سياسي اللهم إلا إذا كان إصرار (العقيد معمّر) القذافي على فرض الوحدة مع تونس ومع غيرنا بالقوة. تلك مسألة أخرى والحديث في شأنها مليء بالشؤون والشجون.

«التضامن»: كل هذا الذي يحدث وتقول إنك لا تجد أي خلاف بين تونس والجماهيرية الليبية؟

محمد مزالي: القضية ليست بين الحكومة التونسية والقذافي وإنما هي بين القذافي واللجان الشعبية من جهة والشعب التونسي المتواضع والبسيط من جهة أخرى. المشكلة ليست بيننا وبين الشعب الليبي. ولا هي بين الشعب التونسي والشعب الليبي. إن كل عائلة في كل قرية في الجنوب أو الوسط منكوبة في موضوع مستحقات أبنائها الذين عملوا في ليبيا. ومن المهم أن يعي النظام الليبي هذه الحقيقة. هذا هو المهم.

مواقف متعاطفة ومبادرة مبارك

«التضامن»: بالنسبة إلى الأزمة التي حدثت فجأة مع الجماهيرية الليبية هل شعرتم أن هنالك مواقف

عربية ودولية متعاطفة معكم؟

محمد مزالي: أنا أقول إنه في الأزمة التي فرضتها علينا ليبيا بإعتدائها على عمالنا وأراضينا ظهر عطف كبير بعضه كان علنيا وأكثره كان ضمن اللقاءات الثنائية.

«التضامن»: وهل هذه المبادرة لما يشبه التنسيق بين تونس ومصر هي نتيجة للأزمة بينكم وبين

الجماهيرية الليبية؟

محمد مزالي: مبادرة الرئيس مبارك وإرساله أسامة الباز إلى تونس كان بعد إعتداء ليبيا على تونس. وكانت زيارة الباز الثانية بعد إعتداء إسرائيل الغادر على تونس. لقد حدث الإتصال المصري - التونسي نتيجة إعتدائين: إعتداء ليبي وإعتداء إسرائيلي.

«التضامن»: كيف يمكن تصنيف علاقتكم مع الدول العربية الأخرى؟

محمد مزالي: عدا ليبيا فإن العلاقات مع الآخرين تنقسم قسمين: إما جيدة جداً وإما جيدة.

إعتداء على من: تونس أم المنظمة؟

«التضامن»: هل أن الإعتداء الإسرائيلي على حمّام الشط حيث مقر القيادة الفلسطينية هو من حيث

التصنيف عدوان إسرائيلي إستهدف تونس أم أنه عدوان إستهدف منظمة التحرير الفلسطينية، وهل إنتهى

العدوان الإسرائيلي أم أنه سيتكرر ما دامت المنظمة باقية في تونس؟

محمد مزالي: إنه إعتداء إسرائيلي على تونس. إن تونس دولة مستقلة عضو في الامم المتحدة وقد حدث

إعتداء من جانب إسرائيل عليها. ولقد أفهمنا العالم ذلك والذي يفسر ذلك هو القرار التاريخي الذي إتخذه مجلس الأمن بإدانة إسرائيل وبالإجماع.

«التضامن»: وهل تشعرون بأن بقاء المنظمة في تونس سيفتح شهية إسرائيل على أن تكرر العدوان؟ محمد مزالي: إن تونس حرة في إيواء أو إستضافة من تريد. لقد إستضافنا الجزائريين أيام الثورة ونحن على إستعداد لإستضافة أي مناضل من أجل الحرية ونفتح ذراعينا لكل من يخوض مواجهة ضد التمييز العنصري. إن العدوان كان على تونس. أما إسرائيل فإنها تحاول الإيحاء بأنها إعتدت على القيادة الفلسطينية. وتكراراً انه لو لم ينظر العالم إلى الغارة الإسرائيلية على أنها عدوان ضد تونس لما كان لمجلس الامن أن يتخذ القرار الذي إتخذه وينجو قرار الإدانة هذا من الفيتو الأميركي.

مضاعفات ستتفاعل وجُرح ينزف في تونس التي أصبحت دولة مواجهة

«التضامن»: هل أمكن إحتواء آثار العدوان الإسرائيلي عليكم؟

محمد مزالي: ما الذي تعنيه بـ «الإحتواء»؟

«التضامن»: القصد من «الإحتواء» هو القول بأن الإعتداء قد حدث وأنه من الممكن بعد ذلك عودة الدفء إلى العلاقات بين تونس والولايات المتحدة ومن الممكن أيضاً أن يبقى الفلسطينيون في تونس ويستأنفوا نشاطهم، ومن الممكن أيضاً تبديد الإنطباع بأن منظمة التحرير الفلسطينية تبحث عن مكان إقامة جديد؟

محمد مزالي: لقد تمت الغارة الجوية الإسرائيلية التي حظيت بمشروعية من الولايات المتحدة. هذا صحيح. لكن الموقف الذي إتخذه العالم من هذه الغارة كان جيداً أو أنه إذا جاز القول كان بلسماً لجرح عميق جداً. ولقد خفف عدم إستعمال أميركا الفيتو من رد فعلنا رئيساً وشعباً على موقفها غير المفهوم من الغارة والذي يبرر الإعتداء الإسرائيلي. وهذا الموقف عبّر عنه في البداية المتحدثة بإسم البيت الأبيض ثم الرئيس ريغان شخصياً. ولقد جاءنا بعد ذلك مبعوث أميركي وشرح موقف بلاده.

«التضامن»: وهل أقتكم الشرح وإنتهى كل شيء؟

محمد مزالي: لقد ترك العدوان مضاعفات ما تزال تتفاعل وأحدث جرحاً ما يزال ينزف. والذي نوده هو أن يدرك إخواننا العرب بأن تونس أصبحت بالرغم عنها دولة مواجهة وأنه لا بد من توفير غطاء جوي لها.

إسرائيل قد تكرر العدوان على تونس

«التضامن»: في اللقاء الثاني قبل ثلاث سنوات معك أوضحت لي رداً على سؤال هذه المسألة بالذات وبدأت إجابتك في ذلك الحين كما لو أنها دعوة إلى العرب وبالذات إلى المملكة العربية السعودية ودول الخليج من أجل شراء شبكة دفاع جوي لتونس. هل كنت تستقرئ الأحداث والإحتمالات وهل تقدمتم بطلب رسمي في هذا الشأن ولم يتجاوب الأشقاء معكم؟

محمد مزالي: قلنا ذلك قبل ثلاث سنوات ونعيد قوله اليوم. وأضيف إلى القول تأكيد قناعة تامة بأن الخطر على تونس لم ينته وأن إسرائيل ربما كررت العدوان. والشواهد على ذلك كثيرة لعل أهمها على الإطلاق هو أن مسؤولاً إسرائيلياً قال تعليقاً على حادثة جربه ومقتل يهودي على يدي مسلم، إن إسرائيل لن تنسى هذه الحادثة وأنها ستأخذ بالتأثر وكأنما تريد إسرائيل أن تقول بأن مهمتها هي الدفاع عن اليهود في العالم حيث وجدوا علماً بأن الحادثة

جرت في جريبه بين تونسسي مسلم وتونسسي يهودي ولا علاقة لإسرائيل بذلك.

«التضامن»: وهل أن تونس قادرة على التصدي لعدوان إسرائيلي جديد؟

محمد مزالي: إن إسرائيل التي إعتدت يمكن أن تعتدي في أي وقت وتنتحل أي عذر من أجل أن تنفذ العدوان. ونحن جاهزون لتحمل مسؤوليتنا ونرى أن ينظر العرب إلى تونس على أنها باتت دولة مواجهة. إننا ندفع ضريبة الأخوة وضريبة التضامن مع القضية الفلسطينية. وهذه ليست المرة الأولى التي ندفع هذه الضريبة. لقد دفعناها لمدة ثماني سنوات عندما إحتضنت تونس الثورة الجزائرية وتحملنا قصف الطائرات الفرنسية في حينه لتونس في ساقية سيدي يوسف وقرى كثيرة.

«التضامن»: إذا كانت الولايات المتحدة الصديقة لتونس والحريصة على النهج الديمقراطي الذي إختارته لن تتفهم ذلك وتضغط على إسرائيل من أجل ألا تكرر العدوان على تونس فما هي الفائدة التي تجنونها من هذه الخصوصية في العلاقات مع أميركا؟

محمد مزالي: ما الذي يجب أن نفعله هل نشتم أميركا، وهل إذا شتمناها سنستفيد. وما الذي حققه الذين شتموها؟

«التضامن»: لا اقصد بسؤالي أن تونس مطالبة بشتم الولايات المتحدة. ما أقصده هو سؤال السيد الوزير الأول عن تصورة لكيفية الخروج من هذا المأزق في العلاقة مع أميركا والذي وضعت الغارة الإسرائيلية تونس فيه؟

محمد مزالي: الحياة كفاح وأمل. ومن الواجب كتونسيين وكعرب عموماً أن ننظر في مواجهة هذا الوضع. كون إسرائيل هي الطفل المدلل للولايات المتحدة هذا واقع لكن الحل ليس في الشتم. الحل هو في أن ننظر مجتمعين في الأمر ونستببط الموقف الذي ترتاح له الشعوب. وقبل أيام قلت في خطاب سمعه التونسيون انه عندما عبر الجيش المصري وتوغل في سيناء فان الولايات المتحدة أقامت جسراً جويّاً مع إسرائيل من أجل نجبتها. القصد من ذلك هو أن إسرائيل هي الطفل المدلل لأميركا ولم يغير من الأمر شيئاً أن معمر القذافي يشتم أميركا يوماً.

لا تحالف بيننا وبين أميركا...

«التضامن»: هل إذا تكرر الإعتداء الإسرائيلي على تونس وإتخذت الولايات المتحدة موقفاً سلبياً كموقفها السابق أو تؤيد العدوان من جهة وترسل في الوقت نفسه مبعوثاً يقول لكم كلاماً لا يقنع المسؤول ولا المواطن فإنه قد يترتب على تونس أن تعيد النظر في خارطة تحالفاتها؟

محمد مزالي: لا تحالف بيننا وبين أميركا. إن المصيبة هي أن الرأي العام يعتبر تونس حليفة لأميركا. إن تونس ليست حليفة.

(ملاحظة: إنفعل الأستاذ محمد مزالي فوجدت نفسي أعيد طرح السؤال)

«التضامن»: آسف إذا كنت قد طرحْتُ السؤال بطريقة لم يرتح إليها السيد الوزير الأول. وعلى ذلك إنني أعيد صياغة السؤال على النحو الآتي: هل يمكن إذا حدث أن عاودت إسرائيل العدوان على تونس توقّع إعادة النظر من جانب تونس في تقويم العلاقة الودودة التي بينها وبين أميركا؟

محمد مزالي: إعادة النظر بأي معنى؟

«التضامن»: بمعنى التوجه شرقاً.

محمد مزالي: أي إلى روسيا؟

«التضامن»: نحو الذي يعطي السلاح ويقف إلى جانبنا.

محمد مزالي: ما حكّ جلدك مثل ظفرك. مسألة التوجه نحو السوفيات إحتجاجاً على موقف الأميركيين خرافة. ذلك أنهم كلهم متشابهون. وكلهم يبيعون بالدولار وكلهم يعطون السلاح غير المتقدم.

«التضامن»: لماذا إذاً لا يكون هنالك على الأقل موقف كلامي كثير الحدة من جانب تونس ضد موقف الولايات المتحدة؟

محمد مزالي: نشتم؟ نهاجم؟ نعتمد الأسلوب الغوغائي؟ كل ذلك لن يفيد. انه قد يختصر الألم قليلاً لكنه لن يحل المشكلة. لقد سجلنا بالطرق الرسمية مواقف في منتهى الأهمية ولولا القرار الذي إتخذه مجلس الأمن ولم تنقضه الولايات المتحدة لكان لنا موقف آخر. إننا لن نشتم. وأميركا لا يضيرها أي شيء أن تشتمها هذه الجهة أو تلك.

ما يهمني هنا هو أن يتأكد قارئو مجلة «التضامن» التي نقدر خطها الوطني والهادئ بأنه لا يوجد بين تونس والولايات المتحدة حلف ولن يوجد هذا الحلف. إننا مستقلون ولنا صداقات مع دول كثيرة. إن صداقتنا مع أميركا هي مثل صداقتنا مع فرنسا أو بريطانيا أو الصين. كلهم بالنسبة إلينا واحد. وكل منهم أهميته في إحترامه لإستقلالنا. إننا غير مرتبطين بأي إلتزامات. حتى إن موانئنا تستقبل سفن الجميع. في موانئنا تجد الباكسة الأميركية والباكسة السوفياتية والباكسة الإيطالية والباكسة الفرنسية.. وهكذا. ويوم 3 كانون الأول (ديسمبر) المقبل سيزورنا مارشال سوفياتي هو قائد الجيوش السوفياتية. وزيارته رسمية.

«التضامن»: ولكن توقيتها يطرح تساؤلات كثيرة.

محمد مزالي: إننا ناس مستقلون ونتمسك بقرارنا وإستقلالنا.

«التضامن»: لكن المحزن هو أن الصيغة الإستقلالية مهددة أكثر من الصيغة الإنحيازية.

محمد مزالي: مع ذلك نتمسك بها وندافع عنها وسنظل نتعامل مع كل الأصدقاء.

توضيح للأشقاء وتمنيات عليهم

«التضامن»: هل إن تحرك العربي بعد الآن سيركز على مسألة أن تونس باتت دولة مواجهة ولذا يجب أن يتعامل معها العرب كما يتعاملون مع دول المواجهة في المشرق؟

محمد مزالي: أعتقد أن الاشقاء العرب باتوا مقتنعين بذلك. وأنا بالتأكيد سأكثر من التوضيح والتمنيات. وسنسعى. هذا قدرنا.

«التضامن»: هل على سبيل المثال أنتم الآن في صدد تسجيل طلبات محددة من الدول العربية؟

محمد مزالي: لا. لكن عندما تصبح الدولة دولة مواجهة فإن ما تحتاجه من الأشقاء بات معروفاً. وما يمكن أن نطلبه طلبناه منذ سنوات.

«التضامن»: نفهم من ذلك أن ما ستقوم به بعد الآن هو تحريك هذه المطالب أو تذكير الأشقاء بها بحيث تنتقل إلى المكاتب بعدما وضعوها كثيراً في الأدراج؟

محمد مزالي: الأشقاء أدرى بأحوالنا ويعرفون ما الذي تحتاجه تونس منذ أن باتت عملياً جزءاً أساسياً من الدور العربي.

متفائل... وأسلوب الأمير عبد الله هو السبب

«التضامن»: في ما يخص تونس بشأن تنقية الأجواء العربية هل أنكم نفذتم ما هو مطلوب منكم وهل

نستطيع كمطبوعة أن نبشّر القارئ بأن الخلافات العربية ستزول وسيحل الوفاق محل هذا التنافر الذي طال أكثر مما يتحمل المواطن؟

محمد مزالي: ما حدث على سبيل المثال بين سوريا والأردن هو أفضل بكثير مما كنا نتوقع. وعندما بدأنا التحرك مع الأمير عبدالله بن عبد العزيز والشاذلي القليبي لم تكن المسألة سهلة على الإطلاق لكن شيئاً فشيئاً تحسّن الوضع ونحن نسعى الآن لكي يحدث شيء مماثل بين سوريا والعراق ونأمل أيضاً أن يحدث ما نأمل أن يحدث. أما إذا فعل الأخوة في سوريا والعراق ما فعله الأخوة في سوريا والأردن وحققوا نتائج أكثر من التي نتوقعها فإننا سنكون أكثر سعادة منهم بالأمر.

«التضامن»: في ضوء ما لديك من معلومات هل أنت متفائل؟

محمد مزالي: نعم إنني متفائل. وقد يكون سبب تفاؤلي هو هذا الدور الذي قام به الأمير عبدالله بن عبد العزيز وهو دور يُشكر بالفعل عليه. إننا بالفعل أمام نموذج مثالي وجديد من الوسطاء الذين يتعاونون مع المشاكل الصعبة بهدف تذليلها. وبالنسبة إلينا فإنني برغم أن الظروف كانت تحتم عليّ البقاء في تونس إلا أنني إصطحبتُ الأمير عبد الله وساندته في هذه المهمة الصعبة.

«التضامن»: بالنظر إلى الوضع الإقتصادي الصعب الذي تعيشه تونس ما الذي يمنع بدل إعتقاد سياسة الإقتراض، إقناع الدول العربية بتخصيص بعض الودائع تضعها في مصارف تونس مقابل فوائد وبذلك قد تجدون من هو مقتنع بطريقة الودائع أكثر من طريقة تقديم القروض؟

محمد مزالي: إننا نطالب بذلك ونلح في الطلب. ولكن مع الأسف إن بعض الدول العربية تظمن أكثر إذا هي وضعت أموالها كودائع في مصارف أميركا وأوروبا. يا ليت يحدث ذلك.

وأنا أودع وليّ عهد البورقيبية وجدت نفسي أسأله عما إذا كان برغم هذه الظروف والمشاكل الداخلية مازال مواظباً على هواياته ومنها الجري يومياً والسباحة والكتابة. وقال لي محمد مزالي: ما زلتُ قبل أن أصل إلى مكنتي أركض. ومازلتُ أسبح.. ومازلتُ أهتم بأشجار حديقتي. وعندما أجد متسعاً من الوقت أكتب وأقرأ. وقال أيضاً إنه ما زال شغوفاً بسماع نكتة من زائر ونشر البهجة في مجالسه. وأضاف عبارة بدا كثير السعادة وهو يقولها: إنني أتحرك من دون حراسات وأنام قرير العين. ثم زاد: ... ومرتاح الضمير.

نُشر الحوار في مجلة «التضامن»
بتاريخ 23 نوفمبر/ تشرين الثاني 1985

مقابلة مع الرئيس حسني مبارك

موضوع القالب



الرئيس حسني مبارك ي salud مع ضيفه في القصر الجمهوري

موضوع القالب



الرئيس حسني مبارك في مكتبه

موضوع القالب



الرئيس حسني مبارك في مكتبه

موضوع القالب



الرئيس حسني مبارك في مكتبه

موضوع القالب



الرئيس حسني مبارك في مكتبه

موضوع القالب



الرئيس حسني مبارك في مكتبه

موضوع القالب



الرئيس حسني مبارك في مكتبه

موضوع القالب



الرئيس حسني مبارك في مكتبه

موضوع القالب



الرئيس حسني مبارك في مكتبه

موضوع القالب



الرئيس حسني مبارك في مكتبه

موضوع القالب



الرئيس حسني مبارك في مكتبه

موضوع القالب



الرئيس حسني مبارك في مكتبه

التضامن



تعالوا يا عرب
نتفق على الاختلاف

تعالوا يا عرب
نتفق على الاختلاف

حسني مبارك: التضامن

تعالوا يا عرب
نتفق على الاختلاف

تعالوا يا عرب
نتفق على الاختلاف

تعالوا يا عرب
نتفق على الاختلاف

حسني مبارك: التضامن

تعالوا يا عرب
نتفق على الاختلاف

تعالوا يا عرب
نتفق على الاختلاف

تعالوا يا عرب
نتفق على الاختلاف

الحوار الأطول مع مبارك حول التوافق بدل التباغض



الرئيس حسني مبارك يستقبل في مكتبه بقصر العروبة في القاهرة
يوم الأربعاء 26 تشرين الأول/ أكتوبر 1983 الكاتب والصحافي فؤاد مطر

هذا الحديث مع الرئيس حسني مبارك أجريته بعد يوم من مشاركة الرئيس في إحتفالات القوات البحرية المصرية بعيدها السادس عشر وقبل يوم من مناورة حربية أو بالتحديد «مشروع تدريبي»، نفّذته وحدات المظلات المصرية.

وهذان الأمران يستحقان وقفة لأنهما يحملان في طياتهما بعض الدلالات والمعاني. ذلك أن يوم الثلاثاء 25 تشرين الأول (أكتوبر) هو يوم البحرية وهو اليوم الذي دمر فيه صاروخ مصري المدمرة الإسرائيلية «إيلات» مسجلاً بذلك خطوة متقدمة على صعيد إرتفاع المعنويات العربية من المحيط إلى الخليج. أما «المشروع التدريبي» الذي تم يوم الخميس 27 (أكتوبر) 1983 فإنه حمل إسم «صمود» وهي تسمية تبدو كما لو أنها رسالة من الجيش المصري إلى من يهيمه الأمر من العرب وغير العرب. وعندما نتأمل قليلاً في تفاصيل «صمود» ونقرن ذلك مع التشاور العربي الصامت الذي تشهده منذ بضعة أسابيع يتأكد لنا أن هذه الرسالة على درجة عالية من الجدية.

وطبقاً لما أذيع فإن وحدات المظلات هي التي نفّذت المشروع التدريبي «صمود» وأنه «تضمّن الإقتحام الجوي بالأبرار نهاراً والهجوم على مضيق جبلي خلف خطوط العدو والإستيلاء عليه وتأمينه لحين الإتصال بقواتنا الرئيسية وكذلك التعاون مع المفارز المتقدمة لصد وتدمير إحتياطات العدو المتقدمة التي تحاول الإستيلاء على المضيق تحت ظروف التفوق الجوي للعدو وإستخدامه للأسلحة الكيماوية...».

وللتذكير فإن سيناء هي الأرض التي تكثُر فيها المضائق الجبلية والممرات.

واللافت للإنتباه أن المشروع التدريبي «صمود» تم بحضور رئيس أركان الجيش الفريق إبراهيم العربي واللواء تحسين شنن قائد الجيش الثالث الميداني واللواء محفوظ حمدي قائد الجيش الثاني الميداني واللواء

مصطفى محمود رئيس هيئة التدريب والعميد سعد محمد رئيس أركان وحدات الصاعقة. وهؤلاء يشكّلون النسبة الكبرى من القياديين في حال نشوء ظروف تستوجب العمل في غرفة عمليات.

وإذا جاز التشبيه فإن التشاور العربي الصامت الذي تشهده المنطقة منذ بضعة أسابيع ومحوره مصر ويتصل بالسعي لجعل قمة الرياض تنعقد بالإجماع العربي، هو أيضاً «مشروع تدريبي» سياسي يقوم به أهل القرار الذين في القمة. ويمكن إطلاق اسم «صمود» عليه أيضاً، أو للدقة المتناهية «صبر وصمود».

لعل أكثر القنوات نشاطاً في هذا المضمار هي القناة المصرية - السعودية عبر الرئيس جعفر نميري والقناة المصرية العراقية المباشرة وكذلك القناة المصرية - الأردنية المباشرة أيضاً.

وقد لاحظت أن الرئيس حسني مبارك ردد أمامي مرتين أنه يؤثر عدم الحديث بالتفصيل عن الموقف السعودي. لكنه من خلال الكلام الذي يتسم بالدفاء عن السعودية والذي على هامش الحديث الصحفي ترك المجال أمامي كصحافي متاحاً للإفتراس بأن الجو العربي العام لا يخلو من بعض المفاجآت ذات المردود الجيد.

وتبقى كلمة:

إن هذا الحديث هو الأول الذي أجريه مع الرئيس حسني مبارك لكنني بعد الانطباع الطيب الذي تركه في نفسي اللقاء والإرتياح الذي يشيعه في النفس حديث الرئيس مبارك أتمنى أن تتاح لي فرص لقاء أخرى للحديث مع هذا الرئيس الذي نعلق عليه يوماً بعد آخر الأمل في أن يحقق صيغة التعاون بين مصر التي يقودها بالكثير من الثقة بالنفس والنزاهة، وبين الشقيقات العربيات.

يبقى أيضاً أن «التضامن» تشكر للرئيس مبارك رحابة صدره وتخصيصه ساعتين من الوقت لها في يوم كانت مشاغله كثيرة بسبب إندفاع الأحداث والتطورات في المنطقة بشكل لا مثيل له.

القاهرة (قصر العروبة) . فؤاد مطر

«التضامن»: من الملاحظ أنه في إطار المعادلة السياسية الداخلية تتحمل ما يفوق حجم الكيانات الحزبية سواء منها المعلن أو حتى ما هو تحت التأسيس. وعلى سبيل المثال إنك تسمح لحزب «الوفد» وهو تحت التأسيس بممارسة العمل السياسي العلني وتسمح لحزب «الامة» وهو حزب غير معروف في الداخل وفي الخارج بما يفوق حجمه وتعطي فرصة للتيار الإسلامي غير المعلن رسمياً حق الحوار العلني وبإسمه، بالإضافة إلى تشاورك مع الأحزاب الثلاثة الأخرى. وكل ذلك في الوقت الذي لا تتعامل فيه هذه الكيانات السياسية معك بالقدر نفسه من السماحة علماً بأن الإشادة بك من جانب هذه الكيانات لا تنفي صراعتها المستمر مع السلطتين التنفيذية والتشريعية، ومع التنظيم السياسي الذي ترعاه. هل من تفسير لذلك؟

الرئيس حسني مبارك: إنني ألتزم بسيادة القانون. هذه قاعدة ألتزم بها وأعطي لهذا الموضوع اهتماماً كبيراً. الديمقراطية واحترام القوانين ثم أماننا القضاء للبت في أي قضية.

كون أن حزب الوفد تحت تأسيس هذا يعود إلى أنه هو تقدّم بذلك. وأنا لا توجد عندي خصومة مع أي أحد على الإطلاق وأتعامل مع كل الناس وفق هذا المبدأ. حزب الوفد تقدّم وردّت لجنة الأحزاب عليه قائلة: لا. أنت جمّدت نفسك وقررت حل نفسك. الوفد قال لا وذهب إلى القضاء. فإذا حُكم له القضاء فإننا لا نخشى ذلك. ونحن لا نخاف من هذا الحزب أو ذاك ما دام يعمل في إطار الشرعية وسيادة القانون وهذا خير ضمان لأي حرية أو ديمقراطية.

حزب الوفد تحت التأسيس له نشاط وفقاً للقانون. القانون يقرر أنه مادام تحت التأسيس فله بعض

الحقوق الذي يمكنه أن يمارسها. نحن لا نخاف من هذا الحزب أو ذاك. لماذا نخاف منه؟ أليس هو حزب مصري.

لقد إرتضينا مبدأ الآراء والأحزاب وإختلاف الإتجاهات وفي رأيي أن هذا هو خير ضمان. إن لكل مرحلة ظروفها وأوضاعها الخاصة بها. عندما جاء جمال عبد الناصر ورفاقه كانت هنالك ثورة وعملية تغيير للخريطة الإجتماعية للبلاد.

وهذه كانت مرحلة من مراحل تاريخنا حدثت فيها تغيرات كبيرة في مصر وفي المنطقة عموماً. بعد ذلك جاء الرئيس السادات ودخل في مرحلة الشرعية الدستورية والحريات وإرساء قواعد سيادة القانون وحدث ما حدث.

ثم توليتُ أنا من بعده. والذي نلاحظه هو أن الصحافة حصلت على حرية لم تحصل عليها من قبل لا في أيام الملكية ولا في أيام ما بعد الثورة.

هل حدث في أيام الملكية أن كان في إستطاعة أحد أن يهاجم الملك؟ لا أحد. نحن لن نسمح بالخروج عن إطار الشرعية تحت أي ظرف من الظروف.

بالنسبة إلى حزب الأمة وهو حزب غير معروف. هذا الحزب حصل على حُكم من القضاء. وأنا لا أخاف من هذا الحزب. فليخرج وليمارس نشاطه مادامت هنالك قواعد قانونية وضوابط تحكم هذا النشاط. ما دام الجميع يعملون في النهاية للمصلحة الوطنية والقومية فلا إعتراض عندي. إنني لست مخلصاً وليس هنالك أي إنسان مخلص. ولهذا فنحن نحترم سيادة القانون ونعتبر ذلك خير ضمان لكل مواطن.

قد يجوز أن تكون السُلطة التنفيذية ظلمت أحداً ما. في مثل هذه الحال هل هنالك خير من الإحتكام إلى القضاء؟ ونحن نلتزم بذلك.

وإذا كان هناك بعض الكيانات: تيار إسلامي أو غير إسلامي. المهم ألا تخرج هذه الكيانات عن الشرعية وعن القوانين.

في مصر مسلمون ومسيحيون. نحن نعيش مثلما لكم دينكم ولي دين. لي أصدقاء مسيحيون وهنالك لي أصدقاء مسلمون. ونحن جميعاً مصريون للجميع. ليس للمسيحي فقط أو للمسلم فقط. هذا موضوع أستعبده تماماً.

أما بالنسبة إلى مسألة صراع هذه الإتجاهات مع السُلطتين التنفيذية والتشريعية ومع التنظيم السياسي فإن ذلك أمر طبيعي.

وإذا حدث أن ذهب حزب وأتى حزب آخر فإن الصراع سوف يستمر. هذه طبيعة الأشياء وطبيعة البشر. لنأخذ عل سبيل المثال بريطانيا. يذهب العمال ويأتي المحافظون. يستمر الصراع وتستمر المعارضة. يعود العمال ويذهب المحافظون تتواصل حالة الصراع. ذلك أمر طبيعي. الأمر نفسه بالنسبة إلى الولايات المتحدة والصراع الدائم بين الحزب الديمقراطي والحزب الجمهوري، ذلك أمر طبيعي.

وحتى لو جاء حزب جديد في مصر وأمكنه تولي الحُكم (خلاص) هذا أمر أيضاً طبيعي. وكذلك فإن الحزب الذي كان يتولى الحُكم سيصارع الحزب الذي أمكنه الوصول إلى الحُكم. والذي أود التأكيد عليه هو أن عملية الصراع بين الأحزاب لا تخيفني وأرى أنها أمر طبيعي.

«التضامن»: أهمية القضاء أنه يحمي المواطن من أحكام ظالمة في لحظة إنفعال ومتى بدأ هذا المفهوم الواضح للديمقراطية عند سيادتك؟

الرئيس حسني مبارك: هذا مفهوم قديم عندي حتى عندما كنت ضابطاً في القوات المسلحة. إن أسلوب التعامل في الحياة العسكرية يقوم على أساس أن هنالك تعليمات وقواعد وقوانين. لنفترض أن أحدهم ارتكب خطأ معيناً وتم توقيع العقاب عليه من قائده. فإذا جاء هذا وقال إنه مظلوم وأنه لم يرتكب أي خطأ فإن تظلمه مقبول وعليه أن يذهب إلى المحكمة العسكرية وهي وفق القانون تبت في الموضوع من دون أي تدخل خارجي. يمكن أن تبرئه ويمكن أن تدينه. وتكراراً إن سيادة القانون هي الفصيل وهي خير ضمان. من الممكن في لحظة إنفعال إطلاق أحكام ربما تكون ظالمة لكن القضاء مبرراً من ذلك تماماً ومن هنا تأتي أهميته الكبرى.

«التضامن»: التضامن من خلال متابعة للتطورات السياسية التي رافقت التمديد المفاجيء سنة لحالة الطوارئ يكثّر التكهن في شأن تحديد الدافع الأساسي. هل إن التمديد جاء نتيجة لأحد الأسباب الآتية: أولاً- ظهور تنظيمات ماركسية مسلحة. ثانياً- عودة النشاط إلى بعض الجماعات الإسلامية. ثالثاً- الانفراج المفاجيء ثم الإنتكاس المفاجيء في العلاقات المصرية - الليبية؟ أم أن هنالك أسباباً أخرى؟

الرئيس حسني مبارك: العلاقات المصرية - الليبية لا يمكن أن تدفعني إلى مد العمل بقانون الطوارئ. ونحن لم نعلن حالة الطوارئ. الذي حدث هو مد العمل بقانون الطوارئ. فلنسأل أنفسنا أولاً: ما هو قانون الطوارئ إن هذا القانون وُضع من أجل تأمين مصالح الوطن والمواطن من أي عبث من الداخل أو من أي جهة. لقد وضعناه لضمان سرعة الضبط والإجراءات ولسرعة القبض على أن يحال في النهاية من يتم القبض عليه إلى القضاء. إن حدوث أزمة بين مصر ودولة أخرى قد تستوجب إعلان حالة الطوارئ ومن هنا الفرق كبير بين مد العمل بقانون الطوارئ وإعلان حالة الطوارئ. إعلان الطوارئ معناه الإستنفار التام. أنا لا أخاف من ليبيا ولا من غير ليبيا، وليبيا لا تشكّل لي خطراً أو تهديداً. ومن غير المعقول أن أرفع حالة الإستعداد أو أعلن حالة الطوارئ بسبب ليبيا. وأنا لن أحارب ليبيا ولا أي دولة عربية. ورغم ما يحدث من بعضهم فإنني لن أحارب أي دولة عربية. أما بالنسبة إلى التنظيمات الماركسية أو الشيوعية أو غيرها، فإن هذه الحالات موجودة حتى قبل ثورة 23 يوليو 1952.

إن النشاط الشيوعي موجود في كل دولة في العالم وموجود في مصر أيام الحُكم الملكي والفرق هو أن الدول التي يتواجد فيها النشاط الشيوعي هي إما دول ديكتاتورية أو دول ديمقراطية. الدول الدكتاتورية تتخذ ما تريد من إجراءات من دون أن يسألها أحد. أما الدول التي فيها تعدد أحزاب وتعدد آراء وترتكز على الديمقراطية فإن عندها قانوناً إسمه «قانون مكافحة الإرهاب» وهو أشد وأقوى عشرات المرات من قانون الطوارئ المصري. إنني أستخدم قانون الطوارئ وليس حالة الطوارئ. وثمة فرق كبير بين الإثنين. قانون الطوارئ أستخدمه لمقاومة أي حالات عنف تضر بصالح الوطن أو المواطن المصري ولتأمين الديمقراطية والحرية لإننا لا نريد الوصول بالديمقراطية كما يريد البعض إلى حرية بلا ضمانات لأن معنى ذلك أنها ستؤدي في النهاية إلى حرية

فوضوية وإلى دكتاتورية.

لا توجد حرية في العالم بلا ضمانات. هل في إستطاعة أحد في الولايات المتحدة أن يخرج عن الشرعية؟ إن سلطات البوليس هناك رهيبة ولا أحد يستطيع الخروج عن القانون.

لقد إطلعْتُ على «قانون مكافحة الإرهاب» المعمول به في عدد من الدول التي تعتمد الديمقراطية ومن بينها بريطانيا وفرنسا والمانيا، ووجدتُ أن الجزء الذي نستخدمه في قانون الطوارئ بالنسبة إلى مقاومة الإرهاب ضعيف جداً تطبيقه في هذه الدول.

لقد قررنا أن نضع قانوناً لمكافحة الإرهاب. والإرهاب موجود في كل أنحاء العالم وليس في مصر فقط. بل إن مصر أكثر إستقراراً من أي دولة أخرى في العالم.

وعندما نضع قانوناً لمقاومة الإرهاب سيخرج البعض ويقول إن هذا قانون إستثنائي. وأقول واثقاً وجامزاً أنه لولا أنني أحافظ على الشرعيه وأستخدم قانون الطوارئ لتأمين المواطن لكانت الديمقراطية والحرية في خطر.

ما حدث عام 1981 كان يستهدف كل الأحزاب. إن رؤساء الأحزاب كانوا على قائمة خلاص منهم. من يقبل بذلك في أي دولة ديمقراطية ولا غير ديمقراطية.

إن في إستطاعة وزير داخلية المانيا على سبيل المثال القبض على مواطن ما ويضعه في السجن لمدة ستة أشهر من دون حُكم قضائي. في مواجهة الإرهاب تتخذ المانيا على سبيل المثال إجراءات فورية لا تنتظر لإتخاذها كلمة القضاء. وفي فرنسا الشيء نفسه وفي بريطانيا أيضاً. أما نحن في مصر فلا توجد لدينا مثل هذه الإجراءات. نحن في مصر مددنا العمل بقانون الطوارئ لتأمين إستقرار هذا البلد ووقايته من أي نكسات، ولم نعلن حالة الطوارئ.

«التضامن»: هل أن الكتابات النقدية التي نلاحظها في الصحافة المصرية المعارضة ستستمر أم أنك ستضيق ذرعاً بها؟

الرئيس حسني مبارك: أعود إلى مسألة الطوارئ وأكرر القول بأنني لو كنتُ أستخدم حالة الطوارئ لما كان هنالك صحافة حرة في مصر.

الصحافة في مصر تكتب ما تشاء من دون رقيب ونحن لا نخاف من أي شيء. لماذا نخاف. ولا بد من مراعاة النقد الموضوعي. أما كتابة النقد لمجرد النقد فإنه أمر غير مفيد. إن الشعب هو الذي يقرر كل شيء وأنا كرئيس للدولة لن أتصدى لكل ما يُكتب في الصحف. هناك القضاء للرد على المعارضة. إنني أريد أن أرسى مبدأ سيادة القانون كحقيقة وكأمر واقع. لكنني لن أتخذ أي إجراء إستثنائي ضد أي فرد. فالقضاء أمام الجميع ولن أتخذ أي إجراء إستثنائي ما دام القضاء هو الفيصل. ويجب أن يكون واضحاً للجميع أن حالة الطوارئ شيء ومد العمل بقانون الطوارئ شيء آخر. ونحن الحمد لله أكثر دولة تتعامل مع التطرف بأسلوب موضوعي.

«التضامن»: هل إن التنظيمات السياسية الحالية بما في ذلك الحزب الوطني والتنظيمات السياسية المفترضة وخصوصاً حزب الأمة والتنظيمات السياسية المقترحة ومنها حزب الوفد... هل إن هذه التنظيمات كلها تستوعب حركة الشارع المصري، أم أن الأكثرية مرتبطة بالتنظيم الذي تقوده شخصياً؟

الرئيس حسني مبارك: من طبيعة الناس في الدول النامية، ومصر من هذه الدول، أن يقف الناس مع الحزب الذي يقوده رئيس الدولة. وأنا شخصياً لا أستطيع أن أمنع الناس من الإنضمام إلى الحزب الذي أقوده كما أنني لا أجبرهم على الإنضمام لهذا الحزب.

وأما أن تكون هذه الأحزاب والتنظيمات التي تشير إليها تستوعب الشارع المصري كله فجوابي عن ذلك هو: هنالك قطاعات كثيرة عازفة عن دخول الأحزاب أو مترددة أو ممتنعة.

ومسألة التحزب والأحزاب ليست جديدة على مصر. وأتذكر أيام 1952 وكنت في الرابعة والعشرين من العمر أن هنالك أحزاباً كثيرة كانت تعمل على الساحة المصرية إلا أن الحزب الذي يضم أغلبية الناس كان حزب الوفد وذلك لأن السلطة كانت في ذلك الزمن في يده.

وإلى ذلك إننا كنا نسمع القصص الكثيرة حول صراعات الأحزاب وكيف أن كثيرين مثلاً عملوا وفدیین لمجرد أن الوفد مثلاً أعاد النظر في قرار إتخذه حزب آخر وقضى بأن يعيد الطالب في المرحلة الثانوية السنة الدراسية إذا هو رسب في مواد بنسبة معينة. بل إن كثيرين وأنا منهم كنا ونحن في المدرسة نردد أحياناً يحيا الوفد. يحيا الوفد، لأننا صغار من جهة ولأن الوفد كان حزب الأغلبية. وهكذا من دون أي تبصّر أو تعمق في الأمر.

وفي الزمن الحاضر نلاحظ أن الأحزاب في مصر لا جذور لها. وقد يجوز الافتراض بأن الحزب الذي عنده ميول للشيوعية له جذور على أساس أن الحزب الشيوعي هو حزب قديم. لكن في الوقت نفسه إن المنطقة العربية ومصر جزء من هذه المنطقة غير راغبة بالشيوعية ومن أجل ذلك فإن جذور الشيوعية لن تكون في أي حال راسخة.

«التضامن»: ألا ترى سيادة الرئيس أنه من الأفضل أن يعمل الشيوعيون فوق الأرض بدل أن يمارسوا النشاط السري، بمعنى أن يجاز لهم ما يجاز لغيرهم على صعيد ممارسة العمل الحزبي؟

الرئيس حسني مبارك: إننا متنبهون للشيوعيين سواء أكانوا فوق الأرض أو تحت الأرض. والشيوعيون موجودون منذ زمن طويل.

ولقد حاكمهم عبد الناصر أكثر من مرة وكان السوفييات يتضايقون من ذلك. وأرى في هذا الإطار ضرورة التأكيد على أنه لا مانع عندي من أن يمارس أي حزب نشاطه في إطار الشرعية والقوانين والضوابط. ومن يعمل في السر، أو تحت الأرض كما يقال بالنسبة إلى النشاطات الشيوعية، يكون خارجاً على الشرعية ويتحمل نتيجة ذلك ما يفرضه القضاء.

«التضامن»: مفهوم الديمقراطية هو تعدد الآراء وتعدد الأحزاب وحرية التعبير... هل لنا أن نسمع من الرئيس كيف يحدد مفهومه للديمقراطية؟

الرئيس حسني مبارك: الديمقراطية كما أراها هي تعدد الآراء وتعدد الأحزاب وحرية التعبير عن الرأي في إطار سيادة القانون.

وأقول ذلك مع الأخذ في الاعتبار: أن ما يجري تطبيقه مثلاً في بعض الدول لا يعني أن نطبقه هنا في مصر. ذلك أن لكل دولة مفاهيمها وقوانينها في هذا الشأن. وأعتقد على سبيل المثال أنه إذا إرتأت جهة حزبية أو سياسية عموماً في المانيا القيام بمسيرة إحتجاج على أمر أو تأييد لقضية فإن عليها أن تتقدم بطلب من وزارة الداخلية للحصول على إذن رسمي. وسيسأل الوزير أو الإدارة الأمنية المختصة عن عدد الذين سيشاركون في المسيرة بحيث إذا كان الجواب مئة فإن المشاركين يجب ألا يتجاوزوا المئة ويجب أيضاً ألا يسيروا في غير الطريق الذي تحدده لهم الإدارة الأمنية المتخصصة. وعلى حد معرفتي فإن المسألة تطورت بحيث أنهم باتوا يفرضون رسوماً على من يشارك في مسيرة على أساس أن تأمين سلامة هذه المسيرة يكلف الدولة مالا.

ونحن لو حذونا على سبيل المثال حذو المانيا الغربية لكانت الاعتراضات كُثرت ولكان سيقول الكثيرون إن هذا تحديد للحريات وأنه ليس من المعقول أن يدفع المواطن رسم تعبير عن الرأي... الخ.

نحن دولة نامية. نمارس الديمقراطية بالمفهوم الذي لا يشكّل تناقضاً مع القضية العامة. وتكراراً إن حرية

التعبير قائمة ولن تهزها شكوك الذين يرفضون أن يسود القانون على الجميع. وهذا ضمان للجميع.

«التضامن»: بحكم الدستور المصري يتولى رئيس مجلس الشعب منصب رئيس الجمهورية المؤقت في حال غياب الرئيس. وقد تأكدت سلامة وسلاسة هذا النص بانتقال السلطة بعد غياب الرئيس السادات. إلا أن هذه السلاسة والسلامة ما كان لهما أن تتحققا إلا بوجود حسني مبارك نائباً لرئيس الجمهورية كحلقة إتصال ومواصلة للسلطة. متى يأتي الوقت الذي تختار فيه نائباً للرئيس يكون ضماناً لسلامة تطبيق النص الدستوري. وهل يمكن توقع حدوث ذلك بعد الانتخابات المقبلة. وهل أن المواصفات التاريخية لنائب رئيس الجمهورية ستظل كما أرسنها ثورة 23 يوليو، أي أن يكون الرئيس من المؤسسة القومية التي تمثلها القوات المسلحة؟

الرئيس حسني مبارك: من المهم التوضيح قبل أي شيء أنه ليس في الدستور ما ينص على أن نائب رئيس الجمهورية يجب أن يكون من القوات المسلحة.

إن الدستور المصري أعطى رئيس الجمهورية الحق في تعيين نائب أو أكثر له. كما أن رئيس الجمهورية ربما لا يعين نائباً له.

وقبل أن أكون نائباً لرئيس الجمهورية هنالك كثيرون شغلوا هذا المنصب. أيام عبد الناصر كان هنالك ثلاثة أو أربعة نواب للرئيس وكان يبدل فيهم ويغير ويُبعد ويُركن. وأيام الرئيس كان هنالك نائب آخر غيري. وأنا بحكم طبعي لا أستطيع إلا أن أعمل في أي موقع أشغله ولا يمكن أن أظل في هذا الموقع من دون عمل. وعندما تم تعييني نائباً لرئيس الجمهورية تم تكليفي بمهام كثيرة. لكن متى عيّني أنور السادات نائباً للرئيس؟ لقد عيّني بعد مرور خمس سنوات من حكمه.

إن تعيين نائب لرئيس الجمهورية ليس أمراً سهلاً. كذلك ليس هنالك نص دستوري يحتم عليّ أن أعين نائباً لرئيس الجمهورية من القوات المسلحة أو من أي فئة ما.

وأنا عندما أختار نائباً للرئيس يعاونني في العمل أنا الذي سأحدد له المهام. ذلك أن الدستور لا يحدد مهام نائب رئيس الجمهورية. وعندما أختار نائباً للرئيس فإنني أريد أن أقدم للشعب النائب الذي هو يختاره من بعدي رئيساً أو ربما لا يختاره. هذا هو الأساس والحكم في هذا للشعب.

لقد أمضيت ست سنوات إلى جانب الرئيس السادات كنائب لرئيس الجمهورية أعاونه في ما يطلبه مني. وطبقاً للدستور فإنه ليس لنائب رئيس الجمهورية أن يتخذ القرارات حيث أن هذا الأمر من حق رئيس الجمهورية. وهو صاحب السلطة. أما الجهة الثانية التي لديها السلطة التنفيذية فهي مجلس الوزراء.

«التضامن»: مشهود لك بأنك أحدثت نقلة حية في الإقتصاد المصري من الإنفتاح الإستهلاكي إلى الإنفتاح الإنتاجي بصورة تميزت بالحنكة السياسية الشديدة، حيث أنك حققتها بدعوة العشرينات في مصر والتي أطلقها طلعت حرب وهي الإعتراز بالصناعة المصرية والإنتاج المصري.

إلى أي حد نجحت الدعوة السياسية في تحقيق مردود إقتصادي؟ هل سيستمر تصديق للفساد بالشكل الذي تصديت له في السنتين الماضيتين؟

الرئيس حسني مبارك: أنا لست خبيراً إقتصادياً ولكنني في الفترة التي أمضيتها نائباً لرئيس الجمهورية وهي ست سنوات كنت كلما سمعتُ عن شيء أبلغه للرئيس وأتشارور في شأنه معه ثم أنفذ ما يطلبه مني في هذا الشأن. وكنت أتصرف في الحدود التي أراها مفيدة. وعلى رغم أن الدستور المصري لا يحدد سلطات نائب رئيس الجمهورية فإنني في بعض الأحيان كنت أقوم بمبادرات من بينها الدعوة التي وجهتها إلى رجال الإقتصاد المصري لعقد مؤتمر إقتصادي. وفي هذا المؤتمر طلبت من رجال الإقتصاد وضع تصورات لمشاكل مصر

الإقتصادية وحلول لها. وكانت مشكلة الإنفتاح الإستهلاكي من بين المشاكل التي تم بحثها، وتوصلنا إلى إستنتاج خلاصته أن هذه المشكلة خطيرة للغاية.

ووضعنا خطة للعمل وبدأنا تنفيذها في إطار الخطة الخمسية التي أعدت بعد سنة من تسلُّمي الحُكم. وتقوم هذه الخطة على تحويل الإنفتاح الإستهلاكي إلى إنفتاح إنتاجي الأمر الذي يتيح فرص العمالة للمواطن المصري. وقد حققنا نجاحاً لا بأس به في هذا المجال.

لكن من المهم أن نأخذ في الاعتبار أن إقتصاد العالم عموماً يمر بأزمة. وبما أننا جزء من هذا العالم فمن الطبيعي أن تكون مشكلتنا الإقتصادية التي هي في الأصل صعوبة، أكثر صعوبة. وهي مشكلة لن تُحل بين ليلة وضحاها ولكن إصرارنا على تنفيذ الخطة الخمسية يجعلنا نأمل خيراً.

وبالنسبة إلى الفساد من المهم التأكيد على أن هذه الظاهرة ليست حكراً على مصر. إن الفساد منتشر في جميع أنحاء العالم، بل إن نسبة الفساد الموجودة في مصر هي أقل من نسبتها في دول أخرى كثيرة. أليس في الولايات المتحدة فساد؟ وفي بريطانيا وفرنسا وألمانيا والإتحاد السوفياتي والدول الإشتراكية عموماً... أليس هنالك إستثناء للفساد؟

وأنا لن أخوض الآن في تفاصيل هذه الظاهرة ولكنني أشير إلى أن كل حالات الفساد التي ظهرت تولى أمر النظر فيها القضاء. وإلى القضاء سأحيل أي حالة فساد يمكن أن تظهر فهذا هو أسلوبى. إنني لن أصادر ثروة أحد لأنني رئيس للجمهورية وعنده سُلطات. أما إذا حكم القضاء بالمصادرة فإنني سأكون في غاية الإرتياح لأن معنى ذلك أن الأمور تسير في خط العدل. أي مواطن يُتهم بالفساد يُقدَّم للقضاء، فإذا ثبت الخطأ يعاقب وإذا لم يُثبت يتم الإفراج عنه.

والتصدي للفساد ليس معناه القبض على كل شخص يُتهم بالفساد إذ قد يكون هذا الشخص مظلوماً. وأعود وأكرر إن الفساد منتشر في كل دول العالم لكن الأسلوب الذي إعتدته الصحافة العربية في الكتابة عن حالات الفساد في مصر عكس إنطباعاً بأن مصر قاعدة للفساد مع أن حالات الفساد إنحصرت في بضع حالات قليلة.

كذلك تحدثت هذه الصحافة عن إنهيار العمارات بأسلوب يوحي بأن كل عمارة ستتهار مع أن المسألة إنحصرت في حالات قليلة جداً. وهذه الحالات - ولا أقول ذلك للتبرير - تبدو طبيعية في مجتمع يبلغ تعداد سكانه 64 مليون نسمة. ولكننا مع ذلك قررنا عدم التستر على أحد وأخذ القانون مجراه إلى النهاية.

«التضامن»: إن دعم السلع الغذائية في مصر أمر لا يستهان به بالنسبة إلى الإقتصاد المصري. وفي إحدى التقديرات أنه يستهلك مجمل دخل مصر من قناة السويس. هل هنالك بدائل لهذا الدعم بما لا يمثل أعباء على الطبقات غير القادرة في مصر؟

الرئيس حسني مبارك: منذ سنة ونصف السنة ننقذ خطة لتخفيف الدعم على ألا يؤثر ذلك على الطبقات غير القادرة. وفي إستمرار نبحت عن بدائل. ويتم ذلك في كثير من الهدوء والتبصر.

«التضامن»: إلى أي حد يعتمد الإقتصاد المصري على العون الأميركي. وهل هناك ضغوط أميركية إقتصادية نتيجة لمواقف مصر السياسية، وخاصة موقفها من قضية لبنان وقضية الشرق الأوسط عموماً، وإستمرار غياب السفير المصري في إسرائيل.

وما هي القصة الكاملة لضغوط أعضاء الكونغرس عليك خلال زيارتك الأخيرة للولايات المتحدة. وهل لهذه الضغوط صلة بما تردد مؤخراً من إتجاه لخفض سعر الجنيه المصري بالنسبة إلى الدولار؟

الرئيس حسني مبارك: إننا نحصل على معونة من أميركا ومن بعض الدول الأوروبية ومن دول أخرى

كثيرة. وهذا يحدث لكل الدول النامية وليس لمصر فقط. ولكن السؤال هو: هل نعتد على ذلك فقط؟ والإجابة طبعاً لا. عليّ أن أضع في الاعتبار الاستفادة إلى أكبر قدر ممكن لتنمية الإقتصاد وتطوير الصناعة والإنتاج. إننا لا نستخدم تلك المعونات لشراء الطعام فقط بل للتصنيع في مصر لأن المعونات في النهاية ليست مضمونة سنوياً. وأحب أن أؤكد بأن المعونات لا تُمثل أي ضغوط. نحن لا ننحني لأي ضغط. وأنا شخصياً معتاد على ألاّ أحني رأسي لأي ضغط مهما كانت الظروف. الضغوط غير مقبولة على الإطلاق. أميركا تضغط علينا لمواقف مصر السياسية؟ هذا موضوع وذلك موضوع آخر. إن هناك دولاً نامية كثيرة تتعاون مع الاتحاد السوفياتي ونحن كنا من بين هذه الدول لكن عندما بدأ يتدخل في الشؤون الداخلية لمصر أخرجهم الرئيس أنور السادات. وأنا لا أربط هنا بين حالتين وإنما أعود وأؤكد بأنني لا أقبل الضغوط. وأقول ذلك للأميركيين أنفسهم. وعندما قدّموا لي طلبات في الكونغرس قلت لهم إن ذلك قضية من قضايا السيادة. الرئيس الأميركي لم يحدثني في موضوع السفير والإدارة الأميركية لم تُثر الموضوع على الإطلاق، حتى أنني: سألت لماذا لم تتحدثوا في هذا الموضوع، فأجابوا: إننا نعرف موقفك. أما أعضاء الكونغرس الذين أثاروا الموضوع فإنني شرحتُ لهم الموقف وسألتهم هل يريدون أن أعيد السفير؟ قالوا: نعم. قلت لهم: هذا موضوع يدخل في صميم أعمال السيادة. الضغوط لا أقبلها، ولكن يمكن مساعدتي. قالوا: كيف؟ قلت أولاً، بأن تضع إسرائيل جدولاً زمنياً للإسحاب من لبنان وتبدأ الإسحاب بالفعل ولا تتحجج بسوريا فهذه قضية عربية عربية. ثانياً، تحريك قضية طابا. ثالثاً القضية الفلسطينية. لكن أن يُطلب مني إعادة السفير المصري فجوابي هو: لا.

وقدّموا لي طلبات مكتوبة، ليس في الجلسة الرسمية ولكن أثناء الإتصالات. ولكن هل يشكّل ذلك علينا ضغط بحيث أغير خط سيرى السياسي؟ بالطبع لا. فأنا أكررها: لا أقبل الضغط. بالنسبة إلى موضوع خفض الجنيه المصري أقول إنها المرة الأولى التي أسمع فيها هذا الكلام ونحن لم نفكر إطلاقاً في خفض الجنيه المصري.

«التضامن»: وهل هذا غير وارد؟

الرئيس حسني مبارك: غير وارد على الإطلاق. وهل لأن إسرائيل خفّضت عملتها فإننا سنخفّض نحن بدورنا قيمة الجنيه؟

إننا تكررنا نملك إرادتنا ونملك قرارنا ونتعامل مع الولايات المتحدة التي تساعدنا في بعض المجالات إلاّ أن ذلك لن يشكّل علينا ضغطاً لإتخاذ سياسة معيّنة موالية لهذا أو ذاك.

«التضامن»: مصر التي نسمع عنها غير مصر التي رأيتها في القاهرة: مترو الأنفاق وعشرات الكباري العلوية ومحطات لتوليد الطاقة الكهربائية وتجديد لشبكة الصرف الصحي وحركة عمرانية لا مثيل لها حتى في بعض دول النفط. وخارج القاهرة ثورة زراعية وخاصة في المناطق الصحراوية. وصناعات جديدة وإحلال للمصانع القديمة. وتجديد لشبكات الري والإتصالات.

ما هي المعادلة بين حقيقة الأزمة الإقتصادية في مصر والنشاط الإقتصادي والعمراني الواسع فيها؟

الرئيس حسني مبارك: لقد واجهنا بعد إنتهاء الحرب أزمة في الخدمات التي كانت شبه منهاره: التلفونات والمجاري ومياه الشرب والكهرباء والإسكان والمرور والنظافة والغذاء والصناعة. ولذلك وضعنا تلك الخطة التي تحدثت عنها. ولقد أنفقنا على شبكة المجاري في القاهرة خلال الخطة الخمسية الحالية ضعف ما أنفق عليها في خمسين سنة. ووضعنا في الخطة الخمسية مشروعات نواجه بها أزمة الإسكان. وبنينا الكباري المعلقة لمواجهة مشكلة المرور التي نشأت مع الإنفتاح الإقتصادي حيث كثرت السيارات وكثُر الإزدحام في كل مناطق القاهرة. ولكن هذا كله لا يعني أنه ليس هنالك أزمة إقتصادية في مصر. هنالك بدل الأزمة الواحدة أزمات ولكننا لا

ننتظر إنتهاء الأزمات لكي نُحدث إصلاحات أو مواجهات للأوضاع التي تتسم بالتعقيد. وستواصل المواجهات لأن الأزمات تزداد تعقيداً إلى أن نحقق صيغة نموذجية أو شبه نموذجية تقلل من مساحة التناقض بين الأزمة الإقتصادية وبين حالات الإصلاح والمواجهة.

«التضامن»: إلغاء المعاهدة يعني إعلان حالة الحرب فمن أين المال ومن أين السلاح؟
هل تتصور أن الدول العربية يمكن أن تساهم مع مصر في حالة إلغائها إتفاقية كامب ديفيد، إقتصادياً وعسكرياً؟

الرئيس حسني مبارك: إن كامب ديفيد عبارة عن إطارين. الإطار الأول متصل بالعلاقة المصرية - الإسرائيلية وبمقتضى هذا الإطار تم توقيع معاهدة إستعدنا بموجبها أرضنا وحصل تبادل سفراء. هل يجب أن يغضب أحد لأننا حصلنا على أرضنا من دون إراقة دماء ومن دون نفقات تسليح. الإطار الثاني متصل بحل القضية الفلسطينية من جميع نواحيه. ولقد بدأنا محادثات الحُكم الذاتي التي وصلت إلى مرحلة التجمد بل وإلى طريق مسدود. هذا هو كامب ديفيد.

إذاً ما معنى إلغاء كامب ديفيد؟ معناه إعلان حالة الحرب مع إسرائيل. وإذا أردت إعلان حالة الحرب عليّ أن أستعد عسكرياً أي أن أوقف التنمية وتطوير الخدمات وأركز كل جهودي على الحرب. من سيدفع تكلفة الحرب؟ العرب؟ أعرف. ولنفترض أننا حصلنا منهم على التمويل اللازم والذي لا يقل عن 50 إلى 60 مليار جنيه للتسليح ولكي يستطيع الجيش الصمود فمن سيقدم الأسلحة لكي أحارب إسرائيل؟ ان اميركا لن تقدم لي السلاح لأحارب إسرائيل كذلك إن أوروبا لن تقدّم هي الأخرى.

«التضامن»: الإتحاد السوفياتي جاهز ومستعد. هل من الممكن طُرق الباب السوفياتي؟

الرئيس حسني مبارك: السوفيات في مثل هذه الحال سيفرضون علينا شروطاً. وهذا موضوع آخر. أميركا وأوروبا لن تقدم لي أسلحة لكي أحارب إسرائيل. فلنُحكّم العقل والمنطق. إننا لم نحصل على طائرات متقدمة إلاّ بعد المعاهدة المصرية - الإسرائيلية وتحقيق السلام.

ماذا يراد بإلغاء كامب ديفيد؟ أعيد سينا إلى إسرائيل؟ إن اعلان حالة الحرب تعني تجميد كل الخدمات ومشروعات التنمية. وتعني أن نرفع شعار لا صوت يعلو على صوت المعركة وتعني تركيز كل المجهود على التسليح وهذا يحتاج إلى وقت طويل. لصالح من هذا ومن سيمولنا. وإذا كانت هذه المبالغ متوفرة فلماذا لا ننفقها على التنمية أفضل. إلاّ أننا لا نزال ملتزمين بالقضية الفلسطينية ونحن نبذل أقصى مجهود من أجل القضية الفلسطينية واللبنانية. وأتحدى أن تكون هنا دولة أخرى تتحدث عن القضية الفلسطينية والقضايا العربية في المحافل الدولية مثلما تتحدث مصر. ولقد ذكرت أنت نفسك موضوع ضغوط الكونغرس لتغيير خطنا السياسي. إن سياستنا لم تتغير وعلينا إلتزامات لم تتغير ولن تتجح أي ضغوط في تغيير خطنا السياسي.

«التضامن»: خارج نطاق العلاقات الرسمية مع الدول العربية وخاصة في المناطق الساخنة (لبنان والعراق وما يخص منظمة التحرير الفلسطينية ومحاولات تهويد الضفة الغربية) تلعب مصر دوراً فعالاً. بل إنها تلعب الدور بفاعلية في تبرير الوجود السوري في لبنان والمطالبة بأولوية الانسحاب الإسرائيلي.

بماذا تفسر موقفك هذا على رغم عدم وجود علاقات دبلوماسية مع هذه الدول، وما هو موقفك منكم؟

الرئيس حسني مبارك: لقد تحدثت مراراً وتكراراً في هذا الموضوع. إن جميع أوراق القضية العربية موجودة في يد العرب. والأحداث الآن تثبت صحة وجهة نظري. العرب مختلفون. وإذا إستمروا على هذه الحال فإن القضية ستضيع. إن القضية ليست إلغاء كامب ديفيد لإعلان حالة حرب. علينا أن نكون منطقيين وأن نترك الخلافات لان الجهة الوحيدة المستفيدة من تلك الخلافات هي إسرائيل، ولنجلس معاً للإتفاق على أسلوب حل

القضية بالمنطق والعقل. مقررات فاس أكدت أن الحل السلمي هو الطريق الوحيد لحل القضية. وإذا بقينا على خلاف إسرائيل لو أنفقت إسرائيل مليارات الدولارات لإيجاد المناخ المناسب لتتبت إقدامها في الضفة الغربية وقطاع غزة لما استطاعت تحقيق مناخ أفضل مما هو موجود بسبب خلافاتنا.

إسرائيل تتوصل إلى إتفاق مع لبنان، والدول العربية مختلفة مع بعضها البعض بشأن الإنسحاب، ومنظمة التحرير ليست في موقف يسمح لها بالتفكير في قضيتها الأساسية، والانتخابات الأميركية إقتربت، وإسرائيل تبني في المستوطنات في الضفة وغزة. وكل ما نفعله نحن هو مواصلة الخلاف من دون أن ننتبه إلى أنه إذا أصبحت المستوطنات أمراً واقعاً فإن الرأي العام العالمي لن يقبل طرد سكان المستوطنات. لقد تأجلت المفاوضات المصرية - الإسرائيلية ثلاثة أشهر بسبب مستوطنتين فقط لاغير، فما بالك بـ 155 مستوطنة. إن إسرائيل مستمرة في بناء مستوطنات جديدة بهدوء وسعيدة وهي ترى سوريا على خلاف مع العراق، وليبيا تؤيد سوريا ضد العراق وبقية الدول على خلاف.

لقد سئلتُ مرة حول مطامع إسرائيل في جنوب لبنان فقلت لا أعتقد أن لإسرائيل مطامع في الجنوب لأنها مشغولة الآن بالضفة وغزة وعندما تنتهي من تهويدها بالكامل تلتفت إلى الجنوب. إننا نهى الظروف التوسعية لإسرائيل بسبب خلافاتنا ومشاكلنا وإنصرافنا عن القضية الأساسية وهي القضية الفلسطينية.

«التضامن»: هل ذلك ما قصدته بعبارة «موت القضية الفلسطينية»؟

الرئيس حسني مبارك: بالطبع. وإذا كان هناك تصور آخر فأنا على استعداد لمناقشته.

«التضامن»: تكاد تكون مصر حليفاً يشارك بالسلح والخبرة العراق في معركته القومية ضد الهجمة الإيرانية. والسعودية لإعتبارات قومية وأمنية طرف غير محايد على الأقل بالنسبة إلى هذا الصراع. كذلك فإن الرهانين المصري والسعودي يكادان يكونان متعادلين بالنسبة إلى الدور الأميركي في المنطقة.

ما الذي يحول دون تحوّل الفهم المشترك إلى تعاون مشترك؟

الرئيس حسني مبارك: أنا لا أريد أن أذكر أي موقف للسعودية لأن هذا من شأنها. وأنا بصراحة لا أحب أن أحدث عن السعودية. السعودية تتحدث عن نفسها، وهم أقدر على ذلك مني. أما لماذا تساعد العراق فلأن العراق أعلن أنه يعود إلى حدوده الدولية وهو دولة عربية عليّ واجب مساعدتها للدفاع عن نفسها وحماية حدودها. وليس معنى ذلك أننا أنصار حرب. إننا ندعو إيران إلى أن توقف الحرب وتُجري مفاوضات من أجل الحل السلمي لهذه القضية، لأن استمرار الحرب تدمير لموارد الدولتين. وأكرر أن على إيران أن تستمع إلى نداء السلام وتقبل التفاوض بدل مواصلة الحرب.

«التضامن»: هل إذا كانت إيران لن توقف الحرب وتقبل بالتفاوض، هنالك خطوات مصرية أكثر تقدماً في

مضمار المساندة للعراق؟

الرئيس حسني مبارك: الحديث في مثل هذا الموضوع يكون مع العراق وليس مع الصحافة. وأنا لا أستطيع أن أقدم مثل هذه الرسالة للرئيس صدام حسين أو أي رئيس عربي عبر الصحف.

«التضامن»: ما هي حدود حزام الأمن المصري وإلى أين وصل تطور صناعة السلاح المصري؟ وهل هذه

الصناعة في المرحلة الحالية عبء على الإقتصاد المصري أم إضافة إليه؟

الرئيس حسني مبارك: لا بد أن تكون لدينا صناعة عسكرية كي لا يكون إعتدانا الأساسي في تسليح جيوشنا - على الأقل في مجال الذخيرة والمعدات غير المعقدة - على دول قد تمنحنا هذه المعدات وربما لا تمنحنا إياها. ومن هذا المفهوم فإننا ننمي صناعتنا العسكرية ونطورها. وسنصنع مدفعية ودبابات لمصلحة أمتنا ولمصلحة الدول العربية الصديقة التي قد تجد نفسها في مأزق وتحتاج لهذا السلاح للدفاع عن أمنها مثل العراق

وغيرها من الدول في أفريقيا. وبالطبع إن التسليح عبء على الإقتصاد لكن الصناعة موضوع آخر فنحن نصنعها في بلادنا بدلاً من أن نشتريناها من الخارج، ونتيح فرص العمل للمهندسين والعمال ونكتسب خبرات جديدة ونساعد إخواننا العرب في أي أزمة يتعرضون لها.

مصير لبنان وآفاق التكامل مع السودان وترحيب بعودة الجامعة العربية إلى القاهرة

«التضامن»: ما هي رؤيتك لحاضر لبنان ومصيره؟

الرئيس حسني مبارك: آن الاوان لكي تتفق الأطراف اللبنانية وتصون كيان الوطن بحيث يعود لبنان الدولة المستقلة ذات السيادة. لقد كان دائماً منطقة صراع. في الماضي كانت الدول العربية تصفي حساباتها في لبنان. الآن تَضخم الصراع وأصبح دولياً تقريباً ونحن العرب السبب في ذلك.

«التضامن»: هل إن التكامل المصري - السوداني متعلق بحسني مبارك وجعفر نميري؟ ولماذا لا تقوم

وحدة بين مصر والسودان؟

الرئيس حسني مبارك: لا بالطبع. ونحن نضع أُسساً للتكامل بين الشعوب. لقد كان في إمكاننا أن نعلن وحدة فوقية لكننا لم نفعل ذلك. الوحدة أمر سيحدث تلقائياً عندما يتم التكامل ويندمج الشعبان. وإذا كان الشعبان لا يريدان الوحدة ويكتفيان بالتعاون فهذا أمر متروك لهما.

وتهمني الإشارة هنا إلى أن دولاً عربية كثيرة قد تساهم في مشروع التكامل التي سنقيمها نحن والسودان عندما تلاحظ الجدوى من هذه المشروعات.

«التضامن»: هل سيبقى دور مصر في حركة عدم الإنحياز متواضعاً كما هي الحال منذ بضع سنوات

على رغم أن مصر أحد مؤسسي هذه الحركة؟

الرئيس حسني مبارك: بدأنا قبل فترة تنشيط دور مصر في حركة عدم الإنحياز وسنواصل عملية التنشيط.

«التضامن»: هل إن المقر الخالي للجامعة العربية في القاهرة عبء على دافع الضرائب المصري، ما دام

قد طُرح في مناقصة عالمية مشروع بناء مقر دائم للجامعة في تونس؟

الرئيس حسني مبارك: مبنى الجامعة أقيم منذ زمن طويل وهو ليس عبئاً على مصر ولا على دافعي الضرائب.

والجامعة تتفق من أرصدها. إذا كانوا يريدون بناء جامعة عربية في تونس فهم أحرار ونحن لا نفرض وصايتنا على الدول العربية. وإذا كانوا يريدونها في القاهرة فأهلاً وسهلاً والمقر جاهز بعد أن ألغينا جامعة الشعوب.

أسماء ومواصفات وتكهّنات وكفاءات

ودور مجلس الشورى باق على حاله

«التضامن»: نستأذن الرئيس بالعودة إلى بعض قضايا الداخل مرة أخرى. في مصر أسماء حولها كثير

من التكهّنات: الدكتور فؤاد محيي الدين، المشير عبد الحليم أبو غزالة، صوفي أبو طالب. هل يمكن أن نطلب

المزيد من التوضيح حول هؤلاء؟

الرئيس حسني مبارك: الدكتور فؤاد محيي الدين رئيس الوزراء يعمل ليل نهار ولا غبار حوله على الإطلاق.

وعلى الرغم من ذلك فهو يتعرض للهجوم ويعتبرونه من رجال الرئيس السادات. وهذا غير صحيح لأن السادات

لم يعينه رئيساً للوزراء وإنما أنا الذي عينته في هذا المنصب. معياري الوحيد هو الإنتاج. كم يقمّ للوطن. هل

يعمل للصالح العام أم لصالحه الشخصي. الذي يعمل للصالح الشخصي أقول له ذلك بصراحة.

هذا ما يقولونه عن الدكتور فؤاد محيي الدين. الدكتور صوفي أبو طالب رئيس مجلس الشعب رجل منتخب. إنتخبوه لمدة أربع سنوات رئيساً للمجلس. ينتخبوه مرة جديدة أو لا ينتخبوه هذا موضوع آخر. المشير أبو غزالة أحد أبطال حرب أكتوبر وهو وزير الدفاع وليس عليه أي غبار.

«التضامن»: مجلس الشورى في مصر ليس هو مجلس الشيوخ الأميركي ولا مجلس اللوردات البريطاني. فهل سيتعدى دوره في المرحلة المقبلة دور لجنة الإستماع؟

الرئيس حسني مبارك: لا أستطيع أن أقطع بذلك لأننا لم نبت في هذا الموضوع بعد.
«التضامن»: هل لنا ببعض الأرقام أو النسب المئوية عن حجم الإستثمارات العربية في مصر بالمقارنة مع حجم الإستثمارات الأجنبية؟

الرئيس حسني مبارك: أكثر من 60% من الإستثمارات مصرية أما نسبة الإستثمارات العربية والأجنبية فلا تزيد على 35%.

نحن من أسرة محافظة لا تحب الدعاية

وعندما لا يكون لديّ عمل أقضي الوقت مع أولادي

«التضامن»: معروف عنك أنك تتشدد في التعامل مع أولادك لحساب الموقع العام الذي تشغله إلى الحد الذي لا يعرف فيه أحد حتى أسماءهم ولا نوع دراستهم.

هل لنا أن نسمع منك شيئاً عن طريقة تعاملك مع أولادك وكيف تقضي الإجازة معهم؟

الرئيس حسني مبارك: عندما لا يكون لديّ عمل فإنني أقضي الوقت مع أولادي. هذا طبيعي. وإلى ذلك نحن من أسرة محافظة لا تحب الدعاية. والخبرة تؤكد وجهة نظري هذه. وفي إستمرار كان تعاملني مع أولادي على هذا الأساس. ولم يتغير شيء في أسلوب التعامل.

«التضامن»: حسني مبارك ليس أنور السادات وليس جمال عبد الناصر. ومع ذلك فهو وفي لعبد الناصر ووفّي للسادات كيف حققت هذه المعادلة؟

الرئيس حسني مبارك: إن عبد الناصر والسادات تولّيا قيادة مصر وقدّما خدمات لوطني وغيّرا وجه التاريخ. وكل زعيم له أخطاء. هناك أشياء تُحسب له وأشياء تُحسب عليه. هذه طبيعة البشر. عبد الناصر قاد الثورة وغير خريطة مصر وبذل جهوداً من أجل القضايا المختلفة الوطنية والقومية والعالمية لا نستطيع أن ننساه. وأنا لم أعمل مع الرئيس عبد الناصر لأنني كنت مجرد ضابط عادي. أما الرئيس السادات فإنه بذل جهداً عظيماً في حرب أكتوبر وفي موضوع الإنفتاح وهو زعيم كبير ولا يجب أن أكون جاحداً أو ناكراً للجميل. إن لهما أفضالاً على مصر شأنهما شأن زعماء مثل عرابي وسعد زغول وسائر الذين بذلوا جهداً من أجل مصر. يجب علينا ألا نتكرر لزعمائنا وهو أمر ليس من صميم القيم والأخلاق. وإذا كانت هنالك قلة تشتم في هذا أو ذاك لأسباب شخصية فذلك ليس عملاً سليماً.

نتبادل السفراء مع الإتحاد السوفياتي عندما يوقفون تدخّلهم في شؤوننا

«التضامن»: مرت العلاقات المصرية - السوفياتية بمرحلة تشبه الانفراج وحدد الكثيرون موعداً لتبادل السفراء. إلا أن الهجوم الرسمي السوفياتي على نتائج الإنتخابات جرت مؤخراً في مصر بدت وكأنها إجهاض سوفياتي لهذا التقارب. لماذا؟

الرئيس حسني مبارك: العلاقات لاتزال قائمة وإنما لا يوجد سفراء في العاصمتين. وعندما نتأكد من عدم

وجود تدخّل في شؤوننا الداخلية سنعيد السفراء. والإتحاد السوفياتي دولة عظمى لا نستطيع تجاهلها. وعندما هاجموا إنتخاب مجلس الشورى تأكد لنا أنهم لا يزالون يتدخلون في شؤوننا الداخلية. إعادة السفراء مرتبطة بعدم تدخلهم في شؤوننا الداخلية. ومثل التصريحات تعتبر تدخلاً.

«التضامن»: ألا يتوقف التدخّل إذا عاد السفراء؟

الرئيس حسني مبارك: كيف أضمن ذلك. إعادة السفراء يجب أن تكون قائمة على أسس سليمة. وعلى أي حال هناك علاقات تجارية - لم أوقفها وهي تتحسن.

«التضامن»: لقد إلتقيت بالملك الحسن في نيويورك وتتصل بالملك حسين وتتعامل مع الرئيس صدام حسين وتتكامل مع الرئيس نميري. وقمت بواجب العزاء في وفاة الملك خالد، وعلاقاتك طبيعية مع السلطان قابوس والرئيس الصومالي سياد بري والرئيس الجيبوتي حسن جولييد. وموقفك بالنسبة إلى السلطة الشرعية في لبنان إيجابي. بل ان موقفك من سوريا بكثير من التفهم. والإتصالات بين طرابلس والقاهرة لا تنقطع لفترة طويلة. وخطوطك سالكة جداً مع منظمة التحرير. اذاً ما الذي يمنعك من حضور مؤتمر القمة العربي المقبل في الرياض حتى من دون دعوة بإعتبارك شريكاً تتعامل معك الأغلبية ويعتمد عليك الجميع؟

الرئيس حسني مبارك: أنا لديّ علاقات مع كل العربية وأعرف جميع الرؤساء والملوك ما عدا الرئيس الشاذلي بن جديد الذي أسمع عنه أنه يمتلك شخصية متزنة وهادئة وأنا أحترم فيه ذلك، أما بقية الدول العربية التي ذكرتها فعلاقاتي مستمرة مع قادتها وأنا أعرفهم جميعاً من الشيخ زايد إلى أمير البحرين إلى أمير قطر إلى أمير الكويت. إنني أعرفهم جميعاً وعلاقاتي بهم طيبة وليس هناك مشاكل مع أحد. أما أن أفرض نفسي على مؤتمر القمة فهذا أمر لا أعتقد أن أحداً يرضاه لمصر. إن مصر أكبر دولة عربية. تريد مني الذهاب ثم يقف أي شخص يتحدث عن مصر بالسوء فهذا لا يقبله الشعب المصري. إنه لن يقبل أن أذهب إلى المؤتمر وأسمع أي كلمة إهانة لمصر أو للرئيس المصري. أما هؤلاء الذين يقولون هل تعود مصر أم يعود العرب لمصر فهذا كلام. أنا أقول إن ذراعيّ ممدودتان. وإنني على إستعداد للذهاب إلى أي رئيس أو ملك عربي بشرط ألا يحرجه ذلك. وأحب أن أوضح انه ليست لديّ أي حساسيات تجاه أي شخص. الرئيس السوري حافظ الأسد أعرفه معرفة جيدة منذ أن كان طياراً هنا وأعرفه منذ أن كنت نائب رئيس وكنا نجلس معاً ونحدث بصراحة. جلالة الملك فهد والأمير عبدالله أعرفهما معرفة جيدة. الملك حسين أعرفه معرفة جيدة ونحدث بصراحة في كل الموضوعات. أما مسألة عودة مصر إلى العرب أو عودة العرب إلى مصر فأنا لا أرى أي فرق في ذلك. مصر لا تتأخر عن الدول العربية لقد بذلت ولا تزال تبذل جهداً كبيراً من أجل القضية العربية سواء طلب منها، أم لا، لأن هذا واجبها. وإلتزامها تجاه القضية الفلسطينية أساسي. ونحن الذين حولنا القضية الفلسطينية من قضية لاجئين إلى قضية شعب. ونحن لا نزال ندافع عن القضية الفلسطينية. وعلى رغم أننا في بعض الأحيان عندما ألقى كلمة مصر أمام محفل دولي يغادر بعض المندوبين قاعة الجلسة فإنني سأواصل دفاعي عن القضية الفلسطينية من موقع إلتزام مصر بهذه القضية. وهذا لا يضايقنا ولا يخيفنا.

«التضامن»: لقد ذكرت أسماء معظم الملوك والرؤساء ولم تذكر ياسر عرفات؟ ما الذي يمكن أن تفعله

من أجله؟

الرئيس حسني مبارك: إنني أعلن في كل مجال أن عرفات هو أكثر زعماء المنظمة إعتدالاً. وأنا أساعد عرفات بقدر ما أستطيع.

ففي نهاية هذا اللقاء سألنا الرئيس حسني مبارك عما إذا كانت هنالك رسالة يمكن أن يوجّهها إلى العرب من المحيط إلى الخليج عبّر «التضامن» فوجّه الرسالة الآتية:

«يا إخواننا العرب. إن الخلافات وتبادل الشتائم تزول عاجلاً أم آجلاً وتبقى العلاقات الإنسانية. إننا قد نتشاجر اليوم لكننا سنتصالح غداً. وفي النهاية كلنا عرب. فلننبذ الخلافات ولنجلس معاً للإتفاق. فلنتفق حتى على نوع الإختلاف من أجل مصلحتنا كعرب ومن أجل قضيتنا».

نُشر الحوار في مجلة «التضامن»
بتاريخ 5 نوفمبر/ تشرين الثاني 1983

مقابلة مع الرئيس جعفر نميري (1)



نميري: نهاية العالم قد تبدأ من لبنان ولا إمامة بعد اليوم في السودان



الرئيس جعفر نميري يستقبل يوم الأربعاء 19 أكتوبر/ تشرين الأول 1983
في منزله في الخرطوم الصحافي والكاتب فؤاد مطر

ليس من غلَم كَمَن سَمِعَ وليس من سَمِعَ كَمَن رَأى وليس من رَأى كَمَن شاهد وناقش. ومثُل هذا القول ضروري كمدخل لتوضيح أمر هذا الحديث مع الرئيس جعفر نميري. وقد سبق أن أجريث على مدى عشر سنين بضعة أحاديث مع الرئيس نميري لكن هذا الحديث جاء وسط ظروف ذات تميّز وكثُر في شأنها القول والتفسير. ولعل أبرز هذه الظروف هو أن الرئيس نميري فاجأ السودانيين والآخرين ولم يفاجئهم في الوقت نفسه في مسألة تطبيق القوانين الإسلامية. فاجأهم أو من أجل الدقة فاجأ بعضهم من حيث التوقيت ولم يفاجئ أحداً من حيث التمهيد.

والى ذلك هنالك المهمة التي لا يوقف الرئيس نميري السعي من أجل تحقيقها والمتعلقة بإبتكار صيغة توفيقية لعودة العلاقات بين مصر والدول العربية.

وخلال أسبوع حافل باللقاءات والمناقشات مع عدد من الإخوة السودانيين بدت صورة التحول الإسلامي أكثر وضوحاً. وإذا جاز القول فإنه بات في الإمكان نقل بعض الإنطباعات عما حدث ولا يزال يتفاعل في السودان نتيجة تطبيق القوانين الإسلامية. كما أنه بات في الإمكان قراءة تلك القوانين وما رافقها من تفسيرات وإجتهادات... قراءة على درجة عالية من التأني.

وفي هذا العدد حديث مع الرئيس نميري شمل في جملة ما شمله من نقاط موضوع تطبيق القوانين الإسلامية على أن أستتبع في أعداد ثلاثة لاحقة وبشكل مسلسل ما سجّلته من إنطباعات وملاحظات عن زيارة إلى السودان هي في كل المقاييس إستثنائية. وسيكون عنوان هذا المسلسل «الإسلام المحايد في السودان: خواطر وإنطباعات».

واللافت للإنتباه بشكل خاص في حديث الرئيس نميري تحليله للصراع الدائر بين الإستراتيجية الأميركية والإستراتيجية السوفياتية في منطقة الشرق الأوسط. وفي إطار هذا التحليل أورد عبارة تدعو سامعها أو قارئها إلى التنبيه. والعبارة هي «إن نهاية العالم قد تبدأ في لبنان». كذلك إن اللافت في حديثه قوله «لا إمامة بعد الآن في السودان» إلا إذا كانت على حد تعبيره من نوع إمامة الغزالي، أي إمامة علم وفقه.

«التضامن»: سيادة الرئيس، لقد إتخذت قرارات لا يستطيع أن يلغيها أي نظام من بعدك، حتى لو تسلّم الشيوعيون السلطة، ولكن في إستطاعتك أنت وحدك أن تمارس مرونة تقطع الطريق على الكثير من التكهّنات والإشاعات. هل ستمارس هذه المرونة؟

الرئيس جعفر نميري: بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله والشكر له والصلاة على نبيّه ورسولنا. إن إعلان الحُكم بالشرعية الإسلامية في السودان أمر يتجاوز السودان ليهم العرب والمسلمين عامة، غير إنني قبل الإسترسال في تفاصيله أسترجع ذكرى مثل هذا الوقت (18 أكتوبر/ تشرين الأول 1964) عندما كان الشعب السوداني يتطلع لإسترجاع الحياة الديمقراطية من الحُكم العسكري، والدور الذي قمنا به من داخل القوات المسلحة لدعم الإنتفاضة الشعبية التي تكللت بالنصر في 21 أكتوبر وإنحيازنا لجانب الشعب وإرغام القيادة العسكرية للتخلي عن الحُكم، وفقاً لأسس ومبادئ وضعناها وظلت هي نفس المبادئ والأسس التي فجّرنا على أساسها ثورة 25 مايو (أيار) 1969 حين فشل المدنيون في الحفاظ على مكاسب الشعب وحين وقعوا فريسة التنازع القبلي والعنصري والطائفي والحزبي الأمر الذي دفعنا للزج بالقوات المسلحة والقوات النظامية الأخرى أكثر في العمل الوطني وتطوير دورها في تحالف قوى الشعب العاملة حتى أصبحت بما لها من قوة تنظيم وإرادة وتكاتف القوة القائدة لهذا التحالف مما جعل المواطنين يصرون على إنتخاب فرد من القوات المسلحة ليكون رئيساً للجمهورية في الولاية الثالثة وهم على إقتناع كامل إن هذا ليس حُكماً عسكرياً كما يدّعي الآخرون بالرغم من أن رئيس الجمهورية يزاول كل أعماله الرسمية بالزي العسكري.

«التضامن»: ماذا حدّث خلال فترة الحُكم هذه؟

الرئيس جعفر نميري: الذي حدّث هو تنفيذ المبادئ والسياسات التي كلفت وإلتزمت بها. ورداً على سؤالك عن قرارنا بالإحتكام لكتاب الله، أود أن أعيد الأذهان إلى البيان الأول للثورة والبيانات التي أعلنتها في كل لقاءاتي وإلى الميثاق الوطني الذي كتبناه والدستور والقوانين المختلفة، وفي كل هذه الوثائق إتجاه واضح للحُكم بكتاب الله وإللتزام بالشرعية الإسلامية، وفي وطن تتمكن فيه الثقافة الإسلامية بشدة رفّعنا مستوى الحُكم بالكتاب من الفرد إلى الدولة. ولقد كان الفرد المسلم يحكم نفسه بكتاب الله الأمر الذي مكّن هذا البلد ذا الثقافات المتعددة (550 قبيلة أو أكثر) وذا المساحة الشاسعة (مليونان ونصف المليون كيلومتر مربع) يعيش في أمن وسلام مقارنة بما جاوره من البلدان. إن إعلان الحُكم بالشرعية الإسلامية في السودان لم يكن مفاجأة بالنسبة لمعظم المواطنين، ولكن المفاجأة كانت لنا متمثلة بالإستجابة السريعة والإيجابية والفرحة والسرور الذي قوبلت به ليس في الداخل فقط وإنما أيضاً في الخارج، ومن مواطنين في دول لا تربطنا معها علاقات حسنة مثل إيران وليبيا.

إن الوازع الديني للمواطن السوداني قوي جداً، فلقد فرّح حتى الذين يتعاطون الخمر بقرار تحريمها. كما إن المختصين بالشؤون الإقتصادية لم يتجاوبوا مع ما كان يقال عن نقص الإيرادات من الجمارك ورسوم الإنتاج التي كانت مفروضة على الخمر. والوحيد الذي أثار معي هذا الأمر هو مندوب صندوق النقد الدولي الذي قال لي إن القرار يُحدث ثغرة في الإيرادات مقدارها أربعون مليون جنيه، ولقد رددت عليه بأنني لم أكن أتصور أنها أكثر من أربعة ملايين، ولكن إذا صح أنها أربعون مليون فإن ذلك أدعى وأوجب لإتخاذ القرار ويمكن أن تتخذ من التضحيات في الداخل ما تسد به هذه الثغرة، كما أن منع الخمر سيوفر علينا ما كنا نصرفه على آثارها الصحية

على المواطن وسلبياتها الإجتماعية.

لقد وصلتنا العديد من البرقيات والرسائل من الأسر والنساء تشيد بالقرار الذي أعاد إليها أمنها الإجتماعي، ويمكن أن تلاحظ إرتياح الرأي العام مما تنشره الصحف من تعليقات ورسوم كاريكاتورية. إن الصعوبة الوحيدة التي واجهتني من الناحية التنفيذية في هذه القرارات هي أنها لم تتخذ بالسرعة اللازمة مع أن السرعة لازمة لأن الهدف هو إرجاع الحقوق لأهلها، وتحكيم العدل.

إن الدول الغربية تتهمنا بالوحشية في الأحكام الإسلامية وتجهل أن الأحكام الإسلامية أكثر رحمة، وأن الإعدام عندنا ليس قتلاً كما هو عندهم، إذ أنه يمكن أن يُستبدل بالدية لأهل المقتول بل إن أهل القتيل يمكنهم العفو عن القاتل.

«التضامن»: هل تعرض بعض السفراء لمسألة الخبراء الأجانب، أو طلبوا تخصيص إستثناءات معينة

لهم؟

الرئيس جعفر نميري: الكثير من الأجانب والدبلوماسيين ربما لا يعرفون أن الإسلام جاء لخدمة الإنسانية وكل تشريعاته تستهدف تنظيم الحياة الأسرية والإجتماعية والفردية ورفع مستوى الفرد، وعندما أعلننا منع الخمر حضر لي السفير البريطاني مع جنرال من بلاده يزور السودان ووجد الفرصة ليقول إن القرار ربما يُفقدنا الخبراء الأجانب، فقلت له إذا كان سبب وجود الخبراء في السودان هو الخمر فلنفقدهم، ففي العالم الكثيرون ممن لا يحبون الخمر، بل إن الدين المسيحي لا يحبذ شرب الخمر، وقلت له إنني كنتُ أتوقع أن يحمل لي خطاب شكر من حكومته لأن عندنا حوالي أربعة آلاف خبير بريطاني سيساعد القرار على معالجتهم من مشاكل الخمر، وقلت له إنكم تحاربون التدخين، وهو من المكيفات فما بالك بالخمر، وعلى أية حال فإن من واجب الأجانب دائماً مراعاة قوانين البلد الذي يعيشون فيه، ولقد إقتنع السفير بحديثي.

بعض الناس يتحدثون عن وضع المرأة ويقولون إنني سأصدر قرارات جمهورية بفرض الحجاب على المرأة وأنا أعترض على كلمة الحجاب، لأن الشيء معناه إخفاء من الوجود. والمرأة عندنا تشارك في المجتمع. وهي بطبيعتها ضد اللبس الفاضح، وعندنا في الثوب السوداني الذي هو جزء من ثقافتنا ما يكفي، والمرأة في عهد الرسول كانت تمارس الحياة العملية والسيدة خديجة كانت تعمل بالتجارة.



الشريكان: الرئيس حسني مبارك والرئيس جعفر نميري خلال الزيارة الأخيرة التي قام بها الرئيس المصري إلى الخرطوم ويبدو في الصورة خلف الرئيس مبارك الدكتور بهاء الدين إدريس وزير الدولة السوداني لشؤون رئاسة الجمهورية

«التضامن»: هل إستأنستَ بتقرير أو مذكرة أو دراسة حول الخمر في السودان من الزاويتين المالية والصحية قبل إتخاذ القرار؟

الرئيس جعفر نميري: بالطبع، فنحن نُخضع كل قانون قبل إجازته لدراسات متأنية ولقد كانت هناك لجان متخصصة من عدد من العلماء من داخل وخارج السودان وضعوا لنا صيغة بعض القوانين التي إستأنسنا بها وعدّلنا فيها وأدخلنا إقامة الحدود.

«التضامن»: الآن بعد التطبيق، هل ستطلب دراسة عن الآثار النفسية الناتجة عن التحريم؟

الرئيس جعفر نميري: حقيقة إننا لم نطلب ذلك، ولكن لدينا أقسام للمتابعة والإحصاء ترفع تقارير منتظمة عن تأثير القوانين على الأفراد والجماعات. ولحُسْن الحظ فإن كل التقارير مشجعة للغاية. (في إحدى الصفحات الاقتصادية من "التضامن" خلاصة دراسة أولية ميدانية رُفعت إلى الرئيس نميري ووافق على أن ننشر الفقرات الممكنة منها).

«التضامن»: هل يجوز إفتراض ناحية وجدانية، أو موقف ذي طابع شخصي من جانب سيادتكم في هذه

القرارات؟

الرئيس جعفر نميري: أستطيع القول إن هناك جانباً وجدانياً، ربما من أثر النشأة الدينية التي نشأتها، كما أن تجربتي الشخصية مع الخمر كان لها الأثر في الإقتناع بمضارها وسيناتها.

«التضامن»: البعض يتساءل عما إذا كنت ستجبر الناس على صيام رمضان مثلاً؟

الرئيس جعفر نميري: إن أي مسلم وصل إلى شروط المسلم بمعنى أنه وصل سن الرشد وجُب عليه الإلتزام بالعبادات، إلّا إذا كانت هناك أسباب ورُخص شرعية تعفيه من ذلك. وأنا لا أجبر الناس على الصيام ولكنني أجبرهم على ألا يفطروا علناً، ولا أجبرهم على الصلاة ولكنني أوفر أسباب الهداية والموعظة عملاً بأنه لا إكراه في الدين.

«التضامن»: ما هي المراحل التي مرت بها هذه القرارات، وهل هي خلاصة تجربة الحُكم أم هي حالة عبادة؟

الرئيس جعفر نميري: أستطيع أن أقول إنها خليط من كل ذلك. فمن ناحية تجربة الحُكم تأكد لي أن القوانين الوضعية لا تحل مشاكل المجتمع والفرد. ومن ناحية العبادة، فإن هذه القوانين هي الحل الجذري لتلك المشاكل، وبعض القوانين الإسلامية التي كانت مطبّقة كقوانين الأحوال الشخصية كان موضع الرضا من الناس والمشكلة الوحيدة كانت التأخير في حسم القضايا.

والتدرج في وضع هذه القوانين كان وارداً، وحين كان الأخ الرشيد الطاهر رئيساً للوزراء عام 1967 كلف لجنة من العلماء العرب والمسلمين بوضع خطة القوانين الإسلامية وقد تم إعداد بعضها فعلاً وقُدِّمت لمجلس



بعد صدور قرارات تطبيق الشريعة الإسلامية: الرئيس نميري وكبار مساعديه يظللهم شعار "الإيمان. العدالة. القوة" وفي الصورة تبدو حرم الرئيس نميري (إختار الرئيس نميري شخصياً هذه الصورة وقال إن نشرها رد على ما يقال في شأن دور المرأة وفي الحجاب)

الشعب القومي منذ خمسة أعوام ولم يبت فيها. وفي العام الماضي سحبْتُ واحداً منها من المجلس وأصدرته في أمر مؤقت لأضرب لهم المثل. وفي هذا العام شعرتُ أن عليَّ أن أتحرك وحدي فأصدرت هذه القوانين، وقد وجدت القبول من أعضاء مجلس الشعب الذين يضعون الآن خطة لإجازتها بشكل سريع.

«التضامن»: لاحظ البعض من صور عملية إبادة الخمر أنك كنت تحطم الزجاجة كما لو كانت تينياً، أو عدواً. ما سر ذلك؟

الرئيس جعفر نميري: لعل هذا ناتج من نظرتي للخمر التي هي أم الكبائر وسبب رئيسي من أسباب تأخرنا، ولعل هذا تشجيع الإستعمار لها، حتى أن دهاقنته كانوا يوحون بأنها مغذية.

«التضامن»: في إطار المزيد من الترشيح هل يمكن أن تصل الحال إلى حد محاصرة ظاهرة التدخين المستشرية في السودان؟

الرئيس جعفر نميري: لقد بدأنا بعدما تأكد لنا أن للتدخين مضاراً خطيرة على الصحة، وفي هذا الصدد أصدرنا قانوناً يهدف إلى مضايقة المدخنين كمنعه في الأماكن العامة والصالات المقفولة، ورفعنا رسوم الجمارك عليه مما زاد من أسعاره وهناك تحسُّن في هذا الإتجاه إذ أن الكثيرين قد قلَّلوا من نسبة التدخين. وفي المستقبل سنوقف زراعة التبغ لمحاربة التدخين.

«التضامن»: قراراتكم الأخيرة وبالذات فيما يتعلق بتحريم الخمر مرتبطة بما سميته في السابق «القيادة الرشيدة»، ورسالتكم الشهيرة للمسؤولين السودانيين من مدنيين وعسكريين. ما هي ظروف توجيه تلك الرسالة؟ (في آخر الحديث نص هذه الرسالة)

الرئيس جعفر نميري: التوجيه الذي سبق أن وجَّهته للقياديين كان في إطار التدرج للوصول إلى قرار منع الخمر لكل المواطنين، بإعتبار أن القيايين هم القدوة، وينبغي أن يكونوا المثال لمن هم دونهم، ولقد حققت تلك الرسالة نتائج طيبة وإستجابات لها الأغلبية الساحقة من القيايين مما شجعتني للقيام بخطوات أخرى، كما شجع القيايين أنفسهم لتوجيه رسائل مماثلة لمرؤوسيهم كانت لها إستجابة باهرة. ونلاحظ عند عملية إعدام الخمر في النيل أن رجال الدين المسيحي وبعض الطوائف الدينية الأخرى من غير المسلمين كانوا في الصفوف الأولى وكانوا مسرورين من هذا العمل.

وأود أن أضيف إننا دخلنا تجربة جديدة في القوات النظامية، إذ أن واحداً وثلاثين ضابطاً سيتخرجون غداً من المركز الإسلامي من مختلف الرتب بعد عام من الدراسة الدينية ليعملوا كوعاظ في المساجد الخاصة بالقوات المسلحة، وهي تجربة أثق من نجاحها وهي الأولى في مجال الجمع بين الانضباط العسكري والإلتزام الديني وتطوير الثقافة الإسلامية في صفوف القوات النظامية، مما يجعل الأفراد أميين وصادقين وعلى خُلق ولا يلقون التهم على الناس زوراً. وأذكر أن الرئيس جمال عبد الناصر كان يدعو لمثل ذلك. ففي حرب السويس سنة 1956 كان مع كل جندي المصحف الشريف، ومثلما كان القسيس في أوساط المحاربين، كان أول نشيد قومي لثورة يوليو نشيد «الله أكبر».

«التضامن»: يكنُ المواطنون في جنوب السودان لكم شخصياً تقديراً كبيراً. هل تتوقع أن تُحدث هذه القرارات بسبب تنوعهم وظروفهم الخاصة بهم تمللاً في صفوفهم وأن يطلبوا إستثناءهم منها؟

الرئيس جعفر نميري: الأخوة الجنوبيون بالفعل يحترمون رئيسهم كما أنهم يعرفون شخصي. وقد عملتُ معهم كثيراً منذ الخمسينات، ولي معهم تجارب كثيرة ساعدت على التقريب بيني وبينهم.

إن بعض السياسيين القدامى يعتقدون أن الجنوب يمكن أن يكون مدخلاً للهجوم على السودان، ولذلك تحركوا مع بعض الدول الأخرى مثل ليبيا وأثيوبيا، التي دخلت مؤخراً في المعسكر المعادي لنا إعتقاداً منها بأن

مناوأة الخرطوم يمكن أن تعالج مشاكلها في أريتريا ولذلك بدأت تتعاون مع ليبيا وتبني المعسكرات المناوئة لنا ولدينا معلومات كثيرة. ولكن لدينا الأمل أيضاً أن تراجع اثيوبيا موقفها، فنحن لا نريد أن نتخذ موقف العداء من أثيوبيا ونتمنى أن تتخلص هي من معسكر العداء الذي إنضمت إليه، بل ومن المعسكر الشرقي عموماً. لقد ظنت العناصر المعادية أن القرارات الأخيرة فرصة لإثارة الجنوبيين وبدأت تنسق للأسف مع بعض الكنائس، وبدأوا يظهرن للعالم أن هناك معارضة ومقاومة في أوساط الجنوبيين، وهذا عداء عالمي للإسلام، لا أستطيع أن أوقفه ولكنني أستطيع أن أمنع تأثيره في السودان بلا تعصّب أو إرهاب أو إستعمال للقوة.

«التضامن»: في القضايا الداخلية هناك ثلاث نقاط أولها حول المناخ الجديد وهل سيجعلكم أكثر تسامحاً أم أكثر تشدداً في التعامل مع الأمور الداخلية، وثانيها تتعلق بالتقليص الكبير في سفارات السودان في الخارج، وثالثها عن وزارة بالغة الدقة والحساسية وهي وزارة الطاقة التي يتولاها من هو محسوب على طرف سياسي معين؟

الرئيس جعفر نميري: بخصوص التسامح أو التشدد أعتقد أن أسلوب القيادة هو الذي يحدد ذلك، وأسلوب في القيادة أن أعتد على قدراتي الشخصية التي منحني إياها الله أكثر من الإعتماد على السلطة أو اللوائح أو القوانين. وأعتقد أن التشريع الإسلامي نفسه سيفشل إذا كان القائد يريد أن يستعمله ويستمد سلطته منه فقط، لأن التشريع الإسلامي أسبابه ظاهرة، وهو يهدف إلى تربية الفرد ورذع الجماعة، وينبغي أن نستغل عقاب الفرد لردع الجماعة.

لا أظن إنني سأكون متشديداً، إلا إذا كان التشدد معناه ضبط النفس، فأنا سأوقف المخطيء عند حده لكي ينعظ الآخرون، كما أن التسامح غير وارد لأن التسامح يعني التسبب والغرض من القوانين وقف التسبب. أما فيما يتعلق بالنقطة الثانية فإن تقليص السفارات قد تم في إطار شعار تقليل الإنفاق الحكومي وفي إطار برنامج ودراسة، وهناك بعض السفارات التي أعدنا النظر فيها بعد توصية الخارجية كسفارتنا في الإمارات وفي الكويت، ولقد إستقننا من الدبلوماسيين والمحاسبين القانونيين الذين عادوا للسودان. ولم تتأثر إتصالاتنا الخارجية فكثير من الدول قدّرت موقفنا وأبقت على سفاراتها في السودان لتمثل حلقة وصل بيننا وبينها.

«التضامن»: ألا تعتقد يا سيادة الرئيس أن غياب السودان عن بيروت - رغم إهتمامكم الشخصي بما يدور فيها - بغداد التي يقيم فيها الكثير من السودانيين يبدو أمراً ملفتاً للنظر؟

الرئيس جعفر نميري: أتفق معك أن وجود السفير السوداني في كل بلد عربي مهم. وبيروت مركز مهم للعمل الدبلوماسي. ولقد كانت سفارتنا تعمل في أوج الحرب الأهلية وكانت لدينا قوات سودانية موضع إطمئنان السلطات اللبنانية وثقتها، ولكن بعد توسع التدخل السوري الذي تتبأنا به بدأت سوريا بالتحرش بقواتنا التي إستشهد منها خمسة أفراد في عمليات قنص كما حاولت سوريا توريث قواتنا في صدام مع الفلسطينيين. وعليه قررنا سحب قواتنا من بيروت منعاً للتحرش، وتحول السوريون للتعرض لسفارتنا حتى أغلقناها.

والأهم من ذلك إن لبنان لن يعود كما كان. فالمخطط الجاري تنفيذه الآن هو التقسيم. ولقد تلاقت مصالح الدولتين الكبيرتين الولايات المتحدة والإتحاد السوفياتي في تقزيت وحدة لبنان، كما أن القوى اللبنانية المختلفة تأثرت بالإستراتيجيات الكبرى، وما لم تقم هذه القوى بخطوات جادة وتضحيات كبيرة فلن يعود لبنان كما كان.

وأود أن أضيف أن الولايات المتحدة لن تسمح لسوريا بمواصلة تنفيذ مخطط الإتحاد السوفياتي، حتى يحول لبنان إلى أفغانستان أخرى، فأول مرة بعد فيتنام ينطلق رصاص القوات الأميركية في بلد آخر، وهذا يعني أن

هناك إستراتيجية أميركية سوف تتفّذ في المنطقة، في نفس الوقت الذي لا يقف فيه الإتحاد السوفياتي مكتوف الأيدي. وإذا رجعنا للوراء نلاحظ أن ريغان بدأ يغيّر سياسته حتى في السودان هنا. فعندما حاول القذافي دخول تشاد لضرب السودان إتخذت أميركا موقفاً متشدداً مما أوقف محاولات القذافي وفي لبنان إن الخطر يكمن في المواجهة الحقيقية بين الإتحاد السوفياتي وأميركا، التي إذا انفجرت فسيكون في ذلك نهاية العالم. لقد أصبحت قضية لبنان قضية عالمية مثل البلقان. وإذا حدث صدام أميركي مع السوفيات فستعم الكارثة.

«التضامن»: هذا أمر خطير يطرح بهذا التصوّر للمرة الأولى. هل يمكن أن تتوسع في الشرح قليلاً سيادة

الرئيس؟

الرئيس جعفر نميري: لابد من فهم إستراتيجي للحرب اللبنانية. ان الولايات المتحدة تتدخل بسفور والسوفيات يدركون معنى الإستجابة للإستفزاز. وأستطيع أن افسّر بعض التراجعات السورية، وموقف إسرائيل التي تتفرج على ما يدور، وصمت الدول الأخرى، فإن المسألة أصبحت بالفعل مواجهة حادة بين الدولتين الكبيرتين.

وأضيف بأن قوات الإنتشار الأميركية قد تغيرت ولم تعد وحدة صغيرة، بل هي تضم قسماً كبيراً من الجيش الأميركي، كما أنه ليس مصادفة أن يصبح ماكفرلين الخبير بالموقف في لبنان هو مستشار الأمن القومي الجديد في أميركا. كما أن وزير الدفاع وكل مستشاري ريغان هم من أقوى الداعمين للوقوف بشدة في وجه الإتحاد السوفياتي. ومن الناحية الأخرى فلقد زوّد الإتحاد السوفياتي سوريا بأحدث الاسلحة، وهذه المواجهة ليست في مصلحة العرب لأنهم متفرقون، فأين مصر، وأين العراق، وأين سوريا، وأين السعودية؟ ان للسعودية دوراً كبيراً يمكن أن تلعبه ولكن أين القرار الموحد؟

وفي رأيي إن أميركا جادة في الوصول إلى حل سلمي برغم علمي ان هذا سيغضب البعض، وسيقولون إن نميري صديق للأميركان. ان أميركا موقنة بأن السوق العربية مفتوحة لها، والعرب مازالوا أكبر زبون لأميركا، بما فيهم ليبيا. وهناك محاولات من أميركا أن يستمر هذا الوضع، وما زلت أدعو إلى محاولة المزج بين المشروع العربي (قمة فاس) للقضية العربية والمشروع الأميركي.

إن على العرب ان يبدأوا بعمل شيء إيجابي لمنع المواجهة النهائية بين الإستراتيجيات الكبرى، ودفع أميركا للضغط أكثر على إسرائيل لكي تخرج من لبنان ونضغط نحن العرب على سوريا لكي تخرج من لبنان. وأعتقد أن على السعودية والسودان ومصر والعراق والإمارات والأردن والمغرب أن يتحدوا للضغط على سوريا لوقف هذا المخطط وإيجاد الحل. وهذا مجرد تقييم وليس لديّ مشروع جاهز أقترحه، بل إنني قلت للملك فهد أن يفكر في تأجيل القمة المقبلة لأن المواضيع لا تزال غير ناضجة.

«التضامن»: من هذا التحليل يبدو أن مشكلة مصر ليست هي القضية الأساسية.

الرئيس جعفر نميري: البعض يطلب من مصر أن تنهي كامب ديفيد، يعني أن ترجع سيناء لإسرائيل. ولكن هل لدى الدول العربية إستعداد لمساندة مصر عسكرياً في حالة الحرب، وهل لدى مصر إمكانية للحصول على السلاح ومن أين؟

«التضامن»: هناك فرضية قطع الطريق نهائياً كأن يطلب الرئيس حسني مبارك من الدول العربية أن

تقرر إلغاء الإتفاق مع إسرائيل مع ما يترتب على ذلك من نتائج. ما رأيك في ذلك؟

الرئيس جعفر نميري: من وحي التجارب السابقة هناك فجوة بين الكلمات ومعانيها في القرارات العربية. وهذه هي المشكلة. فالبعض لا يدرك تماماً ما تحمله الكلمات من معان أو لا يهتم. وكثيراً ما بعثت برسائل إلى بعض الأخوة واقفوني عليها تماماً ثم كانت مواقفهم غير ذلك.

إن القيادة في مصر ذكية جداً، لأنها حين سحبت سفيرها من تل أبيب لم تطرد السفير الإسرائيلي من القاهرة. وإسرائيل تحب أن يُطرد سفيرها. ولقد قال لي الرئيس حسني مبارك إنه قد جرت إستفزات حتى يُطرد السفير الإسرائيلي، ووفق إتفاقية جنيف فإنه إذا سحبت دولة سفيرها من دولة أخرى فإنه يحق لتلك الدولة أن تسحب سفيرها وإسرائيل لا تريد أن تستعمل هذا الحق ولكنها تريد أن يُطرد سفيرها لتملا الدنيا ضجيجاً ولتستثمر ذلك ضد العرب.

«التضامن»: هل هذا الأمر واضح للمسؤولين في السعودية؟

الرئيس جعفر نميري: الملك فهد واع للغاية سياسياً، وتحركاته في المنطقة إيجابية وتستهدف تحقيق التضامن العربي، ولا أستطيع أن أقول إن هذا غير واضح للسعودية لأنها متفهمة للموقف العربي تماماً

«التضامن»: أين مصر من القمة العربية المقبلة؟

الرئيس جعفر نميري: الذي أستطيع قوله هو أن تسعين في المئة من الدول العربية عندها الرغبة الأكيدة في عودة مصر للصف العربي، ولكنها تتمسك بإشكال إجرائي وهو أن يُتخذ القرار جماعياً كما يُتخذ قرار المقاطعة في بغداد، ولا أعتقد أن هذا أمر ضروري، فكثر من هذه الدول تربطها علاقات حميمة مع مصر.

«التضامن»: هل ممكن من خلال إعادة العلاقات الثنائية أن تتم عودة مصر؟

الرئيس جعفر نميري: نعم... وبسرعة جداً. ومصر لا تتمسك بضرورة إرسال سفير مصري لأن عندها في كل بلد مئات السفراء.

«التضامن»: ما هي آخر أنباء زيارة الرئيس حسني مبارك للعراق؟

الرئيس جعفر نميري: إنهم يجّهزون له الزيارة. وأعتقد أن زيارته للعراق تعطيه دعماً مطلوباً في هذه المرحلة التي تعيشها المنطقة. وهذه من حسنات حسني مبارك الذي لم يوقف مطلقاً دعمه للعراق بالرغم مما يلقاه من بعض العرب.

«التضامن»: هل يمكن أن نُحدّثنا عن جولتك المقبلة التي ستشمل إيطاليا وفرنسا والولايات المتحدة وما

فيها من مسائل على الصعيد السياسي؟

الرئيس جعفر نميري: أمل أن يكون في الجولة كثير من الفوائد للسودان سياسياً وإقتصادياً وسنعمل من خلالها على شرح وجهات نظرنا في القضايا الكثيرة التي تهمنا لا سيما بؤر التوتر من حولنا، والقضية العربية وما يكتنفها من تطورات. كما سنشرح إتجاهنا الإسلامي وإنعكاساته على معاملاتنا الإقتصادية إذ أننا حرّمنا الربا في البنوك ولذلك سيكون للوفد المرافق لي نشاط إعلامي واسع في هذا الإتجاه.

وفي أميركا سأركز - إلى جانب هذه القضايا - على قضية التنمية في بلادنا وسوف أضع بين أيدي المسؤولين هناك مشروعاً كبيراً مشتركاً بيننا وبين مصر وقد مهدت لذلك. ثم نطرح مشروع خزان مروي وهذا خزان كبير جداً لا يقل عن السد العالي وتستفيد منه مصر كذلك لأن السد العالي لم يعد يسد تطلعاتها، وتكلفته حوالي مائتين وخمسين مليون دولار، ويوفر مزيداً من المياه لمصر والسودان، كما يولد طاقة كهربائية قدرها حوالي ستمائة ميغاواط، وهو من مشاريع التكامل ولقد طرحه الرئيس حسني مبارك مع الرئيس ريغان وأوضح له بأنني سأحضر بالمزيد من التفاصيل.

«التضامن»: يبقى سؤالي حول وزير الطاقة الدكتور شريف النهامي وكيف تُسند له مثل هذا المنصب

الحساس مع أنه ينتمي إلى فئة سياسية معيّنة.

الرئيس جعفر نميري: إنني عندما أولي ثقتي شخصاً ما فإنني أوليه الثقة الكاملة. ويأخذ عليّ البعض هذا

التصرف، ولكن تقديري هو ألا أحجب الثقة إلا عمن يؤكد إنه لا يستحقها. والدكتور شريف التهامي رجل كفؤ. وهو أساساً جيولوجي وكان يعمل في مصلحة الجيولوجيا. وقد طرده الشيوعيون في بداية الثورة، وهو رجل أنصاري ولكنه لم يتآمر ضد السودان ولم يتحالف مع ليبيا، وهذه من الأسباب التي إختارناه من أجله للوزارة.

وعندما حاول الصادق المهدي أن يدفع الدكتور شريف التهامي للخروج من الوزارة والدكتور عبد الحميد صالح نائب رئيس مجلس الشعب من المجلس أكدت لهما إنني لم أختارهما كممثلين لتنظيم سياسي، فهذا أمر إنتهى عهده، ولقد قال لي الدكتور التهامي إنه أخطر الصادق المهدي أنه يقدر المسؤولية المعهودة إليه، ويقدر ثقتي فيه حيث أنه مفوض تماماً في إنجاز أعماله ويوقع عن الدولة أهم الإتفاقيات.

وهكذا بقي الدكتور التهامي، بثقتي وبإختياره، في الوزارة. وهو رجل أمين ومخلص. وهو بعد أن أدى القسم أمامي لم يعد منتمياً لأي تنظيم آخر.

إن تقديري للأشخاص لا يعتمد على التقارير إذ لا توجد حواجز بيني وبين الآخرين وأقدر في الأشخاص كفاءتهم وإخلاصهم.

وعلى سبيل المثال إن الدكتور منصور خالد، المتهم بحبه للإنكليز والإستعمار والذي كان البعض يقول عنه بأنه «سوداني إنكليزي»، عينته في أول وزارة في مايو 1969 وزيراً للشباب لأنني وجدته أنسب شخص لذلك وعمل معي بعد أن عرف أهدافنا وكان بعض الناس يتطوع للحديث إليّ عنه، ولكنني كنت متأكداً من إخلاصه للسودان ومقدرته التنظيمية التي إستعنت بها أيضاً في وزارة الخارجية وفي رئاسة الجمهورية. وعندما بدأ الدكتور منصور يتحرك دون إذني قلت له مع السلامة.

وخلاصة القول إن الدكتور التهامي رجل كفؤ ومخلص وأثق به.

«التضامن»: هل معنى ذلك أنه ابن بار؟

الرئيس جعفر نميري: إنه كذلك.

«التضامن»: هل ستسمح بأن يكون هناك إمام للأنصار؟

الرئيس جعفر نميري: لا إمامة بعد الآن، لكن هذا لا يمنع أن يكون هناك إمام عالم من المجتهدين، ولكن ليس بمفهوم الأنصار. فالإمام الغزالي كان إماماً بعلمه وفقهه.

«التضامن»: ما أعنيه أيضاً هو: هل يمكن بما حققته من نهج إسلامي أن تصير الإمام جعفر؟

الرئيس جعفر نميري: لا يصح أن تكون الإمامة وفقاً على الحاكم لأنه يحجبها عن الآخرين في حين أن المجتهدين كثيرون. ولا أعتقد أنه قد آن الاوان لكي نسمي الإمام في هذا العصر بالذات في بلاد المسلمين، ففي إيران مثلاً إتخذت معنى آخر.

كما ان مثل هذه التغييرات تقتضي تعديلات جذرية في الدستور والرجوع إلى المؤتمر التأسيسي للإتحاد الإشتراكي السوداني الذي أقر نظام الحُكم كجمهورية رئاسية.

نُشر الحوار في مجلة «التضامن»

بتاريخ 12 نوفمبر/ تشرين الثاني 1983

نص رسالة الرئيس جعفر نميري إلى وزرائه وكبار المسؤولين في الدولة في شأن الإمتناع عن تناول الخمر

بسم الرحمن الرحيم

ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾

رَبِّ أَوْزَعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(إن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال ثم علموا من القرآن ثم علموا من السنة)

إن الشمول المعجز للإسلام كدين وعقيدة إنما تجسد في إستيعابه لما سبقه من شرائع وأديان، وإعترافه برسالات بشر بها الأنبياء والرسول.

إلا أن شمول الإسلام وإن كان إستيعاباً لما سبقه، إلا أنه بالنص والجوهر كان جامعاً مانعاً لإضافات تنال من مبادئه، دون حجب على الإجتهد في رحاب الكتاب والسنة وفيما إستتته الرسول الأمي (ص) نهجاً في حياته ومنهجاً في حكمه، مما يعد تراثاً لحملة الأمانة في كل زمان ومكان.

والأمانة في نهج الرسول (ص) ومنهجه، كانت فيما أخذ نفسه به كمثال وقوة.

تمرد على الموروث حين تعالى على عبادة الأصنام بمذلولها الحسي كأحجار لاتضر ولا تنفع ثم بمذلولها الإجتماعي بحسبانها رموزاً تختلف ولا تأتلف، فكان بتمرده، فدعوته فجهاده، تحريراً لإرادة الإنسان من قيود الإلتواء الأضيّق، إلى الأخاء في الله، مودة ورحمة حيث التواصل بين الناس واجباً وفريضة.

ولقد كانت الأمانة في نهج الرسول (ص) ومنهجه هي ما وجده الناس منه.

فما كان ليكابري في حق، وما كان ليجادل في باطل وما ظاهر قوياً لقوته، ولا إستضعف ضعيفاً لضعفه وإنما كان نصيراً للقوي حتى يأخذ الحق منه، كما كان ظهيراً للضعيف حتى يأخذ الحق له، لم يكن الحب في شرعته مرادفاً للمحابة، فأثر أمته على عشيرته وأثر أهله على نفسه، وما رأى فضلاً لعربي على عجمي إلا بالتقوى، ما فاضل بين الناس لكرم عزق أو أصالة منسب، أو سعة رزق أو وفرة مال، وإنما الناس عنده سواسية كأسنان المشط، فيما يأخذون ويؤخذون.

ثم كانت الأمانة في نهج الرسول (ص) ومنهجه هو ما وجده الناس فيه.

حيث كان الرحب صدراً، الرحيم قلباً، العف لساناً، المستقيم مسلماً، العادل حكماً، الحازم حكماً، الأمين عهداً، الوفي وعداً، المتواضع في غير ذلة، القادر في غير صلف، المتسامح في غير تهاون، الكابح لأهواء نفسه فما أخذ رعيته إلا بما هو دون ما أخذ نفسه به، فما كان مستأثراً بمغرم، ولا كان طامعاً فيما لا يستحق لا يخطو إلا لحكمة، ولا ينكص إلا لحكمة، لا يتعالى على نصيح، لا يترفع على شورى، يراجع نفسه، قبل أن يراجع غيره، لا يعالج هفوات حسبت عليه بالإنكار أو التقاضي وإنما كان يأخذ نفسه به مأخذ النادم عليها.

تلك تأملات في سيرة نبي حمل الأمانة وتحمل تبعاتها، فجاهد نفسه قبل أن يجاهد لدعوته، فإنتصر لأمة كانت قبله تمزقاً وشتاتاً.

ولقد كان بما أُوحى إليه داعياً للتفكر في خلق السماوات والأرض وفي أنفسنا كمدخل لتحمل الأمانة أمانة إيمان بما أمرت الشرائع وأقرب الأديان.. أمانة الراعي المسؤول عن رعيته، لا بما يتطلع إليه منها وإنما بما يتمثل فيه للرعية، نموذجاً وقُدوة، مسلكاً وخلقاً.

وإذا كنا دون الرسول مكاناً ومكانة، فإن ذلك ليس عذراً لكي نتطلع إلى نهجه ومنهجه عليه أفضل الصلاة والسلام، بإعتباره كملاً منشوداً فيما تأخذ أنفسنا به، قبل أن نأخذ الناس لقصور بلوغه. ولقد بشرتُ غير مرة، بأن الرجل العام هو ملك عام.

كما حذرتُ غير مرة بأن القيادة إنما هي موقع مرصود للمحاسبة والمؤاخذه، بما يتعالى على الأداء وعثراته، إلى الملك الشخصي لو شابهته الهفوات أو الأخطاء، ذلك أن الأخطاء بالنسبة للقيادي في مسلكه إنما هي خطايا وبما توحى به بالنسبة لمن هم دونه بإعتبارها تكاملاً وليس تناقصاً مع ما وصل إليه.

إن الأمانة لا تتجزأ، ذلك أن غفة اللسان وطهارة اليد، وبقطة الضمير، ونقاء السريرة، ووضوح الفكر، وكفاءة الأداء، إنما هي جميعاً مقومات تتكامل لدى القيادة القادرة على حمل الأمانة وتحمل تبعاتها وأن إنتقاء أي منها إنما هو إنتقاص من القدرة كما أنه تشويه للقدوة التي ينبغي أن يكونها القيادي مهما خلصت نواياه، ومهما بلغ جهده.

وإذا كنت بمقدرة البشر لا أتطاول على مكامن النفس بما تخفي وتبطن فإنني لن أكون محايداً بالنسبة لما هو ظاهر وملموس. ولهذا فإنني لن أجد لنفسني بعد الآن عذراً، إذا ما قبلتُ في مَنْ يعاونني إيجاباً في مسلكه، ذلك أنني لن أستطيع أن أواجه بالصفح والتقاضي، وعلى هذا فإن الخيار أمام القيادي المسلم هو: إما أن يكون قدرة على مغالبة أهواء نفسه... أو أن يكون شجاعاً في طلب التنحي.

وعلى مدى أسبوعين من الآن... هناك مساحة من الوقت للفكر والتدبر أمام إختيارين بلا ثالث: إما عهد ووعد بتجنب الخمر ومثيلاتها وما دونها من النواقص. وإما إعتذار أقدِّره وأقبله عن المشاركة في حمل الأمانة وتحمل مسؤولياتها.

ولسوف أكون بعد إستلام الرد وليس قبله عيناً ترصد الصادقين للعهد، الحائثين الوعد لأكون للأولين نصيراً، وللآخرين أميناً مع عقيدتي وشعبي وضميري، فأضعهم حيث أرادوا لأنفسهم بمنأى عن الأمانة.

مقابلة مع الرئيس جعفر نميري (2)



هل يستعدون لثيافورين؟

«الثيافورين» هل يمكنهم أن يستعدوا لثيافورين؟ سؤال يطرحه البعض في ظل الأوضاع السياسية والاقتصادية التي يمر بها السودان. الرئيس جعفر نميري، في مقابلة مع «الشرق الأوسط» أجاب على هذا السؤال، مؤكداً أن السودان لن يستعد لثيافورين، بل سيعمل على تطوير العلاقات مع جميع الدول، وخاصة مع مصر، التي تعتبر من أهم دول المنطقة.

وقال نميري: «السودان لن يستعد لثيافورين، بل سيعمل على تطوير العلاقات مع جميع الدول، وخاصة مع مصر، التي تعتبر من أهم دول المنطقة. السودان لن يستعد لثيافورين، بل سيعمل على تطوير العلاقات مع جميع الدول، وخاصة مع مصر، التي تعتبر من أهم دول المنطقة.»



الرئيس جعفر نميري في مكتبه في الخرطوم.

اي حزب يفوز في انتخابات مصر لابد ان يعنى تطوير العلاقة مع السودان

«الرئيس جعفر نميري له التضامن»

الرئيس جعفر نميري، في مقابلة مع «الشرق الأوسط» أجاب على سؤال حول موقف السودان من الانتخابات المصرية، مؤكداً أن السودان لن يتدخل في الانتخابات، بل سيعمل على تطوير العلاقات مع جميع الأحزاب السياسية في مصر.

وقال نميري: «السودان لن يتدخل في الانتخابات المصرية، بل سيعمل على تطوير العلاقات مع جميع الأحزاب السياسية في مصر. السودان لن يتدخل في الانتخابات المصرية، بل سيعمل على تطوير العلاقات مع جميع الأحزاب السياسية في مصر.»

10 AT-ADDABIAN

١٢

١٣

١٤

١٥

١٦

١٧

١٨

١٩

٢٠

٢١

٢٢

٢٣

٢٤

٢٥

٢٦

٢٧

٢٨

٢٩

٣٠

٣١

٣٢

٣٣

٣٤

٣٥

٣٦

٣٧

٣٨

٣٩

٤٠

٤١

٤٢

٤٣

٤٤

٤٥

٤٦

٤٧

٤٨

٤٩

٥٠

نميري المصري ومصر السودانية



الرئيس جعفر نميري يستمع إلى سؤال عن مصر وغيرها من فؤاد مطر

يكاد التناقض الذي تكبُر دائرته يوماً بعد آخر بين مصر والسودان يبدو كما لو أنه أغرب تناقض من نوعه.

وعلى رغم هذا التناقض فإن العلاقة تزداد وثوقاً كلما إزدادت دائرة التناقض إتساعاً. ولقد كان ملفتاً للإنتباه أنه بينما يتجه الحُكم في السودان نحو التجربة الإسلامية فإن الحُكم في مصر يزداد تمسكاً بتجربة العلمانية، وبينما يصر الحُكم في السودان على إنهاء التجربة الحزبية فإن الحُكم في مصر يعيد بعث الحياة الحزبية.

وبما أن بين البلدين سعياً من أجل تحقيق التكامل وأن إنتعاش تجربة العمل الحزبي في مصر من شأنه أن يؤثر في شكل أو في آخر على العلاقة مع السودان، فإن «التضامن» سألت الرئيس جعفر نميري -ضمن حديث أجرته معه - أن يوضح تصويره.

في ما يأتي نص الحديث:

«التضامن»: هل تتابعون الإنتخابات المصرية؟ وهل تتوقعون بعض المفاجآت؟ وإذا حدثت مفاجآت من نوع فوز الوفد والإخوان المسلمين وتحقيق اليسار والناصرين مكاسب غير متوقعة، هل سينعكس ذلك على علاقاتكم مع مصر؟ وإستطراداً لهذا السؤال يُفترض أن الإخوان المسلمين والتيار الإسلامي في مصر هو الأقرب لكم على أساس النهج الإسلامي الذي بدأتكم العمل به في حين أنكم عملياً مع التيار المعاكس، فكيف يتفق ذلك؟

الرئيس نميري: إنني شخصياً أعتقد أن أي حزب في مصر يفوز في الإنتخابات فإنه - قدراً ومصيراً - لا بد أن يسعى لمتتين العلاقات القوية مع السودان.

إن أثر السودان على مصر أكبر من أثرها عليه، وحتى أن كسب الشيوعيون الحُكم في مصر فإنهم سيستشعرون الخطر إذا لم تكن علاقاتهم حميمة مع السودان.

إننا نعلم أن هناك نغمة مصرية يسارية ضد التكامل، ونحن لم نرُد عليهم، ولكن أتمنى أن يفوز هؤلاء ويعلنوا رفضهم للتكامل ليعرفوا عما إذا كانوا سيستطيعون الإستمرار في الحُكم لأكثر من أسبوع أو أسبوعين. إنني أدرك أنه ليس ثمة فرصة للوفد والاخوان وكل المعارضة مجتمعة في أن تكسب الانتخابات، ومن أهم أسباب ذلك محاولاتهم للتشكيك في التكامل والعلاقات المصرية - السودانية. فالشعب المصري يدرك تماماً ويقدر العمق التاريخي لهذه العلاقات الأزلية وليس هناك مجال للتلاعب في الروابط المصرية - السودانية. فهي ليست روابط حكومات وإنما هي تضرب في أعماق التاريخ منذ أن كان وادي النيل دولة واحدة وحضارة واحدة. إن بعض أحزاب المعارضة واليساريين بالذات يطرحون شعارات ضد التكامل مستهدفين النيل من رئيس السودان لأنه العائق الأكبر أمام تقدّم الشيوعية ولأن الشريعة الإسلامية عدوهم الأول ولكن ليس هناك فئة يمكن أن تحكم مصر من غير أن تكون على علاقات حميمة مع السودان. أما عن التيارات الإسلامية، فنحن ضد التطرف، وفي السودان فإن أسلوب الكلمة هو الأفضل، وأسلوب العصا لا يجدي، والتطرف مرفوض رفضاً باتاً ولا علاقة لنا به أبداً.

«التضامن»: ونحن على أعتاب شهر رمضان الكريم، هل سيصوم المعتقلون السياسيون في بيوتهم ووسط ذويهم أم حيث هم في السجن منذ بضعة أشهر؟

الرئيس نميري: السجناء السياسيون أو الذين وقفوا ضد الشريعة الإسلامية سيقدمون لمحاكمات قريباً، فإذا كانوا أبرياء فسيصومون حيث يشاؤون وإذا حُكم عليهم فمصيهم وفق الحُكم.

«التضامن»: هل سيحاكمون أمام محاكم الطوارئ؟

الرئيس نميري: نعم، أمام محاكم الطوارئ، وهي محاكم عادلة تختلف فقط في طريقة اجراءاتها عن المحاكم الأخرى.

«التضامن»: بالنسبة إلى أحكام محاكم الطوارئ التي تصدر يوماً بعد آخر، هل إنكم مطمئنون ومرتاحون لعدالة أحكامها؟

الرئيس نميري: أنا مطمئن إلى هذه العدالة، وأعتقد أنها أفضل عدالة مرت على السودان والمحاكم السودانية، لأن فيها سرعة البت في القضايا وسرعة التنفيذ في الأحكام. وأعتقد أن هذا نوع من العدالة، لأن محاكمنا مرت على تجربة عجيبة، فقد تتأخر القضايا لسنوات مما يلحق الضرر بكل أطراف القضية وبالمجتمع عموماً، ولذلك فإن محاكم الطوارئ عادلة مائة في المائة وأكثر من عادلة. ويتأس هذه المحاكم خيرة القضاة ومعهم خيرة الأعضاء، وكلهم متبحرون في الفقه الإسلامي ويستطيعون أن يتعاونوا على أي فتوى.

«التضامن»: نحن على أعتاب الذكرى الخامسة عشرة لثورة 25 مايو. وفي ظل الأجواء التصوفية التي تعيشونها، هل يمكن أن تروي لقرأ «التضامن» بعض الدروس المستفادة من تجربة الثورة؟

الرئيس نميري: الحديث عن الثورة قد يطول، لأنني أشعر أنه بالرغم من أن هناك ثورات عديدة في العالم إلا أنها لم تتجح في التأثير على المواطنين في بلادها بقدر تأثير ثورة مايو والتي حققت تراثاً كثيراً وجيداً وأدباً للثورات نادراً ما يتوفر في هذا العصر، وقد حفظنا فيه كل تجربتنا، من غير خوف أو خجل من السلبي أو الإيجابي. وميزة الثورة أنها إعتمدت على القاعدة، فحتى هذه اللحظة، التي يتحدثون فيها عن حرب عصابات داخل السودان وهجوم من دول أخرى علينا فإننا لم نضع القدرة العسكرية للثورة في المقام الأول، وإنما أولينا الأسبقية الأولى للوحدة الوطنية والترابط في الجبهة الداخلية وذلك بتغيير كل مفاهيم الحياة التي كانت سائدة

قبل الثورة، وهو ما منحها القدرة على الإستمرار والتواصل. ومن أهم ما أنجزته الثورة أنها نفّذت كل شعار رفَعته. ربما أحياناً بأسلوب يختلف عن مفاهيم بعض الناس، ولكنه يرضي طموح الشعب السوداني. وقد إعتمدت الثورة على الديمقراطية، حتى أنها غيّرت إسم السودان لـ «جمهورية السودان الديمقراطية» والديمقراطية التي نمارسها مقبولة لكل جماهير الشعب، ولكنها ربما لا تُقبل أو لا تُفهم من بعض البلاد العربية أو الأفريقية والتي قد تشبهنا في كثير من أوجه الحياة. إن ديمقراطيتنا موجهة للفرد فهو الدولة وهو المعارضة وله الحق أن يتحدث في أي موضوع مؤيداً أو معارضاً وهذه سمة مؤسساتنا التشريعية، حيث لا حكومة أو معارضة وإنما أسلوب فريد في العمل البرلماني، يتيح لكل فرد أن يطرح آراءه بالأسلوب الذي يراه مناسباً.

ومما تفرّدت به الثورة، وقد تنتفع به الدول الأخرى لاسيما في العالم الثالث، هو رُفُضنا لما يسمى بالأحزاب أيّاً كانت، وقد وصل بنا الحد أن نرفض حتى إسم الحزب الواحد ولكننا نجحنا في إستقطاب الجماهير في وعاء واحد سميناه «التنظيم السياسي» ولم نجعل الإنتماء له حكراً للصفوة وإنما جعلناه مفتوحاً لكل من يريد الإنضمام له ، حتى ولو كان عدواً لأنه هو التنظيم الوحيد الذي يستطيع أن «يؤدب» كل من يحاول أن يعيث بمصالح الوطن، والانتخابات داخله حرة ومباشرة، ولذلك أفرز قيادات جديدة حيث تساقطت قيادات الأحزاب القديمة بالديمقراطية الشعبية.

ونحن نتمتع بحرية كاملة تساوي بين كل المواطنين، وأنا شخصياً كرئيس للدولة، أقابل من أشاء ويستطيع كل من يشاء لمقابلتي، واستشهد بإضراب الأطباء الذي إمتد لأسبوعين أو أكثر، فحين طلبت نقابتهم مقابلتي فتحتُ لهم الباب وبعد جلسة قصيرة معي إقتنعوا وخرجوا ودعوا زملاءهم للعودة للعمل ونحن نتمسك بمبدأ عدم الإستسلام للضغوط مهما كانت. وحين أضرب الأطباء برهنّا لهم أنهم ليسوا قوة ضاغطة لأنه في الخرطوم وفي كل أنحاء السودان إستطاع السلاح الطبي وبعدد قليل من الأطباء أن يسيّر العمل وبصورة أحسن. وحين حدث الإضراب كان اليساريون يعتقدون ان هذه بداية إنهيار نظام نميري، جاهلين أن النظام في السودان ليس نظام نميري، وأنا لست مثل القذافي.

والنظام السوداني ليس كالأنظمة التي تتداعى بزوال رئيسها مثلما حدث في غينيا. فمن حسنات نظامنا بالإضافة إلى الحرية والديمقراطية، ان السلطة موزعة توزيعاً عادلاً وأن الجماهير تشترك في السُلطة بفعالية عبر مجالس نيابية منتخبة في الأقاليم، ومجلس شعبي قومي يمثل كل فئات الشعب تمثيلاً صادقاً، وتوصياته ملزمة لنا لأنها صادرة عن عمل وطني نظيف وليست نتيجة مناورات سياسية أو مؤامرات.

ولدينا تراث عظيم من التشريعات التي صدرت من مجلس الشعب القومي، والتي أوصلتنا إلى التشريعات الإسلامية، والتي هي أفضل التشريعات في العالم، فمنذ أن وضعنا في الدستور أن الشريعة هي المصدر الأساسي للتشريع أزلنا من القوانين كل ما يعارض الشريعة الإسلامية لأنها السبيل الوحيد الذي يمكن أن يقودنا إلى المجتمع المثالي الذي ننشده.

ومن الإنجازات البارزة للثورة أنها أفرزت أعداداً كبيرة من الشخصيات القيادية وفتحت الباب على مصراعيه لنقلد المراكز القيادية، ومن مبادئنا أننا لا نعتد على الشهادات المدرسية وحدها، فنحن نحترم الشهادات، ولكننا نحترم أيضاً شهادات الحياة والعمل الميداني.

ومن محاسن الثورة أيضاً أنها أرست علاقات حسنة مع جيرانها، واتخذت سياسة خارجية تستهدف تحقيق الأخاء والزمانة والأمن والسلام والإستقرار مع الآخرين. وفي وقت ما كنت أنا شخصياً عضواً في خمس لجان مصالحة تعالج المشاكل بين دول عربية وأفريقية.

كما أن الثورة قد إعتمدت طريق التنمية كأسلوب للتقدم رغم ما يعترضه من عقبات ومخاطر، وقد حققنا

في هذا المجال نجاحات واضحة. كما أننا إهتمنا بوسائل الإتصال بالعالم الخارجي، وكانت محطة الأقمار الصناعية التي أنشأناها هي الثانية من نوعها في الوطن العربي كله لم يسبقنا إلا لبنان وحقت لنا الإتصال مع العالم الخارجي، وشجعت المستثمرين على الإستثمار في السودان لأن سُبُل الإتصالات فيه سهلة للغاية ونحن الآن في سبيل إنشاء محطة أخرى..

«التضامن»: إستكمالاً لحديثكم عن التشريعات الإسلامية، فقد كان ملفتاً للإنتباه تعيينكم يوسف ميخائيل بخيت (وهو مسيحي) كمستشار قانوني لكم، هل تشاركوننا الإستغراب؟

الرئيس نميري: نحن في السودان لا نشعر بأن هناك مسلماً ومسيحياً إلا حين يتحدث عنا الناس في الخارج، فنحن كمسلمين لا نفرق بين الأديان، فالإسلام يبشر بأن من لا يؤمن بالمسيحية ليس مسلماً وكما قلت قبل قليل لبعض زواري فإن سفيرنا في واشنطن إسمه عيسى JESUS وسفيرنا في جدة إسمه محمد، وهناك تعيين سفير في الخرطوم إسمه موسى، وجميعهم مسلمون وهذا يعني أننا نعترف بكل الأديان، ولكن أسلوب هذه الأديان الآن ليس هو الأسلوب الذي تعلمناه من القرآن، فهناك أشياء خُلقت دنيوية لا نرضى بها، مثل تعديل الإنجيل ومثل «التثليث» الذي لا نتفق معه، ونعتقد أنه شيء وضعي.

«التضامن»: ولكن المستشار المسيحي من أجل أي قوانين؟

الرئيس نميري: لكل القوانين، بما فيها القوانين الإسلامية. فهو أولاً قانوني وعالم ولكنه مسيحي، وهو بما جاء في القوانين الإسلامية ويعترف بها ويعتقد أنها من القوانين المتقدمة، وهذا أمر ليس جديداً، فكلنا يذكر أنه كان هناك قانونيون فطاحلة في مصر يستشهدون بالقرآن وخير مثال على ذلك القانوني مكرم عبيد.

«التضامن»: هل بحثتم أمر إستئناف شركة شيفرون للتنقيب عن البترول أعمالها مع السيد شستر كروكر مساعد وزير الخارجية الأميركية الذي إستقبلتموه اليوم (8 أيار/ مايو 1984)؟ وهل أن الولايات المتحدة مقتنعة مثل شيفرون بأن الدكتور قرنق يمثل تهديداً لإستقرار السودان، وهل يمكن أن يصل الأمر حد البحث عن شركات بديلة لشيفرون لإستئناف العمل؟

الرئيس نميري: إن مندوب الولايات المتحدة السيد كروكر يزور السودان لأول مرة، والهدف من زيارته الدراسة وليس إتخاذ قرارات. ولذلك كان يستفسر ويستمع ولم يحمل لنا من أميركا أي رأي حول أي من شؤون السودان. وقد قابل عدداً كبيراً من المسؤولين وإختتم مقابلاته بمقابلتي وكان يستمع أكثر مما تحدث.

وفي مقابلاتي - ولأنني على علم بهدف زيارته - أردت أن أزوده بالحقائق كاملة. فالولايات المتحدة ليست لها سياسة ثابتة في السودان أو في أفريقيا، فالبرغم من إسمها الكبير فإنه ليس ثمة مقارنة بين النشاط الأميركي والسوفيياتي في المنطقة، فلإتحاد السوفيياتي إستراتيجية واضحة يراجعها يوماً بيوم وشهراً بشهر وسنة بسنة، بينما الولايات المتحدة تتحرك بردود الأفعال، ورد الفعل قد يكون أحياناً مبنياً على معلومات خاطئة أو مضللة.

وقد شرحتُ له أسباب تقسيم الإقليم الجنوبي، مؤكداً أنها من صميم روح إتفاقية أديس ابابا، وأنه إستجابة لرغبة السكان في الجنوب، وفندتُ مزاعم تعريب أو «أسلمة» الجنوب مؤكداً له أن الإسلام لم ينتشر مطلقاً بالقوة، وإنما بالقُدوة والمعاملة الحسنة، وشرحتُ أسباب إعلان حالة الطوارئ مشيراً إلى أن حالة الطوارئ معلنة في بعض الدول منذ عدة سنوات من دون أن تثير كل هذا الجدل الذي أثير حول السودان، وقد جاء الإعلان متمشياً مع الدستور، وسيناقشه مجلس الشعب وفق الإجراءات الدستورية ويوصي بالإبقاء على حالة الطوارئ أو إلزالتها..

وأكثر الحملات شراسة وُجِهت إلينا للأسف الشديد من صحافة الخليج ولديها أسبابها، إذ أن اليساريين - وبعضهم سودانيون - لهم أثر كبير عليها..

«التضامن»: وبالنسبة لشيغرون؟

الرئيس نميري: إن شيغرون - كشركة مدنية - قد أصابها الهلع من التهديدات التي وصلتها من العمليات الإرهابية التي نفّذوها ضد المتمردين، ومن بعض مواقعها، فأصبحت متخوفة، وطالبت بقدرات أمنية ليس من السهل توفيرها، فالدول الكبرى نفسها عاجزة عن مواجهة الإرهاب، وأميركا فقدت كنيدي بالرغم من الحصار الأمني المضروب حوله وكادت تفقد الرئيس ريغان بسبب الإرهاب، والإتحاد السوفياتي عاجز عن السيطرة على كابول في أفغانستان، وكابول مدينة وليست غابات وأحراشاً.

إلا أن شيغرون الآن قد بدأت تتفهم الوضع وبدأوا في العمل في بعض المواقع بحفر ثماني أبار جديدة في مناطق المجلد وبابنوسة، كما أن الشركة الموكّل إليها تنفيذ خط الأنابيب قد بدأت تجهيزاتها.

نُشر الحوار في مجلة «التضامن»

بتاريخ 26 مايو / أيار 1984

مقابلة مع وليّ عهد الكويت

الشيخ سعد العبد الله (1)



رؤية مستقبلية للشيخ سعد العبدالله: أمن العرب بأيديهم وخلافاتهم مقتلهم



ولي عهد كويت ورئيس مجلس الوزراء سعد العبدالله يتحدث إلى الصحفي والكاتب فؤاد مطر

في كل مرة إلتقيت فيها ولي عهد الكويت الشيخ سعد العبد الله خلال السنوات الأخيرة كنت أشعر كم أن إستقرار الأوضاع في منطقة الخليج كان بالنسبة إليه دائماً هاجساً حقيقياً. وبعد الانفجارات الأخيرة التي شهدتها الكويت وتزايد غيوم الخطر في سماء المنطقة نتيجة دخول الحرب العراقية - الإيرانية عامها الرابع تأكد لي أن هاجس الشيخ سعد له ما يبرره.

ولقد وجدت نفسي عندما إستقبلني الشيخ سعد في مكتبه الأسبوع الماضي (مارس/ آذار 1983) لإجراء أول حديث معه لـ «التضامن» (حيث أن الأحاديث الماضية الكثيرة نُشرت قبل أن ننشئ «التضامن» في لندن منذ حوالي سنة) أنظر من نافذة مكتبه في مبنى رئاسة مجلس الوزراء الذي يطل على مياه الخليج وأقول: هل أن هذا البحر الجميل سيبقى هكذا بحر سلام، أم إننا في ضوء ما يحدث في المنطقة قد نصل إلى وقت تمتلئ فيه مياه هذا البحر بأساطيل الدول الأجنبية؟

وأجابني إن تقدير المسؤولين العرب لخطورة الوضع وتحسسهم بجسامة المسؤوليات والتشاور في ما بينهم وإنهاء الخلافات التي بين بعضهم هي وحدها الكفيلة ببقاء هذا البحر وبحور بقية دول المنطقة هادئة لا تعكر صفو مياهها أساطيل الدول الأجنبية. وعدا ذلك فإن خطر إمتلاء مياه هذه البحار بالأساطيل والمدمرات وحاملات الطائرات سيبقى ماثلاً أمام أعيننا.

ويضيف الشيخ سعد: إن كل مسؤول يدرك ذلك ومع هذا تستمر هناك خلافات وهي خلافات تبدو كما لو أنها دعوة هذه الأساطيل إلى تعكير صفو مياه بحارنا وتعكير إستقرارنا.

وفي هذا الحديث تناول الشيخ سعد بالتبسيط البعيد النظر الأمور الداخلية والخارجية والمخاطر التي

تهدد منطقة الخليج من جرّاء استمرار الحرب العراقية - الإيرانية.

وفي ما يأتي أسئلة «التضامن» وأجوبة الشيخ سعد عنها:

«التضامن»: يعيش العالم العربي عموماً ومنطقة الخليج بوجه خاص أوضاعاً بالغة الدقة. ما هو تصوّرُكم لما يمكن أن تتطور إليه هذه الأوضاع وهل أنتم قلقون من التطورات المحتملة وما الذي أعددتُموه لمواجهة المخاطر المحتملة الحدوث؟

الشيخ سعد: هذه الأوضاع التي تشير إليها ناشئة عن الحرب العراقية - الإيرانية التي لا تزال في تصاعد خطير منذ أن بدأت في سبتمبر (أيلول) 1980.

وفي الأشهر الماضية تمت إجتماعات دولية وإقليمية وإسلامية إتخذت فيها قرارات وتوصيات تتنادي الطرفين المتحاربين للتوصل إلى صيغة لوقف إطلاق النار وحل المشاكل بينهما عن طريق التفاوض والتفاهم. وقد إستجاب العراق الشقيق لما نادى به المؤتمرات المشار إليها وأعلن إستعداده لتبني وتنفيذ التوصيات والقرارات الخاصة بوقف إطلاق النار والدخول في مفاوضات مع إيران تهدف إلى توفير الإستقرار للدولتين وللمنطقة عموماً والإتفاق على عدم تدخّل كل دولة في شؤون الدولة الأخرى.

وفي الإجتماع الأخير الذي عقده وزراء خارجية الدول العربية إنتهى الإخوة الوزراء إلى توجيه نداء إلى المسؤولين الإيرانيين لوقف إطلاق النار والتوصل إلى صيغة للتفاهم مع العراق. وما زلت آمل في أن تستجيب إيران لهذا الطلب الموجّه إليها من وزراء خارجية الدول العربية وفي أن تتفهم بأن استمرار الحرب وتصاعدها بالشكل الخطير الذي تتصاعد فيه سوف يفتح الباب أمام أكثر من طرف للتدخل في شؤون هذه المنطقة الحيوية من العالم. ونحن كدول في هذه المنطقة لا نريد ولا نقبل من أي طرف أن يتدّرع بالحجج للتدخل في شؤون المنطقة سواء الآن أو في المدى البعيد.

«التضامن»: هل تأخذون على محمل الجد تهديدات إيران بإغلاق مضيق هرمز؟

الشيخ سعد: لا نعتقد ولا نتمنى أن تجري أي محاولة لتنفيذ التهديدات المنسوبة إلى بعض الأوساط في إيران لأن إغلاق هذا الشريان الحيوي يُلحق أبلغ الضرر بكافة دول المنطقة ومن بينها إيران وبلدان العالم أجمع فضلاً عن أن هذا العمل سيشكّل إنتهاكاً خطيراً لحرية الملاحة الدولية.

«التضامن»: ما هو رأي سموكم موقف الدول العربية إذا حدث أن أصبحت سيادة العراق مهددة؟

الشيخ سعد: أكرر هنا ما سبق أن أشرتُ إليه بالنسبة إلى نداء وزراء الخارجية العرب الذين إجتمعوا مؤخراً في بغداد إلى إيران من أجل وقف إطلاق النار. وأضيف إلى ذلك أمنية من القلب وهي أن تقدّر إيران دقة الموقف لما ناشدتها إياه الدول العربية.

وفي الوقت نفسه إننا وغيرنا في المنطقة نتابع تطورات الحرب العراقية - الإيرانية، وإذا ما حدّث أن أصبحت سيادة العراق الشقيق مهددة بصورة مباشرة فإن ذلك التطور الخطير سيكون من غير شك موضع بحث وتشاور عربي ودولي على أعلى المستويات. وعلى الصعيد العربي بصورة خاصة هناك إتفاقية الدفاع المشترك وهناك القرارات المتخذة في مؤتمر القمة والتي تلتزم بها الدول العربية.

«التضامن»: هل ستفعلون شيئاً يساعد على إعادة مصر إلى عضويتها في الجامعة العربية بعدما

إستعادت عضويتها في منظمة المؤتمر الإسلامي؟

الشيخ سعد: نحن نقدر كل التقدير مواقف الشعب المصري والدور المصري النشط في الميادين السياسية والعسكرية والإقتصادية. وبعد أن إستعادت مصر عضويتها في منظمة المؤتمر الإسلامي بناء على القرار الذي إتخذ في هذا الشأن في القمة الإسلامية في الدار البيضاء، فإن المجال الطبيعي لبحث هذا الأمر هو في مؤتمر

القمة العربي المقبل.

«التضامن»: بدأت معركة إنتخابات رئاسة الجمهورية في الولايات المتحدة. هل تحبذون أن يجدد الرئيس رونالد ريغان الولاية أم أنكم تفضلون مرشحاً آخر عليه. وما هي المواصفات التي تريدونها في هذا المرشح؟

الشيخ سعد: من يكون رئيساً للجمهورية في الولايات المتحدة أو من يأتي رئيساً للجمهورية في عملية الإنتخاب... ذلك أمر يقرره الشعب الأميركي وإن كان يهم العالم اجمع. ونحن كعرب يهمنا ونتمنى دائماً أن تلقى قضايانا القومية العادلة وفي مقدمتها القضية الفلسطينية الإهتمام اللائق لدى الرئاسة الأميركية بما ينسجم مع مبادئ الحق والعدل والمصالح الأميركية - العربية المشتركة. إننا نريد من الرئاسة الأميركية أن تقف إلى جانب الحق في مواجهة المعتدي الذي رفض ولا يزال يرفض تنفيذ قرارات مجلس الأمن، والذي كشف عن نواياه وأطماعه التوسعية... وأعني بذلك المعتدي إسرائيل.

«التضامن»: إستكمالاً للسؤال السابق نسأل سموكم عن الطبيعة الراهنة للعلاقات الكويتية - الفلسطينية وهل إنها على خير ما يرام؟

الشيخ سعد: علاقات الكويت مع الأشقاء الفلسطينيين كانت وستبقى متينة مبنية على الإحترام المتبادل وعدم التدخل في الشؤون الداخلية الفلسطينية وإعتبار منظمة التحرير الفلسطينية هي الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني.

«التضامن»: هل ستساعدون في إعمار لبنان إذا توقفت الحرب، وهل ستفعلون الشيء نفسه بالنسبة إلى العراق وإيران إذا وضعت حرب الخليج أوزارها؟

الشيخ سعد: بالنسبة إلى لبنان الشقيق يهمني التأكيد على أننا نتألم مثل أبناء لبنان للذي حدث لهذا البلد الجميل من تدمير وتشريد وخراب. وفي تقديري إن الذي حدث أكبر بكثير مما يمكن أن يتحملة لبنان كوطن ويتحملة اللبنانيون كشعب. وما أتمناه هو أن يتوصل الأخوة اللبنانيون إلى صيغة لوقف الإقتتال وتحقيق الوفاق بما من شأنه أن يحافظ على وحدة لبنان أرضاً وشعباً. أما ما يتعلق بمسألة إعادة إعمار لبنان فإن الكويت لا يمكن أن تتخلى عن المساهمة مع الشقيقات العربيات في إعادة تعمير لبنان. وهناك في أي حال قرار إتخذ في القمة العربية التي إنعقدت في تونس بشأن إعادة اعمار لبنان.

لكن الأهم من التفكير في مسألة إعادة إعمار لبنان هو أن يوقف الأشقاء اللبنانيون القتال والإتفاق على حاضر البلد ومستقبله.

هذا بالنسبة إلى لبنان، أما بالنسبة إلى الشق الآخر من السؤال فإن ما يمكنني قوله هو أن موضوع المساعدة في إعادة بناء ما دمرته الحرب العراقية - الإيرانية قد تم بحثه في مؤتمرات إقليمية وتم الإتفاق على إنشاء صندوق تساهم فيه كل الدول العربية.

«التضامن»: هل تعتقدون أن هناك إمكانية لوضع مشروع السلام العربي وهو مشروع الملك فهد بن عبد العزيز الذي أقرته قمة فاس موضع التنفيذ؟

الشيخ سعد: لقد تم بحث مشروع الملك فهد في قمة فاس بشكل تفصيلي. ثم جاء الرئيس ريغان بعد ذلك وطرح في الساحة مشروعه. والذي يمكنني قوله في هذا الشأن هو أننا مع أي مشروع يرضى عنه أصحاب القضية وأعني بهم الشعب الفلسطيني.

«التضامن»: ما هو السبب في أنكم لا تزورون الدول الكبرى بإستثناء دول أوروبا؟

الشيخ سعد: إذا كان السؤال موجّهاً لي شخصياً فإن جوابي عن ذلك هو إنه ليس هناك ما يمنع زيارتي

لهذه الدول عندما تسمح الظروف بذلك.

أما إذا كان السؤال عاماً فإن ما يمكنني قوله هو أن مسؤولين كويتين كثيرين قاموا بزيارات لهذه الدول. فقد قام نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية ووزير الإعلام بزيارات للدول الكبرى مؤخراً. كما أن هناك نية لقيام وزير الدفاع بزيارة إلى الولايات المتحدة تلبية لدعوة تلقاها من وزير الدفاع الأميركي وزيارة أخرى للاتحاد السوفياتي تلبية لدعوة تلقاها من وزير الدفاع السوفياتي.

«التضامن»: هل أن الإستقرار في الكويت بخير؟ وهل ستتواصل سياسة شد الحزام؟ وهل هناك احتمال بعودة الإزدهار الإقتصادي في الكويت؟

الشيخ سعد: في الواقع ان حالة الركود الإقتصادي التي تجتازها الكويت نشأت عن عوامل عدة من بينها تدني أسعار النفط وهذا إنعكس على الدخل القومي فضلاً عن أزمة سوق المناخ وإستمرار الحرب العراقية - الإيرانية. وفي اعتقادي أن هذه الأزمة سوف تنتهي وسيعود الوضع الإقتصادي تدريجياً إلى إزدهاره ونشاطه المعهودين. وهناك خطوات قيد الدرس لتحريك الوضع الإقتصادي في الإتجاه الإيجابي. وأما بالنسبة لسؤالك عن الإستقرار في الكويت فأنا أكثر من مطمئن والحمدلله. وأدعو الله أن يديم نعمة الأمن والإستقرار علينا وعلى غيرنا وأن ينعم بها على الذين حرموا منها.

«التضامن»: في ضوء التطورات الأخيرة والإنفجارات التي حدثت والتفاعلات السياسية في المنطقة عموماً، ماهي حدود الديمقراطية والحرية المتاحة في دولة الكويت؟

الشيخ سعد: نحن في الكويت نؤمن أيماناً عميقاً بمبدأ الشورى وتبادل الرأي. وإستناداً إلى إيماننا بهذا المبدأ نتمسك بالنظام الديمقراطي وبالحرية وبمشاركة مجلس نيابي في بلورة تطلعات وطموحات أبناء شعبنا. وفي رأينا إن هذا النظام هو الذي ينسجم مع تراثنا وتقاليدينا ومبادئنا. أما الإنفجارات التي قامت بها فئة عميلة باعت نفسها للشيطان فإنها لن تؤثر على الإستقرار في الكويت. وكما لاحظتم فإن إستنكار وشجب الجميع في هذا العمل كان موضع إستنكار وشجب الجميع في الكويت على إختلاف جنسياتهم.

«التضامن»: هل هناك إعادة نظر في خريطة تحالفاتكم بما يؤمن الحماية للسيادة الكويتية؟

الشيخ سعد: إن حماية السيادة الكويتية تقوم في الدرجة الأولى على متانة وحدتنا الوطنية وصلابة جبهتنا الداخلية... أما بالنسبة للتحالفات فليست لنا تحالفات، وإنما لنا علاقات صداقة وتعاون مثمر مع الجميع. فالتعاون الذي بيننا وبين الأشقاء في الخليج مثالي، والصلات التي بيننا وبين الدول العربية الشقيقة وثيقة وراسخة، وعلاقاتنا مع الدول الصديقة طبيعية وممتينة... وعلى هذا الأساس لا نرى ما يوجب إعادة النظر في هذه السياسة.

«التضامن»: يلاحظ المرء ويسمع وهو في زيارة للكويت أن هنالك قيوداً كثيرة بدأت تفرض على الذين يعملون في الكويت. وفي ضوء ذلك هل لنا أن نعرف ماهي المواصفات المطلوبة في غير الكويتي الذي يعمل في الكويت لكي يعيش بعيداً عن شكوك الولاء للكويت وهواجس الإبعاد من البلاد؟

الشيخ سعد: من المهم التوضيح بأن الإجراءات التي تشير إليها مستجدة وقد إقتضاها حرص الدولة على أمن المواطنين وإستقرارهم. ولا أظن أن نعمة الأمن هي حكر على الكويتيين وحدهم بل انها تشمل كذلك جميع الذين يقيمون على ارض الكويت. ومن الطبيعي في مواجهة الظروف الدقيقة التي تحيط بالمنطقة والوطن العربي أن تتخذ الدولة مثل هذه الإجراءات ذات الطبيعة الوقائية.

ولكن ذلك لا يعني أن نغلق الابواب في وجه من يريد أن يزور الكويت وفي وجه القادمين للعمل في

الكويت، إنما لا بد من توافر الشروط في كل من يأتي إلى الكويت للزيارة أو العمل. ويهمني هنا أن أطمئن الجميع ممن يعملون في الكويت إننا لن نتبع أسلوب البطش والإرهاب والتتكيل مع أحد، لكننا في الوقت نفسه لن نسمح لأحد أياً كان - بأن يقوم بأي عمل يعود بالضرر على الكويت ويؤثر على الإستقرار في الوطن.

«التضامن»: هل أنتم راضون حتى الآن عن النتائج التي حققتها أنشطة مجلس التعاون لدول الخليج، أم إنكم تأملون في شيء أكثر من الذي تحقّق؟

الشيخ سعد: أنا سعيد جداً بكل الإنجازات من قرارات وتوصيات إتخذها مجلس التعاون لدول الخليج منذ إنشائه وحتى الآن. وقياساً بالعمر القصير لهذا المجلس فإن النتائج تبدو طيّبة ويبدو المجلس واعداً ومبشراً بالخير بإذن الله.

لقد إتخذ المجلس قرارات كثيرة وأقدم على خطوات إيجابية كثيرة تتعلق بالتعاون المستمر بين شعوب هذه المنطقة في شتى المجالات من سياسية وإقتصادية وثقافية.

وأنا شخصياً أتمنى أن ينجز المجلس أموراً كثيرة نتطلع جميعاً إلى تحقيقها لكنني في الوقت نفسه أقدر ظروف كل دولة من دول مجلس التعاون وفي الوقت نفسه أبدو متفائلاً جداً بأنه نتيجة للإجتماعات التي يعقدها المجلس على مستويات عدة ولأجواء التفاهم التي تسود هذه الإجتماعات فضلاً عن أسلوب المصارحة المعتمد سوف نصل إلى تحقيق ما أتمنى ويتمنى معي كثيرون على ما أظن تحقيقه من أهداف طموحة.

نُشر الحوار في مجلة «التضامن»

بتاريخ 31 مارس/ آذار 1984

مقابلة مع ولي عهد الكويت

الشيخ سعد العبدالله (2)

رحلة ألف ميل
من القاهرة إلى طرابلس
التعددية أمة
العراق

التضامن
AT TUGARON

في حوار مع الملكة فاطمة البهي
في حوار مع الملكة فاطمة البهي
في حوار مع الملكة فاطمة البهي

الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود
في حوار مع الملكة فاطمة البهي
في حوار مع الملكة فاطمة البهي
في حوار مع الملكة فاطمة البهي

الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود
في حوار مع الملكة فاطمة البهي
في حوار مع الملكة فاطمة البهي
في حوار مع الملكة فاطمة البهي

الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود
في حوار مع الملكة فاطمة البهي
في حوار مع الملكة فاطمة البهي
في حوار مع الملكة فاطمة البهي

أهداف التضامن / برنامج

مستعدون لكي نعمل
ما نستطيع من أجل نجاح
اللجنة الثلاثية في مساعيها
الخيرة

الوضع الاقتصادي
نحو الإحسان
خلال 1990

نجحت قمة مسقط بنسبة
مائة في المائة واتخذت قرارات
إيجابية تعزز على المنطقة
بالتحيز والإزدهار والرخاء

الشيخ فهد بن عبدالعزيز آل سعود
في حوار مع الملكة فاطمة البهي
في حوار مع الملكة فاطمة البهي
في حوار مع الملكة فاطمة البهي

الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود
في حوار مع الملكة فاطمة البهي
في حوار مع الملكة فاطمة البهي
في حوار مع الملكة فاطمة البهي

عليها أن نعطي فرصة لأصحاب الثبات السليمة وأصحاب
المخططات لكي يندخلوا في شؤوننا الداخلية

رغبة مشتركة من الكويت وبريطانيا
لتقوية علاقات التعاون في مختلف الميادين
واساتحتد خلال زيارتي مع المسؤولين فيها حول القضية
الفلسطينية ودور بريطانيا

ظاهرة التغيير في الدول الشيوعية
تستحق من جانبنا الدعم والفراسة

الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود
في حوار مع الملكة فاطمة البهي
في حوار مع الملكة فاطمة البهي
في حوار مع الملكة فاطمة البهي

الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود
في حوار مع الملكة فاطمة البهي
في حوار مع الملكة فاطمة البهي
في حوار مع الملكة فاطمة البهي

أهداف التضامن / برنامج

الشيخ سعد العبدالله - الشان

توتنا في الكويت
تكن في نكاح
الجمعة الدخيلة
وتلاهما

الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود
في حوار مع الملكة فاطمة البهي
في حوار مع الملكة فاطمة البهي
في حوار مع الملكة فاطمة البهي

الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود
في حوار مع الملكة فاطمة البهي
في حوار مع الملكة فاطمة البهي
في حوار مع الملكة فاطمة البهي

قوة الكويت كما يراها

الشيخ سعد العبدالله

يشعر الزائر للكويت بحيوية في المجالين السياسي والإقتصادي.

وفي الوقت الذي يفسح عدد من «قدامى المحاربين»، إذا جاز التعبير، المجال أمام وجوه جديدة ودماء جديدة لتتسلم مواقع في الدولة يبدو رجال الأعمال من كويتيين وغير كويتيين أكثر إطمئناناً إلى أن عجلة الأعمال والإزدهار ستستأنف الدوران.

أما القلق من مخاطر تجدد الحرب في المنطقة فإنه تلاشى إلى حد كبير لدى أهل القرار وحتى لدى المواطن العادي ولكن ذلك لا يعني أن دولة الكويت خالية من الهموم. وعندما يستفسر الزائر مثلي عن هذه الهموم يأتيه الجواب بأن الهموم إقتصادية وسياسية.

من الهموم الإقتصادية دفع عجلة الإقتصاد نحو التحسن وإيجاد ظروف أفضل لأداء إقتصادي أكثر فائدة وإعادة النظر في معظم التشريعات والقوانين. ومن هذه الهموم أيضاً معالجة بعض الخدمات للمواطنين وعلى رأسها الخدمة الإسكانية، والتطوير الإداري لتخليص المؤسسات الحكومية من حالة التشابك القائمة في ما بينها، وكذلك من حالة الروتين الذي أصبح يُدرج ضمن أسباب إعاقة التحسن الإقتصادي والذي ينعكس على مطالب المواطنين وإحتياجاتهم.

أما على الصعيد السياسي فمن بين الهموم المحافظة على إستمرار التماسك في المجتمع الكويتي وتخفيف حدة التناقضات المشروعة بحيث لا تنعكس على الواقع السياسي الداخلي بشكل سلبي خصوصاً أن الكويت في موقع بالغ الحساسية من ساحة الصراعات الخارجية.

وإلى الهموم هنالك أيضاً بعض الأهداف والتحديات من بينها العمل على تحقيق التوازن السكاني أي الوصول إلى معادلة متساوية بين المواطنين والمقيمين، وتحقيق مبدأ الإستثمار بالإنسان الكويتي بما يعني بناء المواطن القادر على تقديم الخدمة الأفضل في موقعه خصوصاً بعدما تزايد عدد حملة الشهادات وباتت الضرورة ملحة للمتعليم وليس فقط لمجرد حامل شهادة.

كذلك هنالك إتجاه إلى دمج بعض المصارف والمؤسسات الإستثمارية نتيجة الإقتناع بأن دولة الكويت ليست بحاجة إلى سبعة مصارف (هي القائمة الآن) ولأن الدمج يزيد من رأس المال ويخفف من كلفة الإدارة بما يهيء ظروفاً أفضل لإستثمار أكثر جدوى.

في ضوء هذه الهموم والأهداف والإتجاهات والتحديات توجهت إلى «قصر بيان» يوم الثلاثاء ثاني أيام الشهر الأول من السنة الجديدة 1990 لإجراء حديث مع ولي العهد ورئيس مجلس الوزراء الشيخ سعد العبدالله السالم الصباح ومعي الزميل حسين سلامة الذي يرأسل «التضامن» من الكويت.

و«قصر بيان» هو أحدث القصور التي تم بناؤها في الكويت لكن ليس بالضرورة أن يكون آخرها. ولقد تم بناؤها

في منطقة بيان ليكون القصر الذي تنعقد فيه القمة الإسلامية التي تم عقدها في الكويت في كانون الثاني (يناير) 1987 وكانت من القمم الناجحة. وفي حينه كان إسم القصر «قصر المؤتمرات» ثم شاءت الضرورات أن ينتقل أمير البلاد الشيخ جابر الأحمد الصباح وولي العهد ورئيس الوزراء الشيخ سعد العبدالله إلى القصر ويتخذان منه المقر الرسمي للحكم. وهناك احتمال بأن تستغرق الحال هذه ثلاث سنوات.

وإذا كان «قصر بيان» هو أحدث قصور الكويت فإن «قصر السيف» هو مقر الحاكم تاريخياً ويقع في منطقة السيف. أما «قصر دسمان» الذي يقع في منطقة دسمان فإنه مقر سكن الأمير بينما يقع «قصر الشعب» الذي هو مقر سكن ولي العهد في منطقة الشعب. وفي منطقة المسيلة يقع «قصر المسيلة» الذي كان مقر الأمير الراحل الشيخ صباح السالم ويسكنه الآن أولاده. أما القصر الوحيد غير المسمى بإسم منطقة كما هي حال بقية قصور الكويت فهو «قصر السلام» الذي شيد في منطقة الشويخ وهو قصر الضيافة الذي يحل فيه كبار زوار دولة الكويت.

القوة في التماسك

قُلت للشيخ سعد: لفت نظرنا كلام لسموك قبل يومين يتعلق بوحدة الصف ووحدة الكلمة على صعيد الداخل. ما هي الدوافع إلى هذه الدعوة الآن؟

أجاب: من إطلع على الحديث الذي دار بيني وبين إخواني رئيس وأعضاء مجلس إدارة جمعية الصحفيين لابد أنه فسّر كلامي في إطار ما أعنيه.

وما أعنيه هو أننا مجتمع صغير وإن قوتنا تكمن في تماسك الجبهة الداخلية وتلاحمها وأن لا نعطي فرصة لأصحاب النيات السيئة وأصحاب المخططات لكي يتدخلوا في شؤوننا الداخلية بحيث يستطيعون عن طريق إضعاف أو تفريق الجبهة الداخلية تنفيذ هذه المخططات.

قُلت: وعلى الصعيد العربي الأشمل ما هو مفهوم سموكم لوحدة الصف ووحدة الكلمة؟

أجاب: إن وحدة الصف تتمثل في العمل الشامل المتفق عليه والذي يتعلق بوضع إستراتيجية في المجال العسكري والإعلامي والسياسي والإقتصادي. وبفضل هذه الإستراتيجية في الميادين التي أشرت إليها يمكن إبراز ثقل العالم العربي. وبمعنى آخر إن وحدة الصف هي وحدة الرأي ووحدة المسار.

نحو الأحسن إقتصادياً

قُلت: في اليومين الأخيرين من العام 1989 أتيح لي أن ألتقي بعدد من الإخوة العاملين في الميدان التجاري والإقتصادي في الكويت ولاحظت أنهم يرون بأن الوضع الإقتصادي يتطور بشكل حسن.

أجاب: نعم... وإلى الأحسن إن شاء الله.

قُلت: ولقد توقعوا إزدهاراً أكثر في العام 1990. فهل هنالك خطط من جانب الحكومة لتعزيز هذا

التحسن؟

أجاب: هنالك الكثير من الخطوات والإجراءات التي سَتُتخذ من قبل الحكومة ومن الوزارات المعنية ومن القطاعين العام والخاص تنفيذاً لما ورد في التقرير الإقتصادي الذي قُدم من قبل اللجنة المشتركة. وهذا التقرير يتحدث في الواقع عن خطوات وإجراءات سَتُتخذ وأنا متفائل بالنسبة إلى هذه الإجراءات.

التطورات في الدول الشيوعية

قُلت: هل تنظرون إلى التطورات التي تحدث في دول الكتلة الشرقية على أنها قضايا داخلية تخص تلك

الدول، أم أنها قضية عامة تعني أي دولة في العالم ومن بينها نحن دول العالم العربي؟

أجاب: ما حدث في تلك الدول أمر داخلي من حيث المبدأ لكن هذه التطورات ذات أبعاد في المجالين السياسي والإقتصادي. ومع أن هذه التطورات لم تتضح بعد إلا أن الظاهرة في حد ذاتها تستحق من جانبنا التمعن والدراسة من أجل الوقوف على تلك الأبعاد.

قُلت: إستكمالاً للسؤال السابق هل أنتم مرتاحون لهذا التغيير الذي يحدث في دول الكتلة الشرقية؟

أجاب: ننتظر أولاً أن تتضح أبعاد هذه التطورات.

العلاقات الكويتية - البريطانية

قُلت: هنالك زيارة قريبة ستقوم بها إلى بريطانيا. هل أنتم مرتاحون لتطور العلاقات الكويتية -

البريطانية؟

والى ذلك ألا تعتقد بأنه قد آن الأوان لمطلب خليجي موحد من بريطانيا لكي يكون لها دور أكثر إيجابية وفعالية إزاء القضية الفلسطينية خصوصاً بعد المرونة التي أبدتها القيادة الفلسطينية؟

أجاب: العلاقات طيبة بين دولة الكويت والمملكة المتحدة وهناك رغبة من قبل المسؤولين في البلدين الصديقين للعمل على تقوية هذه العلاقات والتعاون في مختلف الميادين. ولا بد أنه خلال زيارتي إلى بريطانيا وخلال اللقاءات التي ستتم بيني وبين كبار المسؤولين هناك أن أتحدث في جميع هذه القضايا وعلى الأخص في القضية الفلسطينية ودور بريطانيا في هذا المجال.

أمن الخليج.. والمفاوضات

ألا يعتقد سمو ولي العهد أن الامن الخليجي سيستمر مهّداً ما دامت إيران ترفض المفاوضات المباشرة بهدف التوصل إلى إتفاق دائم وشامل؟

أجاب: من الطبيعي أن يشوب القلق بعض شعوب منطقة الخليج والذي نأمل هو أن تقبل الحكومة الإيرانية بالحوار المباشر بينها وبين الأشقاء في العراق من أجل الوصول إلى صيغة تكفل لهذه المنطقة مزيداً من الإستقرار ومزيداً من الأمن وتزيل القلق والمخاوف الموجودة لدى شعوب دول مجلس التعاون الخليجي.

المسألة اللبنانية: هموم وإهتمامات

قُلت: هل بعدما أخذت وثيقة الطائف واللجنة الثلاثية العربية على عاتقها أمر إيجاد الحلول للمسألة اللبنانية، لم تعد من ضمن هموم دولة الكويت وإنما فقط جزءاً هذه المسألة من إهتماماتها؟

أجاب: موضوع لبنان وبالذات ما يتعلق بكيانه وسيادته وإنقاذه من مآسي التشريد والتدمير والخراب مازال موضع إهتمام الكويت على المستوى الرسمي والشعبي. وفي ما يتعلق باللجنة السداسية التي ترأسها الكويت يمكن القول إن هذه اللجنة عملت ما في وسعها من أجل الصيغة التي تحقق للبنان إنطلاقة جديدة. ونحن الآن بعدما إختارت القمة العربية في الدار البيضاء لجنة ثلاثية من الملك فهد بن عبد العزيز والملك الحسن الثاني والرئيس الشاذلي بن جديد نتابع جهود إخواننا أعضاء اللجنة الثلاثية التي أثمرت وثيقة سُميت إتفاق الطائف. إننا نتابع بإهتمام جهود إخواننا أعضاء اللجنة الثلاثية وإتصالاتهم مع المسؤولين في سوريا والعراق والدول الصديقة، ومستعدون لكي نعمل ما نستطيع من أجل أن تتجح هذه اللجنة في مساعيها الخيرة.

قُلت: إلى أي مدى يصل حجم دعمكم لوثيقة الطائف؟

أجاب: قبل الرد عل هذا السؤال أقول إن المطلوب هو موقف لبناني أي موقف أهل البلد وأصحاب المشكلة. يجب أن يشعر كل لبناني بأنه كفى ما حصل في لبنان من خراب وتدمير وأن يعمل الجميع على إنقاذ لبنان، بالإضافة إلى جهود الدول العربية.

قُلت: نحن على موعد مع العيد الوطني للكويت بعد أيام. هل من مفاجأة سارة من جانب حكومتكم لهذه المناسبة الطيبة؟

أجاب: نترك الإعلان عن ذلك إلى حينه.

قُلت: ما هو تقويم سموكم لنتائج قمة مسقط؟

أجاب: نجحت القمة الخليجية في مسقط بنسبة مائة في المائة، واتخذ القادة الكثير من القرارات والتوصيات التي هي في طريقها إلى التنفيذ. وهذه القرارات إيجابية وتعود على المنطقة بالخير والإزدهار والرخاء.

قُلت: ما هي مشاعركم إزاء تمكّن العراق من إطلاق المنظومة الصاروخية (العابد)؟

أجاب: نجاح العراق في إطلاق هذه المنظومة هو نجاح للأمة العربية في المجال العسكري.

الإهتمام اللافت للانتباه بمصر

قُلت: تخصّصون مصر بإهتمام لافت للانتباه. وكان ذلك واضحاً منذ القمة الإسلامية التي إستضافتها دولة الكويت. وبعد أيام ستتوجه إلى القاهرة في زيارة رسمية (بدأت الزيارة يوم الإثنين 8 كانون الثاني/ يناير 1990 وإستغرقت بشقيها الرسمي والخاص أسبوعاً) تأتي بعدما أكملت مصر رحلة المصالحات وأحدثها المصالحة مع سوريا ومن قبل المصالحة مع ليبيا.

ما هو دوركم في هذه المصالحات وهل في برنامجكم زيارات لدول عربية شقيقة ولمصالحات عربية لاحقة؟

أجاب: إستبعد كلمة مصالحات لأن أحداً لم يطلب من الكويت القيام بدور الوسيط بمعناه المعروف. ولقد سُعدنا بعودة العلاقات بين مصر وسوريا. وبقدّر ما أن في ذلك خيراً للبلدين الشقيقين فإن فيه أيضاً الخير لخدمة قضايا أمتنا العربية وعلى الأخص القضية الفلسطينية.

كان لابد ونحن نودّع الشيخ سعد متمنين له الخير ولزياراته أن تُحقّق النجاح المرجو منها على صعيد تثبيت أسس الوفاق العربي في عقد التسعينات، أن نسأله رأيه في التظاهرة التي جرت في القدس وشارك فيها فلسطينيون ويهود وأجانب، وفي موقف إسرائيل من مساعي السلام العربية - الدولية وهل أن العرب قادرون على خيار آخر في حال فشل خيار السلام؟

وأجاب سمو وليّ العهد: أسجل تقديري لإخواننا المناضلين في الأرض المحتلة. وفي تقديري إن الإنتفاضة المباركة بدأت تعطي نتائجها وبدأ العالم يتقهم عن كثب حقوق الشعب الفلسطيني وحقه في العيش بحرية مثل شعوب بقية دول العالم. وهذه الإنتفاضة ستتواصل إلى أن يستعيد الشعب الفلسطيني أراضيهِ المغتصبة.

كما إننا نؤيد التظاهرة التي حدثت مؤخراً ونباركها.

وإذا كانت إسرائيل تماطل وتسوّف ولا تحدد رداً إيجابياً يوضح موقفها من أي موضوع يتعلق بالسلام فلأن ذلك يتمشى مع مصالحها. لكن علينا أن ننتظر. وخلال الأسابيع المقبلة سيتكشف لنا موقف إسرائيل وما إذا كانت حريصة على إيجاد صيغة للسلام أم إنها لا تفكر في الحوار مع أصحاب الشأن وهم إخواننا الفلسطينيون. أما إذا فشل خيار السلام فإن المطلوب هو ما بدأنا به هذا الحديث أي وضع إستراتيجية عربية.

نُشر الحوار في مجلة «التضامن»

بتاريخ 15 يناير/كانون الثاني 1990

مقابلة مع الرئيس معمر القذافي (1)



الحوار المثير للجدل مع القذافي قبل 30 سنة على هامش التحالف مع الخميني



الرئيس معمر القذافي خلال إستقباله للصحافي والكاتب فؤاد مطر وزوجته إمتثال جويدي مطر

بين هذا الحديث مع الرئيس الليبي معمر القذافي الذي أجرته معه يوم الخميس 22 أغسطس 1985 في العاصمة الليبية (طرابلس) وبين آخر حديث كنت أجرته معه... حوالى خمس سنوات وفي هذه الفترة الطويلة حدثت تحولات كثيرة وحدثت تطورات. وطبعاً، وهذا هو الأهم، حدثت مفاجآت كثيرة على الساحة الليبية لعل أبرزها على الإطلاق إصرار العقيد القذافي على أن يواصل التغريد خارج السرب، إذا جاز التعبير. ومن خلال أجوبته على الأسئلة التي طرحها عليه خلال المقابلة التي نشرتها في «التضامن» يمكن تلمس ذلك.

وعملاً بالطقوس المألوفة عند إجراء الأحاديث بين الحكام والصحافيين فإن هنالك الكثير مما يمكن تسجيله على هامش الحديث. وإذا كان الحديث عبارة عن مناقشة - وهذا ينطبق على الحديث المثير للجدل - فإن ما يمكن تسجيله على الهامش يصبح مادة مثيرة للجدل أيضاً.

إلى جانب الحديث المثير للجدل مع العقيد القذافي، هنالك ملاحظات وإنطباعات على هامش الحديث الذي جرى على مرحلتين وخلال يومين وإستغرق حوالى خمس ساعات.

«التضامن»: قبل أن أصل إلى طرابلس كانت الدنيا العربية مشغولة بأخبار ترحيلكم للعمال المصريين والتونسيين. وفي مطار طرابلس شاهدتُ كتلاً من البشر تنتظر مقاعد في الطائرات التي تنقلهم إلى بلادهم.

وبصرف النظر عن المشاعر التي تنتاب المرء وهو يرى هذا المنظر ثمة تساؤل: من سيخدم ليبيا، من سيخبر لها، من سيصلح لها مواسير المياه، من سيصلح للناس سياراتهم، من سيحرث المزارع ويقطف الثمر ويصون الآلات. من... من... من...؟

القذافي: أن الأوان لكي يعتمد الليبيون على أنفسهم. فليشـمروا عن السواعد وليخبزوا ويحرثوا ويقطفوا ويصنّونوا. فكما أن البيت في مرحلة من مراحل التحول كان لمن يسكنه فإنه في المرحلة الراهنة لمن يصونه... وهكذا.

إيران بعد قصف خُزج

«التضامن»: يبدو أننا سنعود إلى الحديث مرة أخرى حول موضوع العمال المصريين والتونسيين وأسباب ترحيلهم. وإذا فلنسمع رأي الأخ العقيد في أوضاع حلفائه الإيرانيين بعدما تم قصف جزيرة «خُزج» مصدرهم الإقتصادي الرئيسي والذي بفضلها يتم تمويل الحرب.

القذافي: لا أعتقد أن القصف عطّل عملية تصدير النفط الإيراني. لقد حدثت بعض الأضرار التي يمكن تصليحها. ولن يصيب إيران أكثر من الذي أصاب بريطانيا عندما قصفتها ألمانيا. وإذا عدنا إلى تلك المرحلة يتبين لنا ذلك بوضوح.

«التضامن»: لماذا هذا الموقف من العراق الذي وصل إلى حد إقامة تحالف إستراتيجي بين إيران وليبيا. ما الذي بينكم وبين العراق حتى تتخذوا هذا الموقف؟

القذافي: إنني شخصياً أكثر من إهتم بالعراق. ولعل أكثر بلد زرتة هو العراق. كنت أذهب إليهم من دون دعوة. كنت أركب الطائرة وأسافر. إن أكثر زياراتي كانت إلى بغداد. وكان يحدوني الأمل بأنني أستطيع التوحيد بين العراقيين والسوريين ونساعد على إنشاء جبهة قوية منهم في وجه مؤامرة رمضان التي قام بها السادات وورط فيها سوريا. ولقد قمْتُ بعد العبور المزيّف بعدة إتصالات براً وجواً، بين العراق وسوريا، وكل ذلك بهدف إقامة جبهة بينهما لمواجهة الإنهيار الذي حدث. ولقد نجحْتُ في جمعهما وتم الإتفاق على مشروع وحدة لكن صدام إفتعل قصة وفجّر الموقف.

القصد من ذلك هو القول بأنني بذلت جهاداً كبيراً للأخذ بيد العراق وإقحامه في المعركة، لكن إتضح لي أن كل شيء يسير في طريق مسدود، وأن البعثيين حاقدون على الثورة الليبية ويحسدون هذه الثورة التي إستطاعت أن تتجاوز مفاهيمهم وتقيم المؤتمرات الشعبية. لقد كان في ظنهم أن الثورة الليبية ليست أكثر من حُكْم عسكري وفي إستطاعتهم لأنهم أقدم منا أن يزايدوا علينا، لكنهم شعروا بأن شيئاً جديداً يحدث ويجعلهم خائفين على نجومهم أن تأفل وأقصد بذلك تجربة الثورة الشعبية. وأكثر من ذلك إن الحسد بلغ فيهم حد أن مشكلتهم باتت معنا. أما مع الرجعية والرجعيين فإن علاقاتهم بهم على خير ما يريدون. ولقد قُلت لهم أكثر من مرة ما الذي يجعلكم تحاربون الثورة الليبية وذهبتُ إليهم في بغداد وقُلت لهم: أنتم في آسيا ونحن في أفريقيا. ما يجمع بيننا هو تحرير فلسطين. ليس هنالك حدود مشتركة بيننا ولا مياه مشتركة ولا أجواء مشتركة ولا طرقات لا بد من المرور عليها. لماذا لا نكون إخوة ما دامت تلك هي الحال ونبقى طرفين في قضية تحرير فلسطين أو في وحدة عربية. وكررتُ كثيراً القول أنتم أسويون ونحن أفرقة فما هي المشكلة بيننا. وأكثر من ذلك إنهم كانوا يذهبون إلى المرضى الليبيين في مستشفيات أوروبا ويعرضون عليهم المال من أجل أن يشتموا معمر القذافي. كانوا يتصلون أيضاً بالطلبة الليبيين في أميركا وفي كندا بل وحتى في موريتانيا كانت لهم إتصالات ضدنا.

«التضامن»: لكن قيادة الرئيس صدام حسين حققت تضامناً عربياً على درجة من الأهمية في موضوع

الحرب. وما هي أكثرية الدول العربية تقف مع الرئيس صدام؟

القذافي: العرب لم يقدّموا أي تضامن. هذه أوامر أميركا. إن أميركا هي التي تعطي الأوامر بالوقوف ضد الثورة الإيرانية. وحتى أميركا إن الذي يهتمها ليس صدام حسين وإنما محاربة الثورة الإيرانية. ومع الأسف إن

الجميع ضد الثورة الإيرانية بما في ذلك الإتحاد السوفياتي الذي يرى أن ثورة إيران تقسم العالم إلى عالم ديني وعالم غير ديني، وأن من الممكن إنتشار عدوى الثورة الدينية في الجمهوريات السوفياتية الإسلامية.

«التضامن»: هل تعتقد أن وجود الحُكم الحالي في إيران يضايق الولايات المتحدة ويهدد مصالحها؟

القذافي: إن أميركا فقدت منطقة نفوذ بقيام الثورة في إيران. وهي ثورة تحارب أميركا وترى فيها أنها الشيطان الأكبر وتحارب الصهيونية وتحارب الرجعية التي تعتمد عليها أميركا في المنطقة. لقد أصدرت الأوامر إلى حسني مبارك لكي يحارب مع صدام حسين. وأصدرت إلى الملك حسين كي يحارب مع صدام حسين وأصدرت إلى نميري من أجل أن يحارب مع صدام حسين. هذه المواقف هي في الواقع أوامر أميركية ونحن كثوار لا يمكن أن نحارب في الصف الأميركي. وموقفنا من الثورة الإيرانية واضح. لما كان الشاه يحكم إيران وإحتل جزر طنب الكبرى وطنب الصغرى وأبو موسى كان معادياً جداً للأمة العربية وكان متعصباً للفارسية ورشا جميع الأنظمة العربية. ولقد رفضنا نحن المعاهدة وقلنا لا يجوز وضع اليد في يد الشاه المتعجرف الذي إحتل الجزر عنوة ورفع فوقها العلم الإيراني. في ذلك الوقت وأمام عجرفة الشاه بدأنا التحالف مع الشعب الإيراني والحرب ضد الشاه. كانوا يقولون لنا أنتم تفعلون المستحيل. ومن غير الممكن أن يسقط الشاه. هذا معه أميركا. ولقد ذكر لي ذو الفقار علي بوتو مرة أنه بعدما إلتقى بالشاه سأله: كيف أحوال إيران فأجابه الشاه: إسأل صديقك القذافي. يعني هو (أي القذافي) الذي يسبب المشاكل والتفجيرات. وفي الوقت نفسه يقول العرب: إنه من المستحيل أن نفعل شيئاً لأن الشاه إله ومعه أميركا وترسانتها الحربية بعد قيام الثورة في إيران تبين العكس. تأكد أن في إستطاعتنا أن نفعل. ولقد قال لي بعض قادة الثورة وبينهم رافسنجاني ومنتظري إن الخُطب التي كنت تلقىها وتحرضنا فيها على الثورة كانت زادنا ونحن في السجن.

لقد قام ثوار إيران بالثورة وأسقطوا الشاه الذي كان يغذي إسرائيل وجنوب أفريقيا. وبعد أن تتحرر إيران من النفوذ الأميركي وتلقي بثقلها مع الأمة العربية ضد الصهيونية وضد العنصرية نقوم نحاربها. ولماذا لم تحاربوا الشاه عندما قلنا لكم يا عراقيين حاربوا الشاه. إذاً الآن بعدما أصبحت إيران ثورة فإن الحرب ضدها هي حرب بأوامر من أميركا.

إنه ليؤسفني أن تشتبك هذه الثورة بحرب مع بلد عربي، لكن في النهاية لا يمكن أن أخون الثورة ولا يمكن أن أحاربها خصوصاً أنها الثورة التي كنت أحرص على قيامها وقامت كيف أشهر السلاح ضد الثورة الإيرانية؟ كيف؟

في أي حال إن الحرب بين العراق وإيران حرب خاسرة. لقد خسرنا قوة إسلامية وخسرنا قوة عربية وبلا معنى. لا إيران يمكن أن تأخذ العراق ولا العراق عنده القدرة أن يبتلع الأمة الفارسية. إنها حرب بلا معنى. حرب ليست ضد أميركا ولا ضد إسرائيل وليست بهدف توحيد الأمة العربية.

حرب صدام في وجه غزوة فارسية

«التضامن»: ألا تعتقد أنه لولا هذه الحرب كان من الممكن أن يسقط العالم العربي أمام غزوة فارسية مثلما سبق أن سقط في الماضي أمام غزوة تركية؟



الرئيسان بوريقييه والقذافي خلال زيارة قام بها الرئيس الليبي لتونس بين 16 و18 آب 1983: أيام الصفاء

القذافي: لو كانت إيران قررت الزحف على العالم العربي عندئذ تكون عدواناً وليست ثورة. عندها تبدو أمبريالية فارسية، ونحن أول من سيقاومها. لكن إيران لا تريد ذلك. إنها ثورة داخل حدودها تساعد العرب والفلسطينيين والشعوب الإسلامية. لم تقم بحملة تبدأ بالعراق وتنتقل إلى أقطار أخرى. لو حدث ذلك لكنا أول من تصدى لها وما زلنا نختبر وسنحارب إيران بل نكون أول من يحاربها إذا هي ضمت العراق.

«التضامن»: كنت أرسلت وزير الخارجية الدكتور علي التريكي إلى بغداد، وكان الرائد عبد السلام جلود قام أيضاً بزيارة. إلا تعتقد أن هنالك إمكانية لموقف بشأن مسألة الحرب. أليس من الممكن إزاء ذلك دعوة الطرفين العراقي والإيراني إلى لقاء في طرابلس مثل لقاء الجزائر؟

القذافي: كنت أدعو وإيران ترفض الصلح. لقد تحدثنا في الأمر مع إيران لكنهم قالوا لا تبحثوا في هذا الأمر وسقوط صدام أمر مؤكد. وفي آخر زيارة قام بها رافسنجاني إلى طرابلس طرح أول ما طرح على وجهه نظري في مسألة الحرب وكيف أنها بلا معنى ومن أجل ذلك يمكن العمل على وقفها وأجاب: لا. إننا مستمرون في الحرب إلى حين سقوط صدام حسين.

«التضامن»: وأنت ما رأيك في ذلك؟

القذافي: أعتقد أن في استطاعة صدام حسين أن يقوم بخبطات عشوائية لكنه لا يستطيع أن يغذي الحرب. إن إيران قادرة أن تلقى بأفواج بعد أفواج، وهي على كل استعداد لتجنيد عشرين مليوناً.

نظرة إلى تفكير آيات الله

«التضامن»: لا بد أنك قرأت لهؤلاء الآيات وتحدثت معهم وناقشتهم. هل لي أن أعرف ما هي النتيجة التي خرجت بها حول فكر هؤلاء وماذا يريدون؟

القذافي: إنهم يطرحون ثورة إسلامية من أجل المستضعفين في الأرض ويدعون إلى وحدة الأمة الإسلامية ويقولون بضرورة وضع حد للإستكبار العالمي وينادون بزوال الصهيونية وتحرير فلسطين. ويقولون أيضاً إن الأنظمة الرجعية الموالية للأمبريالية يجب أن تزول. إنهم يحرضون على الثورة ويستبعدون في طرّحهم الحالي الشيعة والجعفرية. هكذا يقولون عندما نتناقش معهم. وأنا لا أرى أنها ثورة طائفية.

«التضامن»: ألا ترى - ما دام رأيك فيهم كما أوردته - أن من المناسب مسايرتك على الأقل في مسألة تسمية الخليج بحيث لا يسمونه الخليج الفارسي؟

القذافي: في أول لقاء مع خامنئي قال: «الخليج الفارسي»، وقلت له «الخليج العربي» وزدت أن من الممكن أن نتخاضم حول هذا الأمر إذا إستمروا يقولون (الخليج الفارسي). وأجابني: إن الدول المطلة على هذا الخليج ليست عربية وإنما هي مستعمرات أميركية ويوم يصبحون ثوريين مثلك فإنني أول من يوقع على تسمية هذا الخليج «الخليج العربي» أو «الخليج الكويتي» أو أي (إسم يعجبكم).

«التضامن»: المسألة سهلة إذا أرادوا الآن إعادة النظر في الإسم. بإمكانهم كتعبير حُسن النية تسميته «الخليج الإسلامي».

القذافي: أنا شخصياً أوردت في مناقشتي معهم هذه التسمية لكن خامنئي أجابني: ليس من مصلحتنا الآن أن نفعل ذلك وأن نترك الخليج لعملاء أميركا وكرر إستعداده لإعادة النظر في التسمية إذا أصبح حكام الدول المطلة على الخليج ثواراً وليسوا عملاء لأميركا. وأضاف خامنئي: عندما نرى الأرض العربية تتحرر فإننا أول من سيتنازل عن تسمية الخليج بالخليج الفارسي. لكن الآن الأفضل بقاء الخليج فارسياً ويخص الثورة الإيرانية من أن نعطيه إلى هؤلاء العرب الذين هم عملاء لأميركا.

مصير الجزر الإماراتية الثلاث المحتلة

«التضامن»: ومسألة الجزر المحتلة؟

القذافي: وهذه المسألة أثرت أيضاً معهم لكن رأيهم هو أنهم إذا أعادوا الجزر فإن أميركا ستحوّلها إلى قواعد. أما إذا تحرر الجانب الآخر من الخليج فإننا على إستعداد لأن نعيدها فوراً. وأضاف خامنئي إن إيران ليست مستعدة على الإطلاق لأن تتخلى عن الجزر لكي تقيم أميركا قواعد عليها. ونحن في ليبيا نرى أنهم على حق في ذلك.

نشاط إيران في لبنان

«التضامن»: ما رأيك في نشاط إيران في لبنان؟

القذافي: هؤلاء لبنانيون يقتتلون مع بعضهم البعض بصرف النظر عما إذا كان هنالك لبنانيون يعملون لمصلحة إيران ولبنانيون ضد مصلحة إيران. ما يحدث في لبنان حرب بين لبنانيين وبين عرب.

لم نرسل صواريخ... ولكننا

«التضامن»: ما الذي تعنيه بأنكم قد تلقون بثقلكم؟

القذافي: أعني أننا قد نرسل ألوية من الصواريخ أرض - أرض وأرض - جو وقد نرسل أسراباً من الطائرات.

«التضامن»: هل إتخذتم قراراً بذلك؟

القذافي: حتى الآن لم نقرر، ولكن إذا تمادى صدام حسين في معاداة ليبيا وإستمر موجّهاً الإذاعات ضد ليبيا وإستمر تدريب عناصر للتخريب والتفجير وإستمر يذيق مع مصر ومع دول أجنبية وعربية... فإننا سنلقي بثقلنا العسكري إلى جانب إيران وننهي صدام حسين. ويجب أن يكون الأمر واضحاً.

كيف يجيز مساندة غير العربي ضد العربي

«التضامن»: إن الوقوف مع دولة غير عربية ضد دولة عربية يبقى أمراً يدعو إلى الحيرة. ولنفترض أن وضعاً ثورياً قام في تركيا الدولة المسلمة وكان الوضع في سوريا الدولة العربية من النوع غير المنسجم معكم، فهل معنى ذلك أن تساندوا الدولة غير العربية، ضد الدولة العربية. أي يتكرر ما يحدث الآن من خلال مساندتكم لإيران الدولة غير العربية ضد العراق الدولة العربية؟

القذافي: إذا كانت سوريا مثل العراق الآن وتركيا مثل إيران الآن، عندها تجوز مساندة الطرف غير العربي ضد الطرف العربي.

«التضامن»: أي أن ليبيا ترمي بثقلها العسكري وقتذاك مع تركيا ضد سوريا.

القذافي: إن الحرب كما نراها هي حرب ثوريين ضد غير الثوريين. وحرب الذين مع أميركا ضد الذين ليسوا مع أميركا. تلك هي معايير الصراع الآن.

ما يفعله القذافي للسودان شمالاً وجنوباً

«التضامن»: لماذا لا تفعل شيئاً من أجل السودان. ولماذا لا تساعدون على تحقيق الإستقرار هناك

وتواصلون تشجيع قرنق؟

القذافي: أرسلنا لهم سفينة نفط مجانية وأرسلنا قوافل من الجرارَات والمحاريث وعندنا سِرْب من طائرات النقل موجود في السودان منذ قيام الثورة لنقل مواد التموين والإغاثة.

«التضامن»: كانت المشكلة في الماضي هي أن حُكْم الرئيس نميري ليس الحُكْم الذي يمكن التعاون معه. وما أن نميري لم يعد في الحُكْم والسؤال المطروح الآن هو هل أن القيادة الجديدة في السودان من خلال الإتصالات التي تمت معها ومن خلال لقاءك بأعضائها ومن خلال ما هو متوافر لديكم من معلومات وتحليلات، هي القيادة التي من الممكن التفاهم معها والوقوف إلى جانبها؟

القذافي: هذه قيادة تضم عناصر لم تُعدْ نفسها للحُكْم. وفي الوقت نفسه ليس لديهم إستعداد للإستمرار في الحُكْم. وهذا ينطبق على المجلس العسكري وأيضاً على مجلس الوزراء. وإن الوضع في السودان مؤقت إلى حين إنتقال السُلطة في طريقة أو أخرى إلى غيرهم.

«التضامن»: ولكنهم ضباط والسُلطة الآن في أيديهم؟

القذافي: هذا صحيح إلا أنهم قادة الجيش من قائد السلاح الجوي إلى قائد السلاح البحري إلى قائد الدبابات إلى قائد المدفعية إلى قائد التموين إلى قائد الإستخبارات إلى قائد الشرطة. كل القيادة العسكرية في السودان هي التي تحكم وليس مجرد ضباط من الجيش وهنا الأمر يختلف. وتكراراً إن الذين يحكمون الآن سواء العناصر العسكرية أو العناصر المدنية إنما يحكمون بصفة مؤقتة وليس مطلوباً منهم شيئاً سوى أن يمسكوا بالبلد لبضعة أشهر إلى حين يقرر الشعب السوداني الذي قام بالثورة مصيره. وهؤلاء الذين يديرون دفة الحُكْم الآن من عسكريين ومدنيين يستحقون الشكر على تحملهم هذه المسؤولية في مرحلة إنتقالية.

«التضامن»: هل تظن أنها ستكون إنتقالية وهل بعدما ذاق هؤلاء طعم الحُكْم سيتخلون عن الحُكْم بسهولة؟

القذافي: بالطبع سيتخلون. وهم إذا كانوا لن يفعلوا ذلك فإن التظاهرات الشعبية ستتجدد وسيتمرد الشارع من جديد.

«التضامن»: لكن من المؤكد أن الذين يقودون الآن في السودان يحتاجون إلى أمر في منتهى الأهمية وتستطيع أنت أن تفعله ولكنك لا تفعل؟

القذافي: ما الذي يحتاجونه ولا أفعله لهم؟

«التضامن»: ما يحتاجون إليه هو أن تقول لصديقك قرني أن يتفاهم معهم وأن يلقي السلاح ويتوجه إلى الخرطوم ويرد على التحية الشمالية بمثلها أو بأحسن منها.

القذافي: هذا صحيح.

«التضامن»: ومع ذلك لا يحدث.

القذافي: النداءات من جانبي مستمرة إلى قرني من أجل أن يتفاهم مع الحُكْم في السودان وقد وصل اليوم (الخميس 22 أغسطس/ آب 1985) إلى طرابلس نائب منغستو لهذا الغرض، ذلك أننا ضد إستمرار القتال في جنوب السودان بعد سقوط نميري.

«التضامن»: أنتم حلفاء قرني ومن دونكم لا قدرة له أن يفعل شيئاً، وهو بالرغم من ذلك يواصل القتال ويواصل رفض نداء السلام الشمالي.

القذافي: بعد نجاح الثورة في الشمال أوقفنا مد قرني بالسلاح ولم نوقف الطلب منه الإستجابة إلى نداء السلام ولكن..

«التضامن»: ولكن ماذا؟

القذافي: إنني أخشى حدوث انفصال في جنوب السودان، وهناك معطيات لذلك. حقيقة إنني أخشى حدوث انفصال وقيام دولة في جنوب السودان. والمعطيات الموجودة قد تشجع على ذلك فالجنوب زنجي وليس عربياً. والجنوب مسيحي وليس مسلماً. والجنوبيون يتحدثون بالإنكليزية وليس بالعربية. لقد زرتُ جنوب السودان ولاحظتُ كيف أنني في محيط غير عربي وفي واو التي زرتها لاحظتُ كيف أن اللغة المعتمدة هي اللغة الإنكليزية وليست اللغة العربية. وإلى ذلك إنني عندما دخلتُ إلى واو (عاصمة مديرية بحر الغزال) شعرتُ أنني في مجاهل أفريقيا وأن هذه المنطقة الزنجية لا علاقة لها على الإطلاق بالوطن العربي.

«التضامن»: ولكن هاهم الإيرانيون لا يتحدثون معنا عندما نقابلهم إلا بالفارسية أو بإحدى اللغات الأجنبية، ومع ذلك هناك تعاطف من جانب بعض العرب معهم.

القذافي: التعاطف الذي تشير إليه هو تعاطف مع قضيتهم وهذا لا علاقة له باللغة.

«التضامن»: لنفترض أن الجنوبيين إتخذوا قراراً بالانفصال فهل ليس في إستطاعتك بسبب خصوصية العلاقة التي بينك وبين زعامتهم القوية الحالية (أي قرنق) أن تفعل شيئاً لمنع هذه الخطوة؟

القذافي: كل ما في الإمكان أن نفعله وهو الإتصال بقرنق نفعله. إننا نتصل به دائماً ونحاول إقناعه بالتفاهم مع القيادة السودانية.

«التضامن»: هل زاركم وهل ما زلتُم تمدونه بالمساعدات؟

القذافي: أوقفنا عنه السلاح، وحتى الآن لم يأت إلى الجماهيرية. وأعتقد أنه بعدما باتت العلاقة جيدة بيننا وبين الحُكم في السودان لن يقوم بهذه الزيارة.

«التضامن»: لكن قرنق من دون دعمكم لن يجد السند من أحد. وفي مثل هذه الحال ما الذي في إستطاعته أن يفعله وأي انفصال يمكن حدوثه؟

القذافي: هنالك أثيوبيا.

«التضامن»: هل لكم علاقة بعملية المعادي التي إستهدفت قتل الدبلوماسي الإسرائيلي؟

القذافي: (الجواب عبارة عن إبتسامة).

«التضامن»: عندما نسأل هذا السؤال فعلى أساس أنه إزاء عملية من هذا النوع لا بد من القول فتش عن ليبيا أو فتش عن معمر القذافي...

القذافي: إن أحرار مصر هم الذين قاموا بالعملية.

هذا الموقف من حسني مبارك

«التضامن»: هذا ينقلنا إلى طُرْح سؤال آخر وهو: إن الرئيس حسني مبارك ليس تصادماً فضلاً عن أنه يبدو متضامناً من الإرث الذي ورثه. وإلى ذلك إن الرئيس مبارك عبّر بشيء من الدفء عن رغبته في أن تكون علاقاته طيبة مع الجميع بما في ذلك الجماهيرية الليبية.

ما هو السر في أنكم وغيركم لا تساعدونه في تحقيق العبور الآخر، أي العبور من الوضع الموروث الذي هو فيه إلى الشاطئ العربي.. أو إذا جاز التعبير مساعدته على إحلال العبور العربي محل العبور الساداتي الشهير؟

القذافي: إذا كان (الرئيس) مبارك يقول إنه يريد العبور العربي ويحتاج إلى المساعدة في ذلك فإنني أول

من يساعده لكنه لا يقول ذلك ويردد بأنه باق في الجانب الآخر وأن على العرب أن يأتوا إليه ويدخلوا في الإسطبل وكأنما العرب حمير.

إستبعاد احتمالات الحرب مع مصر السادات

«التضامن»: في ضوء عملية ترحيل المصريين من الجماهيرية الليبية وإستمرار التوتر في العلاقات نتيجة الصلح المصري - الإسرائيلي، تبدو الأمور كما لو أنها تسير نحو مواجهة بينكم وبين مصر. هل إذا حدثت مواجهة عسكرية بينكم وبينهم ستكون مطمئناً للنتائج؟

القذافي: لو أن الأمور تطورت إلى مواجهة وحدثت معركة بين مصر وليبيا فإنني لا أعتقد أن في إستطاعة مصر أن تصمد أمام ليبيا. في أي حال إنني أستبعد احتمالات الحرب بيننا وبينهم.

«التضامن»: في الوقت نفسه يتزايد الكلام التونسي حول حشود ليبية على الحدود مع تونس. هل تتطور الأمور إلى مواجهة مع تونس؟

القذافي: أي حشود وأي مواجهة، وهل أن تونس قوية إلى الدرجة التي يتطلب الأمر الحشد على حدودها. لقد إستغنينا عن العمال التونسيين. وكون التوانسة يشتمون ليبيا ويغلقون المكتب الشعبي (أي السفارة) والمراكز الثقافية ويرحلون الموظفين الليبيين العاملين في الجامعة العربية ويطردون السياح الليبيين والموظفين العاملين في مكاتب الخطوط الجوية الليبية وأيضاً الليبيين المقيمين في تونس منذ عشرات السنين... إن كون المسؤولين التوانسة يفعلون ذلك فهذا واضح بأنها ردود فعل عمياء.

«التضامن»: هل نتوقع مفاجأة تعلن عنها لمناسبة الذكرى السادسة عشرة لثورة الفاتح من سبتمبر/أيلول 1969، وتكون تحذيراً لمن يرغب في المواجهة العسكرية مع ليبيا؟

القذافي: ما يمكن إعتباره مفاجأة هو الإعلان بأن الوحدة العربية يجب أن تتحقق ولو بالقوة. وليس بالضرورة على الإطلاق بأن تكون ليبيا هي التي تقوم بذلك. أي دولة قادرة على أن تُحقق الوحدة بالقوة لها الحق في أن تفعل ذلك. إذا كانت السعودية هي القادرة على توحيد منطقة الجزيرة فلتتم الوحدة بالقوة عن طريق السعودية. وإذا كان العراق قادراً على أن يوحد منطقة الخليج بالقوة فنحن نؤيده. وإذا كانت سوريا قادرة على أن توحد لبنان والأردن بالقوة فنحن نؤيدها. حتى مصر إذا كانت قادرة على أن توحد العرب بالقوة وتدخلهم أسطبل داوود فنحن نؤيدها. وإذا كانت الجزائر قادرة على أن تحتل تونس وموريتانيا وحتى ليبيا فنحن نؤيدها. إذا كانت ليبيا قادرة على أن توحد منطقة المغرب فهذا ما يجب أن نفعله. لم يعد هنالك بد من سقوط الحدود وقيام الوحدة وإلاّ ستسود ظاهرة الميليشيات في كل الوطن العربي وإن إتخذت الظاهرة أشكالاً مختلفة.

لماذا ترحيل المصريين والتونسيين؟

«التضامن»: مطالبة بالوحدة وترحيل ألوف العمال المصريين والتونسيين وغيرهم في الوقت نفسه. ألا يدعو هذا الأمر إلى التساؤل؟

والى ذلك هل هنالك أسباب أخرى أوجبت الترحيل غير تلك الأسباب التي سمعناها وخلصتها أن عقود هؤلاء إنتهت. هل هناك أزمة مالية على سبيل المثال تعيشها ليبيا وأوجبت تقليص اليد العاملة فيها؟

القذافي: أولاً ليس هناك متاعب مالية. والأمور طيبة والحمدلله. وما إتخذناه من إجراءات مقرر منذ سنتين بعدما شارفت خطة التنمية الخمسية التي بدأت عام 1980 على الإنتهاء. ولقد حدث أنه من أجل تنفيذ هذه الخطة إستقدمنا مئات الألوف من العمال من جميع أنحاء العالم وكانت حصة الأسد لعمال مصر وتونس،

وبعدما تم إنجاز الخطة فإن المفروض في هؤلاء العمال أن يشكروا ليبيا ويعودوا إلى بلادهم مشكورين على ما بذلوه من جهود في خطة التنمية التي تضمنت إقامة عشرات المشاريع والجسور والمصانع والمزارع وشق 24 ألف كيلومتر من الطرق وهو رقم قياسي في العالم. إن حالنا مع هؤلاء العمال غريب. هل من المعقول عندما يطلب أحد من عمال بناء منزل ويتم البناء أن يقول هؤلاء إننا صحيح أنجزنا البناء لكننا سنبقى. تلك هي حالنا مع العمال الذين تم ترحيلهم، علماً بأننا كبادرة إهتمام بهم وبالظروف المعيشية السائدة في بلادهم إقترحنا عليهم البقاء معنا على أن يكتسبوا الجنسية الليبية وبذلك نوفر عليهم مشاكل بيروقراطية الإقامة والحساسية التي يمكن أن تنشأ. وبدل أن يردوا على هذه البادرة بالشكر فإن حكوماتهم التي لا تملك حلولاً لإستيعابهم قادت حملة شرسية علينا ووزعت الإتهامات بالشكل الذي لا يتناسب مع حقيقة الأمر، ومن هذه الإتهامات الطرد والنهب والسلب. الذي يدعو إلى الإستغراب هو أن الحكومة التونسية على علم بالأمر منذ سنتين ولقد أبلغناها بأننا في نهاية عام 1985 وبعدما تكون خطة التنمية تمت لن نعود في حاجة إلى العمال الذين إستقدمناهم. وفي الحقيقة إننا حرصنا على إبلاغهم قبل سنتين من أجل أن يكون لدى هذه الحكومة الوقت لإيجاد حلول لهؤلاء العمال. وها هي بدل أن تكون أوجدت الحلول نراها تلقي اللوم علينا.

«التضامن»: هل إن الشيء نفسه ينطبق على العمال المصريين؟

القذافي: ما يتعلق بمصر يختلف. ذلك أننا لا نريد أن ندعم حكومة حسني مبارك بالعملة الصعبة. هنا الأسباب سياسية إلى حد ما.

«التضامن»: ولكن هل هو خطأ أن تساعد دولة تنادي بالقومية والثورية في تطوير المواطن المصري

وحل مشاكله وتأمين فرص العمل له؟

القذافي: عندما يثور هذا المواطن على حسني مبارك يصبح من حقه علينا أن نساعد في تطويره وحل مشاكله وتأمين فرص العمل له. أما أن ندعم حكومة حسني مبارك ويستمر هو في الخط الذي يسير عليه فهذا يناقض مبادئنا وقناعاتنا.

«التضامن»: هل كان يتم تحويل مبالغ كبيرة من العملة الصعبة إلى مصر؟

القذافي: إن مئات الملايين تم تحويلها. وإلى ذلك إنه في الفترة الأخيرة لحُكم السادات أودعنا في مصر حوالي ستمائة مليون دولار ولقد وضعنا هذه المبالغ في مصر كوديعة كي نحول دون إعلان إفلاسهم لكنهم أنكروا ذلك. الشيء نفسه فعله نميري. جاءنا يطلب مساعدة فأعطيناه ستين مليون دولار كقرض وقَعته بنفسه. وبعدما حصل على القرض رفض أن يسدده. ومرت سنة ثم سنة ثم سنة من دون أن يبدأ التسديد. وعندما بدأ المصرف يطالب نميري بتسديد القرض فوجئنا بأنه قاد حملة داخل السودان إسمها «قرش الكرامة» وجمع المبلغ من السودانيين على أساس أنه سيسدده لنا. ولكنه لم يسدد المبلغ. وبذلك يكون ضاع علينا المبلغ الذي أقرضناه وضاع على السودانيين المبلغ نفسه الذي جمعه منهم. وهذا الأمر كان موضع إستفسارات وتوضيحات بيننا وبين الحُكم الجديد في السودان. أهل هذا الحُكم إستفسروا عما إذا كان المبلغ أعيد لنا ونحن أوضحنا أن المبلغ ما زال في ذمة السودان.

«التضامن»: ثمة مسألة يشعر الإنسان العربي بالمرارة إزاءها تتعلق بإصراركم على تسمية العاصمة

المصرية بـ «المقهورة» بدلاً من القاهرة، هل ستستمررون في ذلك؟

القذافي: هي مقهورة. وستستمر في نظرنا تحمل هذا الإسم إلى أن تنتصر. هل من المنطقي أن تكون «مقهورة». ونطلق عليها إسم «القاهرة»؟ هل من الجائز تزييف الحقائق. عندما تكون «قاهرة» نسميها «القاهرة» لكن عندما تكون مقهورة فعلينا أن نسميها بإسمها الحقيقي والإسم الحقيقي في هذه الحال هو «المقهورة».

«التضامن»: هل إن التسمية من إبتكارك وكيف، وفي أي ظروف نشأت التسمية؟

القذافي: بعد الكيلو 101 وبعد الإعتراف بالعدو وبعد زيارة الذل والعار (زيارة السادات للقدس) بثُّ أرى أن إسم «القاهرة» ليس مناسباً على الإطلاق لحقيقة العاصمة المصرية. ومن هذا الجو صدرت التسمية وهي تسمية تتناسب واقع الحال.

«التضامن»: وهل أن رُفِعَ هذه التسمية وإعادة إطلاق إسم القاهرة على العاصمة المصرية في وسائل الإعلام الليبية وارد ومتى؟

القذافي: ليس قبل رُفِعَ العَلَمُ الإسرائيلي عنها. فعندما يتم رُفِعَ هذا العَلَمُ تنتصر مصر وتصبح القاهرة القاهرة بالفعل.

مساعي تنقية الأجواء وتحقيق المصالحات

«التضامن»: من الإنطباعات التي نشأت عن الأزمة التي قامت بينكم وبين تونس أن الهدف من إفتعال هذه الأزمة تقويض ما تم الإتفاق عليه في القمة العربية في الدار البيضاء في شأن تنقية الأجواء العربية تمهيداً لتحقيق مصالحات تجمع شمل العرب. هل أنت مع هذا الإنطباع وهل ستساعدون على تحقيق مساعي تنقية الأجواء وتحقيق المصالحات؟

القذافي: لا أعتقد أن من السهل تحقيق ذلك لأن المعطيات غير قابلة لتحقيق المصالحات العربية، أو كيف يمكن تنقية الأجواء مع عملاء لأميركا. إن الجو سيبقى ملبداً في إستمرار، وأعتقد أن هذه المحاولة يائسة. يجب تغيير الخريطة العربية، وإعادة النظر في البنية السياسية والإجتماعية العربية. هذا ما يمكن أن ينقذ الأمة العربية وأظن أنه يكفيها ضحكاً على أنفسنا.

النموذج الليبي - السعودي المعقول

«التضامن»: ما الذي يمنع أن تكون العلاقة الليبية - السعودية هي النموذج المعقول لعلاقاتكم مع جميع الدول العربية. ومن الجائز الإفتراض بأن مثل هذا النموذج سيحقق تعايشاً وتعاوناً معقولين في الزمن العربي الراهن الذي يتسم بالتردي؟

القذافي: مثل هذا الأمر ممكن مع الذين لم يتجاوزوا الخط الأحمر. لكنها ليست ممكنة مع الذين يتعاونون مع مصر التي أصبحت جسراً تعبر عليه الصهيونية إلى الوطن العربي.

العلاقة مع الخلاف الفلسطيني

«التضامن»: وبالنسبة إلى الفلسطينيين لماذا لا تفعل ما أنت قادر عليه وهي دعوة الطرفين المتخاصمين إلى لقاء في طرابلس كما سبق أن فعلت في الماضي؟ والطرفان هما: أبو عمار الذي يرحب بالتحالف معكم، وخصومه الذين يتحالفون مع سوريا وفي الوقت نفسه لكم خطوط وتقاطعات معهم؟

القذافي: مثل هذا الأمر ممكن في حال أن الطرفين راغبان في المصالحة. لكن ما نلاحظه الآن هو أن جماعة الإنتفاضة (أي جماعة أبو موسى وبعض الآخرين) يرفضون المصالحة في حين أن ياسر عرفات يرحب بها ويسعى لها. إن تحقيق المصالحة بين طرفين يصبح ممكناً وسهلاً إذا كان هنالك طرفان يمد كل منهما يده نحو الآخر ويكون هنالك طرف ثالث أو وسيط يدفع باليدين نحو الإلتقاء فالتصافح فالتكاتف. عدا ذلك يمكن تحقيق مصالحة بين يد ممدودة ويد ترفض أن تعمل بالمثل. إن هنالك يد فلسطينية ممدودة بينما

اليد الأخرى وضعها صاحبها في جيبه ولا يريد - أو لا قدرة له - أن يُخرجها من جيبه.
«التضامن»: إن طبيعة العلاقة التي بينك وبين سوريا تجيز الافتراض بل في الإمكان أن تسعى مع الرئيس حافظ الأسد وبذلك تخرج اليد التي في الجيب من الجيب.
القذافي: سوريا تخلصت من ياسر عرفات وبعدها تخلصت منه ما الذي يمكن أن تفعله؟
«التضامن»: تُخلص عليه؟
القذافي: ها أنك أنت قُلتها.

رسالة قذافية من خلال «التضامن» إلى تاتشر

«التضامن»: نحن مجلة تصدر في لندن عن شركة بريطانية. وبما أن العلاقات بينكم وبين بريطانيا على درجة كبيرة من الحدة فإننا نسألك ما هي الرسالة التي يمكن أن توجهها عبر «التضامن» إلى السيدة مارغريت تاتشر رئيسة وزراء بريطانيا والتي يمكن - أي الرسالة - أن تُحقق بعض الانفراج في العلاقات المتأزمة؟
القذافي: إن قطع العلاقات تم من طرف واحد. وحتى الآن فإن المؤتمرات الشعبية لم تقرر قطع العلاقات مع بريطانيا. إننا نرغب في عودة العلاقات التقليدية بيننا وبين بريطانيا ونأمل في أن يتم الإفراج عن السجناء الليبيين الموجودين في السجون البريطانية وأن ترفع الشرطة البريطانية يدها عن الطلبة الليبيين في بريطانيا والذين تمكنت المخابرات الأميركية من تجنيدهم. وإذا لم يحصل شيء من هذا القبيل فإننا لن نقف مكتوفي الأيدي.

القمة السابقة... وقمة الرياض

«التضامن»: أليس كان من الممكن المشاركة في قمة الدار البيضاء وتقول كل ما تريد أن تقول لزملائك الملوك والرؤساء؟
القذافي: لمن سأقول؟ لموظفين؟ إن الملوك والرؤساء لم يحضروا.
«التضامن»: لقد حدثت مقاطعة للقمة من بعض الملوك والرؤساء لكن هنالك أربعة أو خمسة كانوا في ما يجوز إعتباره حالة إنتظار ورصد لمن سيحضر ولمن لن يحضر. وقد يجوز الافتراض أن كلاً من هؤلاء - وأنت منهم - كان سيشارك لو أن الآخرين قرروا المشاركة.
القذافي: أنا لا أشارك في مؤتمرات القمة العربية.

«التضامن»: ولن تشارك في قمة الرياض إذا كُتب لها أن تنعقد؟

القذافي: أقصد أنني في الست عشرة سنة التي إنقضت لم أشارك سوى في قمة واحدة وهي تلك التي تم إنعقادها في الرباط بعد الثورة مباشرة عام 1969 وأيضاً القمة التي عقدها عبد الناصر في القاهرة عام 1970 وهي قمة يمكن إعتبارها غير رسمية وكان سبب إنعقادها أن الملك حسين ذبح الفلسطينيين. وإلى ذلك كيف سأحضر القمة إذا كانت قرارات قمة بغداد لا تُحترم وهنالك من يعيد العلاقات مع مصر بالرغم من أن هنالك قرارات تمنع ذلك إتخذتها الجامعة العربية؟

مصالحة الأمر الواقع العربي

«التضامن»: هل نفهم من ذلك أنه ليس هنالك إمكانيات لعقد مصالحة إذا جاز القول بينك وبين الأمر الواقع العربي؟
القذافي: الحقيقة أنني في مفترق الطرق. فأنا أرى أن الأمة العربية تغرق بالإنقسامات وأن الدولة تحل

محل الأمة. أصبحت هنالك الدولة الكويتية والدولة الليبية والدولة التونسية والدولة الجزائرية... وهكذا. والعدو من جانبه يشجع فينا هذا الأمر ويعمل من أجل تكريس مفهوم الدولة التي يحكمها ملك بالوراثة أو رئيس مدى الحياة، أو الدولة التي تنحصر همومها في أمور متعارضة مع حقيقة الصراع الحضاري والسياسي الذي يجب أن نخوضه مع العدو والتي تُشغلها هموم الإفتتاح المخادع والانتخابات المزورة. إنني في مفترق الطرق يتنازعني شعوران. شعور أن أكون مسيح الأمة العربية الذي إذا تعرض لضربة على الخد الأيمن أدار الخد الأيسر، أو نوح الذي يجمع في سفينته المتناقضات ويقودها إلى حين وصولها إلى شاطئ النجاة وبعد ذلك تتقهقر. أما الشعور الآخر فهو أن تبدأ الثورة ويبدأ العنف الذي يستهدف الأنظمة بالتدمير. وعلى العرب أن يشاركوا في هذا الاختيار فإما ركوب سفينة نوح الجديدة أو الإستجابة للعنف.

«التضامن»: عندما تقول إنك في مفترق طرق فهل معنى ذلك أن هذه الفكرة هي موضع مناقشة بينك وبين نفسك الآن؟

القذافي: أنا أعيش هذه الحالة منذ بعض الوقت فإما إنتهاج خط بسمارك وإما إنتهاج أسلوب نوح.

أحوال الداخل تشجيراً مليونياً ونهراً صناعياً

«التضامن»: هل أنت راضٍ عن الأحوال داخل الجماهيرية؟

القذافي: لقد وصلنا بفضل المؤتمرات واللجان الشعبية إلى نهاية المطاف في كفاح الشعوب من أجل الديمقراطية.

«التضامن»: من ضمن الإحصاءات التي تعز بها أنكم في ست عشرة سنة زرعتم 120 مليون شجرة مثمرة و234 شجرة غابة. وهنالك العمل الجاري من أجل إنشاء نهر صناعي.

بالنسبة إلى هذا النهر ثمة سؤال. إن الله سبحانه وتعالى عندما خلق الدنيا وزَّع هنا بحراً وهناك نهراً وهناك مناجم من ذهب. كذلك إنه خص شعباً بالنفط وشعباً بالصبر وشعباً بالفقر... وتلك حكمة من خالق السماوات والأرض أنه خص مصر والسودان بالنيل وخص الجزيرة بالديار المقدسة والنفط وخص لبنان بجمال الطبيعة وفي الوقت نفسه بالكفر بهذه النعمة وبخمسين طائفة وحزباً. وخص الفلسطينيين بالصبر والقدرة على التحمل وخص العراق بنهرين وبعتبات مقدسة... وهكذا بالنسبة إلى ليبيا خصها بحصتها من نفط وبحر وجبل أخضر وليس فيها نهر. ثم تأتي وتقرر إنشاء نهر صناعي. أليس في ذلك نوع من التحدي لخيارات الله سبحانه وتعالى في توزيعه للثروات على أنواعها على أهل الأرض خصوصاً أنكم لا تعملون على إنشاء سد أو شلال وإنما على إقامة نهر والأنهار يخلقها الله سبحانه وتعالى وليس كالسدود مثلاً يمكن إنشاؤها؟

القذافي: هناك مياه جوفية موجودة تحت الرمال. ولا خيار أماننا سوى إستخراجها وإستعمالها في ري الأراضي للزراعة، وإستخراجها ونقلها إلى الأراضي الصالحة للزراعة تشكّلان عملية النهر الصناعي وسيكون عندنا بالفعل أعظم نهر صناعي. وبعد خمس سنوات ستنتهي المرحلة الأولى وبعد تسع سنوات ينتهي المشروع بالكامل. إن العمل يجري على قدم وساق في هذا المشروع.

«التضامن»: هل سيكون بأهمية السد العالي في مصر؟

القذافي: إنه معجزة وأكثر أهمية من سد أسوان.

«التضامن»: هل هنالك أفكار أخرى أنت في صدد طرحها في فصل جديد من «الكتاب الأخضر»؟

القذافي: فصول الكتاب الأخضر إنتهت، لكن شروح هذه الفصول لم تنته. وفي إستمرار هنالك إمكانيات

لإضافة المزيد من الشروح. وفي الشروح يمكن إضافة الكثير. إنتظروا دائماً ففيها الجديد الذي يعزز الفكرة الأساسية.

«التضامن»: نجد أنفسنا دائماً نعود إلى موضوع العمال الذين تم ترحيلهم لكثرة الغبار الذي أثارته عاصفة الترحيل في السماء العربية. وفي هذا الصدد هل من الجائز الافتراض بأنه في ضوء التغيير الذي حدث في السودان فإنه سيتم إحلال عمال سودانيين محل العمال المصريين والتونسيين؟
القذافي: تقديراً منا لظروف السودان والثورة التي قام بها الشعب السوداني فإننا أبقينا على العمال والموظفين السودانيين.

العلاقات مع موسكو غورباتشوف

«التضامن»: كيف هي حال علاقاتكم مع القيادة الجديدة في الإتحاد السوفياتي وما هو تقويمكم لشخصية الرئيس غورباتشوف؟

القذافي: لم يحدث حتى الآن أي إتصال مباشر.

«التضامن»: هل هذا فتور أو إنتظار من جانبكم لما ستكون عليه طبيعة تبادل المصالح والمكاسب بين غورباتشوف وريغان بعد لقاءهما المقرر في جنيف بعد حوالي الشهرين؟
القذافي: لقد إتصلوا بي ووجهوا الدعوة لزيارة الإتحاد السوفياتي ولقد قبلت الدعوة. وعادوا الإتصال اليوم (الخميس 1985/8/22) ليسألوا عن موعد محدد وعما إذا كنت أراه مناسباً للقيام بالزيارة وتم الإتفاق على تحديد الموعد وستتم الزيارة قريباً.

«التضامن»: هل ستتم هذه الزيارة قبل لقاء القمة الأميركي - السوفياتي أم بعد هذا اللقاء؟
القذافي: لقد راعوا من جانبهم ما هو في نظري أساسي، أي أن تتم الزيارة قبل قمة جنيف. ذلك أن هنالك أموراً من المهم أن نسمعها من القيادة السوفياتية قبل تلك القمة، كما أن هنالك أموراً من المهم أن نقولها لتلك القيادة قبل القمة أيضاً.

إستغراب سعودي حدث مرة

«التضامن»: قبل حوالي شهرين وبضعة أيام كنت في جدة عندما وصلت إليها فجأة ل أداء العمرة بعدما كنت توقفت في الخرطوم لبضع ساعات. ولقد لاحظت لدى بعض المسؤولين الكبار إستغرابهم لكونك حرصت على أن ترتدي بدلة تبدو كما لو أنها مثل ثياب لاعبي الكاراتيه.
القذافي: كانت بدلة كاكي تتناسب مع الجو الصيفي الحار.
«التضامن»: ... ووجه الإستغراب هو أن الملك فهد توجه إلى المطار وإستقبلك بالرغم من أن الزيارة غير رسمية يحيط به كبار المسؤولين في الدولة.

كما أن الإستغراب تزايد لأنك تعمدت إرتداء البدلة نفسها عندما غادرت مطار جدة في اليوم التالي مودعاً من قبل الملك فهد وكبار رجال الدولة، وكأنما ليس لديك في حقيبتك سوى هذه البدلة. ولا بد أنك تعرف مدى حساسية المسؤولين السعوديين من هذا الأمر خصوصاً أن البدلة التي إرتديتها ليست الزي القومي الليبي لكي يمكن تقبل الأمر ببساطة. ومعذرة لأنني أثير هذا الأمر ومعذرة لأنني لا أوضح بما فيه الكفاية.

القذافي: (أعفي نفسي من رد العقيد القذافي على ملاحظتي هذه).

«التضامن»: كيف حال علاقاتكم مع فرنسا والرئيس فرنسوا ميتران وهل هنالك فرص أمام تطويرها؟
القذافي: العلاقات مع فرنسا طيبة ولا مشاكل بيننا وبينهم وفرص التطوير كثيرة وممكنة.
«التضامن»: هل هنالك ما يعكر الصفو الجزائري - الليبي أم أن الأمور عادية بينكم وبين الرئيس الشاذلي بن جديد؟
القذافي: الحقيقة أن الأمور بيننا ليست عادية والجزائر تفقد حلفاءها حليفاً بعد آخر. إنها تُبَدِّل تحالفاتها.
«التضامن»: هل معنى ذلك أن الجزائر لم تعد حليفة لليبيا وسوريا واليمن الجنوبية؟
القذافي: الجزائر من الناحية العملية هي حليفة، لكن في الوقت نفسه نرى أن الجزائر تفقد حلفاءها الطبيعيين.

* * * *

قَبْلَ أَنْ أَنْهِيَ هَذَا الْحَدِيثَ مَعَ الْعَقِيدِ الْقَذَافِيِّ وَأُودِّعُهُ عَلَى أَمَلِ الْلِقَاءِ مَرَّةً أُخْرَى وَجَدْتُ نَفْسِي أَسْأَلُهُ: لَقَدْ كَبُرَ أَوْلَادُكَ. كَيْفَ تَتَعَامَلُ مَعَهُمْ؟
وَأَجَابَ وَبَعْضُهُمْ يَحِيطُ بِنَا عَلَى شَرَفَةِ الْإِسْتِرَاحَةِ الْبَحْرِيَّةِ الَّتِي تَمَّ فِيهَا هَذَا الْلِقَاءُ: إِنِّي مَشْغُولٌ عَنْهُمْ وَآتَعَامِلُ مَعَهُمْ مِنْ بَعِيدٍ لِبَعِيدٍ..
وَعَادَتْ بِي الذَّاكِرَةُ إِلَى بَضْعِ سَنَوَاتٍ عِنْدَمَا كَانَ الْعَقِيدُ الْقَذَافِيُّ أَبًا لَوْلَدَيْنِ فَقَطْ وَقَالَ رَدًّا عَلَى سَوَالِ مِمَّا ثَلَّ وَجَّهَتْهُ إِلَيْهِ: إِنِّي لَا أَرَاهُمَا.
وَفِي ذَلِكَ الْحِينِ كَانَتْ هُمُومُ الْعَقِيدِ الْقَذَافِيِّ أَقْلَ بِكَثِيرٍ مِمَّا أَصْبَحَتْ عَلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ وَمِمَّا هِيَ عَلَيْهِ الْيَوْمَ.

نُشِرَ الْحَوَارِ فِي مَجَلَّةِ «التضامن»
بتاريخ السبت 7 سبتمبر/ أيلول 1985

مقابلة مع الرئيس معمر القذافي (2)



القذافي يعود متدرجاً إلى التفريد العربي

حوار آخر مثير للجدل مع الأخ معمر
وقد أعاد النظر في الموقف من إيران



يوم الجمعة 27_3_1987 على باب الخيمة الشهيرة: العقيد معمر القذافي والصحافي فؤاد مطر
رئيس تحرير «التضامن» خلال الحديث المثير للجدل، وهو الثاني الذي تجريه «التضامن» مع
الرئيس الليبي، أما الحديث الأول الذي أجرته «التضامن» مع العقيد القذافي وكان هو الأخير مثيراً
للجدل فقد أجره رئيس التحرير قبل ثمانية عشر شهراً ونشرته «التضامن» بتاريخ 1985/9/7

في كل مرة أُجري حديثاً مع العقيد معمر القذافي أحتار في أي عنوان أضع لهذا الحديث الذي أجرته معه
يوم 18 مارس/ آذار 1978 في بلدة «سرت» التي باتت تُعرف بـ «عاصمة الأخ معمر» فيما طرابلس عاصمة
«الجمهورية الليبية»، وأي صفة نطلقها على نوعية هذا الحديث.

وتلك هي حالي منذ الحديث الأول عام 1970، بعدما قامت ثورة الفاتح من سبتمبر 1969 بأشهر قليلة،
وحتى الحديث الحادي عشر المثير للجدل الذي أجرته معه قبل أيام بعدما صارت الثورة صبية تواجه التحدي
الأكثر خشونة حيث أنها بعد سبع عشرة سنة باتت مطالبة بما هو أكثر من التأمل وأقل من الإستدارة، وفي
الوقت نفسه تريد أن تحافظ على أسلوب تعامل مع الآخرين لا يتحمل البعض عفويته، ويفرض البعض نوعية
المشاكسة الذي تعتمده الثورة الليبية في ذلك الأسلوب، والذي بسببه نشأت خلافات من النوع العابر كالخلاف
الليبي - الفلسطيني الذي يتلاشى لتحل محله علاقة من نوع لا يتأثر أو يتزعزع، والخلاف الليبي - التونسي
الذي سينتهي بعد حسم عدد من الأمور التفصيلية وتلك أسهل الأمور، والخلاف الليبي - العراقي الذي يجوز
القول إنه إنتهى وأن العلاقات بين البلدين ستبدأ إستعادة عافيتها وبالتدرج لمجرد أن يتم الإعلان في أي لحظة
(قد يكون من المناسب التوضيح بأننا نكتب هذا الكلام قبل ظهر السبت 1987/3/28) عن وصول سفير ليبي
إلى بغداد ووصول سفير عراقي إلى طرابلس. ولمجرد أن يزور أمين الخارجية بغداد ويرد له الزيارة وزير

الخارجية العراقية.

وصحيح أن الخلافات المشار إليها تسببت في نشوء مرارة قاسية وشديدة الوطأة على النفوس وعلى الوجدان، إلا أن معالجاتها تحت مظلة القومية العربية التي أشار إليها العقيد القذافي قبل أيام موضحاً بلهجة الحازم أنه لن يقف إلا تحتها، كفيلة بنشوء مشاعر ودودة إلى حد كبير. لكن المشكلة ليست في الخلافات التي من النوع العابر، ولا حتى الخلافات العالقة مثل الخلاف الليبي - المصري وشبه الخلاف الليبي - المغربي والخلاف الليبي - الأردني، وإنما المشكلة في الخلافات التي بين العقيد القذافي وكل من حكومات الولايات المتحدة وفرنسا وبريطانيا، لأن هذه الخلافات لا تجد أطرافاً فاعلة تتوسط في شأنها، فضلاً عن أن الحكومات الثلاث ضغطت وما تزال، وفي شكل أو آخر، على الدول العربية في محاولة لتحبيدها إزاء الخلافات التي بين هذه الدول والحكم الليبي.

تم اللقاء في خيمة، وكان العقيد القذافي كعادته عفواً وصريحاً. ورداً على نقاط كثيرة وضعتها أمامه عرض تحليلاً للموقف. وسأورد في الأسطر الآتية خلاصة لهذا التحليل الذي يعطي فكرة عن نظرة العقيد القذافي لقضايا الساعة وكيف يفكر إزاءها، مع الأخذ في الاعتبار أن العقيد القذافي يبدو قبل أيام من حلول الذكرى الأولى للعدوان الأميركي عليه واثقاً من خطواته، مصمماً على مواصلة مشاكسة الرئيس ريغان وإدارته.

- وضع الفلسطينيين بالنسبة إلى الوضع الذي تتطور في اتجاهه العلاقة بين فصائل المقاومة الفلسطينية يرى أنه وضع جيد وسيكون أفضل بعدما تم في طرابلس إقرار وثيقة تفاهم بين بعض الفصائل وبعدما باتت الأمور سالكة مع حركة «فتح».

ويرى العقيد القذافي أن الأسلوب الذي يعتمده ياسر عرفات في حركته السياسية لا يعني أن الرجل يخون القضية، ويشدد على ضرورة أن يكون المجلس الوطني الفلسطيني هو الساحة التي يمكن فيها مناقشة عرفات ومساءلته بل ومحاكمته، وأنه إذا كانت الأغلبية مع عرفات فليس معنى ذلك أن الخيانة بهذا الإتساع. ويشدد على أنه لم يمارس ضغوطاً على قادة الفصائل الفلسطينية الذين اجتمعوا في طرابلس وإنما إستمع مطولاً إليهم وكان هدفه من ذلك المساعدة على ولادة موقف فلسطيني ينقذ ما يمكن إنقاذه.

- حول الوضع في لبنان ولماذا لا يقوم بمبادرات مع القيادات اللبنانية من نوع المبادرة التي قام بها مع قادة الفصائل الفلسطينية وبذلك يكون ساعد على وقف الحرب، يرى العقيد القذافي أن كل مفاتيح الأزمة هي بين يدي سوريا وأن في إستطاعة سوريا أن توقف الحرب إن هي أرادت وفي إستطاعتها أيضاً أن تبقى على الحرب مستمرة.

- بالنسبة إلى العلاقات العربية - الفلسطينية وتحرك عرفات يشدد العقيد القذافي على أنه حزين لهذه المطاردة العربية التي تحدث للفلسطينيين ويستغرب كيف أن هؤلاء الذين يتولون أمر المطاردة لا يأخذون في الاعتبار ما الذي يمكن أن يفعله الفلسطينيون إذا هم انفجروا. كذلك إنه يرى أن الذي يحدث للفلسطينيين (حاجة تكفير) وأن هذه المطاردة قد تجعلهم يذهبون إلى الشيطان. وبالنسبة إليه فإنه يشدد على أنه إزاء أي خلاف بين بلد عربي والفلسطينيين فإنه من دون تردد سيقف مع الجانب الفلسطيني. كذلك إنه لا يقتنع بأن محاوره عرفات واللقاء به مسألة لا تجوز بينما من الجائز للآخرين أن يكون لهم مكان في الصدارة.

- بالنسبة إلى ما يتوقعه إذا إستمرت الحال على ما هي عليه في العالم العربي قال إنه يتوقع من جيل التسعينات أن يقوم بـ «ثورة الغضب» وهي ثورة لن ترحم.

- بالنسبة إلى العلاقات مع الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا أوضح أنه لن تكون هنالك علاقات من جانبه مع أميركا ما دام الرئيس ريغان في الحكم وأنه غير مهتم بأن تتحسن العلاقات الليبية - الأميركية مع

إدارة ريغان. كذلك إنه يرى أن هذه العلاقات ستتحسن وتتطور بعد رحيل ريغان.

وفي الإطار نفسه يرى العقيد القذافي أن المشكلة مع الولايات المتحدة تكمن في أن ريغان مقتنع بأنه يجب أن يسيطر على العالم وأنه يجوز له أن يعتدي على أي دولة وبأي وسيلة. ويقول العقيد القذافي أيضاً إنه "إذا كان الغير يقبل فنحن نرفض هذا المنطق وعلى إستعداد للتصدي له وقد تصدينا بشجاعة".

ويشدد القذافي على أن مرض «الإيدز» هو إختراع أميركي إبتكرته وكالة المخابرات المركزية الأميركية لتهدد العالم به وتستعمله في حرب جرثومية تكون أقل من الحرب النووية وأكثر من الحرب الكلاسيكية التي جربتها مع فيتنام وجربتها بصيغة أخرى مع الجماهيرية الليبية عندما شنت العدوان الجوي والبحري عليها. ويستند في ذلك إلى علماء أجانب أوضحوا الأمر بما لا يدع مجالاً للشك.

والأهم من ذلك هو أنه ردد أمامي أن الولايات المتحدة باتت تشكّل خطراً على الإنسانية ويرى أن على كل إنسان عربي وكل إنسان في هذا العالم أن يعتبر الولايات المتحدة منطقة موبوءة فلا يدخل سفاراتها ولا يتعاطى مع موظفي هذه السفارات وكذلك لا يشتري منتجاتها مخافة أن تكون ملوثة وتتسبب في إنتشار عدوى «الإيدز» سواء كانت السلعة ألبسة أو سيارات أو همبورغر أو حلويات أو أطعمة محفوظة أو سجائر أو مرطبات، ولا يستعمل الطائرات الأميركية أو السلاح الأميركي أو يستعين بالخبرة الأميركية للغرض نفسه.

• حول موقفه من الحرب العراقية - الإيرانية أوضح أنه ضد هذه الحرب منذ البداية وأنه صار ضدها أكثر بعدما بدأت تستنزف طاقات الطرفين المتحاربين.

وهو عندما وصف قبل مدة هذه الحرب بأنها مجنونة ويجب أن تتوقف لم يكن يتوقع أن تتخذ إيران هذا الموقف السلبي الذي إتخذته وإنما تساند خططه الرامية إلى إيقاف الحرب. وهذا الموقف أحدث في نفسه ما يشبه خيبة الأمل.

ويتساءل: «ما هو السر في تدفق هذا السلاح الذي يجعل الحرب مشتعلة، وهل أنه سيكون هنالك حماسة مماثلة لتقديم المساعدات والتسهيلات للبناء في أعقاب الحرب؟ إن الأطراف المستفيدة من هذه الحرب هي الولايات المتحدة وفرنسا والصهيونية وتجار السلاح، وأن هدف هذه الأطراف هو القضاء على قوة الجيش العراقي لأنها تشكل خطراً على الصهيونية خصوصاً بعد إنتشار ظاهرة الإستشهاد». ويوضح العقيد القذافي أنه ليس ضد الثورة في إيران لكنه يخشى من أن تؤثر تصرفات القيادة الثورية الإيرانية الراهنة على هذه الثورة. ويضيف: «إن قادة إيران يعلنون أن هدفهم إسقاط صدام حسين لكن إستمرار الحرب يمكن أن يؤدي إلى سقوط القيادة الثورية الإيرانية، بل إنني أتوقع ذلك وأتنبأ به وأعرف أن هذا القول سيكون موضع إستهجان الإخوة الإيرانيين ولكن من الأفضل تسجيل ذلك...».

يضيف العقيد القذافي أيضاً: «إذا حدث ذلك ستكون تلك نكسة ومؤامرة. إنني لا أتمنى سقوط القيادة الثورية الإيرانية ولكنني أكرر أنه في حال أن هذه القيادة لا توقف الحرب فإنها ستسقط بسبب الحرب وتأتي بدلاً منها قيادة معتدلة يمكن أن تُنتهي الحرب...».

• حول العلاقات الليبية - العراقية يوضح العقيد أن هذه العلاقات مرشحة للتطور نحو الأحسن. ولا تقوته الإشارة في هذا الصدد إلى أن الجماهيرية الليبية لم تقطع العلاقات مع العراق وإنما الذي قطع هو العراق.

• بالنسبة إلى تغيبه عن القمة الإسلامية في الكويت قال إنه ضد هذه الديماغوجيات وتساءل: «هل إنها كانت بالفعل قمة للمسلمين»، وأوضح أن من بين أسباب تغيبه عن القمة هو أن الرئيس حسني مبارك الذي تقيم بلاده علاقات مع إسرائيل مشارك في تلك القمة.

• حول الغارة الأميركية على ليبيا وما إذا كانت الولايات المتحدة نفذت الغارة التي إستهدفته نتيجة إصراره

على أن يكون له دور في تشاد والدول الأفريقية من شأنه أن يسبب الإرتباك للدول الكبرى ذات المصالح هناك (مثل أميركا وفرنسا)، أو هل أن الغارة حدثت لأنه تجاوز الخط الأحمر الذي لا يجوز لحكام دول العالم الثالث تجاوزه ضمن لعبة الأدوار في العالم.. حول هذين الأمرين وحول أمر ثالث يتعلق بطروف التواجد الليبي في تشاد قال: «إننا نتعرض لحملة تشويش من الإعلام الأميركي والبريطاني والفرنسي والأطلسي عموماً وكل ذلك ثأراً منهم لما فعله الشعب الليبي بهم عندما هز كبرياءهم في الفترة التي نفذت أميركا وبريطانيا الغارة علينا. إنهم يصوروننا أمام العالم بأننا نفعل في تشاد وبها مثلما يفعلون هم وهذا إفتراء. نحن نساعد شعباً ظلمه الإستعمار كما سبق أن ظلم شعبنا من قبل عشرات السنين. وإذا كنا نحن في ليبيا نأزنا لهذا الظلم وقمنا بثورة ونفذنا ثلاثة إجلاءات بدل الأجلء الواحد فإن شعب تشاد وغيره من شعوب أخرى في القارة الأفريقية وفي مناطق أخرى في العالم ينتظرون فرصة الثأر. ونشعر أن من واجبنا نجدة هذه الشعوب التي تتطلع إلى التحرر...».

ويضيف العقيد القذافي: «إننا لا نطمح في أن نستعمر أحداً. ولو كان الأمر كذلك لكان في إستطاعتنا أن نصل إلى مناطق كثيرة في أفريقيا، فلدينا ألوف الدبابات والآليات ولدينا مئات الطائرات وعندنا جيش مؤمن بثورته. ولقد حدث أن وصلنا إلى أنجamina وإنسحبنا منها. ولا أعتقد أن الإستعماري ينسحب وإنما إنسحبنا لأن الطرف الذي أوصلنا إلى أنجamina (أي كوكوني) طلب أن ننسحب وإحترمنا هذه الرغبة...».

• حول إمكانية التفاهم مع فرنسا يوضح العقيد القذافي أن «على فرنسا أن ترفع يدها عن تشاد وأن تتأكد بأن الجماهيرية الليبية قادرة على أن تكتسح خلال أيام كل المستعمرات الفرنسية في أفريقيا...».

• حول إطلاق صفة العظمى على الجماهيرية الليبية وكيف أن في الكلمة هذه بعض المبالغة أو الثقة بالنفس الزائدة عن الحد قال: «نحن من حيث المساحة دولة عظمى ولكننا لم نطلق على بلادنا هذا الإسم إلا بعدما إستطعنا أن نتصدى لعدوان أميركي نفذته ضدنا 170 طائرة أميركية وأطلسية. بعد هذا العدوان شعرنا أن دولة الثلاثة ملايين نسمة فعلت ما يمكن أن تفعله دولة عظمى ومن هنا جاءت التسمية...».

• حول تصريحات للرئيس الأميركي السابق جيمي كارتر نسب فيها إلى الرئيس حافظ الأسد موقفاً خلاصته أنه (أي الرئيس الأسد) بات يقبل بإسرائيل كأمر واقع في المنطقة، وكيف أن الإسرائيليين إستقبلوا ذلك بالدهشة، قال العقيد القذافي إنه يستبعد مثل هذا الموقف من جانب الرئيس الأسد. وأضاف إنه شخصياً (أي العقيد القذافي) ما زال على موقفه برفض الوجود الصهيوني فوق الأرض العربية.

• حول ما إذا كانت الصورة التي رسمها في مخيلته عندما قام بالثورة لما ستكون عليه ليبيا هي ليبيا الراهنة بجانبها السياسي والإجتماعي - الإقتصادي أجاب: «عندما قمنا بالثورة كانت أهدافنا تنحصر في التحرر وإنهاء الوجود الأجنبي، وسنة بعد أخرى كانت تتبلور الأمور التي نشعر أن علينا واجب تحقيقها. وأرى أن دائماً هنالك إضافات».

• حول تدخّل إيران في شؤون تونس وهو ما حمل الثانية على قطع علاقاتها مع الأولى، وهل إذا تطور التدخل بحيث تصر إيران على تصدير ثورتها إلى تونس.. حول هذا الأمر وعما إذا كان يقبل به أو أن يُقدّم النجدة لتونس إذا احتاجت أجاب: «إذا تعرضت تونس لغزو من إيران فمن واجب الجماهيرية التصدي له ونجدة تونس. أما إذا كان الأمر مجرد خلافات بين التونسيين فهذا لا دخّل لنا به...».

• حول عدم توظيف دور السودان في ما يتعلق بالخلافات العربية - الأفريقية والخلافات العربية - الإسلامية يوضح العقيد القذافي أنه شجع مبادرة السودان في ما يخص الأزمة في تشاد وما زال يرى أنها مبادرة طيبة وإيجابية ومنطلقاتها وطنية.

- حول إذا كان يشعر بأنه بات الآن أكثر قدرة على بذل مسعى فعال لوقف الحرب العراقية - الإيرانية حيث أنه لم يعد يساند طرفاً ضد طرف وإنما بات أكثر تفهماً للموقف العراقي وأقل تعاطفاً مع الموقف الإيراني وكذلك أقل مساندة عسكرية وتسهيلات للجانب الإيراني.. «حول هذا الأمر قال: لو «تجاوب طرفا الحرب معي منذ البداية لكانت الآن الأمور أفضل. وعندما أتأمل في الأخطار التي تحاول محاصرة الأمة من كل الجهات من قرنق ومن الإصرار على مواصلة الحرب من جانب القيادة الإيرانية ومن أميركا وفرنسا عن طريق تشاد ومن إسرائيل، أجد نفسي كقومي أنتهز فيها أي فرصة لتعطيل الألغام التي يزرعون بها الأمة. وبالنسبة إلى قضايا من هذا النوع فإن العمل بصمت يكون مجدياً أكثر...».
- وحول ما إذا كانت الولايات المتحدة وبعض حليفاتها تحاول جعل مشكلة تشاد حرباً مفتوحة تستنزف الجماهيرية قال إنه يأخذ هذا الأمر على محمل الجدية ويستعد له وكأنه سيحدث.
- حول ما إذا كان يقر أسلوب إحتجاز الرهائن كما يحدث في لبنان قال إنه يستنكر هذا الأسلوب ولا يقره على الإطلاق.

إعادة نظر كما الصين وغورباتشوف

وتبقى الإشارة إلى أنه في نهاية هذا اللقاء كنتُ أسأل العقيد القذافي عما إذا كان بإقتراحه إدخال بعض التعديلات على مسألة التجارة والأسواق والخدمات تأثر بالمراجعة التي يشهدها أكثر نظامين متشددتين في ما يخص تجربتهما الاشتراكية وأعني بذلك ما حدث في الصين وما يقوم به غورباتشوف في الاتحاد السوفياتي. وهذه التعديلات عكست إنطباعاتاً إيجابياً بأن العقيد القذافي لا يتمسك بحرفية الأشياء إذا وجد أن المواطنين لسبب أو آخر مهمومون من تطبيق بعض جوانب نظريته الاقتصادية.

وبما أن الأمر على الصعيد الداخلي الليبي يبدو مسألة بالغة الأهمية، أو أنها تلي من حيث الأهمية الانفراجات في العلاقات بين ليبيا وبعض الأطراف العربية فإننا نعالجها في اللقاء التالي مع الأخ العقيد الذي أجريته يوم الجمعة 27 مارس/ آذار 1987 في خيمته في بلدة «سرت» التي باتت تعرف بـ «عاصمة الأخ معمر» فيما طرابلس عاصمة «الجماهيرية الليبية».

قبل أيام من لقائي بالعقيد معمر القذافي كانت الجماهيرية الليبية تعيش حالة جديدة من النهوض النفسي ناشئة عن خطوة غير مطروقة أقدم عليها القذافي عندما قرر إطلاق السجناء وإلغاء قوائم الممنوعين من السفر. ومن يزور الجماهيرية يلاحظ الأثر الطيب الذي تركته هذه الخطوة. فالوجوه مستبشرة خيراً بالخطوة وأحاديث الناس تدور حولها والإرتياح شامل. وترقب خطوات أخرى ليس بالأمر المستبعد. وعبر الليبيون عن إبتهاجم بهذه الخطوة بإرسال باقات الورد إلى العقيد القذافي مرفقة بالبطاقات التي تتضمن التأييد والتمنيات له بالخير.

ومع أنني (حتى هذا اللقاء) أعرف العقيد القذافي منذ ست عشرة سنة وأجريت معه عدة أحاديث صحافية وهذا يجيز لي أن أكون أكثر قدرة على إستيعاب الخطوات التي يتخذها، إلا أنني بالنسبة إلى خطوته الجديدة لم أكن كذلك. ومن أجل ذلك فإنني وجدت نفسي عندما إلتقيت بالعقيد القذافي مساء يوم 18/3/1988 في خيمة سرت، أحاول بالحدقة الصحافية أن أعرف منه دوافعه إلى هذه الخطوة، بمعنى هل أنها رغبة منه في تحقيق عقد إجتماعي جديد أو أنها تأتي إنسجاماً مع دعوته إلى ممارسة الحرية... والسجن ضد الحرية، أو أنها نتيجة تمنيات من والده هذا السجين أو زوجة هذا السجين أو شقيقة هذا السجين أو أنها رفق بشيخوخة هذا الأب أو ذاك؟

بل إنني في إطار الافتراض أيضاً وجدت نفسي أتساءل: هل إن هذه الخطوة هي تعبير عن ضيق من

العقيد القذافي نفسه بإجراءات تم إتخاذها لسبب أو آخر، أو هل إن هذا القائد بات أكثر ثقة بالنفس فأراد أن يؤكد ذلك بقرار يتم فيه الإفراج عن سجناء دخل بعضهم السجن لأسباب سياسية؟

جاء رد العقيد القذافي على تساؤلاتي وأسئلتي وإستفساراتي على النحو الآتي:

إن الثورة قامت من أجل حرية الناس وليس من أجل سجنهم. ومجرد وضع ناس في السجن كان من وجهة نظرنا كمحررين أمراً ليس من طبيعة الثورة التي قمنا بها. إضافة إلى ذلك إن السلطة الجديدة التي قامت وهي السلطة الشعبية تحتم أن يقرر كل مواطن ما يريد وهي أيضاً أي سلطة الجماهير لم تترك شيئاً لأحد كي يعارض. وعندما نعرف أنه في إستطاعة أي مواطن أن يحمل رأياً ويطرحه ويناقشه في المؤتمرات الشعبية، ويؤخذ بهذا الرأي إذا حدث إلتفاف من المؤتمرات عليه عند ذلك لا يعود هناك مبرر.

«إن كل مواطن في الجماهيرية يصبح لمجرد أن يبلغ سن الرشد عضواً في مؤتمر الشعب الأساسي وعندما يصبح عضواً فمن حقه أن يطرح أي رأي ويطلب تبنيّه من المؤتمر، وبالتالي فإن هذا الرأي يأخذ طريقه إلى التنفيذ. وعلى ذلك فلا موجب في نظام جماهيري لكي يعارض هذا المواطن أو ذاك ما دام قادراً على طرح أي فكرة دينية أو سياسية أو إقتصادية. كذلك لا ضرورة في نظام جماهيري للعمل السري ما دام في الإمكان التعبير وفي وضوح النهار أمام الناس.

«إن هنالك عناصر تم وضعها في السجن قبل قيام سلطة الشعب. وهناك عدد من الضباط يرتب عالية إستكثرنا أن نقوم نحن الضباط الذين هم بمرتبة ملازم بتغيير بينما هم أعلى رتبة من دون أن يدركوا أن ما قمنا به هو ثورة شعبية وليس إنقلاباً عسكرياً، فحاولوا أن يقوموا بتحريك مسلح وكان بعضهم قد إنضم في الأسابيع القليلة التي سبقت «الفتح من سبتمبر» إلى تنظيمنا. ونتيجة لتأمر هؤلاء فقد تم وضعهم في السجن وتم إصدار الحُكم بالإعدام عليهم إلا أننا لم ننفِ الأحكام (بين هؤلاء وزير الداخلية ووزير الدفاع في أول حكومة بعد الثورة). بعد ذلك كانت هنالك مجموعات حزبية قبل قيام الثورة بدأت تعمل في السر مع أنه كان يفترض فيها الترحيب بالتغيير الثوري الذي حدث، فضلاً عن محاولات فردية قام بها سياسيون ومستغلون ومن أفراد الحاشية الملكية.

ومن الطبيعي في الفترة التي أعقبت بدء تجربة اللجان الثورية أن يتواجد هامش لحالات من العناصر المظلومة تم إعتقالها نتيجة الشكوك وضرورات الحذر.

وعندما تزايد التأمر الخارجي علينا بات لا بد من التشدد ومن تزايد الإحتياطات الأمنية تبعاً لذلك. وهذا التأمر كان نتيجة رفض العناصر الحزبية لمبدأ السلطة للشعب. والآن بعد قيام سلطة الشعب بات من الطبيعي ألا يكون هنالك أحد في السجن لأسباب سياسية، وعلى هذا الأساس إرتأينا أن تكون السجون خالية ما دامت هنالك مؤتمرات شعبية يستطيع أن يتوجه إليها المواطن ويقول ما يريد أن يقوله. وإذا إقتنعت هذه المؤتمرات بما يقوله فإنه سيتم الأخذ بها. وإلى ذلك إن السجون تكاثرت على الإنسان العربي إلى درجة بات فيها الأمر لا يطاق...».

ليبيا دولة بلا سجون... كيف؟

قُلت: في مؤتمر الشعب الماضي وردت عبارة لها دلالتها ويبدو أنها لم تستوقف كثيرين وهي «إن الثورة هي إعلان الحرية» هل معنى ذلك أن إعلان الحرية هو إطلاق السجناء وهل أنك منذ سنة تفكر في هذه الخطوة؟

أجاب العقيد القذافي:

ما أستطيع قوله في هذا الشأن هو أن قيام سلطة الشعب يتعارض مع بقاء السجون. والقول بأن هذه الثورة

هي إعلان الحرية أتى منسجماً مع الواقع المستجد الذي أشرت إليه.

قُلت: كيف يمكن أن نتصور وجود دولة من دون سجن. وماذا ستفعلون بالذي يسرق أو يقتل أو يرتكب جريمة من الجرائم التي توجب على مرتكبها السجن؟ وماذا بالنسبة إلى المئة الذين ما زالوا في السجن؟

أجاب العقيد القذافي:

الذين في السجن ليسوا مئة. إنهم بضعة أفراد وهؤلاء لم نُفرج عنهم لأن لهم إرتباطات خارجية ومحكوم عليهم بأحكام نافذة.

أما مسألة بقاء السجن والتساؤل حول كيفية وجود دولة من دون سجن فإن ما يمكن أن أقوله في هذا الشأن هو أنه في دولة جماهيرية يجب أن تختفي الجرائم العادية والسياسية وإن كنتُ أتوقع أن تحدث جرائم عادية.

أما لماذا يجب ألا تحدث جرائم سياسية فلأن النظام جماهيري وفي إستطاعة المواطن أن يقول رأيه ويعترض على أمر يشكو منه بدل أن يلجأ إلى العمل السري من أجل ذلك ويكون بهذا إرتكب جريمة سياسية. وأجد نفسي بالنسبة إلى ما يتعلق بالجرائم العادية أوضح أنه في عهد الثورة وقبل صدور الفصل الثاني من «الكتاب الأخضر» حدث أن طعن أحدهم صاحب دكان لبيع المجوهرات والمصوغات الذهبية. ومثل هذا الأمر لن يتكرر بعد الآن لأنه لم يعد هنالك من يحق له فتح دكان لبيع المجوهرات والمصوغات. الشيء نفسه يمكن أن يقال بالنسبة إلى جريمة إستهدفت صاحب عمارة لمجرد أنه يملك عمارة. وما دام لم يعد هنالك مُلاك عمارات فلا يجب بالتالي حدوث جرائم لهذا السبب. كذلك إنه ما دامت الأرض باتت مُلك الجميع فلا ضرورة لحدوث جريمة طرفاها شخص إقطاعي يملك من الأرض الكثير وشخص عادي لا يملك قطعة أرض... وهكذا. قُلت: الذي لاحظته خلال الأيام الثلاثة التي أمضيتهما بينكم هو أن قرارات الإفراج عن السجناء أحدثت حالة إرتياح شديدة بين الناس وحتى الذين لا سجناء لهم. ولاحظتُ أيضاً أن المواطنين يعبرون بباقيات الورد وبرقيات الإشادة التي يرسلونها إليك عن مشاعر وتمنيات دفيئة بتحقيق المزيد من الخطوات، بحيث تعيد النظر في إجراءات أوجبت فرضها في الماضي بعض الظروف؟ وأجاب العقيد القذافي:

مثل ماذا؟

قُلت: لن أعرض هنا كل الإجراءات وأكتفي بما يتعلق بالأسواق حيث تم إغلاق الدكاكين والمتاجر وأحدث ذلك وحشة في نفوس المقيمين والزائرين أمثالنا، وبالحرية العامة حيث أوجب الحذر فرض أجواء تجعل أعصاب المرء مشدودة دائماً، وحيث فرض المطاردات على كثيرين أن يعيشوا في الخارج بدل أن يعيشوا في وطنهم؟

وأجاب العقيد القذافي:

في إستطاعة الذين في الخارج أن يعودوا ويقولوا ما يريدونه في المؤتمرات الشعبية. وإذا كانت لدى هؤلاء الناس قدرة على إقناع الناس فأهلاً وسهلاً.

قُلت: هل يمكن أن نفهم من كلامك أن هذا القول هو بمثابة العفو عنهم؟

أجاب:

طبعاً: في إستطاعتهم العودة ودخول الجماهيرية من دون مساءلة ومحاسبة. أما الذي لن يعود فهو ذلك المرتبط بمخابرات أجنبية وبالمخابرات الأميركية بالذات.

قُلت: لاحظت أيضاً خلال زيارتي هذه أن الإختناقات التموينية باتت أقل. هل معنى ذلك أن الحصار زال نهائياً عنكم؟
أجاب:

الحصار الخارجي فشل وكان مجرد حرب نفسية وأود التوضيح بأن ما تشير إليه حدث في وقت كنا نقتصد في موضوع العملة الصعبة. وكنا حريصين على إتخاذ الإجراءات التي نستطيع من خلالها توفير العملة الصعبة. وفي تلك الفترة لم نسمح بشراء كل شيء أما الآن فإن المسألة باتت منتظمة.
قُلت: في الإطار نفسه نسألك: متى ستعود الحركة النشيطة إلى الأسواق ومتى ستعود المقاهي والمطاعم والمسارح ودور العرض الحديثة ومراكز التسلية البريئة؟
وأجاب العقيد القذافي:

ليس هنالك ما يمنع حدوث كل ذلك. والأمر متوقف على من يقوم بالمبادرة، فيفتح المقهى أو المطعم وينشئ مراكز التسلية ويقيم دور السينما والمسارح والمتاجر. إن الأسواق الشعبية التي أقمناها موجودة ولكن الذي تشير إليه ممكن أن يحدث إذا كانت هنالك مبادرات فردية في هذا الشأن. إن المهم أنه لم يعد هنالك أحد يستغل جهاد الآخر، والفرصة باتت متاحة أمام من يريد أن يتقاسم مع شخص آخر أو آخرين مشروعاً إنتاجياً صغيراً أو كبيراً.

قُلت: هنالك فرق بين أن يكون ذلك ممكناً وبين أن تدعم أنت شخصياً هذا التوجه على أساس أن دغمك سيجعل الحركة نشيطة، فضلاً عن أنه سينشر الطمأنينة والشعور بالإستقرار في نفوس الذين يفكرون بمبادرات على صعيد العمل التجاري. وإلى ذلك هل هناك إمكانيات متاحة أمام إستثمارات عربية وأجنبية في الجماهيرية الليبية؟
أجاب:

الإستثمار العربي ممكن بالطبع. أما الإستثمارات الأجنبية فتخضع لإعتبارات كثيرة بعضها سياسي وبعضها إقتصادي. ومطالبتي بأن أدمع التوجه الذي تشير إليه لا يعني أنني لا أدمع. المهم أن تبدأ المبادرات.

هل من فرصة لغير الثوريين؟

قُلت: هل يمكن أن تعطي التيار غير الثوري في ليبيا فرصة أن تكون له صحيفته وأن تكون له نشاطاته الفكرية ما دام تياراً وطنياً وما دام مطمئناً بعد خطوة إخراج السجناء وتهديم بعض السجون؟
وأجاب العقيد القذافي:

التيار الذي نشير إليه لا خوف منه. وأنا متأكد أنه تيار مات ديموقراطياً بعد قيام سُلطة الشعب. كذلك إنني متأكد بأنه لا مجال أمام صحيفة رجعية فضلاً عن أن أي مواطن لن يحتاج إلى صحيفة ما دام عضواً في مؤتمر الشعب الذي يستطيع أن يقول فيه ما يريد وما يمكن أن يقوله في الصحيفة.

قُلت: هل هنالك إمكانيات إقامة مهرجانات في مناطق أثرية ليبية مثل مهرجان جرش الأردني ومهرجان بابل العراقي. وزيادة في التوضيح أسأل: هل هنالك إمكانيات لإقامة مهرجان فني سنوي في صبراته (غرب الجماهيرية) وإقامة مهرجان فني سنوي آخر في لبدة (شرق الجماهيرية)؟ ... مهرجان تُدعى إليه أفضل الفرق الفنية في العالم ومهرجان فني آخر يتم تخصيصه للتراث الفني العربي وتشارك فيه فرق موسيقية عربية وإسلامية تُعنى بالتراث؟

ومن وجهة نظري، كصديق، أقول إن مثل هذه المهرجانات يمكن أن تتوازي مع هذا الفيض من

المؤتمرات التي تنعقد في الجماهيرية بدءاً من مؤتمر أحزاب المعارضة وإنهاءً بمؤتمر حل الخلافات المستعصية بين ثوار العالم؟

وأجاب العقيد القذافي:

الحقيقة أنني شخصياً أحبذ إقتراحاً من هذا النوع وأتمنى أن يتم تنفيذه. ومثل هذا الأمر يخص اللجنة الشعبية للثقافة في مؤتمر الشعب العام. وفي العام الماضي بدأ شيء من هذا القبيل. والفكرة في أي حال فكرة جميلة.

الأحوال مع تشاد والسودان ومصر

قُلت: هل هنالك إمكانية لحل قريب للمسألة التشادية وكيف هي الحال مع السودان؟

أجاب: العلاقات مميزة مع السودان الذي نمده بالمساعدات في مجال الصحة وحفر الآبار والتعليم وغير ذلك. أما بالنسبة إلى المسألة التشادية فإنها الآن باتت بعيدة عن ليبيا. المشكلة الآن باتت بين كوكوني وهبري بعد فشل محاولات التوفيق الأفريقية وعودة القتال بينهما. المسألة التشادية لم تعد تهمنا بمعنى أنها باتت صراعاً بين كوكوني وهبري.

قُلت: هل هنالك أمل لإنفراج في العلاقات مع مصر؟

أجاب:

إذا تخلت عن العدو فإننا سنحتضن مصر.

قُلت: أليس في الإمكان إعتبار إرتباط مصر بإتفاقية «كامب ديفيد» مثل إقرار الحُكم الثوري الماركسي في

كوبا بوجود قاعدة أميركية في البلاد؟

وأجاب: ما الذي تقصده؟

قُلت: إن وجود هذه القاعدة لم يمنع من أن تقيم ليبيا علاقة جيدة مع حُكم الرئيس كاسترو ولم تمنع

كاسترو نفسه من أن يترك للظروف أمراً واقعاً وجد أنه مفروض عليه.

وأجاب العقيد القذافي:

النظام شيء ووجود القاعدة شيء آخر. وبالنسبة إلى كوبا إن النظام ليس مع الولايات المتحدة، على عكس ما هي الحال في مصر حيث أن النظام مرتبط بالمعاهدة وهو الذي إختارها ولم يفرضها عليه أحد فرضاً. إن النظام في كوبا هو ضد الأمبريالية وعندما يصبح النظام في مصر ضد الصهيونية ويؤكد ذلك فإن الأمر يختلف.

قُلت: ألا ترى نقاطاً إيجابية في الموقف المصري؟

أجاب:

لا أرى إطلاقاً هذه النقاط وبالتالي لا تقارب مع نظام عربي مرتبط بالعدو إلا إذا أعلن هذا النظام أنه مغلوب على أمره وأن مصر محتلة. وما دام لا يحدث ذلك فلا بد من محاصرة هذا النظام.

قُلت: هل المطلوب من الرئيس المصري إعلان ذلك أو ممارسة ذلك؟

وإلى ذلك هل أن الخطوات التي يقدم عليها الرئيس مبارك بين الحين والآخر لا تبدو إشارات إلى أنه

يسعى من أجل الخروج من حالة مفروضة عليه؟

أجاب:

إنني لا ألاحظ ذلك على الإطلاق. كل الممارسات ليست ضد العدو. وإنما تخدم العدو، والتعاون مع أميركا يستفيد منه العدو وهذا ما أدى إلى دفن الفلسطينيين أحياء. إن الممارسات المصرية أدت إلى نتائج من بينها دفن الفلسطينيين وهم أحياء وهذا ما لم يفعله هتلر مع اليهود.

الانتفاضة وتوحيد الصف الفلسطيني

قُلت: هل تعتقد أن الانتفاضة يمكن أن تتطور بحيث تصبح الضفة الغربية وغزة فيتنام الشرق الأوسط؟
أجاب العقيد القذافي:

هذا ممكن. لكن هل هنالك قرار وتوجهات بهذا المعنى؟ ذلك ما لا أستطيع الإجابة عنه. لكن ما يمكن قوله إن هذه الانتفاضة يجب أن تتحول إلى عمل سري مسلح مثل ما حدث في قبرص على أيدي منظمة «أيوكا» وفي أيرلندا على أيدي «الجيش الجمهوري الإيرلندي». إنني أدعو إلى أن تدخل الانتفاضة تحت الأرض وتقاوم بالسر بحيث تكون الحركة عادية في النهار أما في الليل فيبدأ الخطف والتفجير، وبحيث يصل ذلك إلى حيفا ويافا وعكا.

وأما إذا كانت الإمكانية غير متاحة في هذا الإتجاه فإنه يجب تحويل الانتفاضة إلى رفض شعبي وتخريب سري لكل المؤسسات الإسرائيلية أينما وجدت. وللتوضيح أكثر أقول إنه لا بد من إعتقاد وسيلة للتخريب السري على العدو مثل وضع الدبابيس في حبات البرتقال الفلسطيني. هذا ما أعنيه بالتخريب السري الذي يجب أن يحدث في كل مكان. ويجب أن يحدث أيضاً عصيان مدني.

قُلت: هل إن التخريب السري يحتاج إلى مناقشة وإلى إستراتيجية؟
أجاب:

ما أقصده هو أن الذين يقومون بالانتفاضة من المؤكد أن لديهم قيادات. وعلى هذه القيادات إما التوجه بأهل الانتفاضة إلى المقاومة المسلحة أو إلى التخريب السري والعصيان المدني.

قُلت: إلى أي مدى عمق إتصالاتكم بقيادة الانتفاضة أو فلنقل برموزها؟ كذلك إلى أي مدى هو عمق إتصالاتكم بتنظيم «ثورة مصر»؟ أم أنه ليس لكم إتصالات بالطرفين؟
أجاب:

لقد أجرينا إتصالات هاتفية مع الأرض المحتلة.

قُلت: هل حدثتكم شخصياً وهل كانوا قادة الانتفاضة؟
أجاب:

تحدثت معهم بنفسي وكان واضحاً أنهم من القياديين. ومن الممكن التمييز بين لهجة القيادي الأصلي وبين لهجة مدعي القيادة. أما تنظيم «ثورة مصر» فليس لنا إتصال مباشر به ولكن ذلك لا يعني أننا لا نؤيد هذا التنظيم.



العقيد معمر القذافي يخطب في الجماهير يوم السبت 1987/3/28

لمناسبة ذكرى إجلاء القوات البريطانية عن ليبيا

قُلت: بالنسبة إلى الإنتفاضة ألا تعتقد أن في إمكانكم أن تلعبوا دوراً مهماً في دعم هذه الإنتفاضة من خلال القمة العربية الإستثنائية التي دعا الرئيس الشاذلي بن جديد إلى عقدها؟
أجاب:

نحن نرحب بفكرة القمة. ولا بد من الإجتماع لعمل شيء من أجل الإنتفاضة.
قُلت: وهل ستشارك شخصياً في هذه القمة أم ستستمر ثقاطع مؤتمرات القمة العربية؟
أجاب:

مثل هكذا قمة أشارك شخصياً فيها وأبذل فيها كل ما في الإمكان لأجل إنجاحها.
قُلت: هذا يعني أنه ستكون من المرات القليلة التي تشارك فيها في قمة عربية؟
أجاب العقيد القذافي:

هذه القمة تستحق أن أشارك فيها.
قُلت: ستشارك فقط أم أنك ستؤازر وتقوم بمبادرات وتلتزم بقرارات تصدر عنها؟
أجاب:

إذا كانت القرارات في المستوى المطلوب فإنني سألتزم ولن أتوانى عن أي مؤازرة يمكن أن تُحقق لهذه القمة النجاح المطلوب. ومن وجهة نظري إنه لا بد أن تضع القمة برنامجاً عربياً لنشر الإنتفاضة بحيث تشمل كل فلسطين وليس فقط المناطق التي إحتلت عام 1967 وبحيث لا يكون الحديث عن إسرائيل هو الحديث عن أمر مفروغ منه.

قُلت: الواضح هو أنك حلقة الوصل بين فلسطينيي الخارج من دون إستثناء. لكن الملاحظ أنه بالرغم من الإنتفاضة ما زال الصف الفلسطيني غير موحد. ألا تعتقد أن الفرصة الآن ضاغطة أكثر من جانبك في سبيل هذا التوحيد؟
أجاب:

هذا يعني أنه مطلوب أولاً من الموظفين والمنحرفين أن يسلكوا جادة الصواب. إن الفصائل الفلسطينية كان يجب أن تتوحد قبل الإنتفاضة وبعد الإنتفاضة، وإن عدم توحدنا يشكل علامة إستهزام كبرى.

العلاقات مع أميركا

قُلت: أنت الحاكم العربي الوحيد الذي يواصل الهجوم على أميركا.
وقاطع العقيد القذافي قائلاً:

أنا لست حاكماً. ولو كنت حاكماً لما كنت واصلت الهجوم على أميركا.
وأضفت موجهاً سؤالاً إليه: وإننا نسمع في وسائل الإعلام الليبي كلاماً يوحي بأن فرصة تحقيق وفاق أميركي - ليبي غير متيسرة. هل إن هذا الموقف من جانبكم سيستمر إلى أن تنتهي ولاية الرئيس ريغان بعد بضعة أشهر، وهل إنه إذا تسلم الحكم من بعده جمهوري آخر ستبقى الأمور على ما هي عليه.
وفي الإطار نفسه نسأل أيضاً: بعدما باتت واضحة معركة الرئاسة الأميركية كقوة وأسماء، هل لنا أن نعرف أي مرشح تفضل أو تتمنى وصوله إلى البيت الأبيض وما هي الأسباب؟
وأجاب:

أي رئيس أميركي جديد لن يكون تافهاً ومجنوناً مثل ريغان. إن هذا الشخص مجرم وأقذر إنسان في التاريخ. وأعتقد في ضوء ذلك أن أي رئيس أميركي آخر سيعمل على تحسين علاقاته معنا. وأي رئيس جديد لا

بد سيستفيد من أخطاء ريغان. وبطبيعة الحال إنه لن يتبع خطاه وبالتالي فإن العلاقات ستتحسن. ومن جانبنا نحن لم نظلم أحداً. وما هو مطلوب حدوثه هو تبدل الموقف الأميركي.

قُلت: ما الذي تخسرونه جرّاء توتر العلاقات بينكم وبين الولايات المتحدة؟

أجاب:

إن أميركا هي التي تخسر لأن كل قوى التحرر في العالم والجماعات المضطّهة في أميركا تزداد غضباً على الولايات المتحدة وهذه القوى والجماعات متعاطفة إلى أبعد الحدود مع الجماهيرية الليبية. وإلى ذلك إن الشركات الأميركية هي التي خسرت ولا تزال تخسر. إن الأميركيان هم الخاسرون. وعليهم أن يعدّلوا سياستهم تجاه الأمة العربية لكي تعود الأمور طبيعية.

قُلت: هل إن هذا الموقف من الولايات المتحدة هو نتيجة الموقف الأميركي من فلسطين أم أنه نتيجة أن الإدارة الأميركية الحالية إستهدفتك شخصياً بعدوان وقامت بما يجوز إعتبره شبه محاولة قتل؟

وقال العقيد القذافي:

شبه محاولة؟ إنها محاولة قتل واضحة ومتعمدة.

قُلت متابعاً سؤالي: هل إن النظرة كان يمكن أن تكون أخف من ذلك لولا هذه المحاولة ولولا العدوان؟

أجاب:

وقعت المحاولة أم لم تقع فإن موقفنا هو هو من الولايات المتحدة قبل عدوانها علينا. وموقف ناشيء عن أنها منحازة ضدنا كعرب وشريرة وتريد أن تسيطر على العالم. وهذه الدولة غير القادرة مستقبلاً على الإنفاق على قواعدها في الخارج والتي تنفق عليها الآن من المال العربي حيث أنها تأخذ النفط ثم تأخذ ثمن النفط... إن هذه الدولة تخطط مع الصهيونية من أجل تدمير الكيان العربي.

قبل أن أودع العقيد القذافي وأغادر خيمته التي تم فيها اللقاء في «سرت» كان تقديره العالي للتحويلات التي يقوم بها الرئيس غورباتشوف في الإتحاد السوفياتي ووضفه لها بأنها «ثورة» ما زال يثير في نفسي التساؤل تلو الآخر عما إذا كنا في زمن إعادة النظر في التوجهات حتى إذا كان التوجه عبارة عن أيديولوجية ضاربة جذورها في عمق المجتمع. وهذه الانفراجات في الجماهيرية الليبية ومنها إطلاق السجناء السياسيين وإعادة الاعتبار إلى العمل التجاري التقليدي، فضلاً عن مفاجآت أخرى على طريق الإعلان عنها... هي فاتحة إعادة نظر ربما تكتمل ملامحها في غضون عام.

نُشر الحوار في مجلة «التضامن»

بتاريخ السبت 10 أبريل/ نيسان 1987

مقابلة مع الرئيس معمر القذافي (3)



في حديث جرى في خيمته في "سرت"

العقيد معمر القذافي لـ "التضامن":

مطلوب من القمة العربية برنامج لنشر الإنفاضة

منذ بضعة أيام والجمهورية الليبية تعيش حالة جديدة من النهوض النفسي ناشئة عن خطوة غير مطروقة أقدم عليها العقيد معمر القذافي عندما قرر إطلاق السجناء وإلغاء قوائم الممنوعين من السفر. ويمكن لمن يزور الجماهيرية أن يلاحظ الأثر الطيب الذي تركته هذه الخطوة. فالوجوه مستبشرة خيراً بالخطوة وأحاديث الناس تدور حولها والإرتياح شامل. وترقب خطوات أخرى ليس بالأمر المستبعد. ويعبر الليبيون عن إبتهاجمهم بهذه الخطوة بإرسال باقات الورد إلى العقيد القذافي مرفقة بالبطاقات التي تتضمن التأييد والتمنيات له بالخير.

ومع أنني أعرف العقيد القذافي منذ ست عشرة سنة وأجريت معه عدة أحاديث صحفية وهذا يجيز لي أن أكون أكثر قدرة على إستيعاب الخطوات التي يتخذها إلا أنني بالنسبة إلى خطوته الجديدة لم أكن كذلك. ومن أجل ذلك فإنني وجدت نفسي عندما إلتقيت بالعقيد القذافي مساء يوم 18/3/1988 في الخيمة - طبعاً - وفي سرت هذه المرة، أحاول بالحدقة الصحفية أن أعرف منه دوافعه إلى هذه الخطوة، بمعنى هل أنها رغبة منه في تحقيق عقد إجتماعي جديد أو أنها تأتي إنسجاماً مع دعوته إلى ممارسة الحرية... والسجن ضد الحرية، أو أنها نتيجة تمنيات من والدة هذا السجين أو زوجة هذا السجين أو شقيقة هذا السجين أو أنها رفق بشيخوخة هذا الأب أو ذاك؟

بل إنني في إطار الافتراض أيضاً وجدت نفسي أتساءل: هل أن هذه الخطوة هي تعبير عن ضيق من العقيد القذافي نفسه بإجراءات تم إتخاذها لسبب أو آخر، أو هل أن هذا القائد بات أكثر ثقة بالنفس فأراد أن يؤكد ذلك بقرار يتم فيه الإفراج عن سجناء دخل بعضهم السجن لأسباب سياسية؟ وجاء رد العقيد القذافي على تساؤلاتي وأسئلتتي وإستفساراتي على النحو الاتي:

إن الثورة قامت من أجل حرية الناس وليس من أجل سجنهم. ومجرد وضع ناس في السجن كان من وجهة نظرنا كمحررين أمراً ليس من طبيعة الثورة التي قمنا بها. إضافة إلى ذلك ان السلطة الجديدة التي قامت وهي السلطة الشعبية تحتم أن يقرر كل مواطن ما يريد وهي أيضاً أي سلطة الجماهير لم تترك شيئاً لأحد لكي يعارض وعندما نعرف أنه في إستطاعة أي مواطن أن يحمل رأياً ويطرحة ويناقشه في المؤتمرات الشعبية ويؤخذ بهذا الرأي إذا حدث إلتفاف من المؤتمرات عليه عند ذلك لا يعود هنالك مبرر.

إن كل مواطن في الجماهيرية يصبح لمجرد أن يبلغ سن الرشد عضواً في مؤتمر الشعب الأساسي وعندما يصبح عضواً فمن حقه أن يطرح أي رأي ويطلب تبنيه من المؤتمر وبالتالي فإن هذا الرأي يأخذ

طريقه إلى التنفيذ. وعلى ذلك فلا موجب في نظام جماهيري لكي يعارض هذا المواطن أو ذاك ما دام قادراً على طرح أي فكرة دينية أو سياسية أو إقتصادية. كذلك لا ضرورة في ظل نظام جماهيري للعمل السري مادام في الإمكان التعبير وفي وضوح النهار وأمام الناس.

إن هنالك عناصر تم وضعها في السجن قبل قيام سلطة الشعب. وهنالك عدد من الضباط برتب عالية إستكثروا أن نقوم نحن الضباط الذين هم برتبة ملازم بتغيير بينما هم أعلى رتبة من دون أن يدركوا أن ما قمنا به هو ثورة شعبية وليس إنقلاباً عسكرياً، فحاولوا أن يقوموا بتحريك مسلح وكان بعضهم قد انضم في الأسابيع القليلة التي سبقت الفاتح من سبتمبر إلى تنظيمنا.

ونتيجة لتأمر هؤلاء فقد تم وضعهم في السجن وتم إصدار الحُكم بالإعدام عليهم إلا أننا لم ننقذ الأحكام (بين هؤلاء وزير الداخلية ووزير الدفاع في أول حكومة بعد الثورة).

بعد ذلك كانت هنالك مجموعات حزبية قبل قيام الثورة بدأت تعمل في السر مع أنه كان يفترض فيها الترحيب بالتغيير الثوري الذي حدث، فضلاً عن محاولات فردية قام بها سياسيون ومستغلون ومن أفراد الحاشية الملكية.

ومن الطبيعي في الفترة التي أعقبت بدء تجربة اللجان الثورية أن يتواجد هامش لحالات من العناصر المظلومة تم إعتقالها نتيجة الشكوك وضرورات الحذر.

وعندما تزايد التأمر الخارجي علينا بات لا بد من التشدد ومن تزايد الإحتياطات الأمنية تبعاً لذلك. وهذا التأمر كانت نتيجة رفض العناصر الحزبية لمبدأ السلطة للشعب.

والآن بعد قيام سلطة الشعب بات من الطبيعي ألا يكون هنالك أحد في السجن لأسباب سياسية، وعلى هذا الأساس إرتأينا أن تكون السجون خالية مادامت هنالك مؤتمرات شعبية يستطيع أن يتوجه إليها المواطن ويقول ما يريد أن يقوله. وإذا اقتنعت هذه المؤتمرات بما يقوله فانه سيتم الأخذ بها. وإلى ذلك أن السجون تكاثرت على الإنسان العربي إلى درجة بات فيها الأمر لا يطاق.

دولة بلا سجون... كيف؟

قُلْتُ: في مؤتمر الشعب الماضي وردت عبارة لها دلالتها ويبدو انها لم تستوقف كثيرين وهي «إن الثورة هي إعلان الحرية». هل معنى ذلك أن إعلان الحرية هو إطلاق السجناء وهل أنك منذ سنة تفكر في هذه الخطوة؟

أجاب العقيد القذافي: ما أستطيع قوله في هذا الشأن هو أن قيام سلطة الشعب يتعارض مع بقاء السجون. والقول بأن الثورة هي إعلان الحرية أتى منسجماً مع الواقع المستجد الذي أشرت إليه.

قُلْتُ: كيف يمكن أن نتصور وجود دولة من دون سجن. وماذا ستفعلون بالذي يسرق أو يقتل أو يرتكب جريمة من الجرائم التي توجب على مرتكبها السجن؟ وماذا بالنسبة إلى المئة الذين ما زالوا في السجن؟

أجاب العقيد القذافي: الذين في السجن ليسوا مئة. إنهم بضعة أفراد وهؤلاء لم نفرج عنهم لأن لهم إرتباطات خارجية ومحكوم عليهم بأحكام نافذة.

أما مسألة بقاء السجن والتساؤل حول كيفية وجود دولة من دون سجن فإن ما يمكن أن أقوله في هذا الشأن هو أنه في دولة جماهيرية يجب أن تختفي الجرائم العادية والسياسية وإن كنت أتوقع أن تحدث جرائم عادية.

أما لماذا يجب ألا تحدث جرائم سياسية فلأن النظام جماهيري وفي إستطاعة المواطن أن يقول رأيه ويعترض على أمر يشكو منه بدل أن يلجأ إلى العمل السري من أجل ذلك ويكون بهذا إرتكب جريمة سياسية.

وأجد نفسي بالنسبة إلى ما يتعلق بالجرائم العادية أوضح أنه في عهد الثورة وقبل صدور الفصل الثاني من الكتاب الأخضر: حدث أن طعن أحدهم صاحب دكان لبيع المجوهرات والمصوغات الذهبية. ومثل هذا الأمر لن يتكرر بعد الآن لأنه لم يعد هنالك من يحق له فتح دكان لبيع المجوهرات والمصوغات. الشيء نفسه يمكن أن يقال بالنسبة إلى جريمة إستهدفت صاحب عمارة لمجرد أنه يملك عمارة. وما دام لم يعد هنالك ملاك عمارات فلا يجب بالتالي حدوث جرائم لهذا السبب. كذلك أنه مادامت الأرض باتت ملك الجميع فلا ضرورة لحدوث جريمة طرفاها شخص إقطاعي يملك من الأرض الكثير وشخص عادي لا يملك قطعة أرض.. وهكذا.

قُلت: الذي لاحظته خلال الأيام الثلاثة التي أمضيتها بينكم هو أن قرارات الإفراج عن السجناء أحدثت حالة إرتياح شديدة بين الناس وحتى لدى الذين لا سجناء لهم. ولاحظت أيضاً أن المواطنين يعبرون بباقات الورد وبرقيات الإشادة التي يرسلونها اليك عن مشاعر وتمنيات دفيئة بتحقيق المزيد من الخطوات، بحيث تعيد النظر في إجراءات أوجبت فرضها في الماضي بعض الظروف؟

وأجاب العقيد القذافي: مثل ماذا؟

قُلت: لن أعرض هنا كل الإجراءات وأكتفي بما يتعلق بالأسواق حيث تم إغلاق الدكاكين والمتاجر وأحدث ذلك وحشة في نفوس المقيمين والزائرين أمثالنا، وبالحریات العامة حيث أوجب الحذر فرض أجواء تجعل أعصاب المرء مشدودة دائماً، وحيث فرضت المطاردات على كثيرين أن يعيشوا في الخارج بدل أن يعيشوا في وطنهم؟ وأجاب العقيد القذافي: في إستطاعة الذين في الخارج أن يعودوا ويقولوا ما يريدونه في المؤتمرات الشعبية. وإذا كانت لدى هؤلاء الناس قدرة على إقناع الناس فأهلاً وسهلاً.

قُلت: هل يمكن أن نفهم من كلامك إن هذا القول هو بمثابة العفو عنهم؟

أجاب: طبعاً. في إستطاعتهم العودة ودخول الجماهيرية من دون مساءلة ومحاسبة. أما الذي لن يعود فهو ذلك المرتبط بمخابرات أجنبية وبالمخابرات الأميركية بالذات.

قُلت: لاحظت أيضاً خلال زيارتي هذه أن الإختناقات التموينية باتت أقل. هل معنى ذلك أن الحصار زال نهائياً عنكم؟

أجاب: الحصار الخارجي فشل وكان مجرد حرب نفسية وأود التوضيح بأن ما تشير إليه حدث في وقت كنا نقتصد في موضوع العملة الصعبة، وكنا حريصين على إتخاذ الإجراءات التي نستطيع من خلالها توفير العملة الصعبة. وفي تلك الفترة لم نسمح بشراء كل شيء أما الآن فإن المسألة باتت منتظمة.

قُلت: في الإطار نفسه نسألك: متى ستعود الحركة النشيطة إلى الأسواق ومتى ستعود المقاهي والمطاعم والمسارح ودور العرض الحديثة ومراكز التسلية البريئة؟

وأجاب العقيد القذافي: ليس هنالك ما يمنع حدوث كل ذلك. والأمر متوقف على من يقوم بالمبادرة، فيفتح المقهى أو المطعم وينشئ مراكز التسلية ويقيم دور السينما والمسارح والمتاجر. إن الاسواق الشعبية التي أقمناها موجودة ولكن الذي تشير إليه ممكن أن يحدث إذا كانت هنالك مبادرات فردية في هذا الشأن.

إن المهم هو أنه لم يعد هنالك أحد يستغل جهد الآخر. والفرصة باتت متاحة أمام من يريد أن يتقاسم مع شخص آخر أو آخرين مشروعاً إنتاجياً صغيراً أو كبيراً.

قُلت: هنالك فرق بين أن يكون ذلك بات ممكناً وبين أن تدعم أنت شخصياً هذا التوجه على أساس أن دعمك سيجعل الحركة نشيطة فضلاً عن أنه سينشر الطمأنينة والشعور بالإستقرار في نفوس الذين يفكرون بمبادرات على صعيد العمل التجاري.

والى ذلك هل هنالك إمكانات متاحة أمام إستثمارات عربية وأجنبية في الجماهيرية الليبية؟

وأجاب العقيد القذافي: الإستثمار العربي ممكن بالطبع أما الإستثمارات الأجنبية فتخضع لإعتبارات كثيرة بعضها سياسي وبعضها إقتصادي. ومطالبتي بأن أدمع التوجه الذي تشير إليه لا يعني إنني لا أدمع. المهم أن تبدأ المبادرات.

فرصة لغير الثوريين؟

قُلت: هل يمكن أن تعطي التيار غير الثوري في ليبيا فرصة أن تكون له صحيفته وأن تكون له نشاطاته الفكرية ما دام تياراً وطنياً ومادام مطمئناً بعد خطوة إخراج السجناء وتهديم بعض السجون؟
وأجاب العقيد القذافي: التيار الذي تشير إليه لا خوف منه. وأنا متأكد أنه تيار مات ديمقراطياً بعد قيام سلطة الشعب. كذلك انني متأكد بانه لا مجال أمام صحيفة رجعية فضلاً عن أن أي مواطن لن يحتاج إلى صحيفة مادام عضواً في المؤتمر الشعب الذي يستطيع أن يقول فيه ما يريد وما يمكن أن يقوله في الصحيفة.
قُلت: هل هنالك إمكانية إقامة مهرجانات في مناطق أثرية ليبية مثل مهرجان جرش الأردني ومهرجان بابل العراقي. وزيادة في التوضيح اسأل: هل هنالك إمكانية لإقامة مهرجان فني سنوي في صبراته (غرب الجماهيرية) وإقامة مهرجان فني سنوي آخر في لبد (شرق الجماهيرية)؟ ... مهرجان تُدعى إليه أفضل الفرق الفنية في العالم ومهرجان فني آخر يتم تخصيصه للتراث الفني العربي وتشارك فيه فرق موسيقية عربية وإسلامية تعنى بالتراث؟

ومن وجهة نظري، كصديق، أقول أن مثل هذه المهرجانات يمكن أن تتوازي مع هذا الفيض من المؤتمرات التي تنعقد في الجماهيرية بدءاً من مؤتمر أحزاب المعارضة وإنهاء بمؤتمر حل الخلافات المستعصية بين ثوار العالم؟
وأجاب العقيد القذافي: الحقيقة إنني شخصياً أحبذ إقتراحاً من هذا النوع، وأتمنى أن يتم تنفيذه. ومثل هذا الأمر يخص اللجنة الشعبية للثقافة في مؤتمر الشعب العام. وفي العام الماضي بدأ شيء من هذا القبيل. والفكرة في أي حال فكرة جميلة.

الأحوال مع تشاد والسودان ومصر

قُلت: هل هنالك إمكانية لحل قريب للمسألة التشادية وكيف هي الحال مع السودان؟
وأجاب العقيد القذافي: العلاقات ممتازة مع السودان الذي نمده بالمساعدات في مجال الصحة وحفر الآبار والتعليم وغير ذلك. أما بالنسبة إلى المسألة التشادية فإنها باتت الآن بعيدة عن ليبيا. المشكلة الآن باتت بين كوكوني وهبري بعد فشل محاولات التوفيق الأفريقية. وعودة القتال بينهما. المسألة التشادية لم تعد تهمنا، بمعنى أنها باتت صراعاً بين كوكوني وهبري.

قُلت: هل هنالك أمل لإنفراج في العلاقات مع مصر؟

وأجاب العقيد القذافي: إذا تخلت عن العدو فإننا سنحتضن مصر.

قُلت: أليس في الإمكان إعتبار إرتباط مصر بإتفاقية كامب ديفيد مثل إقرار الحُكم الثوري الماركسي في كوبا بوجود قاعدة أميركية في البلاد.

وأجاب: ما الذي تقصده؟

قُلت: إن وجود هذه القاعدة لم يمنع من أن تقيم ليبيا علاقة جيدة مع حكم الرئيس كاسترو ولم

تمنع كاسترو نفسه من أن يترك للظروف أمراً واقعاً وجد أنه مفروض عليه.

وأجاب العقيد القذافي: النظام شيء ووجود القاعدة شيء آخر. وبالنسبة إلى كوبا أن النظام ليس مع الولايات المتحدة على عكس ما هي الحال في مصر حيث أن النظام مرتبط بالمعاهدة وهو الذي إختارها ولم يفرضها عليه أحد فرضاً. إن النظام في كوبا هو ضد الإمبريالية وعندما يصبح النظام في مصر ضد الصهيونية ويؤكد ذلك فإن الأمر يختلف.

قُلت: ألا ترى نقاطاً إيجابية في الموقف المصري؟

وأجاب العقيد القذافي: لا أرى إطلاقاً هذه النقاط وبالتالي لا تقارب مع نظام عربي مرتبط بالعدو إلا إذا أعلن هذا النظام انه مغلوب على أمره وأن مصر محتلة. وما دام لا يحدث ذلك فلا بد من محاصرة هذا النظام.

قُلت: هل المطلوب من الرئيس المصري إعلان ذلك أو ممارسة ذلك؟

وإلى ذلك هل أن الخطوات التي يقدم عليها الرئيس مبارك بين الحين والآخر لا تبدو إشارات إلى أنه يسعى من أجل الخروج من حالة مفروضة عليه؟

وأجاب العقيد القذافي: إنني لا ألاحظ ذلك على الإطلاق. كل الممارسات ليست ضد العدو وإنما تخدم العدو والتعاون مع أميركا يستفيد منه العدو وهذا ما أدى إلى دفن الفلسطينيين أحياء. ان الممارسات المصرية أدت إلى نتائج من بينها دفن الفلسطينيين وهم أحياء وهذا ما لم يفعله هتلر مع اليهود.

الانتفاضة وتوحيد الصف الفلسطيني

قُلت: هل تعتقد أن الانتفاضة يمكن أن تتطور بحيث تصبح الضفة الغربية وغزة فيتنام الشرق الأوسط؟
وأجاب العقيد القذافي: هذا ممكن. لكن هل هنالك قرار وتوجهات بهذا المعنى. ذلك ما لا أستطيع الأجابة عنه. لكن ما يمكن قوله إن هذه الانتفاضة يجب أن تتحول إلى عمل سري مسلح مثل ما حدث في قبرص على أيدي منظمة ايوكا وفي إيرلندا على أيدي الجيش الجمهوري الإيرلندي. إنني أدعو إلى أن تدخل الانتفاضة تحت الارض وتقاوم بالسري بحيث تكون الحركة عادية في النهار أما في الليل فيبدأ الخطف والتفجير، وبحيث يصل ذلك إلى حيفا ويافا وعكا.

أما إذا كانت الإمكانية غير متاحة في هذا الإتجاه فإنه يجب تحويل الانتفاضة إلى رفض شعبي وتخريب سري لكل المؤسسات الإسرائيلية أينما وجدت. وللتوضيح أكثر أقول إنه لا بد من إعتقاد وسيلة للتخريب السري على العدو مثل وضع الدبابيس في حبات البرتقال الفلسطيني. هذا ما أعنيه بالتخريب السري الذي يجب أن يحدث في كل مكان ويجب أن يحدث أيضاً عصيان مدني.

قُلت: هل أن التخريب السري يحتاج إلى مناقشة وإلى إستراتيجية؟

وأجاب العقيد القذافي: ما أقصده هو أن الذين يقومون بالانتفاضة من المؤكد أن لديهم قيادات. وعلى هذه القيادات إما التوجه بأهل الانتفاضة إلى المقاومة المسلحة أو إلى التخريب السري والعصيان المدني.

قُلت: إلى أي مدى عمق إتصالاتكم بقيادة الانتفاضة أو فنقل برموزها؟ كذلك إلى أي مدى هو عمق

إتصالاتكم بتنظيم «ثورة مصر»؟ أم أنه ليس لكم إتصالات بالطرفين؟

أجاب: لقد أجرينا إتصالات هاتفية مع الأرض المحتلة.

قُلت: هل حدثتهم شخصياً وهل كانوا قادة الانتفاضة؟

وأجاب: تحدثت معهم بنفسي وكان واضحاً أنهم من القياديين. ومن الممكن التمييز بين لهجة القيادي

الأصيل وبين لهجة مدعي القيادة. أما تنظيم «ثورة مصر» فليس لنا إتصال مباشر به ولكن ذلك لا يعني أننا لا نؤيد هذا التنظيم.

قُلت: بالنسبة إلى الإنتفاضة ألا تعتقد أن في إمكانكم أن تلعبوا دوراً مهماً في دعم هذه الإنتفاضة من خلال القمة العربية الإستثنائية التي دعا الرئيس الشاذلي بن جديد إلى عقدها.

وأجاب العقيد القذافي: نحن نرحب بفكرة القمة، ولا بد من الإجتماع لعمل شيء من أجل الإنتفاضة.

قُلت: وهل ستشارك شخصياً في هذه القمة أم سيستمر تقاطع مؤتمرات القمة العربية؟

وأجاب: مثل هكذا قمة أشارك شخصياً فيها وأبذل فيها كل ما في الإمكان لأجل إنجاحها.

قُلت: هذا يعني أنه ستكون من المرات القليلة التي تشارك فيها في قمة عربية.

وأجاب العقيد القذافي: هذه قمة تستحق أن أشارك فيها.

قُلت: ستشارك فقط أم أنك ستؤازر وتقوم بمبادرات وتلتزم بقرارات تصدر عنها.

وأجاب: إذا كانت القرارات في المستوى المطلوب فإنني سألتزم ولن أتوانى عن أي مؤازرة يمكن أن تحقق لهذه القمة النجاح المطلوب. ومن وجهة نظري أنه لا بد أن تضع القمة برنامجاً عربياً لنشر الإنتفاضة بحيث تشمل كل فلسطين وليس فقط المناطق التي إحتلت بعد 1967 وبحيث لا يكون الحديث عن إسرائيل هو الحديث عن أمر مفروغ منه.

قُلت: إنك حلقة الوصل بين فلسطيني الخارج من دون إستثناء. لكن الملاحظ أنه بالرغم من الإنتفاضة مازال الصف الفلسطيني غير موحد. ألا تعتقد أن الفرصة الآن ضاغطة أكثر من جانبك في سبيل هذا التوحيد؟

وأجاب العقيد القذافي: هذا يعني إنه مطلوب أولاً من المفرطين والمنحرفين أن يسلكوا جادة الصواب. إن الفصائل الفلسطينية كان يجب أن تتوحد قبل الإنتفاضة وبعد الإنتفاضة، إن عدم توحيدها يشكل علامة إستفهام كبرى.

العلاقات مع أميركا

قُلت: أنت الحاكم العربي الوحيد الذي يواصل الهجوم على أميركا.

وقاطع العقيد القذافي قائلاً: أنا لست حاكماً. ولو كنا حاكماً لما كنت واصلت الهجوم على أميركا.

وأضفت موجهاً سؤالاً إليه: وإننا نسمع في وسائل الإعلام الليبي كلاماً يوحي بأن فرصة تحقيق وفاق أميركي - ليبي غير متيسرة.

هل أن هذا الموقف من جانبكم سيستمر إلى أن تنتهي ولاية الرئيس ريغان بعد بضعة أشهر، وهل أنه إذا تسلم الحُكم من بعده جمهوري آخر ستبقى الأمور على ما هي عليه؟

وفي الإطار نفسه نسأل الاخ العقيد: هل تفضل الديمقراطييين على الجمهوريين وهل أنك تتمنى فوز المرشح الديمقراطي للرئاسة؟

وفي الإطار نفسه نسأل أيضاً: بعدما باتت واضحة معركة الرئاسة الأميركية كقوة وأسماء، هل لنا أن نعرف أي مرشح تفضل أو تتمنى وصوله إلى البيت الأبيض وما هي الأسباب؟

وأجاب العقيد القذافي: أي رئيس أميركي جديد لن يكون تافهاً ومجنوناً مثل ريغان. إن هذا الشخص مجرم وأقذر إنسان في التاريخ. وأعتقد في ضوء ذلك أن أي رئيس أميركي آخر سيعمل على تحسين علاقته معنا. وأي رئيس جديد لا بد سيستفيد من أخطاء ريغان. وبطبيعة الحال إنه لن يتبع خطاه وبالتالي فإن العلاقات

ستتحسن.

ومن جانبنا نحن لم نظل أحدًا. وما هو مطلوب حدوثه هو تبدل الموقف الاميركي.

قُلت: ما الذي تخسرونه جرّاء توتر العلاقات بينكم وبين الولايات المتحدة؟

وأجاب العقيد القذافي: إن اميركا هي التي تخسر لأن كل قوى التحرر في العالم والجماعات المضطهدة في أميركا تزداد غضباً على الولايات المتحدة وهذه القوى والجماعات متعاطفة إلى أبعد الحدود مع الجماهيرية الليبية.

والى ذلك إن الشركات الاميركية هي التي خسرت ولا تزال تخسر. إن الاميركان هم الخاسرون. وعليهم أن يعدلوا سياستهم تجاه الأمة العربية لكي تعود الأمور طبيعية.

قُلت: هل أن هذا الموقف من الولايات المتحدة هو نتيجة الموقف الاميركي من فلسطين أم أنه نتيجة أن الإدارة الأميركية الحالية إستهدفتك شخصياً بعدوان وقامت بما يجوز إعتباره شبه محاولة قتل.

وقال العقيد القذافي: شبه محاولة؟ إنها محاولة قتل واضحة ومتعمدة.

قُلت متابعاً سؤالي: هل أن النظرة كان يمكن أن تكون أخف من ذلك لولا هذه المحاولة ولولا العدوان؟

وأجاب: وقعت المحاولة أم لم تقع فإن موقفنا هو هو من الولايات المتحدة قبل عدوانها علينا. وموقفنا ناشئ عن أنها منحازة ضدنا كعرب وشريرة وتريد أن تسيطر على العالم. وهذه الدولة غير القادرة مستقبلاً على الإنفاق على قواعدها في الخارج والتي تنفق عليها الآن من المال العربي حيث انها تأخذ النفط ثم تأخذ ثمن النفط... إن هذه الدولة تخطط مع الصهيونية من أجل تدمير الكيان العربي.

قبل أن أودّع العقيد القذافي وأغادر خيمته التي تم فيها هذا اللقاء في «سرت» كان تقديره العالي للتحولات التي يقوم بها الرئيس غورباتشوف في الإتحاد السوفياتي ووصفه لها بأنها «ثورة» مازال يثير في نفسي التساؤل تلو الآخر عما إذا كنا في زمن إعادة النظر في التوجهات حتى إذا كان التوجه عبارة عن إيديولوجية ضاربة جذورها في عمق المجتمع.

وهذه الانفراجات في الجماهيرية الليبية ومنها إطلاق السجناء السياسيين وإعادة الإعتبار إلى العمل التجاري التقليدي، فضلاً عن مفاجآت أخرى على طريق الإعلان عنها... هي فاتحة إعادة نظر ربما تكتمل ملامحها في غضون عام.

نُشر الحوار في مجلة «التضامن»

بتاريخ 8 أبريل/ نيسان 1988

مقابلة مع عبدالله بشارة

وتعرب وعزم الاستقرار الاسمي فيها فستكون اشغال
 من التوقيت. وتكون الطاقم المتحد التي يتقدمها
 اعضاء من ضمن من الطائفة لا يسمي سوى من العرب
 اعداد لا يومية فقط. وقد ليس بالامر الذي على دول
 العرب التي تكون ما استقطعت فليس ما يثبت في
 طرأ اخرى

المتخصص. ان انا حصلت الاتصالات العربية من قبل
 العربي ومن العربي وكان اثناء الايام بالخاص في
 طرأ القارات، وكان لا يتم اعداد سياسة اساسي
 التوسيع

عبدالله بشارة ليس لا تستطيع ان تستدعي التوسع
 على ما يجري في المنطقة وعدم اعدادها بالتوسع العربي في
 الاتصالات مع ايران تقوم على شغلتها بانه اذ من
 المصور بان لا يكون فراج، واتصالاته العربية متدني
 حالة من البركة طرأ في الوقت انما العربي توسيع
 عليه ما يتصور، مستويته عالية على مثل دول العربي
 اذها اتوجه بين العربي وايران، لا يجب ان يكون
 وعندها توجه على العربي دول هذه الشقة هكذا بان
 علينا عدم الوصول الى وضع بشارة بعد ان يقع اجماع
 المتخصصا له اذ من امس الى العربية الى قبل اكمال
 من هذا العربي

يعد ان سياسة اول قوم على اتصال اول
 المتخصص ان حالة ايراني التي تلتها
 بعد اذ بشارة القصة في عاقبة ويتبع في افعال
 بالعربي على طرأ

والعربي على طرأ في الوقت الذي ان ان لا تتعدد
 حيا من اعداد الذي يسمي المتخصص

الانسان. وعندما توقف حقا على العربية التي
 مثل هذه طرأ بان لا توجه الى العربي في اوقات
 العربي وهذا يعود الى الاتصالات التي تسمى العربي
 العربي لانه هذه العربي، ومن في الاتصالات التي تسمى
 اذها حيا بوجبة حقا على ان هذه هذه العربي
 وتسمى اذها اوقات العربي على بوجبة ان هذه حقا
 العربي على السور العربية

بالعربي في ايام الاستقرار فيها وسدالة الاعمال
 ان هذا من ضمن توجه مجلس التعاون العربي
 وله ان لا يتبع والعربي في الهدف لا في مربة العربية
 العربي، واستمر سياسة العربي في التوسع العربي ما بعد
 التوسيع في الاتصالات بين المنطقة ما الجديد
 ان على هذا العربي

له بشارة، وهي العربي، العربي اجماع في العربي
 في العربي او العربي او العربي من بين العربي
 الامسية هذه سياسة لا حيا لها ومن في اذها
 المتخصص على في هذه العربية فيها حيا على
 اذها في المنطقة من هذا على هناك حيا على
 العربي ومن سياسة العربي العربي في
 العربي ومن سياسة العربي حيا على
 على ان هذه سياسة على على حيا على
 العربي في اعمار العربية كان بشارة هذا العربي

في البيت في هذا الامر في الاتصالات دول

ت الوطنية لكل دولة

في المنطقة

الاجابة في المنطقة، وهي سياسة ملت

بشارة

الحديث التضامن / الغلاف

ثلاث اراءات في حديث مع عبدالله بشارة
 تزامن مع المباحثات الايرانية - السعودية والعراقية - البريطانية

لا... اتصالات سرية مع طهران
لا... استقرار قبل وقف الحرب
و... لا حيا في الامن

ست سنوات من النشاط مجلس التعاون دول الى
 العام للمجلس عبدالله بشارة بشارة بشارة على
 مثل سنوات من المنطقة انما المتخصص لم يكن
 المجلس بوجبة بالمتخصص العربية السعودية واشت
 الكويت

التي التوسيع والتوسيع العربي العربي العربي
 العربية التي وضعت نفسها فيها ولا العربي
 نفسه - ولكنه بشارة العربي
 ومع اتساع دائرة العربي العربي العربي من
 ويتزايد العربي ايضا من ان تكون هناك حيا على
 اسباب اخر على العربي العربي العربي العربي
 الاوسع الخاوي، وفي مكتب العربي العربي العربي
 حيا على اسباب اخر على العربي العربي العربي العربي
 مجلس التعاون والاتفاق ان العربي على العربي
 بعدا وطهران العربي به العربي العربي العربي
 العربي ان العربي هذا العربي العربي العربي
 عربي على العربي العربي العربي العربي العربي
 ايران العربي على العربي العربي العربي العربي
 مسؤولين عربي العربي العربي العربي العربي
 مثل سياسة العربي

الاتصالات التي تجريها دول مجلس مع ايران هي

فيها كانت الاتي التي دفعها دول الخليج بسبب

المتخصص (المتخصص) (المتخصص)

عبدالله بشارة
 طرأ في مربي في العربي
 وعلى العربي في العربي
 عبدالله بشارة في
 حديث خاص... له «التضامن»

لا... اتصالات سرية مع ايران
لا... استقرار قبل وقف الحرب
لا... حيا في الامن



ثلاث لاءات في حديث مع عبدالله بشارة تزامن مع المباحثات الإيرانية - السعودية والعراقية - البريطانية



عبدالله بشارة مستقبلاً الصحافي والكاتب فؤاد مطر وبينهما علم مجلس التعاون

ست سنوات من النشاط لمجلس تعاون دول الخليج ولم يحدث أن شعرنا بحاجة إلى أن يضع أماننا الأمين العام للمجلس عبدالله يعقوب بشارة النقاط على الحروف كما شعرنا هذه الأيام. ست سنوات من النشاط، لكن المعاناة لم تكن بالحدة التي هي عليها منذ فترة والتي تقض مضاجع دول المجلس بدءاً بالمملكة العربية السعودية وإنهاءً بسلطنة عُمان مروراً بدولة الكويت.. بل وخصوصاً الكويت. لقد إتسعت دائرة الهموم الأمنية لدول الخليج وبات القلق سيد الموقف، فلا إيران الحُكم الحالي تخرج من الشرنقة التي وضعت نفسها فيها، ولا البديل غير الواضح المعالم لحُكم الآيات يقتحم الساحة ويفرض نفسه.. وكذلك يفرض الحل.

ومع إتساع دائرة الهموم تتزايد المخاوف من ظاهرة الإرهاب الذي فرض على دول الخليج تسبيح نفسها، ويزداد الخوف أيضاً من أن تكون هنالك خطة، بل مخطط، هدفه تجفيف بحيرة الثروة العربية وبذلك يسهل إسقاط آخر قلاع الصمود العربي المتمثلة بالمال.

الأسبوع الماضي، وفي مكتب الأمين العام لدول مجلس التعاون في الرياض أجري هذا الحديث الذي هو تحليل أسجل للأمين العام عبدالله بشارة تألقه في تناول نقاطه. وأهمية الحديث - التحليل أنه تم في ضوء قمة (قمة مسقط) كثرت التكهنات في أمر مداولات الجلسة الأخيرة لها، وفي ضوء قرارات سرية إتخذها حكام دول مجلس التعاون وإرتأوا أن تبقى طي الكتمان، خصوصاً ما يتعلق بإيفاد مبعوث من هذه الدول إلى كل من بغداد وطهران ونعني به السيد يوسف العلوي وزير الدولة العماني للشؤون الخارجية. ويبقى أن نشتر هذا الحديث يتزامن مع حدثين مهمين. الأول هو الزيارة الرسمية التي قام بها السيد

طارق عزيز نائب رئيس الوزراء ووزير خارجية العراق إلى لندن، والزيارة الرسمية الأولى التي قام بها وزير خارجية إيران السيد علي أكبر ولايتي إلى الرياض. كذلك إن نشر هذا الحديث يتزامن مع كلام يسمعه المرء من مسؤولين عراقيين حول رد عراقي كثير القسوة، بل وأقصى من أية مرة، إذا نفّذت إيران هجوماً تُعد العدة له منذ بضعة أشهر.

«التضامن»: تميزت قمة مجلس التعاون الأخيرة بخاصية الإنطلاق نحو الاعتدال في التوجه، والتوازن في المواقف بالنسبة للقضايا الإقليمية والدولية، فما مدى نجاحها في معالجة القضايا الخليجية التي ما زالت مثار جدل بين دول المجلس؟

عبدالله بشارة: حتى نكون منصفين فإنه من السابق لأوانه التحدث عن قمة مسقط التي إنتهت منذ ثلاثة أسابيع، وحصيلة القرارات التي صدرت عنها، خاصة في ما يتعلق بالقضايا التي تهم المنطقة، فالأمر من حيث التقويم يحتاج إلى فترة زمنية كافية، وهذا لا يعني إغفال التأثيرات التي تركتها هذه القمة على التحرك الخليجي الذي أصبح أكثر قوة على صعيد الوضع الإقليمي والدولي. كل ما أستطيع قوله بشكل مؤكد، هو أن القمة قد تدارست أوضاع المنطقة من واقع تحمّل دول المجلس لمسؤولية دقيقة في تأمين الإستقرار فيها، ومسألة الاعتدال والتوازن هما من صميم توجّه مجلس التعاون، فجوهر موقف دوله لم يتغير والعبرة في الهدف لا في درجة الحدة.

«التضامن» ما تزال مسألة الأمن في الخليج مطروحة بحدة كأكثر القضايا الأساسية في إهتمامات دول المنطقة، ما الجديد الذي طرأ على هذا الموضوع؟

عبدالله بشارة: دعني أصارحك القول، لا حياء في الأمن، ولا تطور فكري أو إقتصادي أو تنموي من دون تأمين الناحية الأمنية. هذه مسألة لا جدال فيها، ونحن في دول المجلس أصبحنا نولي هذه الناحية أهمية كبيرة بعد تسرّب الإرهاب إلى المنطقة. من هنا فإن هناك علاقة بين الإرهاب الذي وصل إلينا، وبين مسألة التطور الأمني في المنطقة، وثق إن هذه مسألة تعني لنا الكثير، خاصة بعد تعرّض الكويت إلى أعمال إرهابية كان يقصد بها تقويض وتخريب دعائم الإستقرار الأمني فيها، فمحاولة إغتيال أمير الكويت، وتفجير المقاهي الشعبية التي يقصدها العامة من الناس مع أطفالهم، لا تعني سوى قتل الأبرياء لأهداف إرهابية فقط، وهذا ليس بالأمر الخافي على دول المجلس، التي تحاول ما إستطاعت تجنّب ما يحدث في بلدان أخرى.

«التضامن»: إلى أين وصلت الإتصالات الجارية بين دول المجلس وبين العراق وإيران لإقناع الأخيرة بالجلوس إلى طاولة المفاوضات، ولماذا لا يتم إعتداد سياسة مساعي التوسط سراً؟

عبدالله بشارة: نحن لا نستطيع أن نلتزم دور المتفرج على ما يجري في المنطقة، وعدم إتباعنا للأسلوب السري في الإتصالات مع إيران ناشئ عن قناعتنا بأنه لا بد من الشعور بأن لا يتولد فراغ، وإتصالاتنا العلنية تنشئ حالة من الحركة مطلوبة في الوقت الراهن لتحريك الوضع تجاه ما نتصوره مسؤولية ملقاة على عاتق دول المجلس لإنهاء النزاع بين العراق وإيران، فلا يجب أن نياس، وهناك توجه داخل المجلس حول هذه النقطة مفادها بأن علينا عدم الوصول إلى وضع نضطر فيه إلى رفع أيدينا إستسلاماً له. لا بد من السير إلى النهاية إلى حين الإنتهاء من هذا الأمر.

«التضامن»: يبدو أن سياسة إيران تقوم على إيصال دول المنطقة إلى حالة اليأس التي ذكرتها؟

عبدالله بشارة: المشكلة غير عادية، وينبغي أن تعالج بأسلوب غير عادي.

«التضامن» هل ترون أن هدوء جبهة الحرب بين طهران وبغداد يعني تغييراً في الموقف الإيراني، أم أن ما نشاهده حالياً هو الهدوء الذي يسبق العاصفة؟

عبد الله بشارة: من خلال قراءتنا للتصريحات الإيرانية، ورصدنا لمواقف حكامها، فإن النتيجة التي نصل إليها تقول بأنه لا يوجد أي تغيير في الموقف الإيراني، وهذا يعود إلى اللامبالاة التي تبديها الدول الكبرى تجاه هذه الحرب، ونحن في اعتقادنا أنه ينبغي قيام مساع دولية لمساعدتنا على إنهاء هذه الحرب، وتفسيرنا لهذا الموقف الدولي يعود إلى عدم إنتشار هذه الحرب طوال السنوات الماضية.

«التضامن»: هل يعنى هذا أن عدم مبالاة الدول الكبرى يعود إلى أنها تريد لهذه الحرب الإنتشار أم لأن فُرص إنتشارها قليلة؟

عبد الله بشارة: معلوم أن الدول الكبرى تهمها مصالحها بالدرجة الأولى والتي لم تتأثر لغاية الآن بهذه الحرب نتيجة عدم إنتشارها.

«التضامن»: ألا تعتقد أن قمة جنيف قد تطرقت إلى هذه الناحية؟

عبدالله بشارة: أتصور ذلك، لأن هذه المنطقة من المناطق المشتعلة التي يمكن أن تجر الدول الكبرى إلى مخاطر غير منظورة الآن، وفي اعتقادي أنه لا بد أن تكون قضية المنطقة قد نوقشت في قمة جنيف، كيف؟ لا أعرف.

«التضامن»: في الإطار نفسه كم بتقديرك كُفّت هذه الحرب دول مجلس التعاون. وإستطراداً هل يمكن لمشاريع التنمية أن تستمر إذا ما إستمر الإنفاق على هذه الحرب؟

عبدالله بشارة: بالطبع لا يمكن، لأنه من دون إنتهاء الحرب العراقية - الإيرانية لا نستطيع القول بوجود إستقرار في منطقة الخليج، فأنا لا أستطيع أن أفنّع العالم بأن هناك إستقراراً في الخليج بوجود هذه الحرب.

«التضامن»: هل كان هناك إستقرار قبل الحرب حسب إعتقادك؟

عبدالله بشارة: على الأقل كان الوضع مختلفاً عما هو عليه اليوم.

«التضامن»: هل كان هناك نوع من الإسترخاء أكثر منه إستقرار؟

عبد الله بشارة: تستطيع أن تسميه إسترخاء أو عدم اليقين، سمّه ما شئت، فالمسألة تتعلق بأولويات دول مجلس التعاون التي تهدف إلى أن يكون الوضع نافعاً للجميع، وبأن يكون مقلّعاً للعالم بأنه وضع مستقر.

«التضامن»: ألا يمكنك أن تحدد لنا كلفة هذه الحرب بالنسبة لدول مجلس التعاون؟

عبدالله بشارة: أحبذ عدم الخوض في هذه النقطة، لأنني حقيقة لا أعلم حقيقة ولكن في تصوري فإن ما تكبدته المنطقة يُعتبر خسارة على جميع المقاييس، ودعني أوضح مسألة مهمة، وهي إننا داخل مجلس التعاون نعتمد على إستراتيجية قوامها معالجة الحرب بين العراق وإيران من كل جوانبها بغية إنهاؤها، ثم مهما كانت المبالغ المالية التي دفعناها دول الخليج، فإن المال ليس شيئاً أمام الدم الذي دفعه العراق.

«التضامن»: القصد من السؤال هو أنه بعد الحرب تأتي معركة الإعمار؟

عبد الله بشارة: الأفضل أن لا نستبق الأمور ولا نفكر في عبور الجسر قبل الوصول إليه.

«التضامن»: يبدو أن سُبحة إقامة العلاقات الدبلوماسية بين دول مجلس التعاون والإتحاد السوفياتي

قد كُرت، هل لنا بإيضاح عن خلفية الإتصالات الخليجية - السوفياتية ومغزى توقيتها؟

عبد الله بشارة: نحن في مجلس التعاون نعتمد على صيغة تعاون بين ست دول لكل منها إجتهااداتها. والمرونة سمة مميزة لهذا المجلس من أجل الإبتعاد عن تقنين الإتصالات مع دول العالم، والمقصود بالتقنين عدم الإصطدام بالقوالب، نحن لا نضع قوالب ولهذا تجد أن لكل دولة إجتهااداتها الوطنية.

«التضامن»: تكراراً في شأن موضوع الحرب العراقية - الإيرانية، ما هو السر في أن مساعي الوساطة

مع إيران لم تنجح حتى الآن، وهل تتوقع سنوات أخرى لهذه الحرب؟

عبدالله بشارة: في مجلس التعاون نحرص دائماً على عدم إستخدام كلمة «وساطة» بل نفضل تعبير «المساعي».

«التضامن»: لماذا؟

عبدالله بشارة: كلمة وساطة يمكن إطلاقها على جهود أطراف بعيدتين عن المنطقة. أما نحن فإننا من ضمن الأطراف التي تحتل واقعاً جغرافياً معيناً، بما فيه من مياه وحدود قائمة. فالوساطة تُنسب إلى طرف قد يأتي من المريح، أما نحن فإننا في المنطقة، ولذلك نفضل القيام بمساع بغية إيصال المنطقة إلى صيغة التعايش كما كانت في السابق.

«التضامن»: هذا ما يخص دول مجلس التعاون، فهل لنا أن نعرف لماذا لا نتجح وساطة الآخرين؟

عبدالله بشارة: إيران لها موقف معيّن، ورؤية مختلفة، الأمر الذي يؤدي إلى إصطدام هذا الموقف وهذه الرؤية بكل الإجتهاادات المطروحة لإنهاء الحرب.

«التضامن»: هل تعيين أية الله منتظري يعني لكم شيئاً داخل مجلس التعاون؟

عبدالله بشارة: نحن غير ميالين إلى قراءة هذه الأمور بهذه الطريقة.

«التضامن»: كيف تنظرون إلى الوضع العربي الراهن على المستجدات التي نجمت عن لجان تنقية

الأجواء العربية، ثم لماذا لا نسمع عن تنسيق وتساور بصورة دورية بين مجلس التعاون والجامعة العربية؟

عبدالله بشارة: من الأسس التي يقوم عليها مجلس التعاون، إيجاد توافق عربي، وإذا غاب التوافق فلتكن هدنة، وإذا لم تكن هدنة فلتكن هناك على الأقل خصومة صامتة، لأننا نعتقد أن الخلافات العربية تنعكس على دول مجلس التعاون، فالخلافات في السابق كانت تأخذ بُعداً إعلامياً مدروساً، بحيث يظل الوضع محافظاً على حد أدنى من الخصومة أما اليوم فالوضع مختلف، ولهذا جاء في البيان الختامي لقمة مسقط تأييد ودعم ومؤازرة لجان تنقية الأجواء العربية، لأن الإعتقاد السائد هو أن عدم نجاح هذه اللجان سيقود إلى «غلو» في التصدي وإلى فجوة في العلاقات العربية.

«التضامن»: لقد أيدتم تنقية الأجواء العربية، فهل أيدتم أيضاً إمكانية السعي لعودة مصر في قمة

مسقط.

عبدالله بشارة: لم يُبحث هذا الموضوع بشكل جماعي.

«التضامن»: لوحظ أن الرئيس حسني مبارك عومل خلال زيارته إلى مسقط التي أعقبت القمة كما لو

أن الأمر يُبحث بالفعل، فهل كانت هذه المعاملة من نوع اللياقات أم أنها تعود إلى موقف سياسي؟

عبدالله بشارة: هذا الموضوع بصراحة لم يُبحث، وقد تُرك البت فيه لإتصالات دول المجلس وإجتهااداتها.

«التضامن»: لا بد أنك إطلعت على التصريحات الأخيرة للرئيس المصري. كمجلس تعاون هل تعتقدون

أن هذه التصريحات تشكّل عائقاً أمام تحسّن العلاقات بين مصر والعالم العربي؟

عبدالله بشارة: نحن في مجلس التعاون نسير على نهج بناء، ولا نسعى إلى الإثارة التي تؤدي إلى زيادة

الفجوة في العالم العربي، فموقفنا دائماً هو إما أن تعمل خيراً أو أن تصمت.

«التضامن»: هل جرى أي نوع من الإتصال مع موسكو وواشنطن من قبل دول مجلس التعاون في

أعقاب قمة جنيف أو حدث العكس؟

عبدالله بشارة: كمجلس تعاون لم يحدث، بشكل ثنائي.

«التضامن»: ماذا عن القمة العربية وظروف إنعقادها أو تأجيلها؟

عبدالله بشارة: هذا ليس بالشيء الجديد، وفي قمة مسقط تم بحث هذا الموضوع، والرأي هو أن مهمة

لجان تنقية الأجواء العربية يجب أن تستمر قبل التفكير بمؤتمرات القمة.
«التضامن»: بالمناسبة لقد شاهدنا في الطائف من خلال مباراة كرة القدم بين سوريا والعراق إمكانية للتعايش، وقيام روح رياضية معقولة.
عبدالله بشارة: تقصد ديبلوماسية الكرة.

«التضامن»: لماذا لا يتم إنشاء مكاتب لمجلس التعاون في دول أوروبا والعواصم الكبرى كواشنطن وموسكو، بغية إيجاد حضور خليجي على مستوى جيد؟

عبدالله بشارة: سياسة مجلس التعاون قائمة على عدم التوسع في بناء مؤسسات لمجلس التعاون، وذلك بغية مراعاة ودعم الجامعة العربية في الخارج. لهذا لا توجد نية لإنشاء مكاتب على غرار مكاتب الجامعة العربية والأمم بحد ذاته يرتبط بمفهوم آخر هو تحاشي «البيروقراطية» لحساب خفة التحرك.

«التضامن»: وحتى إنشاء مكاتب في الدول الدائمة العضوية في مجلس الأمن؟
عبدالله بشارة: لا جدوى من ذلك في ظل وجود السفارات ومكاتب الجامعة العربية وهذه سياسة تتبناها دول المجلس.

«التضامن»: متى سيتم الإنتهاء من تشييد مبنى مجلس التعاون؟
عبدالله بشارة: بعد ثلاث سنوات.
«التضامن»: على أية حال سينتهي قبل مبنى الجامعة العربية.
عبدالله بشارة: لا.. مبنى الجامعة سيستغرق بناؤه سنتين ونصف السنة، نحن نعتبر أنفسنا بأننا نمثل الجامعة العربية في هذه المنطقة.

«التضامن»: كل قمة من قمم مجلس التعاون كان لها شعار معين أو تسمية معينة ما هي تسمية القمة المقبلة في أبوظبي؟
عبدالله بشارة: قمة الحصاد.

«التضامن»: وهل تعتقد أن كل شيء أصبح ناضجاً للحصاد؟
عبدالله بشارة: سينضج إن شاء الله.
«التضامن»: قمحاً أم تمرّاً، أم حلاً للحرب العراقية - الإيرانية؟
عبدالله بشارة: بعد الإنطلاق في قمة مسقط، ستكون قمة أبوظبي قمة المحاصيل والحصاد.

نُشر الحوار في مجلة «التضامن»
بتاريخ السبت 14 ديسمبر/ كانون الأول 1985

ويوسف بن علوي

[illegible]

هموم الخليج في حديثين: مع عبدالله بشارة ويوسف بن علوي

في مسقط قابل رئيس تحرير «التضامن» فؤاد مطر الأمين العام لمجلس التعاون لدول الخليج عبدالله بشارة ثم وزير الدولة للشؤون الخارجية العمانية يوسف بن علوي بن عبدالله وأجرى مع كل منهما حديثاً حول تطورات الحرب والسلام في المنطقة في ضوء القمة الخليجية السابعة في أبوظبي وقبل إنعقاد القمة الإسلامية في الكويت التي يعولون عليها الكثير في شأن الحرب.

رب مصادفة خير من ميعاد. والمصادفة التي أنا هنا في صدد الإشارة إليها هي تلك التي جمعني يوم الإثنين 10 - 11 - 1986 في مسقط خلال الإحتفال بالإفتتاح الرسمي لـ «جامعة السلطان قابوس» بالأمين العام لمجلس التعاون لدول الخليج الأخ والصديق القديم والدائم عبدالله بشارة الذي كان بين المدعوين لحضور هذا الإحتفال، والذي جاء للمشاركة فيه والحبر لم يجف بعد على البيان الختامي للقمة الخليجية السابعة التي أنجزت أعمالها في أبوظبي.

وعندما إلتقيت الأمين العربي الآخر (على أساس أن الأمين العربي الأول هو الشاذلي القليبي الأمين العام للجامعة العربية المتعثرة الحظ) في أعقاب إنتهاء الإحتفال بـ «جامعة السلطان قابوس» - وكنت بين الذين تلقوا الدعوة إلى هذه المناسبة - فُلت له: إن زيارتك هي صيد ثمين بالنسبة لصحفي يريد أن يعرف حقيقة محصول قمة أبوظبي التي سميتها «قمة المحاصيل والحصاد» وعلى هذا الأساس نتطلع إلى لقاء معك توضح لنا ما في الإمكان توضيحه.

وأجابني بأنه مسافر في الغد إلى الدوحة بعد أن يقابل السلطان قابوس. وأضاف: في الرياض نلتقي وفي مكنتي نتحدث ويكون أماننا متسع من الوقت.

ثم عاد الأمين العام وإقترح مشكوراً أن أراه بعد أن يقابل السلطان وقبل أن يتوجه إلى مطار السيب الدولي حيث تجثم طائرته الخاصة لتنقله إلى الدوحة ثم إلى الرياض.

وفي الجناح المخصص له في «قصر البستان» وهو أجمل فنادق منطقة الشرق الأوسط على الإطلاق والذي شيد خصيصاً لإستضافة حكام دول الخليج الذين عقدوا فيه قمتهم السادسة وأقاموا في الفندق نفسه الذي يصلح كمكان مثالي لمدينة مؤتمرات.. في الجناح الذي حل فيه الأمين العام لمجلس التعاون كُنْث ألتقي به ظهر يوم 11 - 11 - 1986 إلى مائدة غداء إمتزج فيها الطعام مع الكلام فكان هذا الحديث.

لماذا «قمة الحصاد»؟

في بداية الحديث لاحظ الأمين العام أنني ألقب في أوراق موضوعة داخل ملف فُقلت له: إنها بياناتك

من قمة الميلاد عام 1981 في أبوظبي إلى قمة «الحصاد» في أبوظبي أيضاً. ولقد حرصتُ على أن أقرأها بعناية لأعرف ما الذي تبدّل وما هي الإضافات وهل تم حذف عبارات ما.. وهكذا.

وقُلت له أيضاً: لقد بلغني أن صياغة بيان «قمة الحصاد» كانت شاقة بعض الشيء وأنها إستغرقت منك أربع ساعات وكانت بياناً عربياً شاملاً أكثر من أن يكون بيان قمة خليجية.

ثم إنتقلتُ إلى طرح السؤال الآتي على الأمين العام: هل كان الموسم مثمراً لكي تسمي أو تسموا القمة السابعة «قمة الحصاد» وهل من الجائز الافتراض بأنها تميل بعض الشيء إلى التشدد أو إنها قمة صقور قياساً بالقمم السابقة التي كانت إذا جاز القول قمم يمام؟

وأجاب: عندما قام المجلس عام 1981 لم يكن واضحاً فيه ومنه شيئاً. لا الأسلوب ولا طبيعة التحرك ولا التطلعات. لقد قام المجلس يحمل إسم التعاون وهدفه التعاون، أما ما هي خططه وما هي إستراتيجية العمل وهل سيتحول إلى مؤسسة فهذا ما لم يكن واضح المعالم على الإطلاق. كذلك لم يكن هنالك من يملك تصوراً عن حجم عمل المجلس وطبيعة الدور البعيد المدى الذي يمكن أن يؤديه. ولقد حدثتُ إنني شخصياً بعدما تمت ولادة مجلس التعاون توجّهتُ إلى الرياض لأبدأ منها وفيها رحلة بناء هيكلية المجلس. وقد ساعدنا على ذلك كثيراً أننا لم نتحرك وفق قوالب جامدة وبذلك بقي هامش المرونة رحباً في التخطيط والبناء.

وإلى ذلك إن تحررنا من القوالب الجامدة جعلنا نضع التوجه الذي يقوم على التوافق وعلى مراعاة الخصائص الكثيرة التنوع هذا مع الأخذ في الاعتبار أن هذه الخصائص لا تتعلق بالتراث وإنما بالتفكير حيث أن لكل دولة نمط تفكير لا يشبه نمط تفكير الدولة الأخرى.

وعندما سميناً القمة السابعة بأنها «قمة الحصاد» فليس بمعنى الجني وإنما بمعنى الإستخلاص. ذلك أننا بعد ست سنوات من التحرك وعقد القمم في كل عواصم دول مجلس التعاون كان من الطبيعي أن تكون القمة التي تم عقدها في أبوظبي هي القمة التي نكتشف ونحدد فيها ما تم إستخلاصه في السنوات الست الماضية.

وفي قمة أبوظبي إنتهى وبشكل حاسم التردد حيال قبول شرعية التجربة وتوصلنا إلى تلمّس وضوح الأساس ووضوح طبيعة المسيرة ووضوح الموقف الموحد الذي يتم وفق قاعدة الرضا والتراضي والإقناع والإقتناع من دون أن يصطدم ذلك بظواهر التباين في الرأي والتوجهات والآن وبعدها باتت واضحة كل المسائل، وذلك حصيلة ست سنوات من العمل والمتابعة والتفهم، فإن العمل صار مبرمجاً. ومن الآن وحتى العام 1995 هنالك أمور كثيرة ستتحقق على الصعيدين الأمني والإقتصادي وذلك وفق خطة تقوم على البرمجة وما كان لها أن تقوم من قبل، وهي قامت في ضوء ست سنوات مجتمعة من العمل والمتابعة والتفهم وإحترام الخصائص.

من هذا كله نصل إلى السبب في إختيار «الحصاد» تسمية للقمة الأخيرة. وهو حصاد بمعنى إستخلاص النتائج والإستفادة من الدروس وإعتماد البرمجة بعد الآن خصوصاً بعدما بات مسار المجلس واضحاً وكذلك أرضيته وشكله ورؤيته لقضايا وقضايا الآخرين. والآن بات في إستطاعتنا أن نجيب عن السؤال الذي كانوا يطرحونه علينا في الماضي وهو: لماذا مجلس التعاون؟ وجوابنا عن ذلك هو أن مجلس التعاون سيكون الدرع الأمني الذي سيحمي هذه المنطقة في عصر التكنولوجيا وعصر التحديات حيث لن يكون للكسالى مكان ولن يكون للمتريدين مكان ولن يكون للكيانات الصغيرة مكان.

ونحن إذا لم نفعل ذلك فإن منطقة الخليج ستكون في مهب الرياح ولن يعطيها العالم أهمية أو يكون لها دور أساسي على الصعيد الإقتصادي.

الإطمئنان على المصير

قُلت: هل إن حكام مجلس التعاون خرجوا من قمة أبوظبي بإطمئنان على مصير الخليج؟

وأجاب: لقد خرجوا أكثر إطمئناناً وأخذوا في الإعتبار أموراً في منتهى الأهمية، وهي أن العالم لا يجوز أن يكون خليجياً أكثر من الخليجيين، بمعنى أنه إذا كان العالم ينظر بإهتمام بالغ إلى هذه المنطقة ويرسم لها الخطط والإستراتيجيات فمن الطبيعي أن تُحدد المنطقة إستراتيجيتها من وجهة نظرها وتبرمج العمل والتحرك لأن الآخرين يعتمدون البرمجة.

وأستطيع القول بثقة إن قادة المجلس خرجوا من قمة أبوظبي مرتاحين لوضوح الرؤية ووضوح المسار ووضوح طبيعة الأرضية المشتركة.

قُلت: هل إن قادة المجلس على سبيل المثال خرجوا مطمئنين إلى أنه تم تطويق حرب الخليج؟

أجاب: في هذا الصدد من الجائز القول إنه تولدت لمجلس التعاون خبرة في التعامل مع الحرب وهي خبرة تقوم على ضرورة المحافظة على البيت الداخلي وعلى الإتصالات الدبلوماسية والتعاون الأمني والدفاعي وعلى إستراتيجية خلاصتها إن هذه الحرب يجب أن تنتهي بالمحافظة على ميزان القوى في المنطقة. ونحن لا نستطيع أن نقبل العبث بما من شأنه إحداث خلل في هذه الإستراتيجية. ومن هنا يأتي خلافنا مع إيران التي تريد الإخلال بميزان القوى ويأتي ثنائنا لموقف العراق الذي يريد إنهاء المشكلة مع إيران عن طريق المفاوضات مدركاً في ذلك ظروف المنطقة.

قُلت: في الإطار نفسه نسألك: هل هناك مخاوف لدى دول مجلس التعاون ظهرت في قمة أبوظبي من مخاطر إجتياح إيراني؟

أجاب: توجد حسابات ولكن لا يوجد فزع.

قُلت: لا يوجد فزع أم أن الفرع قد زال.

أجاب: لا يوجد فزع. في البداية لم تكن خبرة التعامل مع الحرب قائمة ولم تكن الوسائل متوافرة. الآن توفرت الخبرة وتوفرت وسائل العلاج. ومن هنا القول إنه لا يوجد فزع وإنما هنالك حسابات وكل شيء يُحسب له وبدقة حسابه الملائم.

وفي الإطار نفسه يمكن القول إن الدبلوماسية لها وزنها الكبير في زمن الحرب وعدم الضجر صفة ضرورية للعمل السياسي بل إنه سلاح يفيد في معالجة الأمور في الحرب. إن ما يتأكد يوماً بعد آخر هو أن إيران لا تستطيع أن تمسحنا جغرافياً ونحن أيضاً لا نستطيع ولا نريد أن نمسحها جغرافياً، وأن التعايش هو البديل عن الحرب.

قُلت: لقد أشرت إلى مسألة التوازن. وهل إن مثل هذا التوازن كان قائماً أيام حُكم الشاه؟

أجاب: تجربتنا مع الشاه مختلفة. الشاه كانت له إستراتيجية تقوم على أساس المحافظة على الوضع الراهن، في حين أن الذين أتوا بعده يعملون على أساس تغيير الوضع الراهن. صحيح أن الشاه كان يريد الهيمنة لكنه كان يريد المحافظة على الوضع الراهن إنطلاقاً من حسابات لديه بأن منطقتنا ستكون المنطلق لتغيير الوضع الراهن وقد تبين له أن هذا المنطق غير سليم.

القفزات الكبرى في الخليج

قُلت: كنت قد أشرت إلى أنه لا مكان للكسالى في عصر التكنولوجيا وأنه لن يكون للمتريدين مكان وأن طموح المجلس هو أن يكون على أهبة الإستعداد لنقلة نوعية في التسعينات.

ألا تعتقد أن مثل هذا الطموح مرتبط بالثروة النفطية وأنه عرضة للمفاجآت بسبب عدم إستقرار النفط وتعرّضه دائماً للتقلبات وللاإنتكاسات في معظم الأحيان، وأنه ما دام الأمر كذلك فإن هذا الطموح سيواجه الكثير من التحديات والإختبارات الصعبة؟

أجاب: نحن كنا في سباق سريع وإتضح أننا لا نستطيع أن نواصل هذا السباق خصوصاً في قضايا التنمية. وما حدّث جعل المنطقة تعيد النظر في أسس حساباتها. وعلى سبيل المثال إنه عندما يقال الآن بالترشيد فإنما يقال على أساس عدم خضوع الحسابات في المستقبل لقفزات مفاجئة في الدخل أو لإنحدار في الدخل ومستوى المعيشة.

إن المنطقة شهدت قفزات كبرى إلى فوق على صعيد الدخل ومستوى المعيشة وفجأة حدث هبوط. والنظرة الإستراتيجية للمرحلة المقبلة تقوم على الواقعية والنمو الطبيعي والنمط الهادئ من الإستهلاك غير المبالغ فيه وإعتماد ضوابط في التصرف بعيداً عن الفوضى تعيد لمنطقة الخليج النسيج الذي تسببت في تشويهه بسلطته الطفرة التي أضرت كثيراً على الصعيد الإجتماعي ومسلكية المواطن. الآن بات كل شيء يخضع للترشيد وللاحتياجات التي تفرضها خطة التنمية المبرمجة. لقد علّمنا الحربان حرب العراق - إيران وحرب النفط الكثير. وإلى ذلك إن الحرب السياسية التي تم إعلانها على منطقتنا في شكل أو آخر علّمنا الكثير هي الأخرى. وإذا جاز القول فإن هذه المنطقة خاضت حروباً كثيرة ولكنها والحمدلله تعلمت الكثير من هذه الحروب. والضوابط جزء من هذه الدروس التي إستفدنا منها.

قلت: نتحدث عن دروس أمكن الإستفادة منها. ومن حق المواطن العربي الذي يقرأ أنكم إجتمعتم أو يشاهد قادة الخليج مجتمعين في قمة أن يسمع منك شخصياً، بصفة كونك شاهداً على ولادة هذا الكيان السياسي الجديد الذي هو «مجلس التعاون لدول الخليج»، توضيحاً حول الدروس المستفادة وما هي هذه الدروس أو أهمها على الأقل؟

وأجاب: أهم الدروس المستفادة أن غياب التضامن العربي هو السبب في هذه الحروب السياسية والاقتصادية. ولو كانت هنالك نظرة موحّدة إلى ما كان يجري في إيران لما حدثت الحرب بين العراق وإيران. وهذه الحرب لم يتم إعلانها نتيجة حادث معين كما هي الحال بالنسبة إلى الحرب العالمية، وإنما الذي حدّث هو تجمع غيوم اللامنطق في سماء المنطقة. ولو حدث أن تتبهنّا كعرب إلى هذا الذي يحدث لما كان للحرب أن تحدّث بالشكل الذي حدثت فيه. وما يمكن أن أضيفه هو أنه لا بديل للتضامن العربي ولو في الحد الأدنى وعن طريق هذا التضامن يمكننا أن نتجاوز المحنة التي تواجهها الأمة بسبب الحرب التي ما كان لها أن تصل إلى ما وصلت إليه لو أن العلاج العربي لها كان موحّداً.

أما الحرب الأخرى التي أعلنت على دول الخليج من قبل دول الغرب والشرق سواء عن طريق «أوبيك» أو عبر وسائل ومنافذ أخرى فإنه ما كان لها أن تأخذ هذا الطابع لو كان هناك موقف عربي موحّد تجاه القضايا الاقتصادية وقضايا النفط. لقد كانت هنالك إجتهاادات عربية متنوعة، وهذا جيد في إطار النظرة الموحّدة، لكن في غياب هذه النظرة تصبح الإجتهاادات مؤذية أحياناً.

وإلى ذلك إنه لو كانت هنالك نظرة موحّدة لما كان للحرب الإعلامية ضدنا أن تصل إلى ما وصلت إليه. وفي البيان الختامي وجدنا أنفسنا نخصص فقرة فيه للإشارة إلى مسألة الإرهاب وذلك لأن الإرهاب لم يكن مرتبطاً بالعرب يوماً كما يحاولون في الغرب ربطه بهم - أي بالعرب - وبهذا الإصرار على تصوير الأمر وكأنما الإرهاب هو الكلمة المرادفة للعرب.

إن تفتت الموقف العربي هو الذي جعل قوى خارجية تتسرب إلى صفوف العرب وتحدث كل هذه الحروب التي تحدث ولا علاج إلا بالنظرة الموحدة. متى؟ المهم ألا نياس. ونحن هنا نتحدث عن الحروب الحديثة من دون أن ننسى الحروب القديمة مثل الحرب على الفلسطينيين والحرب اللبنانية.

تذكروا الشرعية وأيدوها...

قلت: لوحظ أن بيان قمة أبوظبي تضمن فقره بتأييد الشرعية في لبنان. وأهمية هذا الكلام أنه جديد وعلى الأقل إنه لم يرد في بيان قمة مسقط. ولا في بيانات القمم التي سبقتها بإستثناء بيان القمة الأولى عام 1981. والفقرة المعنية هي: «كما تدارس المجلس الوضع في لبنان ويؤكد إستمراره في دعم الشرعية والحفاظ على وحدة لبنان وسلامته الإقليمية وسيادته وإستقلاله». وأهمية هذه الفقرة أنها تشير إلى دعم الشرعية في حين أن البيانات السائدة بإستثناء القمة الأولى تكفي بالإشارة إلى دعم السيادة والحدود الإقليمية.

هل معنى ذلك أنه زال الضجر الخليجي من موضوع لبنان، وما الذي تستهدفه القمة الخليجية من الإشارة إلى دعم الشرعية في لبنان وفي هذه الظروف بالذات حيث هنالك أزمة بين الحُكم السوري وهذه الشرعية؟

وأجاب: ما يمكن قوله إن دول مجلس التعاون تريد للوحدة الوطنية أن تتحقق في لبنان. ولا يمكن تحقيق هذه الوحدة من دون الثوابت الأساسية التي هي الشرعية والسلامة الإقليمية والسيادة والإستقلال. وعندما ندعو إلى تحقيق الوحدة الوطنية في لبنان فلا بد من تأييد الشرعية ودعمها ولا بد من تأييد السلامة الإقليمية والسيادة والإستقلال، وإلا فكيف يمكن أن تتحقق الوحدة الوطنية في غياب الشرعية.

ضمانات الملاحة... والإستقرار

قلت: يتردد أن هنالك ضمانات أوروبية من أجل الملاحة في الخليج. إلى أي مدى يبدو هذا الكلام واقعياً؟

أجاب: ليست هنالك ضمانات ولا نتق بضمانات من أي أحد. كل ما نتق به هو أنفسنا والعمل بما إكتسبناه من خبرة طوال سنوات الحرب والتعامل مع أدبيات المنطقة من دون أن نفقد أعصابنا. وعلى رغم أن في المنطقة حرباً قاسية وأن الأجواء السائدة فيها ملبدة بالغيوم إلا أنها تبدو من المناطق الأكثر إستقراراً.

قلت: لكنها منطقة مهددة في إستمرار والتهديد ضد الإستقرار.

أجاب: ومع ذلك فإنها في حالة من الإستقرار والمهم هو كيفية تخفيف حدة هذه التهديدات بحيث يمكن كسرها بدل أن تعصف بالإستقرار.



في ختام هذا الحديث مع عبدالله بشاره أوضح الأمين العام لمجلس التعاون أن صيغة الإنعقاد الدوري وكل مرة في دولة ستستمر وأنه بعد القمة المقبلة في الرياض ستعقد القمة الخليجية في البحرين... وهكذا يستمر دوران المركبة الخليجية حول كل عواصم المجلس.

وقال أيضاً: إنها كانت ستبدو فرصة طيبة لو أن القمة المقبلة في الرياض إنعقدت في المقر الدائم الذي يتم إنشاؤه لمجلس التعاون في العاصمة السعودية لولا أن إنعقاد القمة سيسبق الموعد المحتمل لإنجاز المبنى،

لكن الأمين العام أشار إلى أن قادة مجلس التعاون سيقومون على الأرجح خلال عُقد قمتهم الثامنة بزيارة المبنى وإلقاء نظره عليه قد تفيد في تدارك ثغرات قد يلحظها بعضهم.

أما القمة الإسلامية التي من المقرر إنعقادها في الكويت فإن عبدالله بشاره أشار إلى أن قمة ابوظبي ناقشت موضوع القمة الإسلامية من زاوية أنها تتعدى في بلد خليجي من جهة ومن زاوية ضرورة تحقيق التوافق بين الدول الإسلامية، وكيف أن الحرب تواصل الإلتهاب في غياب هذا التوافق. وردد أمام «التضامن» ما يبدو أنه كان جزءاً من مداوالات حكام دول مجلس التعاون خلال إنعقاد قمتهم السابعة في أبوظبي. وما رده عبدالله بشاره كان: «من المهم جداً إنعقاد قمة إسلامية على أبواب الحرب وفي مدينة تهتز يومياً من إنعكاسات هذه الحرب. وليس من المعقول أن تتعدى القمة الإسلامية ولا تتعرض للحرب الدائرة بين دولتين عضوين فيها وتناقش هذه الحرب بموضوعية وإيجابية، وبما من شأنه أن يوجد حلولاً لها وبالتالي يوقف هذه الهجمة الدولية على الإسلام وهي هجمة تحاول تشويه الإسلام وتتطاول على التراث الإسلامي ومحاصرة معانيه الكبرى ومنها البساطة والرفق والحضارة والترفع والفروسية والكبرياء، وتحاول متعمدة أن تربط بينه وبين الإرهاب».

.. وسبع قضايا أكثر سخونة

في حديث «التضامن» مع يوسف بن علوي:

(1) القلق شامل ولا تصوّر عند أحد عن كيفية إنهاء الحرب (2) من حق العراق أن يطلب قوات عربية ولكنه في الموقع القوي وبالتالي فإنه لا يحتاج (3) نحتاج جميعاً إلى موقف سياسي عربي موحد (4) ليست هنالك دبلوماسية خليجية معلنة في شأن الحرب ودبلوماسية غير معلنة (5) مشكلة العراق وإيران هي في عوامل غير مرئية (6) خطوة متأنية لا تتعرّض أفضل من خطوة سريعة الإيقاع (7) لكل دولة عمّلتها ولكل دولة جواز سفرها...

لم يحدث على مدى ربع قرن من التعامل مع التطورات في العالم العربي أن لاحظت إبتهاجاً من نوع حالة الإبتهاج التي تصيب العماني إذا أنجزت له دولته مشروعاً، ومن سمات هذه الدولة التي يقودها بجدية وحرص وشعور عميق بالمسؤولية السلطان قابوس بن سعيد أنها أنجزت الكثير وبقى عليها الأكثر لكي تنجزه. وقد يكون سبب حالة الإبتهاج هذه أن عُمان كانت هي الأخرى «سعيدة» ولم تقتصر «السعادة» على اليمن فقط وأن الحرمان في هذه (أي سلطنة عُمان) قبل 1970 من نوع الحرمان في تلك (أي المملكة المتوكلية اليمنية) قبل أن تقوم الثورة ويبدأ معها تعويض المواطن أنواعاً شتى من الحرمان الذي عانى منه الكثير. ولكن هذا الإبتهاج الذي يتم التعبير عنه بمهرجانات في كل ولايات السلطنة بدأ يتعرض للأجواء الثقيلة التي يُحدثها استمرار حرب الخليج وعدم صدور إشارات عن القمة الخليجية الأخيرة تبشر بإقتراب نهاية هذه الحرب.

وعندما إستقبلني وزير الدولة للشؤون الخارجية في سلطنة عُمان يوسف بن علوي بن عبدالله في صالون مكتبه في مبنى الخارجية العمانية الذي تأخذ المرء بساطته وجماله ظهر يوم الخميس (13 - 11 - 1986) وجدت نفسي أنني كلما أردتُ أن أتحدث في قضية خليجية أو عربية بشكل عام فإنه لا بد من الدخول إلى الحديث من بوابة الحرب. الحديث عن التنمية يمر بالحرب. والحديث عن التحديث يمر بالحرب. والحديث عن الوفاق الدولي ومكان السلطنة والخليج في خارطة هذا الوفاق يمر بالحرب. والحديث عن القضية الفلسطينية يمر بالحرب. و... و... الخ.

وهكذا صارت الحرب العراقية - الإيرانية جزءاً أساسياً من جغرافية المنطقة وصارت أيضاً بمثابة التأشير التي لا بد منها للخوض في أي قضية وعلى أي صعيد.

ويمكن القارئ أن يلاحظ أن تسعين في المائة من الأسئلة التي طرحتها على رجل الدبلوماسية العمانية كانت الحرب محوراً، كما أن تسعاً وتسعين في المائة من الأسئلة التي لم تُطرح كانت ستتحدّث حول الحرب لولا أن هذه الأسئلة تحتاج إلى ساعات وكيفية الوزير أنه خص «التضامن» وفي ظل المشاغل الكثيرة جداً في السلطنة لمناسبة العيد الوطني السادس عشر بساعتين كانتا بمثابة فرصة من الجائز القول إنها اتاحت أمامي كصحفي أن أقف على بعض مفاتيح لغة الحوار الخليجية - الخليجية وهي لغة تبدو أحياناً مفهومة لنا وكثيرة

الوضوح وتبدو أحياناً أخرى أنها لغز من الألغاز.

مع الرشفة الأولى من كاسة شراب الزنجبيل الساخن (الذي له أكثر من فائدة لأكثر من حالة في الوقت الواحد والذي يرشف العماني بضع كاسات منه في اليوم الواحد) سمعتُ من الأخ يوسف تقوياً طيباً عن «التضامن» جاءه من وزير الاعلام الأخ عبد العزيز الرواس. وهذا التقويم من جانب رجل الاعلام العماني جعل هامش الصراحة في الحديث يتسع قليلاً، ذلك أن الإثنين من فريق العمل الواحد الذي يقوده السلطان قابوس وهذا الفريق ينشط ضمن إشارات لغة شيفرية وكما لو أنها الصيغة العمانية للكومبيوتر وفي استمرار يحقق هذا الفريق الغرض وبالحد الأقصى من الإنسجام.

ومعذرة من قارئ «التضامن» الذي أسهبتُ في شرح أمور له على هامش الحديث لكن الإسهاب ضروري وكذلك الشرح ولولا ذلك لما كنتُ شرحتُ ولا أسهبتُ.

القلق شامل للجميع

قُلت لرجل الدبلوماسية العمانية:

قبل القمة الخليجية كنت في زيارة إلى الأردن ولاحظتُ على وجوه بعض كبار المسؤولين في المملكة خلال زيارات أحياناً وخلال مناقشات في بعض الاحيان قلقهم من عدم توصُّل دول الخليج إلى موقف رادع لإيران. وكانوا في إنتظار القمة الخليجية السابعة في أبوظبي لعل وعسى تجيبهم قراراتها عن ما من شأنه أن يبدد المخاوف والقلق.

وفي الاسبوع الماضي كنت في بغداد وقد سمعتُ من بعض المسؤولين هناك أنهم يحتفظون لأنفسهم بحق طلب قوات من الدول العربية وإنني عندما سألتهم هل هذا الكلام للنشر لم يمانعوا. وأود أن أسمع تحليلكم لذلك وما إذا كانت أجابتم هذه تُمثل الإجابة الخليجية الواحدة خصوصاً أنك عائد حديثاً من القمة التي شاركت فيها السلطنة بفعالية.

وأجاب يوسف بن علوي بن عبدالله: القلق شامل لكل الدول العربية من مخاطر وسلبيات الحرب القائمة بين العراق وإيران ومن الطبيعي أن يكون هنالك قلق نتيجة أن المساعي التي إستهدفت إنهاء هذه المأساة لم يحالفها التوفيق. والذي يضاعف الشعور بالقلق هو أنه لا يوجد لدى أي جهة سياسية بالعالم تصوُّر عن كيفية إنهاء هذه الحرب. قد يكون لدى بعض السياسيين الدوليين تصوُّر عن كيفية دُفع الحرب نحو مأس جديدة لكنني أشك في أن يكون هنالك من لديه التصور الذي تنتهي الحرب بموجبه.

ونحن في منطقة الخليج سنكون المستفيدين، بل وأكثر المستفيدين من إنتهاء الحرب وسنستفيد إستفادة كبرى إذا أمكن وقُف الحرب.

والى ذلك إن هنالك وجهات نظر بل ونظريات كثيرة تتردد أو يمكن أن تكون ترددت أو لعلها ترددت في الماضي، إنما هنالك حقيقة ثابتة لا يستطيع أحد أن يغيِّرها وهي أننا كدول منطقة الخليج جيران لإيران وأننا لابد من أن نعيش كجاريْن ولهذا نعمل دائماً في الإتجاه الذي يعزز إمكانات حُسْن الجوار وعدم دُفع الأمور إلى القطع لأن القطع لا يمكن أن يحل المشكلة.

ومن هذه البدهيات إستخدمنا كل الوسائل لإيجاد طريقة نتمكن بها من إنهاء الحرب. ولم يكن في إمكاننا إجتراح معجزة وأعتقد أن إخواننا في العراق يدركون ذلك ويعرفون أن دول الخليج بذلت جهوداً كبيرة جداً في سبيل حصر التأثيرات السلبية للحرب.

أما مسألة أن العراق يحتفظ لنفسه بحق طلب قوات عربية فإن ما يمكن قوله في هذا الشأن هو أن من

حق العراق أن يطلب قوات عربية إذا دعت الحاجة لكن في ضوء ما نملكه من معلومات فإن العراق لا يحتاج إلى هذه القوات وأنه في الموقع القوي القادر على الدفاع عن أراضيه وعن سيادة الدولة. وأعتقد أن الحاجة الماسة التي نحتاج إليها جميعاً هي موقف سياسي عربي موحد لأن مثل هذا الموقف، إذا توافر، سيساعد على إيجاد نهاية وربما سريعة لهذه الحرب. بل قد يجوز القول إن عدم نشوء هذا الموقف السياسي العربي الموحد من شأنه أن يُبقي على الحرب تتواصل في شكل أو آخر. ومن الطبيعي في ضوء ذلك أن تستمر حالة القلق بل وحالة الأسى السائدة.

قُلت: إذا نحن صغنا السؤال على نحو: لماذا تستمر الحرب ولا تحدث مبادرات خليجية واضحة ومعلنة. ومناسبة هذا القول هو الشعور بأن هنالك دبلوماسية خليجية معلنة أحياناً وغير معلنة أحياناً أخرى إنما ليس هنالك مبادرة ومبعوثون لتنشيطها يتحركون في كل الاتجاهات.

والى ذلك إنه إذا كانت الحرب لن تكون سبباً لحدوث هذه المبادرات وخروج النشاط الدبلوماسي من السر إلى العلن ومن العلن إلى الإصرار على الإنجاز فما هو السبب الأهم خصوصاً أنكم من أول الخليج إلى النقطة الأخيرة فيه تعاون من الحرب وتشكون مَر الشكوى منها؟

وأجاب الوزير العماني: ليست هنالك مبادرات سرية ومبادرات علنية. هنالك مبادرات واضحة ونحن في الخليج نعمل ذلك بوضوح. قد يجوز القول إنه ليس هنالك مخطط للوساطة بين العراق وإيران لكن ذلك لا يعني أنه ليست هنالك مبادرات. لقد سعينا في الماضي لإنهاء هذه الحرب ولم نتمكن وكرنا السعي وسيتواصل على رغم عدم التجاوب مع المنطق الذي لا نرى هنالك منطقاً أكثر صوابية منه وهو أن الحرب لن تنتهي بالقوة وأنه لا بد من حوار التعايش. وعلى هذا الأساس لا يعود جائزاً القول إن هنالك دبلوماسية غير معلنة. وإلى ذلك إن المبادرة عادة تكون دولية ونحن قلنا في أكثر من مناسبة إننا سنكون رافداً لأي مبادرة من شأنها أن تُنهي الحرب. سنكون في استمرار عاملاً إيجابياً من أجل إنهاء الحرب ولن نكون على الإطلاق عاملاً سلبياً.

نداء كأنه الصدمة الكهربائية

قُلت: هل تعتقد أن قمة خليجية توجّه قبل إختتام أعمالها دعوة إلى كل من الرئيسين العراقي والإيراني للانضمام إليها وعقد مصالحة عراقية - إيرانية مضمونة خليجياً تبدو إقتراحاً واقعياً.. هذا بصرف النظر عما إذا كان الطرفان اللذان سيتم توجيه الدعوة إليهما سيلبيان أم أن أحدهما سيلبي والآخر سيرفض؟

وأجاب رجل الدبلوماسية العمانية: إن المعطيات في الوقت الحاضر لا تشجع من أجل تنفيذ مثل هكذا إقتراح. وإلى ذلك إنني أعتقد أنه ليس من المصلحة أن نُقدم على خطوة لن تأتي بمردود إيجابي. ونحن نرى أن ما نحتاج إليه هو الإقتناع بأن في الإمكان تعايش الجميع في هذه المنطقة. وإلى ذلك إنه بعد سبع سنوات من الحرب فإن تعقيدات كثيرة حدثت وباتت الحاجة إلى المنطق هي المطلوبة، بل من الجائز القول انه لا مدخل إلى بحث أي جانب من جوانب الوضع إلا مدخل المنطق.

وفوق ذلك نحن لا نميل إلى إقتراحات لا نكون متأكدين سلفاً بأنها ستحظى بالقبول التام أو بعضه. وأحياناً إن بعض القبول يكون بأهمية القبول وذلك على أساس أن القبول الجزئي بإقتراح ما يعني أنه من الممكن تطويره بحيث يصبح قبولاً شاملاً.

وبالنسبة إلى العراق وإيران إن المشكلة ليست في جمع رئيس إيران مع رئيس العراق بقدر ما هي في عوامل غير مرئية تولدت بفعل سنوات الحرب ولا يمكن تجاوزها. وهذه العوامل مغلفة بتعقيدات كثيرة ولقاء الرئيسين قد يكون الخطوة الأخيرة التي يسبقها حل التعقيدات وليست الأولى التي يظن البعض أنها مفتاح الحل.

وأعتقد أن من يتأمل في الظروف الداخلية السائدة في البلدين وفي منطقة الخليج بشكل عام يمكنه أن يستنتج بأن مثل هذا الاقتراح الذي تشير إليه هو مستحيل التنفيذ على الأقل في الوقت الحاضر.

قلت: لكن ألا يعتقد معالي الوزير بأن المشاكل الكثيرة التعقيد تحتاج أحياناً إلى ما يشبه الصدمة الكهربائية؟ وألا يرى بأن مشكلة الحرب العراقية - الإيرانية بتراكم التعقيدات عليها وحولها باتت من نوع يحتاج إلى المزيد من الاقتراحات والمشاريع والخطوات التي لها طابع الصدمة الكهربائية؟

والى ذلك إننا كصحفيين لو بلغنا فجأة أن أهل القمة الخليجية وجهوا ذلك النداء الذي نحن في صدد الإشارة إليه لكنا إعتبرناه حدثاً في مستوى الصدمة الكهربائية وكذلك الحال بالنسبة إلى طرفي الحرب العراق وإيران. إن اللقاءات التاريخية هي تلك التي تتم بفعل الصدمة والتخطيط وليس فقط بفعل التخطيط والمشاورات. أليس لقاء إيسلندا بين الرئيسين غورباتشوف وريغان هو في بعض جوانبه خطوة لها مواصفات الصدمة الكهربائية؟

وأجاب يوسف بن علوي بن عبدالله: أي خطوة يتم التفكير في إتخاذها لا بد من أن تأخذ في الاعتبار ظروفًا وحسابات داخلية. ونحن لا نعتقد أن الخطوات التي لها الضجيج الإعلامي يمكن أن تقيد ونفضل عليها تلك الخطوات المبنية على معطيات داخلية وقدرة هذه المعطيات على إقناع أطراف المشكلة بالتفهم والتجاوب. وإذا كانت المعطيات غير موجودة والظروف الداخلية كثيرة التشابك والتعقيد في الوقت نفسه وليس هنالك الحد الأدنى من الانفراجات، بمعنى أنها ظروف غير مشجعة، فهذا معناه أنه من الأفضل عدم الإقدام على خطوات قد تكون بالفعل حديث صحافة العالم كله لكنها إذا اخفقت في تحقيق الحد الأدنى من النتائج الطيبة فإنها ستولد في الرأي العام العربي والعالمي صدمة. وأظن أنه يكفي هذا الرأي العام ما يعانيه من خيبات أمل.

والى ذلك إنني كثير الإقتناع بأنه من الأفضل لدول الخليج عدم التقدم بمثل هكذا إقتراحات والإستمرار في العمل الذي يستهدف تعميق مفهوم الحوار، وإنني كثير الإقتناع أيضاً بأن خطوة متأنية لا تتعثر تبقى أفضل من خطوة سريعة الإيقاع إلا أنها معرضة للتعثر الذي قد يزيد التعقيد تعقيداً بدل أن يختصر التعقيد أو يحول دون إتساع رقعته. ومن هنا فإنني من الذين يرون أنه لا فائدة من إقحام رؤساء دول الخليج في مبادرات أو وساطات أو أفكار في المراحل الأولى لأي تحرك وأنه ينبغي أن نحتفظ بهذا الأمر لعمل توافقي بعد ما يكون بدأ بالنمو.

القرارات... وهول المخاطر

بسبب طريقة يوسف بن علوي بن عبدالله في الحديث وهي تتسم بالهدوء وبما هو أعلى قليلاً من الهمس ومخافة ألا يكون تسجيل الحديث الصحفي معه يتم بالشكل المطلوب، فإنني وجدت نفسي أقول له: مخافة أن تخذلنا التكنولوجيا ويضيع علينا هذا التحليل الجيد من جانبك لقضية الحرب العراقية - الإيرانية وبالذات ما يتعلق بالوساطة التي يرحب الخليجيون بها فإنني أستاذك التأكيد من أن التسجيل يتم بشكل جيد. وتأكدت لكنني زيادة في الإطمئنان وضعت بطاريات جديدة في آلة التسجيل وتوكلت على الله كمكلاً طرح المزيد من الاسئلة التي أكرر أن الحرب بين العراق وإيران كانت المحور لأي منها.

وقلت للوزير: إن ما يذاع عن أي قمة خليجية هو القليل القليل مما يتم بحثه وراء الأبواب المغلقة. ونحن لا نسألهم الكشف عن تفاصيل المداورات في الاجتماعات الخليجية سواء منها ما يتم في إطار جلسة شاملة أو وراء الكواليس. ونحن لا نسأل على أساس أن هذا حق لا نملكه لكن ما نأمل أن نعرفه منك وأنت العائد حديثاً من «قمة الحصاد» هو هل أن ما إتخذتموه من قرارات وبالذات في قمة أبوظبي يتناسب مع هول المخاطر التي تهدد منطقة الخليج نتيجة لإستمرار الحرب بين العراق وإيران؟

وأجاب: إن القمة الخليجية تدرس عادة جميع المسائل المتعلقة بالمصالح المشتركة بين دول مجلس التعاون. وبالنسبة إلى قمة أبوظبي فإنني أرى ضرورة التنويه إلى عمق المداولات التي تمت بين ملوك ورؤساء دول المجلس. لقد تمت المناقشات بشكل مباشر وكانت على درجة عالية جداً من الإحساس بمسؤولية القادة الحريصين على إستقرار المنطقة وصيانة أمنها وسيادتها. وكان لابد نتيجة لهذه المناقشات العميقة التي أشير إليها أن تكون الرؤية مشتركة وأن يكون هنالك إستعداد لتقبل عدة وجهات نظر بهدف الوصول إلى قاسم مشترك.

ولقد كانت القرارات التي إتخذت على جانب كبير من الأهمية وستُنفذ إن شاء الله ضمن الإرادة الجماعية. وإلى ذلك إن النظرة السياسية للإلتزامات المتبادلة بنيت على أساس فهم عميق ومن هنا فإن كل دولة من دول مجلس التعاون تدرك مسؤوليتها الملقة عليها تجاه الآخرين. وهنالك إطمئنان مؤكد إلى تجاوب جميع دول المجلس مع أي أحداث طارئة وإطمئنان إلى تطابق وجهات النظر في القضايا الدولية المختلفة. وعلى هذا الأساس يمكن القول إننا قطعنا شوطاً بعيداً على طريق وضع البنية الأساسية وأوجدنا معايير معيَّنة نستخدمها عند إتخاذ مواقف مشتركة تجاه قضايا عدة.

هل صار للخليج إستراتيجية؟

في الإطار نفسه هل بات من الممكن القول إنه صار هنالك إستراتيجية خليجية وما هي أسس هذه الإستراتيجية وتوجهاتها؟

أجاب: بالطبع صار هنالك ملامح إستراتيجية خليجية متعددة الجوانب من إقتصادية وعسكرية وأمنية. والغرض من هذه الإستراتيجية التي سبق الإعلان بالتدرج عن بعض مضامينها وهو إيجاد أرضية صلبة نبني عليها الإلتزامات المتبادلة التي هي هدف من أهداف مجلس التعاون لدول الخليج. وإخراج هذه الإستراتيجية إلى حيز الوجود وبشكل متكامل يتطلب الوقت. ونحن نعتقد أنه لابد لنا من تحقيق هذه الإستراتيجية لكن ليس بين ليلة وضحاها وإنما الامر يحتاج إلى فترة زمنية سنعمل جاهدين من أجل ألا تكون طويلة يساعدنا في ذلك أن المعطيات موجودة.

المنطقة من دون مجلس تعاون

قُلت: لو طلبنا منك عُدّ مقارنة بين منطقة الخليج من دون مجلس تعاون وبين هذه المنطقة بعدما صار هنالك مجلس التعاون فما الذي تقوله في هذا الشأن؟
وإلى ذلك ما الذي كان سيحدث لهذه المنطقة أمنياً وإقتصادياً وسياسياً لو أن مجلس التعاون لم يتم إنشاؤه؟

وأجاب: ثمة بعض الحقائق التي لا يمكن إغفالها ومنها أن التعاون بين دول الخليج لم يبدأ مع المجلس وإنما كان التعاون في الماضي يتم بشكل ثنائي. ثم أنشأنا المجلس واكتسب التعاون صفة شمولية بحيث أن القضية الواحدة التي كانت تهم طرفين باتت موضع إهتمام ست دول في الوقت نفسه. وإلى ذلك إن الإلتزامات التي كانت في الماضي ثنائية باتت بعد إنشاء المجلس إلتزامات جماعية. وباتت المناقشات تبعاً لذلك أكثر شمولاً وأكثر إتساعاً. وتطورت نتيجة لذلك مفاهيم العمل المشترك على الصعيدين السياسي والإقتصادي. ومع أنه من الصعب عُدّ المقارنة وذلك لأن التعاون كان قائماً لكنه تطور، إلا أنه إزاء الظروف التي نعيشها منذ ست سنوات فإن دول مجلس التعاون كانت ستواجه صعوبات أكثر من التي تواجهها بينما المجلس قائم. وعندما نلاحظ كيف أن المجلس أصبح بمثابة مؤسسة قائمة ومتماسكة يتبين لنا كم أن المشاكل تكون أقل تعقيداً. ومن

المؤكد أنه لو لم يكن مجلس التعاون موجوداً وحدثت هذه الظروف التي نعيشها منذ بضع سنوات فإن الرؤية لن تكون بالوضوح التي هي عليه وستكون ربما العزائم أقل شأنًا مما هي عليه في ظل مؤسسة مجلس التعاون.

المحصول جيد ووفير

قُلت: في الإطار نفسه نسألك إنه إذا كانت قمة أبوظبي التي تم عقدها قبل أيام هي قمة اليقظة والحصاد فما هي النتيجة التي كان عليها المحصول؟

وأجاب: بلغة الزراعيين إن المحصول كان جيداً ووفيراً، وإننا لم نتعرض إلى أي كوارث طبيعية تهدد هذا المحصول أو ذاك من حقول مجلس التعاون الواسعة. ولقد درجت العادة أن يرفع الأمين العام لمجلس التعاون الأخ عبدالله بشارة شعاراً لكل قمة يعقدها المجلس الأعلى لدول الخليج. فالقمة الأولى في أبوظبي أطلق عليها شعار «قمة الإنطلاق» والقمة السابعة في أبوظبي أيضاً إختار لها شعار «قمة اليقظة والحصاد». وما يمكن إضافته هو أننا في المراحل الأولى لتنفيذ ما تم الإتفاق عليه بعدما تمكنت دول الخليج من تكييف آفاق العمل بموجب قوانينها وأنظمتها الداخلية وفق المنظور الجماعي. ومن المهم أن نرى حركة المواطنين في السنوات المقبلة رحبة أكثر في ضوء ما تم التفاهم في شأنه وهذا نوع من الحصاد الذي إستطاع المجلس أن يحققه في المناخ المناسب والتشريعات المناسبة والذي من شأنه أن يفيد المواطن حيث وُجد في أي دولة من دول الخليج.

العملة الموحدة والجواز الموحد

وإستكمالاً للسؤالين السابقين قُلت لرجل الدبلوماسية العمانية.

لقد أحدث تفردكم بعقد مؤتمر صحفي في أبوظبي أدلّيتم خلاله بتصريحات في غاية الأهمية حول العملة الموحدة وجواز السفر الموحد أنطباعاً في نفوس البعض، ونحن كصحفيين من هذا البعض، بأن ثمة بعض الضغوط عليكم من أجل الموافقة على الأمرين وبأنكم لستم من دعاة الأخذ بالعملة الموحدة أو جواز السفر الموحد. هل من توضيح لهذا الأمر الذي بدا كم لو أن سلطنة عمان تغرد خارج السرب الخليجي إزاء بعض الأمور؟

وأجاب يوسف بن علوي بن عبد الله: كان المؤتمر الصحفي خاصاً بالصحافة العمانية لكنه كان مناسبة لتوضيح مسائل مهمة تتعلق بالجواز والعملة. وبالنسبة إلى جواز السفر فإن البعض إعتبر في الماضي عندما تم طرح الفكرة أنه سيكون هنالك جواز واحد ويحمل اسماً واحداً وله لون واحد في حين أن ما كنا نتطلع إلى تحقيقه هو توحيد المعلومات وذلك بهدف تركيز المنطلقات الأمنية والمواصفات الأمنية للجواز. ولقد حدثت في السنوات الثلاث الماضية إجتماعات عدة مكثفة وكلها من أجل توحيد المواصفات والمعلومات الفنية للجوازات الخليجية وذلك من أجل أن يتمكن المواطن من الإنتقال بسهولة داخل دول مجلس التعاون. ولقد كانت الدواعي التي أوجبت ذلك هي الظروف الأمنية التي واجهتها المنطقة وليس هنالك دولة من دول المجلس تسعى إلى تغيير طبيعة التركيبة السياسية للدول بحيث يكون هنالك جواز سفر موحد بشعار واحد ولون واحد وبتوقيع واحد. قُلت بهدف المزيد من التوضيح: هل أن الامر محسوم بحيث أنه لكل دولة عملتها ولكل دولة جواز سفرها الخاص بها وأن ذلك باقٍ إلى الأبد؟

وأجاب: إلى الأبد؟ الله اعلم. إلا أن الذي إتفقنا عليه هو انه بسبب الظروف الحالية ونتيجة لمقتضيات الأمن علينا أن نوجد المعلومات الأمنية والمواصفات الفنية في جوازات السفر بحيث أنه عندما يدخل عماني مثلاً المملكة العربية السعودية فإن موظف الجوازات في المملكة لا يجد صعوبة في قراءة المعلومات الموجودة في الجواز فضلاً عن أنه يستطيع التعرف على الجواز من خلال المواصفات.

قُلت: بمعنى آخر ليس هنالك توجه من أجل رفع طبيعة عمل مجلس التعاون إلى مرتبة التوحد؟
أجاب: في الوقت الحاضر لا نجد ضرورة لمثل هذا التوحد.

إستمرار الحرب... والإستقرار

مرة أخرى وجدت نفسي أعود إلى الحرب علماً بأنها لم تغادر كثيراً الأسئلة التي طرحتها على رجل الدبلوماسية العمانية. وقُلت للوزير:

قبل أن احضر إلى مكتبك حرصتُ على أن أعيد قراءة البيانات التي صدرت عن القمم الخليجية بشكل متأن وذلك لكي أعرف ما الذي إستجد على هذه البيانات وما هي العبارات التي إختفت منه. ولقد طلبت هذه البيانات من الزميل حمد الراشدي رئيس تحرير صحيفة «عمان» وأعطاني مشكوراً صورة عنها. ومن خلال القراءة المتأنية إستوقفني فقرة وردت في بيان القمة الأولى عام 1981 على النحو الآتي: «... وقام أصحاب الجلالة والسمو بإستعراض الوضع الراهن في المنطقة وجددوا تأكيدهم بأن أمن المنطقة وإستقرارها إنما هو مسؤولية شعوبها ودولها وإن هذا المجلس إنما يعبر عن إرادة هذه الدول وحققها في الدفاع عن أمنها وصيانة إستقلالها، كما أكدوا رفضهم المطلق لأي تدخل أجنبي في المنطقة مهما كان مصدره وطالبوا بضرورة إبعاد المنطقة بأكملها عن الصراعات الدولية وخاصة تواجد الأساطيل العسكرية والقواعد الأجنبية لما فيه مصلحتها ومصلحة العالم».

وما أود أن أسألك في شأنه هو: أليس إستمرار الحرب العراقية - الإيرانية وتهديد الإستقرار هو مثابة تدخل أجنبي؟

كذلك ما أود قوله هو إن الفقرة المعنية لم ترد في شكل أو آخر في البيان الختامي عن قمة «الليقظة والحصار» التي أنهت أعمالها قبل أيام في أبوظبي. فهل هذا معناه أن تلك الفقرة كانت مجرد رسالة وصلت في حينه إلى من يهمه الأمر وأنه لم يعد هنالك مبرر لتكرارها منعاً للرتابة؟

وأجاب: أما إن دول منطقة الخليج مسؤولة عن أمنها وإستقرارها فذلك هو المبدأ وهذا يتمشى مع حق كل دولة ذات سيادة في الدفاع عن أمنها وإستقلالها. ومثل هذا المبدأ سائد وقبلت به كل دولة في نطاق الأمم المتحدة وكان من الضروري توضيح مثل هذا الأمر في بداية قيام مجلس التعاون خصوصاً أنه كثر الحديث في حينه حول إحتتمالات التدخل الأجنبي. وأعتقد أنه بعد مرور ست سنوات على إنشاء المجلس فإن دول العالم أدركت الدور الذي تقوم به دول مجلس التعاون بالنسبة إلى التعايش السلمي وباتت واضحة للقاصي والداني مواقف دول الخليج. ونحن من جانبنا إستطعنا إقناع الآخرين بأننا دول وشعوب محبة للسلام ولا نريد لأحد أن يتدخل في شؤون أمننا ونمد يد الصداقة والتعاون إلى الآخرين وأن هذه السياسة ثابتة بالنسبة إلينا.

حرب الخليج... أم؟

قُلت: مرة أخرى وليست أخيرة على ما يبدو هنالك سؤال عن الحرب وهو: هل إنكم تفضلون تسمية الحرب الدائرة في المنطقة منذ ست سنوات «حرب العراق وإيران» على أساس أنها فقط بينهما أم أنها «الحرب في الخليج» على أساس أن الدولتين المتحاربتين هما من الدول المطلة على الخليج أم أنها «حرب الخليج» على أساس أنها بين العراق ودول الخليج من جهة وإيران من جهة أخرى وأن المشاركة في الحرب لا المشاركة المباشرة وإنما يمكن إعتبار المساندة مشاركة. ودول الخليج تمارس تعني دور المساندة هذا؟

وأجاب: نحن لم نطلق على هذه الحرب أي تسميات وإنما وسائل الإعلام هي التي أطلقت تسميات شتى

على هذه الحرب حيث أنها أحياناً تقول «الحرب العراقية - الإيرانية» وأحياناً «حرب الخليج». وفي الواقع أن هذه الحرب إنما هي حرب بين دولتين هما العراق وإيران.

التوازن مع الشرق والغرب

قُلت: ما هي الأسس التي وضعها السلطان قابوس للسياسة الخارجية العُمانية؟

أجاب: سياسة السلطنة مبنية على أساس النمو والتقدم والمحافظة على السيادة والإستقلال والتعاون مع جميع الدول في العالم من دون إستثناء في إطار إحترام السيادة لكل دولة وعدم التدخل في الشؤون الداخلية والإلتزام بمبادئ الأمم المتحدة من دون أن نفرّق بين دولة وأخرى ما دامت هذه الدولة تحترم سيادتنا وحقوقنا وإستقلالنا.

قُلت: في الواقع إن السؤال كان تمهيداً لسؤال نود توضيحاً من جانبكم في شأنه وهو: متى في تقديركم سيتحقق التوازن في سياستكم بين الشرق والغرب. وهل إن دول الكتلة الشرقية تستطيع أن تقدّم لكم شيئاً سوى السلاح الذي على حد علمنا لا تشكون من قُلتة إلا إذا كنتم تتطلعون إلى إعتماد سياسة تنويع مصادر السلاح؟

وأجاب: من مزايا السياسة التي رسمها جلالة السلطان قابوس هي أننا لا نشكو من شيء في علاقتنا مع الشرق أو الغرب وهذا قائم منذ اليوم الاول لتسلّم جلالته مقاليد الحكم في السلطنة. وإلى ذلك إننا نعتقد أن ما نحتاج إليه في خطط التنمية موجود في الدول الغربية ونستطيع الحصول عليه من دون صعوبات. أما بالنسبة إلى الدول الشرقية فإننا نأخذ في الإعتبار أننا في السلطنة نعتمد الإقتصاد الحر وبالتالي فإننا لا نتعامل مع الدول الشرقية في نطاق سياسة الإنفاقات التي تتم عادة بين الدول.

قمة الكويت وموضوع مصر

قُلت: تبقى مصر التي تبدو سلطنة عُمان وكأنما هي العمق الخليجي لها. وحتى الآن لا يبدو أن السلطة نجحت في إحداث تغيير جذري أو نوعي في موقف دول الخليج من مصر، في حين أن بعض التغيير من شأنه أن يعيد مصر إلى مكانتها وربما إلى مكانتها. فهل يعتقد معالي الوزير بأن مثل هذا الأمر قد يحدث في شكل أو آخر خلال إنعقاد القمة الإسلامية في الكويت إذا لم يحدث - لا سمح الله - ما يعطل الإنعقاد؟

وإلى ذلك ما الذي ستحملة السلطنة إلى تلك القمة؟

وأجاب: أعتقد أن الدول العربية بالنسبة إلى موضوع مصر تجاوزت قرارات قمة بغداد وأن هذه القرارات باتت معطلة وغير ذات قيمة بالنسبة إلى موضوع إسقاط عضوية مصر، بعدما قامت معظم الدول العربية بتنشيط علاقاتها مع مصر، ويبقى أن قرار إعادة السفارات والقنصليات بين مصر والدول العربية التي قطعت العلاقات معها إنما هو قرار داخلي.

ونلاحظ أن هناك من أعاد العلاقات رسمياً وهناك من قام بتطوير العلاقات وتبادل وفود الرسميين معها ومن هنا القول بأن العلاقات مع مصر تجاوزت إتفاقية كامب ديفيد. أما مسألة تبادل التمثيل الدبلوماسي فإنها عقدة الجامعة العربية التي تجتاز في هذه المرحلة مخاضاً صعباً. ولو أن الجامعة العربية كانت تعيش ظروفًا طبيعية وفي وضع أكثر قوة وتماسكاً فإنها كانت ستتجاوز مسألة عضوية مصر وذلك للأسباب والحيثيات الموضوعية التي أشرت إليها.

أما بالنسبة إلى القمة الإسلامية في الكويت فإننا لا نحمل قضايا معينة وإن كنا سنولي موضوع الحرب إهتمامنا، وهو في أي حال ستكون له أولوية في تلك القمة في ضوء نتائج لجنة المساعي الإسلامية الحميدة التي تحاول إيجاد حل للحرب بين العراق وإيران.

العلاقات مع تركيا

قلت: هل تتطلع تركيا إلى علاقات طموحة معكم وهل إن سلطنة عُمان ترى أن هنالك ظروفاً موضوعية تحتم تطوير هذه العلاقات؟ ومناسبة هذا الكلام هي الزيارة التي قام بها إلى السلطنة قبل أيام رئيس وزراء تركيا تورغوت أوزال؟

وأجاب: مما لا شك فيه أن سلطنة عُمان وتركيا تتطلعان إلى تنشيط العلاقات بينهما بحيث تصل هذه العلاقات إلى مستوى جيد. وهذا العام تم إنشاء سفارة لتركيا في السلطنة وأنشأنا سفارة في تركيا.

ومع أن زيارة رئيس وزراء تركيا إلى السلطنة كانت زيارة خاطفة ولكنها تمت في إطار التعارف بين المسؤولين في البلدين، وهذا من شأنه أن يساعد على التطوير الذي نتطلع إليه. وأعتقد أن رئيس الوزراء التركي بات في وضع أفضل على صعيد النظرة إلى أهمية العلاقات بين بلاده وبيننا وذلك في ضوء لقائه ومحادثاته مع جلالة السلطان ومع المسؤولين العمانيين خلال زيارته القصيرة. وثمة خطة لتبادل زيارات المسؤولين وتنشيطها بما يخدم تطوير العلاقات.

الفلسطينيون... وضمانات الملاحة

قلت لرجل الدبلوماسية العُمانية بعدما جاءه مدير مكتبه بأكثر من ورقة عليها أكثر من إسم زائر ينتظرونه: يبدو أن عليّ أن أختصر.

وسأفعل بعد أن أسمع رأيك في أمرين سأضع فيهما ما تبقى من أسئلة أنوي طرحها منكم: الأول هو حول الموقف من قيادة الثورة الفلسطينية وما نريد أن نسمعه يتعلق بالصيغة السياسية التي تعتقدون أن في إمكانكم القبول بها بحيث تساندون القضية الفلسطينية مساندة أكثر فعالية مما هي عليه اليوم.

والثاني هو كيف تتصورون في السلطنة شكّل المنطقة وأحوالها بعد أن تضع الحرب الدائرة بين العراق وإيران منذ سبع سنوات أوزارها؟ وإلى ذلك ما هي صحة المعلومات التي تفيد بأن الدول الغربية قدّمت ضمانات إلى دول الخليج في شأن الملاحة في الخليج، وهل أن إيران إذا كانت لن تُوقف الحرب فإن من مصلحة دول الخليج أن تضع ثقلها إلى جانب العراق من أجل إنهاء الحرب؟

وأجاب: بالنسبة إلى الشق الفلسطيني فإن ما يمكن قوله هو أنه من الصعب فهم خصائص السياسيين الفلسطينيين القائمين على القضية الفلسطينية ونشعر أن هناك تناقضات كبيرة بين رؤساء الفصائل الفلسطينية وبين القضية. وهذه التناقضات جعلتنا مثل كثيرين من الدول غير قادرين على أن نفهم طبيعة توجهات القيادات الفلسطينية. وما يمكن قوله في هذا الشأن هو إننا نستغرب كيف أن الفلسطينيين مختلفون على شيء لا يملكونه ومن أجل ذلك فإن خلافاتهم لا مبرر لها خصوصاً أن الأرض الفلسطينية التي هي الضفة الغربية وقطاع غزة محتلة من الأجنبي وأن إسرائيل ماضية في سياستها المعروفة وأن الفلسطينيين الذين وفرت لهم الدول العربية الإمكانات لكي يقوموا بدور فعال نجدهم مهتمين بالخلافات في ما بينهم ولم يقوموا بالجهد الكافي لمواجهة المشاكل التي تواجه الفلسطينيين. ولا أعتقد أنه من الممكن على أحد تجاهل الظروف التي يواجهها الفلسطينيون، ونحن في السلطنة نرى أن أكثر صيغة مجدية للقضية الفلسطينية هي تلك التي تتم من خلال تعاون أردني - فلسطيني.

قُلت: وعلى هذا الأساس فإن أبواب السلطنة ستبقى مغلقة تماماً في وجه القيادات الفلسطينية؟
وأجاب: نحن بعيدون جداً.

قُلت: هل ثمة مواصفات معينة يجب توافرها لكي يتم فتح الأبواب العُمانية أمام قادة العمل الفلسطيني؟
وأجاب: المسألة ليست مسألة مواصفات وإنما المطلوب أولاً هو أن يتفق قادة العمل الفلسطيني في ما بينهم وأن يأخذوا في الاعتبار أنهم بعيدون جداً عن فلسطين وشتتوا جهودهم بحيث توزعوا على الجزائر واليمن والسودان، وبات من الصعب معرفة مَنْ هو الصالح فيهم وَمَنْ هو الطالح، وَمَنْ مع مَنْ ضد مَنْ. وأكرر ما سبق أن قُلته وهو أنه ليس لدى الفلسطينيين شيء يختلفون عليه ومع ذلك نجدهم مختلفين. ونعتقد أنهم بهذه الخلافات يساعدون إسرائيل على أن تواصل خطط التهويد فضلاً عن أنهم يستنزفون طاقاتهم في أمور لا فائدة منها مثل مشاكلهم في لبنان. وكل هذه الأمور هي في نظرنا ليست لمصلحة القضية الفلسطينية، وأن الطريق الأفضل والأقصر والأكثر جدوى لهم هو أن يجدوا باباً للحوار مع الأردن.

هذا بالنسبة إلى الشق الفلسطيني. أما ما يتعلق بأحوال المنطقة بعد إنتهاء الحرب فإن المهم أولاً هو أن تضع هذه الحرب أوزارها وبعدها يسود السلام والتعايش والتعاون. تعايش أبناء المنطقة الواحدة وتعاون الجيران. ونحن نعتقد أن تعاون الدول المتجاورة هو أحد العناصر الأساسية للسلام والاستقرار. ومعظم جهودنا تسير في هذا الإتجاه.

ما يتعلق بمسألة الملاحة يمكن الرد عليه بالقول: إن الملاحة في منطقة الخليج مازالت مستمرة على رغم مشاعر الخوف أحياناً. والبلد الوحيد الذي ليس فيه ملاحة هو العراق بينما تستخدم إيران الملاحة بشكل أساسي. وفي رأينا أن جميع دول العالم ترى إزاء ذلك أن تبقى الملاحة مفتوحة. أما ما يتعلق بمسألة وضع الثقل إلى جانب العراق فيمكن الرد عليه بالقول: إننا لا نعتقد أن إيران لا توقف الحرب ولا يمكن بالتالي إعطاء أحكام قاطعة في هذا الشأن لأننا لا نريد أن نكون متشائمين. الإيرانيون بشر مثلنا ويتأثرون بعوامل كثيرة ولذا ليس من الجائز مادامت الحرب دخلت سنتها السابعة القول 'نهم لن يوقفوا الحرب'. إن الإيرانيين يقولون إنهم يريدون وقف الحرب اليوم قبل الغد. والأخوة في العراق يطالبون دائماً بوقف الحرب لكن لكل دولة ظروفها وتلك هي المشكلة.

وأنا أودع وزير الدولة للشؤون الخارجية العماني يوسف بن علوي بن عبدالله قُلت له: إن معظم الذين زاروكم في مبنى الخارجية من مسؤولين وديبلوماسيين عرباً وأجانب أبدو في أحاديثهم معنا إعجاباً بهذا المبنى ومثل هذا الإعجاب كان يفرحنا. ولقد عرفتُ سبب إعجابهم بعدما شاهدتُ المبنى للمرة الأولى وكم هو يمزج بكثير من الدقة بين الذوق والأصالة والبساطة والفن.

ولاحظتُ على وجه رجل الدبلوماسية العُمانية فرحة بهذا الإطراء وكان يشبه فرح الأب الذي يسمع شهادة طيبة من الآخرين بابنه المتفوق.

وكان حريصاً على أن يقول لي إن المبنى دخل في مسابقة جمال مباني الطابع العربي وحصل على الجائزة. وأضاف: لقد فاز بالجائزة الأولى لمنظمة المدن العربية وإنه لشيء يدعو بالفعل إلى الفرح.

نُشر الحوار في مجلة «التضامن»

بتاريخ 22 نوفمبر/ تشرين الثاني 1986

مقابلة مع الأستاذ محمد حسنين هيكل (1)



«بصراحة»... مع وقف التنفيذ

مؤجلة؟ واردة؟ مؤجلة؟ واردة؟ مؤجلة



محمد حسنين هيكل يلقي كلمته كضيف شرف في الحفل السنوي لـ «التضامن» في أبريل 1985
إلى يساره اللورد كارادون وإلى يمينه فؤاد مطر والسفير اللبناني في لندن أحمد الحاج

على مدى عشرين سنة التي هي عُمر علاقتي بمحمد حسنين هيكل، الهالة أولاً، ثم الزمالة ثانياً، ثم الصداقة والأستاذية بعد ذلك... أتيت لي أن أشاهد الزميل الكبير في أكثر من ظُرف، وبالتالي في أكثر من واقعة.

أتيت لي أن أعيش محمد حسنين هيكل في الزمن الذي كان اللقاء به يُعتبر لفتة إهتمام من جانبه بمن يجتمع أو يستقبل أو يتطلع إلى لقاء بعبد الناصر. وأتيت لي أن أعيشه في الزمن الذي كان سفراء العالم في القاهرة كبيرهم قبل صغيرهم ينتظر وبفارغ الصبر يوم الجمعة من كل أسبوع لكي يعرف من خلال مقالة هيكل الأسبوعية «بصراحة» ماذا يريد جمال عبد الناصر؟ أو ماذا لا يريد على الأقل.

وأتيت لي أن أعيشه في لحظة درامية عندما طلب من مساعديه أن يجمعوا له أوراقه من مكتبه في «الأهرام» بعدما نزلت الهزيمة بعبد الناصر وقرر الرجل أن يبتعد بصيغة التنحي.

وأتيت لي أن أعيشه في لحظات شد وجذب مع الأجهزة التي كانت لا تتحمل هذه الخطوة لهيكل عند رئيس الدولة.

وأتيت لي أن أعيشه يخوض بالقلم والعقل المستنير معارك ضد «الجاهلية الثورية»، إذا جاز القول، ويسجل في معظم هذه المعارك نتائج طيبة قياساً بكاتب يواجه رجل السلطة، هذا مع الأخذ في الاعتبار أنه في هذه المعارك كان كثير الإطمئنان إلى أن قلمه هو في حماية السيف الأول في الدولة... سيف جمال عبد

الناصر.

وأُتيح لي أن أعيشه يعارك مزاج أنور السادات فيحقق بعض الانتصارات في البداية، لكن المزاج تغلب في النهاية وإبتعد هيكل عن الساحة تحت وطأة حراب ساداتية مؤذية.

وأُتيح لي أن ألمح على وجه هيكل سعادة لا مثيل لها لأنه سجّل أول إستقالة تنشرها الصحف وتبثها الإذاعات في نظام يغلب فيه الإعفاء على الإستقالة، ويسمع المسؤول بأنه لم يعد في موقعه من خلال نبأ تبثه الإذاعة.

وأُتيح لي أن أسجل معه سلسلة أحاديث من عشرين ساعة حول تجربة عبد الناصر، وكان الرجل قد أصبح في ذمة الله.

وعندما أصدرت هذه الأحاديث في كتاب بعنوان «بصراحة عن عبد الناصر» لم أكن أتوقع أن يقيم حُكم الرئيس السادات قيامة أجهزته في وجهي وتتعامل معي السلطة بالأسلوب الوعدي الذي تعاملت به.

وأُتيح لي أن أعيشه في مرحلة المنفى داخل مصر، ومرحلة عقوق كثيرين ممن يُفترض فيهم أن يقفوا معه.

وأُتيح لي أن اشاهد المأساة على وجهه عندما كان الجميع يتناولونه وينالون منه في معركة غير متكافئة. وأُتيح لي أن اناقشه في أسلوب الثأر الذي إعتد به ضد السادات وحاشيته، وأُسجل تحفظاً بسبب ما كتبه عن والدة أنور السادات في كتاب «خريف الغضب» ربما لأنني رأيتُ وفق ذلك تعالياً من جانبه غير مقبول وتجنيأ على جانب شخصي طرفه امرأة، وربما لأنني في تعاطفي مع السودان والسودانيين أضيق بالتجني، خصوصاً إذا جاء من صديق بمكانة هيكل في نفسي وهي مكانة كبيرة.

وأُتيح لي أن أرى ملامح الحزن على وجه هيكل لأن أحد الأبناء أُجريت له عملية وأرى ملامح الغبطة على وجهه عندما أصبح جداً. كذلك أُتيح لي أن أرى ملامح الشحوب على وجه هيكل بعد السجن وبعد العملية الجراحية.

إنني هنا لا أكتب قصة علاقتي بهيكل، وإن كنتُ أتمنى أن أسجلها ذات يوم، ولكنني أمهّد بالأسطر السابقة للقول ان ملامح الفرحة الحقيقي التي لاحظتها على وجه هيكل وأنا أزوره في مزرعته في «برقاش» يوم الخميس (26 كانون الأول / ديسمبر 1985) لم ألاحظ مثيلاً لها طوال العشرين سنة من علاقتي به. كان في غاية الفرحة بالرغم من أن الحالة التي يعيشها هي من نوع المضحك المبكي، أو من النوع الذي يندرج في بعض جوانبه تحت خانة «شر البلية ما يضحك».

كيف؟

لقد وصلتُ إلى القاهرة يوم الثلاثاء (1985/12/24) لكي أُجري مع هيكل حديثاً أمهّد فيه لنشر في «التضامن» مقالته الأسبوعية «بصراحة» التي أعلنت صحيفة «أخبار اليوم» بتاريخ 1985/12/14 إنها ستبدأ نشرها. وكنتُ تفاهمتُ هاتفياً من لندن مع الزميل الكبير على أن تكون المقالة من حق «التضامن» أو من حصتها كمجلة عربية ووافق خصوصاً أنه قبل أربع سنوات أبلغنا عندما زار «التضامن» في مرحلة التأسيس أنه عندما سيستأنف الكتابة المنتظمة فإنه سيكتب في «التضامن» وذلك عملاً بقاعدة الرد على التحية بمثلها أو بأحسن منها. والتحية هنا بمعنى الموقف الذي وقفته مع هيكل وبالذات عندما كان الوفاء مثل العملة الصعبة في بلد نام.

في اليوم الثالث من وصولي القاهرة زرتُ هيكل في مزرعته وكانت أنباء التشكيك في مسألة النشر قد بدأت تتسع لأن رجال الأعمال المصريين الذين باتوا أقوى من ذي قبل، بل باتوا مراكز القوى ذات التأثير في

القرار المصري هددوا وأندروا وعبأوا الكتاب والصحافيين الذين يناصبونه العداء، أو لا يكون له أي ود، ويحسدونه على نعمة التألق الذي يرافقه سواء كان إلى جانب الرجل الأول في الدولة أو كان بعيداً بالإضرار. ولقد فاجأني أنه في غاية الإرتياح و«ضحكته رطل» كما يقول التعبير الشائع، بل إنها رطل ونصف، بالرغم من أنه تبلى وبطريقة رسمية أن الجو العام لا يسمح بأن يبدأ الكتابة يوم 4 كانون الثاني/ يناير 1986 وفي «أخبار اليوم» من دون غيرها من الصحف.

ويحтар المرء في أمر هذا الإرتياح ويستطيع أن يفك الطلاس عندما يستمع إلى هيكل يتحدث عما جرى ويقول بعد كل بضع ثوان إن «هذا الكلام ليس للنشر إطلاقاً، ومن حق هيكل أن يكون في حالة الإرتياح التي لاحظتها تغمر وجهه. فقد ظهرت أهمية هذا الصحفي الكثير التميز، وتأكدت حقيقة أساسية وهي أن الرجل هو قضية عامة بكل معنى الكلمة، وإن الرأي العام المصري منقسم في شأنه.

ولاحظت كم أن محمد حسنين هيكل وهو في حالة الإرتياح التي هو عليها محتار. فهو يفهم دوافع الطلب منه تأجيل الكتابة. وهو حريص على أن لا يسبب أي منغصات للرئيس مبارك. وهو مطالب بينه وبين نفسه بأن يوضح لماذا لم يكتب، ويوضح أيضاً كيف وافق على مبدأ الكتابة ما دام ليس هنالك ما يضمن عدم إعادة النظر في العرض. وهو سعيد بالأجواء التي سادت داخل مصر وخارجها لمجرد أن أعلنت «أخبار اليوم» عن أنه سيعاود كتابة «بصرache» ويريد أن يوظف هذه الأجواء في الإتجاه الجيد. وهو لا يدري هل يصدر بياناً يوزعه على المراسلين والصحافيين يوضح فيه الأمر أم لا؟

وهو من أجل ذلك كله إبتعد عن القاهرة لكي يتأمل من مزرعته في «برقاش» كل هذه الأمور خصوصاً أن الخلوة في هذه المزرعة تساعده على التفكير وعلى مراجعة الموقف.

وسط هذه الحيرة قلت له: إنني جنئت من أجل أن أجري حديثاً معك أمهد فيه لمقالة «بصرache» التي إتفقنا على نشرها في «التضامن». أما وأن «بصرache» باتت مؤجلة أو مع وقف التنفيذ ثلاثة أشهر ربما أكثر فإنني أرى أن يكون الحديث حول الموضوع من لحظة العرض بالكتابة وحتى لحظة إبلاغك بالتأجيل. ووافق مشتركاً - وهو يُكثر هذه الأيام من الشروط - عدم الإشارة إلى بعض الاسماء والوقائع. وأنا أحترم الوعد، وأترك إلى وقت آخر أتمنى ألا يطول، مسألة أن أقدم للقارئ كل ما سمعته من هيكل ومن غيره حول ظروف هذه الخطوة التي تبقى، حتى وإن كانت لم تتحقق، مثيرة. أما لو تحققت وعاود هيكل وفي «أخبار اليوم» بالذات كتابة مقالته الأسبوعية «بصرache» فإن الأمر كان سيبدو أكثر إثارة... هذا إذا سلم الرجل من المكائد والمكامن، على أساس أن الحكم نفسه بدا منقسماً في شأن عودته كاتباً على شيء، وربما على كثير، من التميز.

«التضامن»: أعتقد يا أستاذ هيكل أن مسألة فكرة عودتك إلى الكتابة وبرنامج وفي صحيفة معينة لك تأثرات عليها والبعض الذين فيها رغبة لا تتوقف في المزيد من الإنتقام منك، تحتاج إلى بعض التوضيح من جانبك، خصوصاً أن التفسيرات التي تكونت لدي في اليوم الثاني من وصولي إلى القاهرة كانت كثيرة وتراوح بين الغرابة والإستهجان، وبين المنطق ونقيضه.

محمد حسنين هيكل: نسمع أولاً التفسيرات ونحاول الرد على كل منها.

«التضامن»: سمعتُ رواية مفادها أن الرئيس حسني مبارك طلب منك شخصياً معاودة الكتابة وبرنامج. وتعليقي على هذه الرواية انه عندما يطلب رئيس الدولة من صحفي وتحديدًا من محمد حسنين هيكل الكتابة، فهذا قد يكون معناه أنه سيكون لهذا الصحفي دور يعيد إلى الأذهان دوره القديم في الستينات

والسبعينات مع عهد عبد الناصر.

وثمة تفسير آخر خلاصته إنه عندما يطلب حُكم الرئيس حسني مبارك من كاتب بمواصفات هيكل وظروفه وخلفيته معاودة الكتابة ويوافق هيكل، فهذا معناه أن الصحفي، الذي هو أنت، قد بات غير متحفظ على الخط السياسي العام للحُكم.

كذلك انه إذا كان محمد حسنين هيكل موافقاً على معاودة الكتابة فإن ميدانه في نظري ليس صحيفة «أخبار اليوم» أو «الأهرام» وذلك لأسباب موضوعية، فضلاً عن أن من شأن الكتابة إسقاط تُهم ترددها وتتعلق تحديداً بـ «أخبار اليوم» ومن فيها.

إن ميدان النشر كما نتصور هو «الجمهورية» وذلك لأنها صحيفة عبد الناصر من جهة، ولأن رئيس تحريرها الحالي (الزميل محفوظ الأنصاري) أكثر تعاطفاً معك من رئيس تحرير «أخبار اليوم» الذي عرض الكتابة عليك (الزميل إبراهيم سعدة) ومن الزميل إبراهيم نافع رئيس تحرير «الأهرام» الذي تشعر بأنه أساء إليك، فضلاً عن أن الصحفي أو الكاتب عندما لا يكون رئيساً للتحرير، في الوقت نفسه، فإن ما يكتبه يبقى معرضاً لما يرتأيه إجتهداً أو حتى تدنياً - أو في أكثر الظروف إحتمالاً - حسب ما يفرضه المزاج وربما الغيرة. وما ينطبق على رئيس تحرير «الجمهورية» الحالي لا ينطبق على رئيس تحرير «أخبار اليوم» ورئيس تحرير «الأهرام»، بمعنى أن الزميل محفوظ الانصاري سيكون أكثر حرصاً عليك وأكثر تفهماً، إضافة إلى أنه من النوع الذي يلزم حدوده. وأعذرني من هذه التفسيرات التي تبدو كما لو أنها مطالعة.

محمد حسنين هيكل: من المهم التوضيح أولاً بأن مقالة «بصراحة» بدأت في «أخبار اليوم». هناك كنت أكتب هذه الزاوية وانتقلت معي عندما إنتقلت إلى «الأهرام».

وفي «الأهرام» إشتهرت هذه الزاوية وكنتُ حريصاً أن تحمل المقالة التي كانت تنشر خارج مصر الاسم نفسه، وذلك كي لا يقال إن مصر تغير جلدّها. كذلك كنت حريصاً على نشر المقالة خارج مصر وذلك بهدف أن يسمع العالم العربي صوتاً مختلفاً. إستمر الوضع على ما هو عليه من 1974 إلى 1981، ثم أوقفت كتابة «بصراحة» بعدما زالت المبررات وبعدها قُدموني إلى المحاكمة أمام المدعي الإشتراكي بتهمة الإساءة لمصر. وتجدر الإشارة في هذا الصدد إلى أنني حرصتُ على أن أطرح افكاري وآرائي خلال هذه المحاكمة على مدى إحدى عشرة جلسة. وفي أعقاب تلك الجلسات الطويلة، والتي يمكن أن نعتبرها محاكمة أو مناقشة طلبتُ من المدعي الإشتراكي تزويدي بالمحاضر. وعندما تعذر الحصول عليها بالطريقة الرسمية فأنني حصلتُ عليها بطريقة غير رسمية ونشرتها في كتاب وبها إنتهت كتابة المقالات تحت زاوية «بصراحة» ورحتُ أدلي بالأحاديث وأؤلف الكتب.

ثم جاءت ظروف الإعتقال، ثم حادثة المنصة، وبعد الإفراج عني بدأت فكرة معاودة الكتابة تطرح نفسها، لكنني في الوقت نفسه حددت وأنا على باب «قصر العروبة» في أعقاب خروجي من السجن موقفي في نقطتين: الأولى هي أنني لا أتطلع إلى أن أكون طرفاً في لعبة السياسة المصرية، ولا أريد أن أكون طرفاً في لعبة الصحافة المصرية، بمعنى أنني لا أتطلع إلى القيام بأدوار كنتك التي كنتُ أقوم بها، وذلك لأن السياسات تبدلت وبات هناك أمر واقع لا أرى أنني قادر على أن أساند السُلطة في شأنه.

كيف؟ هنالك مثلاً أمر واقع يتمثل في أن بين السلطة وإسرائيل إتفاقاً وإذا طلبت السُلطة مني أن أقوم بدور ما في إطار هذا الأمر الواقع فإنني لا أستطيع، لأنني حتى الآن مازلتُ ملزماً نفسي بالألا أجتمع بإسرائيلي.

ولا أظن أنني، إذا أريد لي أن أقوم تحت مظلة السلام المصري - الإسرائيلي يمكن أن أوافق على القيام بذلك أيّاً كان الموقع الذي أشغله، وعلى هذا الأساس فإنه، وعندما لا يستطيع المرء أن يغيّر السياسات فإنه

يطرح أفكاره وينتظر وهو خارج اللعبة السياسية.

ومن هنا فإنني عندما قلت أمام باب «قصر العروبة» إنني لا أتطلع إلى دور سياسي كنتُ أنظر إلى الأمر من حالة عملية ومبدئية، ولم أتحدث من منطلق المزاج الذي قد يتغير. إنني لا أستطيع أن أنكر حقائق إستجبت فجأة على ساحة العمل السياسي المصري، إلا أنني في الوقت نفسه لا أستطيع التكرار لأفكاري ومبادئ.

إن الدور في هذه المرحلة يفرض عليّ التنازل عن جزء من المبدأ وأنا غير مستعد للتنازل مهما كانت طبيعة الدور السياسي.

أما على الصعيد الصحافي فإنني إلى جانب الموقف المبدئي المشار إليه، كنتُ مدركاً أن عليّ عدم الإقتراب من فكرة الدور، وذلك ليس أنفة أو مسألة كبرياء، وإنما لأن هنالك تطورات جذرية حدثت وفرضت أمراً واقعاً لا قدرة لي على التكيف معه، فضلاً عن أن جيلاً جديداً بدأ يأخذ على عاتقه الفرصة والدور. إزاء كل هذه الإعتبارات إحتفظتُ لنفسى بمجرد حق إبداء الرأي والكتابة إنما من دون دور.

مراجعة شاملة داخل فترة السجن

«التضامن»: مادام هنالك إقرار بأمر واقع حدث ويبدو أنه غير قابل للتغيير فهل حاولت من منطلق الأخذ بمبدأ الحقائق الموضوعية مراجعة أفكارك السابقة، لعل وعسى تصل إلى قنوات جديدة وفي ضوء ذلك تستأنف الدور السياسي والإعلامي؟

محمد حسنين هيكل: حاولتُ وأنا في السجن تقييم كل الأفكار السابقة وقمتُ بمراجعة أساسية وتأملتُ طويلاً في واقع الحال، وفي المرحلة كلها لعلني أعثر على ما يشير إلى أنني لستُ على صواب في المبادئ التي على أساسها إتخذتُ موقفي الذي لا يمكن أن ترتاح له سلطة بينها وبين إسرائيل إتفاق سلام. كذلك تأملتُ في الإندفاع الذي عاشته مصر نحو «كامب ديفيد» وفي النعرة الإقليمية التي سادت وانتشرت، كنتُ أسأل نفسي وأنا في السجن: هل إنني على حق أم إنني إنسان عنيد؟ وخرجتُ من هذه المراجعة أكثر إقتناعاً بموقفي ومبادئ.

محاولة تعثرت مع مكرم محمد أحمد

«التضامن»: مادام لك بين القيادات الصحافية الحالية تلاميذ وأصدقاء ومريدون، فما الذي جعلك لا تستأنف الكتابة وبشكل منتظم بعد خروجك من السجن وفي معزل عن أي دور خصوصاً أنك تؤكد بأن الهدف هو إسماع رأي داخل مصر وليس خارجها، أو داخل مصر قبل أن يكون خارجها؟

محمد حسنين هيكل: هنالك محاولة جرت لكنها مع الأسف لم تحقق نتيجة. فقد كتبتُ ستة مقالات وليس خمسة مقالات ولا عشر مقالات كما ذكر البعض، ولم تكن عن تجربة السجن وإنما حول مستقبل مصر وسلّمْتُ هذه المقالات إلى صديقي مكرم محمد أحمد رئيس تحرير مجلة «المصور» الذي كان قد طلبها مني، ثم أعيدت لي المقالات بغير الطريق الصحافي. على أية حال، ان الظروف لا تحتل النشر، وإن التأجيل أفضل في الوقت الحاضر، وأنا أخذتُ في الإعتبار ذلك وإرتضيتُ الإعتذار عن النشر.

وقد يكون من المناسب أن اكرر هنا بأن موضوع الكتابة كان في إستمرار وارداً، وأن هنالك مناقشات جرت معي في هذا الشأن، كذلك قد يكون من المناسب الإشارة إلى أن المحاولة الجديدة للكتابة هي الثالثة وأن هنالك محاولة ثانية حدثت وتمثلت في دعوتي إلى الكتابة في شأن قضية معينة، لكنني إعتبرتُ أن دوري ليس الدخول في مثل هذه القضية من قريب أو بعيد وذلك على أساس أنها في نظري قضية صغيرة وتكتيكية.

في ضوء تجربتين، أو عرضين وجدتُ أن المحاولة الثالثة من أجل معاودتي الكتابة تحتاج من جانبي إلى التأكد بأن العرض جديّ، أي أن مَنْ يعرض ليس مجرد رئيس تحرير خطرت في باله فكرة أن أكتب في صحيفته، وعندما تأكدتُ من جدية العرض وافقت. وأجذني هنا أوضح لماذا «أخبار اليوم» بالذات.

نُشر الحوار في مجلة «التضامن»
بتاريخ السبت 4 كانون الثاني/ يناير 1986

في الجزء الثاني من حديث محمد حسنين هيكل في «التضامن»، حول «بصراحة» ولماذا تأجلت عودتها



في الحلقة الأولى من الحديث مع محمد حسنين هيكل التي نشرتها «التضامن» في العدد الماضي توقف الزميل الكبير عند تساؤل يدور حول السبب في إختياره «أخبار اليوم» بالذات لكي يكتب فيها. هنا الأجابة عن هذا التساؤل... وبقية الحديث.

لماذا «أخبار اليوم» بالذات؟

أنا لست ميالاً إلى إعتبار الصحف تمثّل عصوراً. وزيادة في التوضيح يمكن القول إن «الأهرام» التي يرى فيها البعض أنها تمثّل عصر عبد الناصر هي نفسها الصحيفة التي كانت قبل عبد الناصر تمثل عصر الملك فاروق وهي نفسها التي كتب فيها البعض ما لا يمكن نشره إلا في تلك المرحلة. كذلك إن «الأهرام» التي إبتعدت عنها بسبب معاهدة الصلح المنفرد مع إسرائيل هي نفسها التي إمتلأت بعض أعمدة صفحاتها وفي أحيان كثيرة بالكلام الذي يؤيد ذلك الصلح.

وما يقال عن «الأهرام» يمكن أن يقال عن «أخبار اليوم». أليست «أخبار اليوم» التي أسسها أصحابها (يقصد الأستاذ هيكل هنا الزميلين الكبيرين مصطفى أمين وشقيقه الراحل علي أمين وهو عندما يرد ذكر الزميلين فإنه يتحاشى حتى تسميتهما بسبب حدة الخصومة بين الطرفين).. هي نفسها «أخبار اليوم» التي نشرت عنهما بعد التحقيق الذي جرى عام 1965؟ ثم أليست هي نفسها التي كشفت حتى عن ظروف إصدارها؟

القصد من هذا الكلام هو أن صحيفة إتخذت موقفاً ما من كاتب لا تعني أن هذا الكاتب يجب عليه أن يعتبر ورقها لم يعد المناسب لكي تطبع على هذا الورق كتاباته. إن الورق محايد. والمطبوعة محايدة. وكل

الوسائل المتصلة بعملية التكنولوجيا الطباعية على الحياد أيضاً.

بل إنني في هذه النقطة بالذات يمكن أن أضيف بأن الميكروفون الذي تحدّث عبد الناصر من ورائه وأعلن عن تأميم قناة السويس والوحدة بين مصر وسوريا والحرب على إسرائيل هو نفسه الميكروفون الذي تحدّث من ورائه مناحيم بيغن عندما زار القاهرة في إطار معاهدة الصلح المنفرد التي عقدها الرئيس السادات.

ويمكن أن أضيف أيضاً - لتعزيز فكرة حياد وسيلة النشر - إن إذاعة القاهرة وإذاعة صوت العرب اللتين نقلتا على مدى سنين صوت عبد الناصر وصوت نهرو وصوت سوكارنو هي نفسها التي نقلت ومن القاهرة الأصوات المتناقضة. هل كنا نتصور ولو للحظة أن يأتي يوم يتحدث فيه مناحيم بيغن وآخرون من الإذاعات المصرية وخلال زيارة للقاهرة أو المدن المصرية الأخرى؟ لقد حدّث ذلك وتحدّث هؤلاء من إذاعات عبد الناصر وبميكروفونات إستعملها عبد الناصر.

تكراراً، لا قداسات بالنسبة إلى الأشياء. القداسة الممكنة هي لفكر الإنسان. عدا ذلك إن الورق محايد والمنصات محايدة والمنابر محايدة والميكروفونات محايدة والحبر محايد. قد يكون هنالك إستثناء بالنسبة إلى الصحف الحزبية أو المملوكة من شخص صاحب فكر محدّد أما الصحف الأخرى المملوكة من الحكومات فإنها في الواقع مجرد مركبات لأخبار وآراء يتحكم فيها من يتحكم في غيرها.

«التضامن» نعود ونتساءل. لماذا «أخبار اليوم» وليس «الأهرام». بل ولماذا «أخبار اليوم» أو «الأهرام» وليس «الجمهورية». إنك تبدو أكثر رغبة بالتحدي وليس فقط بمسألة العودة إلى الكتابة والتحدي في أماكن محددة وأزمنة محددة.

محمد حسنين هيكل: «أخبار اليوم» لستُ بعيداً عنها. ألم أنتقل منها إلى «الأهرام». و«الأهرام» التي قمت من خلالها بدور، لم تكن أكثر رفقاً بي من «أخبار اليوم». ألم تنتشر «الأهرام» وأنا في السجن وفي صفحتها الأولى، بل وفي المكان الذي كنتُ أكتب فيه، إفتتاحية بدت بعض عباراتها وكأنما هي تتبرأ مني، ولكن هل إننا نحسب الأمور بهذا المنطق وهل إننا نرمي على الصحيفة كمؤسسة مسؤولية موقف إتخذه رئيس تحرير وما يمثّله من مصالح؟

قد يكون هنالك بعض البشر في «أخبار اليوم» الذين تخضع العودة إلى الكتابة فيها لبعض التساؤلات في شأن موقفهم، لكننا إذا فعلنا ذلك لظهرنا متناقضين مع بدهيات الأمور. أليست الحالة هنا أشبه بمن هو ذاهب إلى محطة التلفزيون أو الإذاعة لكي يُلقى حديثاً إستراتيجي الهدف ويدخل الأستوديو الذي سيتم به هذا الحديث والمحاط بإستوديوهات أخرى كثيرة يتم تسجيل برامج غنائية أو فكاهية أو مسابقات أو رقص، في داخلها؟ إنني أجد نفسي أشدد قبل الانتقال إلى الحديث حول ما يخص «الجمهورية» على أن القيمة الحقيقية هي للبشر وأن وسائل النشر محايدة.

أما ما يخص «الجمهورية» فإنني أرى أن رئيس تحريرها الحالي (الزميل محفوظ الأنصاري) صحافي ممتاز وأنا أطمئن له شخصياً ولكن المشكلة هي في الأوضاع السائدة داخل المؤسسة التي تصدر عنها «الجمهورية» وظروف الصراعات التي تعيشها الصحيفة. ولقد كنتُ أعتقد وما أزال أن ظهور مقالة لي في «الجمهورية» ستضيف إلى رئيس تحريرها (الزميل محفوظ الأنصاري) أعباء جديدة لا قدرة له على تحملها. ويكفي أن «الجمهورية» تسير في خط معقول ولا داعي لتعريضها لمشاكل. وإنني للمناسبة أحمد الله لأن الذي حدث في شأن الكتابة (من العرض إلى التطورات التي رافقت ذلك) كانت في منأى عن «الجمهورية» أولاً وعن «الأهرام» ثانياً وذلك كي يتفادى أصدقاء وزملاء لي في الصحيفتين بعض الحرج الشديد تجاهي فضلاً عن بعض الضغوط من خارج المؤسسات.

شروط للمرة الأولى... ومضمونة

«التضامن» قيل إنك وضعت شروطاً للعودة إلى الكتابة. ولأنني من هذه المهنة وأعرف الطقوس السائدة في مصر في هذا الشأن فإنني لا أدري إذا كانت هذه الشروط ستؤخذ في الاعتبار أم أنه سينطبق عليها القول «كلام الليل يمحوه النهار» وإلى ذلك ألا يمكن الافتراض بأن الموافقة على الشروط قيلت لك بمفهوم التكتيك لإعادتك إلى الكتابة وفي صحيفة محددة، من دون أن تعني الموافقة الإلتزام الأبدي؟

محمد حسنين هيكل: لقد تسلمت عرضاً للكتابة. وكان ردي على العرض هو الرد التقليدي الذي سبق أن حددته أمام الذين عرضوا عليّ من قبل الكتابة وتبين أنهم غير قادرين على تأمين الضمانات، وفي الواقع إن الضمانات تتمثل في الإلتزام بشرطين الأول هو نشر ما أكتبه بحذافيره والثاني هو ألا يكون هنالك «شوشرة» وتحديداً ألا يكون هنالك في العدد نفسه الذي أكتب فيه رد على ما أكتب. بل إنني أخذت في الاعتبار أنه من الممكن من دون هذين الشرطين أن ينشروا في الصفحة نفسها التي فيها مقالتي وبشكل لاقت للنظر رداً على هذه المقالة بحيث يؤثر ذلك عليها بل وقد يفقدها بريقها أو معناها ومع الوقت يضعني ذلك في موقف غير متجانس مع أفكاري وقارئ. ولقد أوضحت أنني لست ضد الرد إنما ألا يكون ذلك في العدد نفسه الذي فيه مقالتي، وتحديداً قلت إن لا مانع من نشر الرد أو الردود، إنما في الأسبوع التالي.

كذلك أخذت في الاعتبار مسألة الحصول على ضمانات للشرطين المشار إليهما بحيث لا يقتصر التعهد على شخص رئيس التحرير المسؤول (الزميل إبراهيم سعده) الذي تقدم مني بعرض الكتابة، وإنما على من أعتبر موقفهم يشكل ضمانات كافية وواضحة.

وبعدما تبلغت بهذه الضمانات سألني رئيس تحرير «أخبار اليوم» عن الترتيبات فقلت أنني لا أريد مرتباً ولا مكتباً في الصحيفة لأنني لست راغباً في التوجه إليها فضلاً عن أنني لا أملك تغيير هذا المكتب الذي نحن فيه الآن، وإنه من الممكن إرسال من يأخذ المادة وإعادة البروفة لي كي أصححها (في مكان آخر لمحة عن مكتب هيكل).

بعد الإعلان الذي نشرته «أخبار اليوم» حول عودتي إلى الكتابة بدا واضحاً أمامي - وبالرغم من أنني لم أطلع سلفاً على صيغة الإعلان - بأن الأمر قد تمت معالجته بالشكل الذي أشرت إليه والذي يرضيني. ثم إندلعت - إذا جاز القول - الضجة وتوالت ردود الفعل وكنت أتابع الأمر وأتأمل. وعندما تصدى الرئيس حسني مبارك بنفسه للضجة في إجتماع حزبي بدأت أسمع الكثير من الحكايات ومن القيل والقال. ومن هذه الحكايات أن إخواننا المستثمرين قالوا إن الفلوس ستخرج من البلد إذا أنا كتبت وإن الإنفتاح «حبيوط» ويتعرض لإنتكاسة وينعكس ذلك على الحالة الاقتصادية.

كنت أسمع حكايات لا حصر لها عن الذي أرغى وأزبد وهدد، وعن الذي إهتز فنجان الشاي في يده عندما بلغه النبأ بأنني عائد إلى الكتابة المنتظمة، وعن... وعن... وكلها حكايات تدعو إلى الدهشة.

ثلاثة أيام وأنا أسمع وأرصد وأحاول التأكد من صحة ما أسمع. ثم جاءني في نهاية اليوم الثالث الخبر اليقين وبأسلوب كثير الوضوح والرقى قيل لي إنه من المستحسن ولأسباب كثيرة تأجيل الكتابة ثلاثة أو أربعة أشهر. ولقد أبلغني الذي طلب مني التأجيل الحيثيات بالتفاصيل، وأورد أمامي موقف أهل الإستثمار ورد فعل جماعات الضغط. وحديثي عن التأويلات والتفسيرات وأيضاً عن إستفسارات من أطراف خارجية (بينها الولايات المتحدة وإسرائيل).

في ضوء ذلك وضعت كل هذه الأمور أمامي وبحثت أتأمل محاولاً العثور على نقاط محددة. أريد مثلاً أن أعرف أين هو الخط الفاصل بين المنع من الكتابة وتأجيل الكتابة وأريد أن أعرف عمق الأزمة وهل عندما قيل

لي أن أكتب لم يكن هنالك احتمال لحدوث رد الفعل الذي حدث وأريد أن أعرف إذا كان الأمر هو قيد تم رفعه عني أم أن التأجيل هو بمثابة القرار بعدم الكتابة وذلك على أساس أنه إذا سلّمنا بالتأجيل لثلاثة أو أربعة أشهر فإن الظروف المتاحة الآن أمام العودة للكتابة ربما لا تكون متاحة بعد ذلك، فضلاً عن أن التأجيل بالرغم من أخذني بوجاهة أسبابه يضعني ككاتب أمام مشكلة الترخيص المسموح به أحياناً وغير المسموح به أحياناً أخرى. وإلى ذلك هنالك القارئ الذي قيل له إنني عائد إلى الكتابة... هذا القارئ ما الذي سنقول له؟ هل نقول إن الظروف لا تسمح بالكتابة ومن أجل ذلك سيكون هنالك تأجيل. ثم أن هذا القارئ سيبدو أكثر إلحاحاً بينه وبين نفسه في معرفة مبررات التأجيل.

وفي أجواء هذا التأمل بدأت أبحث عما من شأنه أن يبدد الحيرة.

الكتابة... خارج مصر

«التضامن»: عندما يعرضون عليك أن تستأنف الكتابة ثم توافق ولكنهم يتراجعون بعدما تكون وافقت. وبعدها لم توضح خلال ثلاثة أيام الموقف، فمن الطبيعي أن يطالبك قارئك بأن تكتب وخارج مصر وكما لو أن العرض لم يحدث هكذا نفهم الأمر وبشكل بدهي ونفهم أيضاً إنك لن تستأنف الكتابة وذلك بقرار غير مكتوب من أهل الإستثمار. وبما أن أجواء الإنفتاح مستمرة وأهل الإستثمار على القوة التي هم عليها فإن الأشهر الثلاثة أو الأربعة لن تغيّر شيئاً وسيكون هنالك تأجيل آخر لموضوع إستئناف الكتابة في مصر.

محمد حسنين هيكل: منذ اللحظة الأولى للعرض والموافقة عليه بدأت أهية نفسي للكتابة عن مصر، ذلك أنه بعد غياب إحدى عشرة سنة لا يجوز العودة إلى الكتابة عن العموميات ولا بد من كلام واضح حول الأوضاع المصرية. أما الكتابة عن التمزق العربي والسياسة الخارجية والأمور الأخرى الكثيرة التي من هذا القبيل فإنها ستبدو نوعاً من الهروب ولقد إعتبرت أن العرض بالشكل الذي تبلغته والموافقة من جانب «أخبار اليوم» على الشرطين اللذين حددتهما هما نوع من الضوء الأخضر، بل وهما الضوء الأخضر بالفعل، من أجل الكتابة وحول كل القضايا المصرية والعربية والدولية.

وعندما تبلغت بالتأجيل وجدت نفسي أيضاً أمام أكثر من احتمال إلا أنها وردت بصيغة التساؤل وليس بصيغة الأمور البديلة الواضحة المعالم. أحد هذه الاحتمالات هو الكتابة في الخارج لكنني لم أتحمّل أن يقال إن مصر ضاقت بي بينما هي تتسع لآخرين.

«التضامن»: لكن تبقى هنالك حاجة إلى كاتب مستنير من نوعيتك يكتب عن قضايا مصر الداخلية في الصحافة العربية خصوصاً أن هنالك بضعة ملايين مصري يعيشون في طول العالم العربي وعرضه وفي دول العالم، ويكتب للمصريين داخل مصر عن العرب بغير هذه الهجمة الشرسة من جانب بعض الكتاب والصحافيين المصريين عليهم وهي هجمة تصل في بعض الأحيان إلى حد التبرؤ من العرب أو الشماتة بهم، ولا يجد المرء في ضوء التأجيل الذي حدث معادلة أفضل من ذلك تقوم على الكتابة المنتظمة في الصحافة العربية خارج مصر عن قضايا مصر الداخلية والكتابة في الصحافة المصرية بشكل متقطع عن قضايا عربية ودولية وضمن الإطار الذي لا يوحي بأن الماضي بالنسبة إليك عائد بكل مفاهيمه.

محمد حسنين هيكل: هذا سهل ككلام لكنه في منتهى الصعوبة عند التنفيذ. وإلى ذلك إنه من غير المعقول بعد غياب إحدى عشرة سنة أن يمسك المواطن المصري صحيفة فيجديني لا أتطرق إلى القضايا التي يتوقع مني أن أتطرق إليها. وإلى ذلك أيضاً إنني من المؤمنين بأن ما يمكن أن يقال خارج مصر يجب أن يقال داخل مصر، وهذا بالنسبة إليّ، وإلى ما أكتبه هنالك الصراحة الكاملة وهنالك أيضاً الصراحة على درجات،

فضلاً عن أن لي تجربة لا أريد أن تتكرر مع مسألة الكتابة في الخارج وكيف أنهم صوّروها على غير حقيقتها بالنسبة إلى القارئ المصري. لقد بلغ بهم التشويه حد إظهاره وكأنني لا أعمل من أجل الوطن وفي سبيل الحقيقة إنني لا أريد للأمر أن يتكرر، وأعتقد أن عملية إعادة ضبط الآلات كفيلة بجعل الإيقاع صحيحاً، فضلاً عن أننا عندما ننشر في مصر ما يمكن أن ننشره خارجها فهذا معناه أننا نكتب من دون هواجس.

لقد كتبتُ في الماضي خارج مصر وبأسلوب تصادمي مع السياسة المصرية، وذلك بسبب التراجعات الداخلية التي حدثت وظاهرة الشعوبية الغريبة عن مصر والتي إنتشرت بشكل مقلق، والإرتداد عن الفكرة العربية والعمل العربي المشترك. وفي بعض الأحيان تطلّب أمر الكتابة حدوث صدام نتيجة أن المرحلة كانت مرحلة مواجهة أما الآن فإن المطلوب ليس الصدام وإنما التوضيح للناس بأن العزلة التي حدثت يجب أن تنتهي والتراجعات التي حدثت يجب أن تتعرض لمراجعة. ما كنا نخاف منه في مرحلة المواجهة التي كتبتُ خلالها في الخارج قد حدث. وما نحتاج إليه الآن هو التفكير المشترك لنواجه المأزق الذي نحن فيه. والتفكير المشترك هو تفكير الكاتب مع الدولة ومع المواطن وبذلك قد نخرج بحلول. ومخافة أن تكون وفي هذه المرحلة بالذات لكلام ننشره خارج مصر ردود فعل غير واضحة داخل مصر فإنني أكثر إقتناعاً بضرورة الكتابة في الداخل خصوصاً أن الكتابة الآن هي قضية أكثر من أي وقت مضى، وخصوصاً أننا الآن لسنا في صدد عملية تغيير البناء وإن ضبط الأوتار بحيث لا يعلو مقام على مقام من شأنه أن يجعل العزف على أوتار القضية مقبولاً ويجعل الإيقاع غير مزعج لأحد.

«التضامن»: هل إن عرض الكتابة وبإنتظام وفي صحيفة مصرية، ونعني بذلك العرض الذي قدمته «أخبار اليوم» فاجأك؟

محمد حسنين هيكل: قياساً بمحاولتين أشرتُ إليهما فإن العرض لم يفاجئني. لقد كنتُ أعرف بأن هنالك مناقشات وملاحظات، وإذا إن مبدأ الكتابة داخل مصر وبإنتظام لم يفاجئني. إن عنصر المفاجأة هو في الجهة التي عرضت، أي إنها في مكان النشر وليس في مبدأ الكتابة.

«التضامن»: هل إنك منذ أن تبلغت العرض إعتبرته طلباً رسمياً أم أنك نظرت إليه على أنه إجتهد من رئيس تحرير «أخبار اليوم» الزميل إبراهيم سعده؟

محمد حسنين هيكل: لا أريد الدخول في الشكليات لكنني أكتفي بالقول إن العرض وصلني بشكل جدي. إنني أنظر إلى الأمر من زاوية الجدية وعدم الجدية، وليس من زاوية أن العرض رسمي أو غير رسمي.

«التضامن»: وهل كان العرض ينص تحديداً على إستئناف كتابة زاوية «بصراحة».

محمد حسنين هيكل: لم يأت العرض على ذكر «بصراحة». كل الذي قيل هو كتابة مقال.

«التضامن»: لو أن أهل الإستثمار لم ينجحوا في ضغوطهم ويتقرر التأجيل فحول أي موضوع كانت ستدور المقالة الأولى لك؟

محمد حسنين هيكل: كان الموضوع حول قضية مصرية، أو فلنقل حول قضايا مصرية محلية.

«التضامن»: هل إن التأجيل معناه أن فكرة الكتابة حول هذه القضية لم تعد قائمة؟

محمد حسنين هيكل: سأكتب هذه المقالة. ومن أجل ذلك تراني لا أريد الكلام حولها.

«التضامن»: أليس من الجائز الافتراض أن الإعلان عن عودتك إلى كتابة زاوية «بصراحة» كان نوعاً من الإجهاض للفكرة، وأنه لو تم تقديمك على أنك ستستأنف الكتابة من دون ذكر زاوية «بصراحة» لما كان للمستثمرين أن يثوروا ويهددوا، ولما كان لخصومك التقليديين في الصحافة المصرية أن يقيموا الدنيا ويملأوا الصحف بالتحذير منك والتذكير بالحقبة الماضية والتي تشكّل بكتاباتك رمزاً كثير الحيوية لها؟

محمد حسنين هيكل: إنني متأكد بأن العرض الذي تلقيناه للكتابة في «أخبار اليوم» كان عرضاً جدياً. عدا ذلك تبقى الأمور مجرد تفاصيل.

بين تأييد الحُكم وتفهم ظروفه

«التضامن»: لقد وضعوك في حالة من الحرج الشديد ونفهم من أسلوب مناقشتك للأمر بدءاً من العرض وإنهاءً بالتأجيل هذا الحرص من جانبك على ألا تخدش مشاعر الرئيس حسني مبارك وعلى أن تراعي إلى أقصى الحدود ظروفه. بل إن الأمر يبدو كما لو أن الذي يعينك هو موقف الرئيس مبارك وليس القارئ في الداخل والخارج؟

محمد حسنين هيكل: لا. الرئيس مبارك ليس هو الموضوع. بل إنني أرى أن توجهات الرئيس سليمة. وإذا حدثت بعض التراجعات فإنها تكون لظروف خارجة عنه ومن هنا فإنه إذا كان الموضوع متصلاً بالرئيس مبارك فإنني مستعد لأن أراعيه ليس من أجل شخصه وإنما من أجل الظروف الراهنة التي تعيشها مصر. وزيادة في التوضيح إنه مادام الرئيس مبارك يحاول بصدق تحقيق دور ومعادلة جديدة فمن الواجب علينا أن نتفهم الدوافع والظروف من دون أن يمس ذلك المبدأ أو يتسبب في ضياع الفرصة.

«التضامن»: ألا ترى أنه عندما تصبح نظرة الكاتب إلى الحاكم وسياساته ومعادلاته من نوع نظرتك التي لخصتها لنا فإن الكتابة عندئذ تكون لدعم خط الحاكم وليس لإرباك هذا الخط بكل السياسات والمعادلات؟

محمد حسنين هيكل: لو إعتدنا التبسيط لأمكننا القول إن الأمر ليس كذلك تماماً. إنني إزاء السياسة العربية للرئيس مبارك مختلف مع النهج العام، في حين إنني أيام الرئيس السادات كنت متصادماً معه. وفي إطار الاختلاف يمكن البحث عن مخارج ومساكن في حين لا يمكن ذلك في حالة التصادم ومن المؤكد أنه من الأفضل في أن أبتعد ولا أعود إلى الكتابة إذا كان الهدف هو فقط تدعيم سياسات راهنة أما وإنني مقتنع بأن العودة هي لتغيير ما أراه ضد مصر، فإن مهمتي إستئناف الكتابة وبشكل منتظم وداخل مصر وليس خارجها تتدرج تحت تصوّر يقوم على أن ما هو سليم لمصر هو بالتالي سليم للرئيس مبارك.

«التضامن»: المفهوم من كلامك إنك تعتبر منطلقات سياسة الرئيس مبارك سليمة هل يمكن تأكيد ذلك؟

محمد حسنين هيكل: هنالك فرق بين القول بأن الإتجاهات سليمة وبين التمييز بين السياسات والممارسات ان سياسة الرئيس مبارك سليمة لكن الممارسات تخضع لضغوط أهمها ضغط الأمر الواقع. إنني من مكثي هنا أملك أن أقول بأنني لا أستطيع التعامل مع إسرائيل ولن أتعامل معها وأملك أيضاً القول ان إتفاقية كامب ديفيد لم تحقق السلام في المنطقة لكن الرئيس مبارك لا يستطيع من موقعه أن يقول ذلك، وبالتالي فهناك خلاف بيننا إنني أعتقد أن الرئيس مبارك كويتي مصري إتجاهاته سليمة لكنه محكوم بأمر واقع أستطيع أن أقدر دواعي ظروفه بينما غيري مستعد للإلتزام به، والفرق كبير بين تقدير الظروف وبين الإلتزام بأمر واقع بكل ما يحوي من أمور لا يمكن التسليم بها. إن رؤيتي لشخص الرئيس وإتجاهاته يزيد الأمر تعقيداً. فأنا لستُ قادماً من المعارضة لأنني لو كنت كذلك لما كان عرض الكتابة قد حدث ولكنني في الوقت نفسه لم أوافق على العرض بهدف التأييد الصريح.

«التضامن»: معنى ذلك إنك ترتاح لخط الرئيس مبارك؟

محمد حسنين هيكل: لا. أنا مرتاح للتوجهات واختلف مع الرئيس في جزء كبير من الممارسات السياسية، مع الأخذ في الإعتبار أن هذه الممارسات تصدر في ضوء تقديره لما يملكه من معلومات ولما يدور حوله

ولموازين القوى ولقاعدة الصعب والمستحيل. إنني ككاتب غير مقيّد ومن أجل ذلك أرى من واجبي مراعاة أمور كثيرة.

«التضامن»: هل إن الكتابة خارج مصر في مرحلة من المراحل كانت من أجل الكتابة وعدم الإنقطاع عنها أم إنها كانت وسيلة ضغط على الحُكم في مصر كي يُطلب منك العودة إلى إستئناف الكتابة؟

محمد حسنين هيكل: لقد كتبتُ خارج مصر لمدة خمس سنوات (من 1975 إلى 1980) بقصد توصيل رسالة معيّنة إلى العالم العربي خلاصتها إن مصر لم تتغير وإنه مازالت هنالك فيها أصوات ترى وجود إمكانية للعمل العربي الواحد والحلم العربي الواحد وفي الرسالة أيضاً تمنيات بأن إطمئنوا على مصر لأن فيها مقاومة لما يراه البعض أنه إستسلام وفيها مقاومة للصالح المتفرد وعلى سبيل المثال لا الحصر إنني عندما كتبتُ سلسلة مقالات «حديث المبادرة» فإنني بسبب أجواء الأمل بالسلام السائد داخل مصر إعتبرتُ أنني أقوم بمخاطرة لكنني مع ذلك كتبتُ، بل وغامرْتُ، وقلت إن ما ترونه سلاماً ليس أكثر من سراب، وهذا ماحدث أو بالأحرى ما تأكد بعد ذلك.

ما بين هيكل والمستثمرين...

«التضامن»: ما الذي بينك وبين المستثمرين ورجال الأعمال في مصر لكي يتخذوا هذا الموقف السلبي من فكرة عودتك إلى إستئناف الكتابة بإنتظام داخل مصر؟

محمد حسنين هيكل: إسألهم. أعتقد أن السؤال يجب أن يوجّه إليهم وليس لي.

«التضامن»: إنني أوجه السؤال إليك وذلك على أساس أنك، من حيث الوضعية الطبقية، بورتجوازي مثّلم.

محمد حسنين هيكل: ليس هنالك بالضرورة وجود تناقض بين أسلوب حياة إنسان وبين أفكاره. ومن الممكن أن يعيش إنسان في المستوى الإجتماعي الذي يعيشه آخرون على خلاف في أفكارهم معه. إن القضية ليست قضية مكتب متميز وثروة متراكمة ومنزل فخم. من الممكن أن يعيش المرء في مستوى واحد مع إنسان تكون أفكاره على نقبض معه. ولا داعي هنا للإكثار من الأمثلة، إلا أنه من الجائز القول إن الوضع الطبقي في مصر مختلف عنه في أي مكان آخر. وفي ما يخص الزوبعة التي حدثت نتيجة العرض الذي تلقّيته في شأن إستئناف الكتابة، فإن مسألة تشابه الوضع الطبقي لا علاقه لها على الإطلاق من قريب أو من بعيد بالذي حدث. إن هذه الزوبعة حدثت من منطلق ما أمثله في نظر هؤلاء - الذين إعترضوا - من أفكار وعلى سبيل المثال أشير إلى أن أحدهم قال لي شخصياً «حرج بقه ثاني يا أستاذ هيكل تقول عروبة وفلسطين. ما إحنا خُصنا أو مصدّقنا نخُص من النغمة دي». وهذا المعترض قد يكون مشتركاً - بل وهو كذلك - معي في مستوى معيشة معيّن لكن له رأياً آخر ورؤية مختلفة عن رؤيتي، حيث أنه من الزاوية الإجتماعية لا يرى ما أراه في شأن قاعدة الأرباح ودور العمال والفلاحين ولكن ذلك لا يعني إننا لا يمكن أن نتعايش. وإلى ذلك هنالك بعض الحساسية ما تزال موجودة في تفكير البعض من صداقتي القديمة والمستمرة بعبد الناصر.

وقد يكون من المناسب التوضيح هنا بأن أصحاب الثراء لا يمكن تصنيفهم طبقياً. من الممكن إعتبار الإقطاعيين طبقة نتيجة ملكية هؤلاء للأرض التي هي وسيلة من وسائل الإنتاج ومن الممكن إعتبار العمال طبقة بسبب إرتباط هؤلاء بالمصانع التي هي وسيلة من وسائل الإنتاج. وزيادة في التوضيح لا يمكن أن تكون هنالك طبقة غير مرتبطة بوسائل الإنتاج أما الأثرياء الذين ينتشرون هنا وهناك وهنالك في العالم

العربي فلا يمكن تصنيفهم طبقاً لأن لا علاقة لهؤلاء بوسيلة من وسائل الإنتاج، حيث أن كل ما يقومون به عبارة عن صفقات طائفة في الهواء تترتب عليها سمسرات وعمولات.

إن التاريخ لم يسجل قيام طبقة مرتبطة بغير وسائل الإنتاج. ومثل هذا التوضيح أوجبه القول بأن البورجوازية هي صفة مشتركة بيني وبين الذين تصدوا لعودتي إلى ميدان الكتابة المنتظمة داخل مصر.

«التضامن» كيف يتصور الأستاذ هيكل نفسه في مرحلة الثمانينات؟

محمد حسنين هيكل: أنا ضد هذه الحكاية.

«التضامن». ضد هذا المنطق أم ضد السؤال عموماً؟

محمد حسنين هيكل: لست ضد السؤال ولكنني ضد المنطق.

«التضامن»: من الممكن إزاء ذلك إعادة طرح السؤال بصيغة أخرى وهي: كيف ترى طبيعة إرتباط

هيكل الستينات وهيكل السبعينات بهيكل الثمانينات؟

محمد حسنين هيكل: أنا لا أميل إلى الاعتقاد بأن البشر يمكن أن يحصل لهم ما يحصل لدودة القز التي كانت بويضة ثم دودة ثم شرنقة قبل أن تصبح فراشة. تسألني عن هيكل الستينات فأجيب بأن تجارب عشرين سنة قد أضيفت إليه، وقراءات عشرين سنة قد زيدت على قراءاته. ما أرجوه هو أن يكون هيكل الثمانينات قد نما أكثر وإستفاد عشرين سنة أكثر. وإذا كانت تجارب عشرين سنة وقراءات عشرين سنة وتطورات الزمن خلال عشرين سنة لم تضيف المزيد من الفهم والنمو والانتساع، فمعنى ذلك أن ليس هنالك سوى التجر والتكلس ولا أعتقد، هكذا أشعر، بأنني في الثمانينات قد تحجرت وتكلس.

«التضامن»: كل كاتب أو صحافي يتمنى تنويع حياته بعمل ما أو وضعية معينة. ألا يرى الأستاذ

هيكل أن هذا الإهتمام الذي قوبلت به فكرة عودته إلى الكتابة بإنتظام داخل مصر بعد غياب إحدى عشرة سنة، وهذا الإهتمام الأكبر نتيجة قرار التأجيل ثلاثة أو أربعة أشهر، هي أفضل مناسبة لكي يسدل البطل بنفسه الستار ويرتاح وينصرف إلى تأليف كتاب أو كُتب لم يكتبها بعد بدل أن يشغل نفسه إلى حد الإرهاق في كتابات أسبوعية ليس هذا في نظرنا وقته؟

محمد حسنين هيكل: يهمني أن أوضح بأن لكل إنسان في الدنيا آمالاً عريضة. وأتذكر هنا لحظة عَرَض عليّ الرئيس السادات أن أكون نائباً لرئيس الوزراء وعندما إعتذرت سألني مامعناه «أليست عندك طموحات؟» وقُلْتُ له ليس في هذا الميدان لقد كنت وزيراً وتريدني الآن أن أكون نائب رئيس وزراء وربما في المرحلة المقبلة رئيس حكومة. وهذا كله لا أتطلع إليه. إنني ببساطة أريد أن أبقى صحافياً يكتب ويقرأ له الناس وينمو مع العصر ومع التطورات.

إنني أقول ذلك وأبدو كثير التأثر برد فعل الناس الذي بدر منهم في الأسبوعين الماضيين. لقد شعرتُ أن هنالك نوعاً من التنويع لحياتي الصحافية وأنه لا حاجة لي بعد اليوم أن أعمل في الصحافة. بل انه بعد هذه اللحظات التي أشير إليها لم يعد من آمالي أن أكون صاحب جريدة وهو ما سبق أن فكرتُ به من قبل خصوصاً عندما كثرت الحراب الموجهه ضدي. إنها بالفعل اللحظة المناسبة لإسداد الستار. لكن ذلك جائز لو كنتُ الباحث



الإعلان عن عودة هيكل و «بصراحة» كما ظهر في الصفحة الأولى من «أخبار اليوم» يوم 1985/12/14

عن دور، ولكنني لا أريد إلا أن أكون كاتباً وصحافياً في حالة حوار دائم مع القارئ.

«التضامن»: إنني كصديق لك وأحد تلامذتك أقول لك بصدق إنني لم أفرح لك مرة أكثر مما فرحت لهذا الإستفتاء بشأن العرض المقدم إليك بإستئناف الكتابة الأسبوعية ورد الفعل الكثير الغريبة. إنه أكثر الإستفتاءات دقة، فضلاً عن أنه أوضح لك مكانتك في نفوس الناس. وأعتقد إنها اللحظة المناسبة من أجل أن تبدأ تسجيل تجربة حياتك وهو الكتاب الذي لم تكتبه بعد حول هذه التجربة الغنية جداً إن هنالك بالنسبة إلى الكاتب كتاباً لم يكتبه بعد وأعتقد أن تجربتك الشخصية تسجلها بقلمك هي الكتاب المطلوب الذي هو أفضل الكتب.

محمد حسنين هيكل: من المهم الأخذ في الاعتبار أن الستارة لا يتم رفعها أو إنزالها بإرادة المرء وحده. هنالك عناصر أخرى لها علاقة في هذا الأمر ولعلنا نتذكر أنه في عهد الرئيس السادات لم يكن فقط يتم إنزال الستارة، وإنما كان يتم وضع ستار من النسيان إلى درجة لا يعود هنالك مجال حتى ليذكر الاسم.

«التضامن»: ألم يحدث الشيء نفسه أيام عبد الناصر؟ لقد تم أيضاً إسدال ستار النسيان على كثيرين.

محمد حسنين هيكل: أخشى أن يكون هذا الكلام غير دقيق. مع عبد الناصر لم يحدث ما تشير إليه، ولم يختلف الرجل مع أحد في رأي أبداً. إن الستائر لم تنزل على أحد أيام عبد الناصر. أما إذا كان الخوف لازم البعض فلم يكتبوا فهذا أمر آخر. لقد حدثت معارك بين الكتاب وبين السلطة لكن الصمت لم يحط بها. حتى في «الأهرام» كتبنا الكثير حول منطق القانون، وتسببت الكتابة في اعتقال البعض. في أي حال إنه لا داعي للخوض في هذا الموضوع الآن لأنه حقل ألغام متسع الأطراف لكن ما يمكن قوله: إن ما بدا أنه حرية صحافة لا علاقة له بالصحافة ولو جئنا نعرض أسماء الصحافيين الذين اعتقلوا في عهد عبد الناصر لأكتشفنا أنهم كانوا كلهم تقريباً من «الأهرام». لقد كانت معارك خضناها بشجاعة من دون أن يتم إسدال الستارة على أحد. وبالإضافة إلى مقالتي التي كنتُ أصر على ألا تمر على الرقابة فهناك غيري في «الأهرام» كتبوا ما اعتقدوا وتعرضوا للمشاكل، إنما من دون إنزال الستارة عليهم.

«التضامن»: قد يكون مناسباً أن يحدد لنا الأستاذ هيكل مفهومه لحرية الصحافة وكيف يراها؟

محمد حسنين هيكل: إن جوهر حرية الصحافة ليست في قدرة مئة شخص على أن يقولوا رأياً مختلفاً. إن كل الآراء في عصرنا هذا لا تؤثر وهي لا تعبر إلا عن قائلها. ما يؤثر في الناس هو الجوهر وهو حقهم في معرفة ما يجري، ما يؤثر هي الحقيقة وهي المعلومات. إن حرية الصحافة ليست في الإكثار من المقالات التي تقول بأننا نريد الغذاء للجوع، والكساء للعرى، والمساكن للمشردين، وإنما هي تلك التي تقول لماذا حدث ما حدث في الوطن وحوله وحول العالم كله. أن تقاس حرية الصحافة بالآراء هذا أمر لم يعد مقياساً. إن جوهر حرية الصحافة هو في معرفة الحقائق. إنني أعتقد أن عمود الرأي بات آخر ما يمكن أن يُقرأ في الصحيفة.

«التضامن»: نعتقد أنك ذهبت بعيداً يا أستاذ هيكل. إن الإنسان العربي يعاني أزمة رأي. وربما أنت شخصياً وآخرون لا يعانون ذلك على أساس أن الفرصة أتاحت لك ولهم من أجل أن يقولوا الرأي وفي أكثر من مناسبة. ولكن ذلك لا يعني أن صحافة المعلومات ليست ذلك الأمر البالغ الأهمية. ونسأل في هذه المناسبة الأستاذ هيكل عن أسلوب تطبيقه لحرية الصحافة لو أنه نفذ قبل سنوات قليلة الفكرة التي خطرت في باله وهي إصدار صحيفة خاصة به؟

محمد حسنين هيكل: كنت سأعمل في الدرجة الأولى على إنشاء مركز للدراسات الإستراتيجية والسياسية مثل

ذلك المركز الذي سبق أن أنشأناه في «الأهرام». وكنْتُ لن أهمل الرأي ولكنني كنت سأعطي الأولوية للرأي المست إلى معلومات لا الرأي في المطلق. لا حرية صحافة من دون وفرة معلومات.



في نهاية هذا الحديث مع الزميل الكبير محمد حسنين هيكل (*) وجدتُ نفسي أطالبه بثلاثة أمور.. بل إذا جاز

(*) مكتب هيكل:

بعد خروجه من «الأهرام» وجد الزميل الكبير محمد حسنين هيكل نفسه أمام أمر لا يتحمل حدوثه. فهو لم يخصص في منزله المكون من بضع غرف ومن شقتين متلاصقتين في المبنى المحاذي لفندق شيراتون القاهرة والمجاور للسفارة السوفياتية، مكتباً يعمل فيه. ولأن زوجته السيدة هدايت تعرف كم أن زوجها متمسك بطقوس العمل في المكتب وكيف أنه لا يتحمل الكتابة في معزل عن هذه الطقوس فإنها حوّلت الشقة الملاصقة للشقة الأساسية إلى مكتب مخصص لـ «الأستاذ هيكل» أو «البيه». وقد إستغرق إعداد الشقة الصغيرة التي كانت في الأصل لأبناء هيكل (علي وأحمد وحسن) بضعة أشهر وذلك لكي تكون على شيء من الشياكة والأبهة. وقد خطر في بال هيكل أن يستأجر مكتباً بعيداً عن منزله ثم إرتأت العائلة أن متطلبات الأمن فضلاً عن تفادي المنغصات تحتم البقاء في دائرة المنزل.

ومن هذا المكتب الذي تزين رفوفه كُتب هيكل ببضع لغات يتحرك هذا الكاتب المتميز ويصول ويجول يساعده في ذلك سكرتيه منير عساف الذي كان في الأصل أحد موظفي مكتبه أيام قيادته لـ «الأهرام» وإستمر هيكل منذ اللحظة التي بات فيها مكتبه جاهزاً يتمسك بطقوس المواظبة كما لو أنه في مكتبه في «الأهرام». فهو في الثامنة وراء مكتبه ولا يتحمل الحضور إلى المكتب إلّا وهو مرتدياً بدلتته وربطة العنق بالرغم من أن غرفة نومه على بُعد خطوات من المكتب. وفي هذا المكتب أُلّف هيكل معظم كتبه، وإستقبل ضيوفاً ذوي شأن، وضاق صدره بالبعض الذين إبتعدوا عنه لأنه لم يعد أحد النجوم الساطعة في السماء المصرية.

وكان لافتاً للإنتباه أن محمد حسنين هيكل لم يغيّر مكتبه بمعنى أن يستأجر مكتباً أكبر ويضيف بعض الموظفين تماماً مثلما يفعل بعض مشاهير السابقين (هنري كيسينجر على سبيل المثال) وأغلب الظن أن المسألة لا علاقة لها بالمال لأن محمد حسنين هيكل في بحبوحة فضلاً عن أن إيراداته من التأليف تجعله لا يقلق من ضغوط الإيجار. لكن الزميل الكبير إعتبر نفسه في حالة إبتعاد مؤقت ومن أجل ذلك لم يستأجر المكتب اللائق به فضلاً عن أنه بعدما إعتاد على العمل في المكاتب الكثيرة الأبهة لم يعد يتصور أنه في مكتب أقل حجماً وعلى شيء من التواضع.

كذلك كان لافتاً للإنتباه أنه بعدما تلقى العرض من «أخبار اليوم» لكي يستأنف كتابة زاويته الشهيرة «بصرحة» فإنه خصص يوم الثلاثاء من كل أسبوع لكي يكتب هذه المقالة تماماً مثلما كان يفعل في «الأهرام» حتى اليوم الاخير من خروجه منها. وفي «الأهرام» كان هيكل يبدأ يوم الكتابة (أي يوم الثلاثاء) في الثامنة صباحاً، إذ يجلس ليكتب مقالته التي يكون شاركه في إعداد مادتها من معلومات وأرقام وتواريخ بعض مساعديه.

وينتهي حوالى الثانية بعد الظهر من الكتابة. ولم يحدث أن حدث تعديل لهذا الأسلوب إلّا في مرات قليلة جداً. وبات معلوماً أن يوم الثلاثاء هو يوم «بصرحة» وهو بالنسبة إلى الذين يعرفون محمد حسنين هيكل بأهمية يوم الجمعة، وذلك لكثرة الجهد الذي يبذله هذا الكاتب المتميز في اخراج مقالته بالشكل الجيد. ومع الأسف إن الفرحة، فرحة هيكل من جهة، وفرحتنا نحن من جهة أخرى، فضلاً عن فرحة الناس العاديين

القول بثلاثة توضيحات.

الأول هو ما الذي سيقوله للذين ينتظرون مقالته الأولى التي وعدت «أخبار اليوم» بأنها ستشرها يوم 4 كانون الثاني (يناير) 1986؟ وكان جوابه أنه سيتصرف ضمن إحساسه بولاء لا حدود له تجاه هذا القاري». الثاني كان حول هذه القطيعة بينه وبين أحداث السودان وكيف أنه ذهب إلى طهران من أجل أن يضع كتاباً عن آية الله الخميني وثورته، بينما الخرطوم أقرب إليه بإنقاضتها وما سبق الإنتفاضة من ثورة ومن تجربة فريدة في الديمقراطية ومن حُكم جنرالات أين منه حُكم الجنرالات في مناطق أخرى من العالم. وحول هذا الموضوع قال: إنه في الفترة الماضية كان لا يتناول مشاكل مصر وانه إذا كان لا يتناول مشاكل مصر فكيف سيتناول مشاكل السودان. وعندما قُلت له إن السودان قضية أكبر من إيران، وإن بوابة العرب الأفريقية يخططون لها من أجل أن تكون زنجبار الجديدة، أجاب أن العالم العربي على أبواب زنجبارات كثيرة وليس على أبواب زنجبار واحدة. ولقد عززت أجابته هذه مطلبي بأن يستدير هيكل قليلاً في إتجاه السودان ليكتب عنه، بعد أن ينجز كتاب «حرب الثلاثين سنة» الذي سيصدر الجزء الأول منه هذه السنة والثاني عام 1987، ويصدر الجزء الثالث عام 1988. أما الأمر الثالث فكان حول لقاء في منزله بينه وبين «كيسينجر المصري». وفي هذا اللقاء إنفجرت قليلاً الأعصاب المشدودة وسجل هيكل بعد هذا اللقاء مرونة لم يتوقعها أصدقائه ومريدوه منه.

نُشر الحوار في مجلة «التضامن»

بتاريخ 11 يناير/ كانون الثاني 1986

المتشوقين إلى كتاباته بانتظام لم تستمر، لأن أهل الإستثمارات إنتصروا في النهاية وأقنعوا أهل القرار بالتأجيل.

ولان محمد حسنين هيكل لا يملك إلا تفهّم ظروف الأمر الواقع فإنه سيواصل من مكتبه نشاطه. وفي هذه المرة سيكون أمام هيكل تأليف كتاب جديد يروي فيه كل هذا الذي نرويه تلميحاً، ذلك أن العرض الذي تلقاه من رئيس تحرير «أخبار اليوم» لإستئناف كتابة زاوية «بصراحة» بعد غياب بضعة سنوات وما رافق هذا العرض من مخاضات ومن أخذ وردٍ هو في النهاية مادة مثيرة لكتاب جديد لعله الجزء الثاني لكتاب «بين الصحافة والسياسة». وإذا كان الكثيرون شغوفين بما كان يقوله هيكل في مقالته الأسبوعية «بصراحة» لو كُتب لها أن تنشر وبانتظام فإنهم بالتأكيد أكثر شغفاً لمعرفة الحقيقة الكاملة وبقلم هيكل وراء عدم القبول به يستأنف الكتابة مثل أيام زمان.

حوار في الجو مع طارق عزيز(1):

نجتمع مع السوريين بعد العيد ولا نقبل بالأسد وسيطاً مع إيران

من المهم التوضيح أولاً بأن لهذا الحديث مع الأستاذ طارق عزيز نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية في العراق نكهة خاصة نتيجة أن ظروفه متميزة.

فهو يأتي بعد إنقشاع غيوم رمادية ثقيلة الوطأة كادت تستقر في سماء العلاقات الكثيرة الصفاء بين مصر والعراق لولا حكمة القيادتين في البلدين.

وهو يأتي بعدما قطعت المساعي التي أخذها الملك حسين لوحده وبمعزل عن لجنة تنقية الأجواء العربية شوطاً بعيداً، وذلك من أجل التوسط بين الرئيسين حافظ الأسد وصدّام حسين لعل وعسى يحدث ما يتمناه الملك حسين ويتمناه معه العرب من المحيط إلى الخليج.

ويأتي الحديث أيضاً بينما الآيات في إيران يدقون، وبعبصية هذه المرة، طبول هجوم جديد على العراق، وهو عادة الهجوم التقليدي الذي درج الآيات على أن يختموا به الأيام العشرة الأخيرة من شهر رمضان. وكأنما تكريم هذه الأيام وهذا الشهر هو رمي عشرات من الكتل البشرية في أتون الحرب، أما السلام وأما التفاهم وأما وقف القتال وأما طلب المغفرة من الله سبحانه وتعالى فإنها ليست الأمور المطلوب حدوثها وبالذات في أيام لها قدسيّتها. حاولت أن ألتقي برجل الدبلوماسية العراقية لأستوضح منه بعض المسائل ولأحاول الوقوف على حقيقة ما يجري بين مصر والعراق، وحقيقة ما يدور من مساعٍ من أجل التوفيق بين الحكّمين العراقي والسوري، وحول أمور متعلقة بالحرب وعما إذا كانت هنالك مفاجآت وكان الرد دائماً: الأستاذ طارق في إجتماع، أبو زياد توجّه إلى المطار، الأستاذ طارق سيسافر اليوم... ثم يتبين في اليوم التالي أنه لمجرد أن قام الملك حسين بزيارته القصيرة إلى بغداد بعد زيارة مماثلة قام بها إلى دمشق وهدفهما التوسط بين الرئيسين الأسد وصدّام فإن طارق عزيز توجه إلى الطائف وإلى الكويت في مهمة تتعلق بالوساطة المشار إليها، وهكذا لمدة أسبوع. ثم كرّرت المحاولة فجاءني الرد أن الأستاذ طارق توجّه إلى المطار لإستقبال زميله المصري الدكتور عصمت عبد المجيد، ثم جاءني رد لاحق بأن الأستاذ طارق منهمك في إجتماع مع الأمين العام للجامعة العربية الشاذلي القليبي الذي وصل من عمان ضمن جولة عربية ويريد أن يسمع رأي الرئيس صدام في بعض المسائل بعدما سمع تحليل الملك حسين وقبّل أن يستمع إلى وجهة نظر الرئيس الأسد، وبحيث عندما يتوجه إلى مكة المكرمة للإجتماع بالملك فهد بن عبد العزيز يكون لديه ما يكفيه لبلورة موقف يحدده وبشكل نهائي في شأن القمة التي كادت تنقعد ثم إنتكست في اللحظات ما قبل الأخيرة.

هذه كانت حالي في بغداد. كان لابد من أن نستمع إلى طارق عزيز ولكن «أبو زياد» في غاية

الإنشغال. وعندما أُتيح لي أن أسمع الكثير من الصديقين الدكتور عصمت عبد المجيد ثم من الأمين العام للجامعة خلال لقاء تحية لكل منهما - كلاهما كان ضيف العراق في فندق واحد ومع ذلك، وبكل أسف، لم يلتقيا - ضاعفت السعي من أجل بضع دقائق من وقت طارق عزيز. ثم فاجأني رجل الدبلوماسية العراقية بالقول: نتحدث في كل الأمور داخل الطائرة بعد الظهر.

وكانت لفظة تذكرها «التضامن» بالتقدير للأستاذ طارق عزيز. ذلك أن وكيل الخارجية الصديق نوري الويس أبلغني «أن السيد الوزير مسافر بعد ساعات إلى سويسرا في زيارة رسمية ويرى أن ترافقه في هذه الرحلة وتطرح ما يمكن طرحه من أسئلة عليه».

كان ذلك يوم الثلاثاء (3 حزيران/ يونيو 1986). وبعدما أفلعت الطائرة بدقائق بدأت الحديث مع طارق عزيز الذي لاحظت أنه يكثر من النظر من شباك الطائرة الرئاسية الخاصة التي أقلت الوفد المتوجه إلى سويسرا ثم القيام بعد ذلك بجولة أوروبية. وعندما إستفسرتُ منه إلى أي بقعة ينظر من النافذة أجاب انه يريد أن يريني من الجو «سد صدام» الذي يكاد يكون بالنسبة إلى العراق بأهمية السد العالي بالنسبة إلى مصر بدليل انه خلال خمس سنوات سيشكل نقطة أساسية على صعيد الإكتفاء الذاتي من الحبوب.

الضجة المصرية.. لماذا ومن وراءها؟

بداية الحديث كان حول الضجة المصرية في شأن بعض المحكومين بالإعدام من المصريين في العراق بتهمة التزوير، والتي بسببها جاء وزير الخارجية المصرية الدكتور عصمت عبد المجيد إلى بغداد حاملاً التمنيات بالألا يتم تنفيذ الإعدام بحق المحكومين، والتي بسببها أيضاً إتصل الرئيس حسني مبارك هاتفياً بالرئيس صدام، فإستقبل الرئيس العراقي الوزير المصري للمرة الثانية بعدما كان إستقبله وبكل الود بعد ساعات من وصوله.

ماذا يقول طارق عزيز في هذا الشأن؟

يقول: إن الرئيس صدام أبلغ الدكتور عصمت عبد المجيد عندما إستقبله في المرة الثانية أنه قد تم تخفيف أحكام الإعدام لأن الرئيس مبارك طلب ذلك. ولو أنه لم يطلب لكان الإعدام سيتم. ويستحق المحكومون الإعدام نتيجة ما إقترفته أياديهم.

وقلت للوزير طارق عزيز: يحمد المرء ربه أن النتيجة إنتهت إلى ذلك، وتم إجهاض محاولة عشت في القاهرة قبل أسبوعين بعض ملامحها وخلصتها أن هناك من يدبر من أجل «الإنفصال الثاني» في تاريخ الأمة بعد إنفصال سوريا عن الجمهورية العربية المتحدة. لقد إنتشرت ثم تضخمت في مصر حملة إشاعات وتعبئة هدفها تحقيق «الإنفصال الثاني» بالفعل. وعندما نلاحظ أن الحملة إستهدفت في الدرجة الأولى الرئيس صدام حسين على أساس أنه حامي المصريين في العراق ومحاميهم في الوقت نفسه، فهذا يوضح بما فيه الكفاية أن المسألة عميقة جداً وهدفها خلق شعور بأن الحامي والمحامي لم يعد كذلك، وأنه تبعاً لهذا «التبدل» فإن كل مصري سيكون معرضاً لـ «مخاطر» في العراق بعد الآن.

وأضفت أعرض بعض إنطباعاتي عن الأجواء التي لمستُها في القاهرة ومن مثقفين وسياسيين قائلاً: ويحمد المرء ربه على أن الأمر لم يعالج على مستوى مبعوثين أمنيين أو قضائيين وإنما عبر القناة الدبلوماسية وبالذات الدكتور عصمت عبد المجيد الذي تساهم رفته وعمق مشاعره القومية وصوته المعبر كثيراً، برغم أنه يكاد لا يسمع، في تهدئة ردود الفعل، وهي ساهمت بالفعل، وخصوصاً أن الحملة الإعلامية المصرية كانت مفتعلة وليست بريئة على الإطلاق.

وفي هذا الخصوص قال الأستاذ طارق وكانت الطائرة قاربت على إجتياز الأجواء العراقية بالقرب من محافظة نينوى وتستعد لدخول الأجواء التركية:

إن الحملة التي تشير إليها أخرجت من الأوكار بعض الأفاعي التي إستهدفت تسميم العلاقة الكثيرة الرقي والصادقة بين مصر والعراق، والتي هي مهمة جداً من أجل مصالح البلدين ومصلحة الأمة العربية بشكل عام. وهؤلاء الذين ثارت الضجة في مصر حولهم ليسوا من السذج والبسطاء وإنما هم جزء من عصابة كبرى لها وسطاء ومطابع وإستطاعت تزوير ألوف الجوازات والأختام التي تتيح لألوف المصريين نتيجة فتح أبواب العراق أمامهم أن يحترفوا التهريب كمهنة ويمعنون تخريباً في إقتصاد البلد. ونود في هذه المناسبة أن نسأل بعض إخواننا المصريين المحتجين: ما الذي يمنع من أن تؤذي وبشكل عملي هذه الجوازات المزورة أمن مصر وسمعتها، بل وربما إلصاق تهمة الإرهاب بها وبنا.

ويضيف الأستاذ طارق: إن ما يثير الشبهات هو أن الحملة المصرية كانت دفاعاً عن تجار عملة وربما بإيعاز منهم ولم تكن في رأينا من أجل بعض المصريين الذين إقترفوا جريمة التزوير. لكن في أي حال تبدو نسبة المنحرفين من إخواننا المصريين العاملين في العراق قليلة جداً. والذي نريد أن تفهمه القيادة المصرية هو أن أي تشجيع لمسلكية المنحرفين من خلال الإعتراض على معاقبتهم يبدو بمثابة غطاء لجرائم إرتكبوها في حق مصر والعراق معاً. وبعد الآن فإن الحزم ضروري وكذلك التوعية. وأجد نفسي أكرر بأن الرئيس صدام أخذ في الإعتبار تمنيات الرئيس حسني مبارك ورغبته في تخفيف الأحكام من الإعدام إلى المؤبد، لكن ذلك لن يكون بعد اليوم أمراً واقعاً. إن القانون هو القانون. ونحن على رغم نظرتنا إلى أن الغالبية الساحقة من المصريين العاملين في العراق هم من النوع الجيد الباحث عن لقمة العيش الكريمة، وعلى رغم أن العامل المصري له أفضلية حتى على العامل العراقي، إلا أننا لن نعطي حصانة دبلوماسية للمصريين الذين يأتون للعمل في العراق وسيتم تطبيق قوانين العراق التي تطبق على العراقيين أنفسهم.

وقلت للأستاذ طارق: قد يكون جوهر المشكلة أن التزوير في مصر جنحة بينما هو في العراق جريمة، وأن المصريين في حقبة الإنفتاح لكثرة ما يقرأون في صحفهم عن حالات التهريب والفساد والإثراء المفاجيء نتيجة حالات إستيراد المواد الفاسدة من دواجن وشاي ومعلبات أو نتيجة التوسع الأفقي والعمودي في مسألة إنتشار المخدرات.. قد تكون هذه الأمور هي السبب في أن البعض يستسهل أمر إقتراف الخطأ.

وقلت للأستاذ طارق أيضاً: أمس كنت أتحدث مع الدكتور عصمت عبد المجيد في هذا الموضوع ولاحظت كيف أنه متألم من هذه الضجة المفتعلة، وكيف أن الدولة المصرية كان يمكنها أن تحترم الإجراءات العراقية لولا أن هنالك من نجح في تحويل المسألة داخل مصر إلى قضية ذات شأن عظيم. والإحترام هنا كما أكد الدكتور عصمت هو إعتبار المسألة قضية عراقية. وفي الحديث مع الدكتور عصمت، الذي يحمى المرء ربه لأن الرئيس مبارك إختاره لهذه المهمة ولم يوفد مسؤولاً أمنياً مثلاً، أو مسؤولاً من النوعية التي يتسم أفقها ومفاهيمها بالحدة، أو أن البعد القومي عندها ليس من النوع الرحب... في خلال الحديث قلت للدكتور عصمت: ما دمتم تحكمون بالإعدام في مصر على مهربي المخدرات سواء كانوا عرباً أو أجنب، فلماذا يستكثرون الأمر الذي حدث في العراق حيث يعتبرون، نتيجة للحرب وظروفها الكثيرة القساوة، إن التزوير وتهريب العملة بالنسبة إلى العراق هو بخطورة تهريب المخدرات بالنسبة إلى مصر.

وقال الأستاذ طارق: إن مشاعر الدكتور عصمت هي جزء من نظرة التعامل السائدة بين القيادتين المصرية والعراقية. ولعل هذه النظرة هي التي جعلت الرئيس مبارك يستكر الضجة التي أثاروها في مصر، بل إنه حذر من عواقبها، وهي التي جعلت الرئيس صدام يبدي المشاعر الكثيرة الود تجاه أخيه الرئيس مبارك.

وقُلت للأستاذ طارق: لعل الرئيس صدام الذي يمتلك قدرة قراءة الإحتمالات بعقلية متمتزة فيها الفراسة بالتخطيط أراد تخفيف أحكام الإعدام على بعض المصريين المحكومين أن يجهض مخطط «الإنفصال الثاني». والحمد لله أنه نجح.

وقال الأستاذ طارق: ولكن بعد الآن سيتم إعدام من يحكم عليه بتهمة التزوير. هذا أمر لا جدال فيه.

حديث الوساطة مع سوريا وإحتمالات النجاح

ومن الحديث عن هموم المصريين العاملين في العراق والإهتمام بهم في الوقت نفسه، إنتقلنا إلى الحديث عن الوساطة بين العراق وسوريا. وقُلت للأستاذ طارق: جاء الملك حسين إلى بغداد وكان زار دمشق. وأوفدكم الرئيس صدام إلى الكويت والمملكة العربية السعودية. وهناك حديث هامس حول وساطة قد تكون مثمرة بينكم وبين سوريا يرافقها تلهف شعبي عربي لا مثيل له لكي تنجح. ما الذي يمكن أن ننشره نقلاً عن لسانكم في هذا الصدد؟

وأجاب الأستاذ طارق: إن مبادرة الملك حسين أخوية وكريمة. ولكننا نتساءل: ما الذي يجعل السوريين يرفضون الإجتماع بحضور الأردن كما إقترح الملك حسين. ولماذا يرفضون التجاوب مع لجنة تنقية الاجواء العربية التي يترأسها وليّ العهد السعودي الأمير عبدالله بن عبد العزيز ولماذا يصرون على أن يكون اللقاء أمنياً أحياناً أو بين وزيرَي الخارجية إنما على الحدود؟

وقُلت للأستاذ طارق: نحن الذين نود أن نسألكم عن السبب؟

وأجاب إن مثل هذا الإصرار على نوعية اللقاء من جانب السوريين يدل على أن النيات ليست حسنة من جانبهم. وأنا أعتقد أنهم يريدون الإجتماع على الحدود ويريدونه ثنائياً وذلك كي لا يعرف أحد ماذا نقول في هذا الإجتماع، بل وتحديداً ماذا يقولون.

وأضاف: إن فكرة الإجتماع الثلاثي بيننا وبينهم بحضور الأردن باركناها وأيدناها وشعرنا أنها يمكن أن تثمر على أساس أنه لابد من شاهد على الكلام بيننا. ولقد أوضحنا الأمر للملك فهد وللشيخ جابر الأحمد اللذين يحرص الرئيس صدام على التشاور معهما ويقدر فيهما تفهمهما للموقف العراقي.

وقُلت للأستاذ طارق: ولكنك تملك القدرة على تحويل الإجتماع الثنائي إلى إجتماع مثمر.

وأجاب: لكن ذلك يعتمد على نيات الطرف الآخر.

وقُلت. لا بد إن الوضع الآن يختلف وتختلف أيضاً الحسابات، ثم إن للإتحاد السوفياتي، على ما يقال، رأياً في أمر إستمرار هذا الخلاف بينكم وبين سوريا.

وأجاب الأستاذ طارق: السوفيات لا يقصرون في هذا الامر. والسوفيات الذين مارسوا بعض الضغط ورتبوا اللقاء الذي تم بيننا في آذار (مارس) الماضي، أدركوا بعدما أوضحنا لهم ما الذي جرى بيننا إن النيات السورية ليست حسنة.

وسألت: ما الذي جرى بينكم في ذلك الإجتماع وأوضحتم للإتحاد السوفياتي فحواه أو تفاصيله؟

أجاب: وضعوا على طاولة الإجتماع النغمة ذاتها، إما الوحدة أو يواصلون مساندة إيران في حربها العدوانية ضدنا.

قُلت للأستاذ طارق: ولماذا لا توافقون على الوحدة؟

أجاب: حتى إذا وافق العراق على الوحدة لن يتمسكوا بها. ثم هل إن أمر الوحدة يتم مرة بإجتماع بين أمنيين، ومرة بقاء على الحدود. انني آمل أن يتاح لي الوقت لأسجل تجربة ما حدث عام 1979 وعندها

سيعرف الرأي العام العربي مدى صدق النظام السوري في مسألة الوحدة.

السوفييات يحاولون ولكن

قُلت: هل تعتقد أن السوفييات مارسوا كل ما عندهم إزاء إقناع سوريا بتغيير موقفها من العراق؟

أجاب: السوفييات لهم أسلوبهم في ممارسة الضغط ولمجرد أن حدث إجتماع آذار (مارس) الماضي فهذا معناه أن الضغط حدث. ولا أعتقد أن السوفييات يقصرون عندما تتوفر القنوات لديهم، لكن ماذا تفعل بطرف لا يأخذ بتمنيات أصدقاء إستراتيجيين له سواء كان هؤلاء الأصدقاء عرباً أو غير عرب. هذا ما يفعله النظام السوري مع الأسف.

قُلت: ولكن السوفييات قادرون على أن يفعلوا شيئاً من أجل مصالح سورية - فلسطينية.

أجاب: المعلومات المتوافرة لدينا تشير إلى أن السوفييات أبلغوا عبد الحليم خدام وبشكل قاطع أن زعيم منظمة التحرير الفلسطينية تختاره منظمة التحرير.

قُلت للإستاذ طارق: إننا نشعر بأن في إستطاعة السوفييات أن يفعلوا أكثر مما فعلوه.

أجاب: قبل إجتماع آذار (مارس) الماضي وكنتمهيد للإجتماع أبلغنا وزير الخارجية السوفياتية أن اللقاء بمعنى التفاهم بين العراق وسوريا له أثره المهم على المصالح الإستراتيجية للإتحاد السوفياتي. ماذا سيقول السوفييات أكثر من ذلك.

قُلت: وهل إنكم بعد الإجتماع عرضتم النتائج على الجانب السوفياتي؟

أجاب: فعلنا ذلك وأبدوا تفهماً عميقاً لوجهة نظر العراق ولنياتنا الطيبة. وهذا التفهم من جانب السوفييات لوجهة نظرنا يحظى بالكثير من تقديرنا.

وسألت الأستاذ طارق: وماذا بالنسبة إلى تفهم الجانب العربي وتحديداً المملكة العربية السعودية

والكويت؟

وأجاب: في اللقاء الذي تم بيني وبين عبد الحليم خدام عام 1983 حدث الشيء نفسه. تعجيز بدل المنطق، وتعقيد بدل حُسن النيات، وتعنت مقابل مرونة متناهية من جانبي. وعندما أوضحت للأمير سعود الفيصل وزير الخارجية السعودية والشيخ صباح الأحمد وزير خارجية الكويت ما جرى بيني وبين عبد الحليم خدام في نيويورك سألتهما: هل هنالك ما تريان أن أفعله أكثر من ذلك. أنا مستعد. وأجابني الأمير سعود والشيخ صباح: والله إن ما قلته وما عرضته وما أوضحته أكثر من جيد يا أبو زياد.

هل التفاهم يوقف الحرب؟

وقُلت للأستاذ طارق: هل تعتقد أن الهدف من وراء الموقف السوري الذي تشير إليه هو أن تستمر

الحرب بينكم وبين إيران؟

والى ذلك هل في تقديركم انه إذا تفاهمت سوريا معكم فإن إيران ستوقف الحرب؟

أجاب: إن دور سوريا في قيام الحرب وفي إستمرارها كان دوراً رئيسياً جداً، لأن إيران ما كانت لتجرؤ على شن عدوان على دولة عربية لو لم يكن لها حلفاء عرب.

قُلت: ممن كان سيخاف الخميني؟

أجاب: لا بد أنهم كانوا في إيران سيحسبون ألف حساب إلى أن الدول العربية ستقف ضدهم من البداية. والذي ساعد على إستمرار الحرب هو أن تحالف سوريا وليبيا مع إيران حقق عنصر تغذية الحرب بتوفير

المستلزمات العسكرية من الدولتين العربيتين. إن سوريا وليبيا حققا لإيران الحصول على السلاح بنوعيه الغربي والشرقي. ونحن ندرك أن الدول الشرقية والغربية التي هي مصدر السلاح لإيران ما كان لها أن تبيع هذه الكميات الهائلة من الأسلحة مباشرة إلى إيران. لكن الذي حدث هو أن كلاً من سوريا وليبيا كانت تشتري السلاح الذي يتدفق بعد ذلك على إيران خصوصاً في السنوات الأولى من الحرب. والآن بعدما غاصت إيران في الحرب إلى الكتفين وبالذات بعد أعوام 1982 و1983 و1984 فإنها باتت غير قادرة على التراجع حتى إذا غيّرت سوريا موقفها. والنظام السوري يدرك تماماً أن أوراقه الآن أضعف مما كانت عليه في السابق، وبالتالي فإنه عندما يلوح بتغيير نمط العلاقة مع إيران لا يخسر خسارة كبيرة ويأمل أن يحقق ربحاً وبيعاً. فهو عندما كان الموقف عام 1982 مربحاً مع إيران أبرم إتفاقية البترول. لكن هذا البترول لم يعد يتدفق على سوريا، والأرباح التي جناها شحت ويحاول بدل الأرباح الشحيحة الحصول على مقابل عربي أو عراقي أو كليهما.

وفي تقديرنا ان النظام السوري لم يعد قادراً على أن يلعب «البوكر المستور» بعدما باتت كل الأوراق مكشوفة. وهذا ما قلّته لفاروق الشرع في موسكو ثم في تونس. لقد أوضحت له أن جميع الأوراق باتت مكشوفة وإذا فإن الحديث خارج هذه الحقيقة يصبح مضيقاً للوقت.

الثقة المفقودة والوساطة غير المقبولة

قلت للأستاذ طارق: ألا ترون أن الحُكم السوري عندما يطالب بالوحدة كشرط من أجل تحقيق التفاهم مع العراق فعلى أمل أن يمارس في الوقت نفسه دور الوسيط بينكم وبين إيران بالشكل الذي مارسه الملك حسين بينكم وبين سوريا، وعلى أساس أن الوحدة تقطع الطريق على الممارسات التي سادت طوال سنوات الحرب وتبدو مبرراً جيداً للمصالحة؟

وأجاب الأستاذ طارق: من يطالب بالوحدة يُفترض فيه أن يكون قدّم شيئاً. ما الذي قدّمه النظام السوري، هل قدّم غير قتل أبناء العراق برصاص سوري تم إطلاقه على صدورهم من بنادق إيرانية؟ إن الوحدة تتحقق عندما تدخل العلاقات في مدار هدف قومي. إن الإصرار على الوحدة من دون الأخذ في الاعتبار هذه البدهيات هو دليل على سوء النية. وتقديرنا أن النظام السوري سيحقق عن طريق الوحدة ما عجز عن تحقيقه بالوقوف إلى جانب إيران في حربها ضدنا. انه يريد أن يقتسم العراق كما إقتسموا مع جماعة إيران ببيروت الغربية مع الفارق أنهم بالنسبة إلى العراق يريدون الإقتسام من خلال الطرح الودودي. وفي تقديرنا أيضاً ان إيران، التي ليست مستعدة لتسليم النظام السوري ببيروت الغربية، لن تقبل بأن يكون هذا النظام الوسيط بينكم وبين العراق، إلا إذا كانت هنالك وراء الوساطة مؤامرة يخطط لها الطرفان. إن الإيرانيين إستخدموا (الرئيس) حافظ الأسد كحليف ولن يقبلوا به كوسيط.

قلت: وأنتم هل تقبلون بالرئيس الأسد وسيطاً بينكم وبين إيران؟

وأجاب: حتى الآن وفي ضوء تعاملنا مع النظام السوري وتجارب التعامل المريبة معه ومادام لا ينتقل من سوء النية إلى حُسن النية فإننا لا ننثق به كوسيط، وبالتالي فإننا لا نقبل به كوسيط. نحن ننثق بالملك حسين ولا نحب التعامل مع المقامرين.

قلت: وهل معنى ذلك أن مسعى الملك حسين لن يتحقق؟

وأجاب الأستاذ طارق: سنجتمع مع السوريين وعلى الحدود بعد العيد. لكن هل سيتبدل شيء من الموقف؟ لا نظن... إلا إذا أتوا هذه المرة وهم على شيء من حُسن النية الذي قد ينعكس على طبيعة أسلوب التخاطب بيننا وبينهم.

العلاقات مع فرنسا

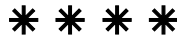
قُلْتُ للأستاذ طارق: بعدما وصل إلى الحُكْم كرئيس للوزراء صديقكم التاريخي جاك شيراك والذي تربطه علاقة وثيقة بالرئيس صَدَّام، إفترض كثيرون أن صيغة ميتران - شيراك مثالية لخطوات بالغة الأهمية من جانب فرنسا على أكثر من صعيد وبالذات لجهة ممارسة أنواع شتى من الضغوط لإنهاء الحرب. ثم حدث بعدما تسلم شيراك رئاسة الحكومة أن بدأت فرنسا تنتهج سياسة متوازنة لعلاقتها مع العراق وإيران فضلاً عن أن الخطوات المتوقعة لم يظهر لها أثر حتى الآن. ما الذي تقولونه في هذا الصدد؟

وأجاب: سأقوم يوم الإثنين (1986/6/8) بزيارة رسمية إلى فرنسا بدعوة من وزير الخارجية ألتي خلالها بالرئيس ميتران وبرئيس الوزراء جاك شيراك وهو أول لقاء لنا معه كرئيس للوزراء وسأنقل لهما تمنيات الرئيس صَدَّام وتحياته وتقديره للموقف الفرنسي الذي يتسم بالمصداقية مع العراق. وفي البداية ان الزيارة لم تكن رسمية وأن وزير الخارجية الفرنسية أبدى رغبة بأن أمرَ على باريس ما دمت في زيارة رسمية لسويسرا. وتديلاً على إهتمام فرنسا بالعراق فإن رئيس الوزراء جاك شيراك بعدما بلغه ما إقترحه وزير خارجيته أوصى بأن تكون الزيارة رسمية وتم توجيه دعوة في هذا المعنى وهي لفئة طيّبة من جانب رئيس الحكومة الفرنسية وموضع تقديرنا.

أما مسألة التوازن في العلاقة معنا ومع إيران فإن ما يمكن أن يقال في هذا الصدد هو أن الفرنسيين شرحوا لنا وبموضوعية تحركهم في إتجاه إيران ونحن تفهمنا ذلك ونأخذ في الإعتبار ان فرنسا دولة صديقة لكنها دولة لها مصالحها وأنه ما دامت هذه المصالح ليست على حساب العراق فما الذي سيزعجنا.

وقُلْتُ للأستاذ طارق: قياساً بما كانت عليه العلاقات في عهد حكومة فابوس الاشتراكية فإن الوضع أفضل بكثير، لكن وصول شيراك إلى الحُكْم هو الذي أشاع في النفوس، ونفوس العراقيين قبل غيرهم، أجواء من الإرتياح الكبير والآمال العريضة.

وأجاب: نحن في غاية الإرتياح لعلاقتنا مع فرنسا، ومن المؤكد أن الموقف الجيد من قِبَل الرئيس ميتران إزاء العراق بات أكثر جودة بعدما جاء إلى رئاسة الحكومة جاك شيراك الذي يجمعنا به حُسن التفهم في الدرجة الأولى. ومن المؤكد أن هذه العلاقات ستتطور يوماً بعد آخر نحو الأفضل.



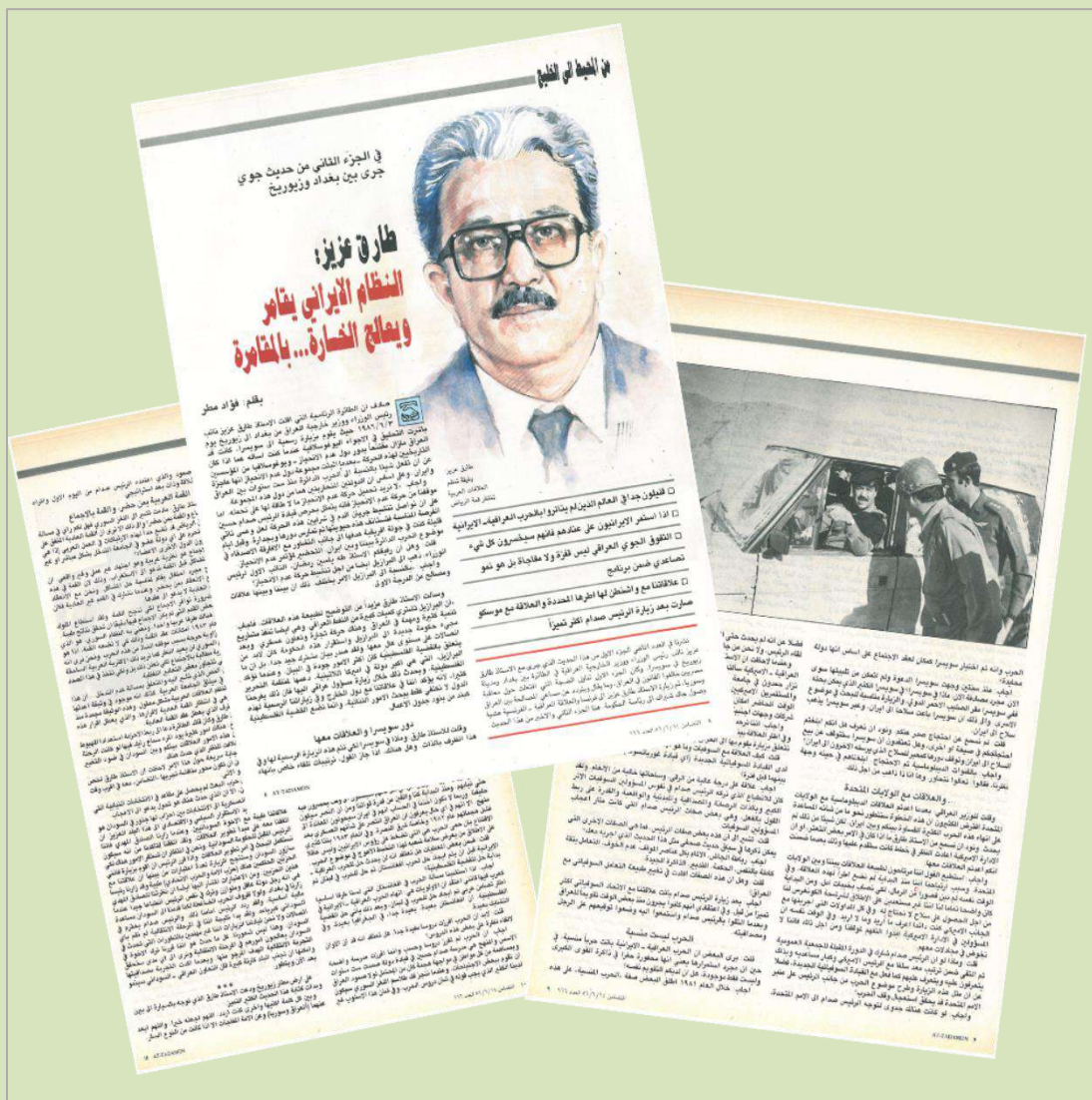
إنتهى الحديث مع رجل الدبلوماسية العراقية بعدما كانت الطائرة إجتازت أجواء ثلاث دول هي بلغاريا ويوغوسلافيا والنمسا وبدأت تقترب من الأجواء السويسرية.

وإذا كان الأستاذ طارق في حديثه وهو على الأرض متالفاً فإنه في حديثه الجوي هذا كان أكثر تألقاً ربما لأنه ليس هناك تحرُّك ومفاجآت واتصالات لمدة خمس ساعات على الأقل.

نُشر الحوار في مجلة «التضامن»

بتاريخ 7 يونيو/ حزيران 1986

حوار في الجو مع وزير الخارجية العراقية طارق عزيز (2)



في الجزء الثاني من حديث جوي جرى بين بغداد وزورخ طارق عزيز: النظام الإيراني يقامر ويعالج الخسارة... بالمقامرة

نشرنا في العدد الماضي من "التضامن" الجزء الأول من هذا الحوار الذي جرى مع الأستاذ طارق عزيز نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية العراقية في الطائرة بين بغداد ومدينة زيورخ في سويسرا. وكان الجزء الأول تناول الضجة التي إفتعلت حول معاقبة مصريين خالفوا القانون في العراق، وما يقال ويتردد عن مساعي المصالحة بين العراق وسوريا، ثم زيارة الأستاذ طارق عزيز إلى فرنسا والعلاقة العراقية - الفرنسية عشية وصول جاك شيراك إلى رئاسة الحكومة. هنا الجزء الثاني والأخير من هذا الحديث:

صادف أن الطائرة الرئاسية التي أقلت الأستاذ طارق عزيز نائب رئيس الوزراء ووزير خارجية العراق من بغداد إلى زيورخ يوم 1986/6/3 حيث يقوم بزيارة رسمية إلى سويسرا، كانت قد باشرت التحليق في الأجواء اليوغوسلافية عندما كنت اسأله عما إذا كان العراق ما زال مقتنعاً بدور دول عدم الإنحياز - ويوغوسلافيا من المؤسسين التاريخيين لهذه الحركة - بعدما أثبتت مجموعة دول عدم الإنحياز أنها عاجزة عن أن تفعل شيئاً بالنسبة إلى الحرب الدائرة منذ ست سنوات بين العراق وإيران، وعلى أساس أن الدولتين المتحاربتين هما من دول هذه المجموعة.

وأجاب: لا نريد تحميل حركة عدم الإنحياز ما لا طاقة لها على تحمّله. أما موقفنا من حركة عدم الإنحياز فإنه يتمثل بحرص قيادة الرئيس صدام حسين على أن نواصل تنشيط جريان الدم في شرايين هذه الحركة لعل وعسى تأتي الفرصة المناسبة فتستأنف هذه حيويتها ثم تمارس دورها وبجدارة. وقبل أيام قليلة كنت في جولة أفريقية هدفها إلى جانب التشاور مع الأفارقة الأصدقاء في موضوع الحرب الدائرة بيننا وبين إيران، التحضير لمؤتمر عدم الإنحياز.

قلت: وهل أن رفيقكم الأستاذ طه ياسين رمضان، النائب الأول لرئيس الوزراء، ذهب إلى البرازيل أيضاً من أجل تنشيط حركة عدم الإنحياز؟

وأجاب: بالنسبة إلى البرازيل الأمر يختلف. ذلك أن بيننا وبينها علاقات ومصالح من الدرجة الأولى.

وسألت الأستاذ طارق مزيداً من التوضيح لطبيعة هذه العلاقات، فأجاب:

إن البرازيل تشتري كميات كبيرة من النفط العراقي. وهي أيضاً تتفّذ مشاريع تنمية كثيرة ومهمة في العراق. وهناك حركة تجارة وتعاون عسكري. وبعد مجيء حكومة جديدة إلى البرازيل وإستقرار هذه

الحكومة كان لابد من إتصالات على مستوى عالٍ معها. ولقد صدر بيان مشترك جيد جداً، بل إن ما يتعلق بالقضية الفلسطينية كان أكثر الأمور جودة في البيان. وعندما تؤكد البرازيل، التي هي أكبر دولة في أميركا اللاتينية، دعمها لمنظمة التحرير الفلسطينية، ويحدث ذلك خلال زيارة مسؤول عراقي إليها فإن ذلك يفرحنا كثيراً، لأنه يؤكد إننا في علاقاتنا مع دول الخارج وفي زيارتنا الرسمية لهذه الدول لا نكتفي فقط ببحث الأمور الثنائية، وإنما نضع القضية الفلسطينية كبند من بنود جدول الأعمال.

دور سويسرا والعلاقات معها

وقُلت للأستاذ طارق: وماذا في سويسرا لكي تتم هذه الزيارة الرسمية لها وفي هذا الظرف بالذات. وهل هنالك، إذا جاز القول، ترتيبات للقاء خاص بإنهاء الحرب وأنه تم إختيار سويسرا كمكان لعقد الإجتماع على أساس أنها دولة محايدة؟

أجاب: منذ سنتين وجهت سويسرا الدعوة ولم أتمكن من تلبيتها سوى الآن. مجرد مصادفة الآن. ماذا في سويسرا؟ في سويسرا الكثير الذي يمكن بحثه ففي سويسرا مقر الصليب الأحمر الدولي، والزيارة مناسبة للبحث في موضوع الأسرى. وإلى ذلك إن سويسرا باعت سلاحاً إلى إيران، وعبر سويسرا يذهب سلاح إلى إيران. قُلت: لم نسمع عن احتجاج صدر عنكم. ونود أن نعرف هل أنكم أبلغتم احتجاجكم في صيغة أو أخرى، وهل تعتقدون أن سويسرا ستتوقف عن بيع السلاح إلى إيران وتوقف دورها كمغبر للسلاح الذي يرسله الآخرون إلى إيران؟

وأجاب: بالقنوات الدبلوماسية تم الاحتجاج. أبلغناهم في حينه وجهة نظرنا، فقالوا: تعالوا نتحاور. وها أنا ذاهب من أجل ذلك.

... والعلاقات مع الولايات المتحدة

وقُلت للوزير العراقي: بعدما أعدتم العلاقات الدبلوماسية مع الولايات المتحدة إفترض الكثيرون أن هذه الخطوة ستتطور نحو ما من شأنه المساعدة على إنهاء هذه الحرب الكثيرة القساوة بينكم وبين إيران. لكن شيئاً من ذلك لم يحدث. ونود أن نسمع من الأستاذ طارق ما إذا كان في الأمر بعض التعثر، أو أن الإدارة الأميركية أعادت النظر في خطط كانت ستقدم عليها وذلك بعدما ضمنت أنكم أعدتم العلاقات معها.

وأجاب: أستطيع القول إننا مرتاحون لطبيعة العلاقات بيننا وبين الولايات المتحدة. وسبب إرتياحنا أننا منذ البداية لم نضع أطراً لهذه العلاقة، وفي الوقت نفسه لم نبن قصوراً من الرمال، لكي نصاب بخيبات أمل. ومن البداية كان واضحاً تماماً لنا إننا غير مستعدين على الإطلاق لشرشة الكونغرس لنا من أجل الحصول على سلاح لا نحتاج له. وفي كل المداولات التي أجريتها مع الجانب الأميركي كنت دائماً أعرف ما أريد وما لا أريد. وفي الوقت نفسه إن المسؤولين في الإدارة الأميركية أبدوا التفهم لموقفنا ومن أجل ذلك فإننا لا نخوض في مجادلات معهم.

قُلت: وماذا لو أن الرئيس صدام شارك في الدورة المقبلة للجمعية العمومية ثم التقى ضمن ترتيب معد سلفاً مع الرئيس الأميركي وكبار مساعديه وبذلك يتعرفون عليه ويتعرف عليهم كما فعل مع القيادة السوفياتية الجديدة، فضلاً عن أن مثل هذه الزيارة وطرح موضوع الحرب من جانب الرئيس على منبر الأمم المتحدة قد يحقق إستعجال وقف الحرب؟

وأجاب: لو كانت هنالك جدوى لتوجه الرئيس صدام إلى الأمم المتحدة، فضلاً عن أنه لم يحدث حتى الآن أن عبر المسؤولين الأميركيين عن رغبتهم في لقاء الرئيس، ولا نحن من جانبنا أبدينا رغبة مماثلة.

وعندما لاحظت أن الأستاذ طارق ليس ميالاً إلى قول الكثير في شأن العلاقات العراقية - الأميركية سألتته

عما تعنيه تصريحات سفيركم في واشنطن الأستاذ نزار حمدون في جامعة «نافس» قبل أيام أمام مجموعة من رجال الأعمال والمستثمرين الأميركيين، وبالتحديد قوله، إن الحكومة العراقية تدرس في الوقت الحاضر إمكان السماح بالمشاريع الإنتاجية المشتركة بالتعاون مع شركات وجهات أجنبية؟

وأجاب: إننا نرحب بالشركات الأميركية الراغبة في تنفيذ مشاريع في العراق. وفي إطار العلاقة بيننا، والتي حددناها لتكون على مستوى وزاري، هنالك خطط تتعلق بزيارة يقوم بها إلى العراق وزير التجارة الأميركي.

قُلت: كيف العلاقة مع السوفيات وما هو الإنطباع الذي تركه الرئيس صدام لدى القيادة السوفياتية الجديدة (أي قيادة غورباتشوف) عندما تم اللقاء بينهما قبل فترة؟

أجاب: علاقة على درجة عالية من الرقي، وساحاتها خالية من الألغام. ولقد كان للإنطباع الذي تركه الرئيس صدام في نفوس المسؤولين السوفيات الأثر الكبير وبالذات الرصانة والمصادقية والمبدئية والواقعية والقدرة على ربط القول بالفعل، وهي بعض صفات الرئيس صدام التي كانت مثار إعجاب المسؤولين السوفيات.

قُلت: تشير إلى أن هذه بعض صفات الرئيس، فما هي الصفات الأخرى التي يمكن ذكرها في سياق حديث صحفي مثل هذا الحديث الذي أجريه معك؟

أجاب: رباطة الجأش، الإلمام بكل عناصر الموقف، عدم الخوف، التعامل بثقة كاملة بالنفس، الحكمة، التدبير، الذاكرة الجيدة.

قُلت: وهل أن هذه الصفات أفادت في تغيير طبيعة التعامل السوفياتي مع العراق؟

أجاب: بعد زيارة الرئيس صدام باتت علاقتنا مع الاتحاد السوفياتي أكثر تميزاً من قبل. وفي اعتقادي أنهم كانوا يجرون منذ بعض الوقت تقويماً للعراق وبعدما إنلقوا بالرئيس صدام وإستمعوا إليه وضعوا توقيعهم على الرجل ومصادقته.

الحرب ليست منسية

قُلت: يرى البعض أن الحرب العراقية - الإيرانية باتت حرباً منسية، في حين أن مجرد استمرارها يعني أنها محفورة حفراً في ذاكرة القوى الكبرى وليست فقط موجودة، هل أن لديكم التقويم نفسه؟

أجاب: خلال العام 1981 أطلق البعض صفة «الحرب المنسية» على هذه الحرب، وفي تقديري أن ذلك كان فقط بهدف الإثارة. صحيح أن هذه الحرب ليست حرب القوى الكبرى بصورة مباشرة، وهذا بالتالي يقلل من صداها الدولي وحساسيتها الدولية. وصحيح إن حرباً في العالم الثالث بين دولتين من دوله لا تعني بالضرورة أن أيّاً من الدولتين يحارب بالنيابة عن القوتين العظميين... صحيح أن ذلك هو واقع الحال، إلا أن حرباً دخلت سنتها السادسة تولّد الكثير من الإهتمام والقلق لأطراف كثيرة، وأعتقد أن غير المتأثرين بالحرب العراقية - الإيرانية قليلون جداً في العالم، وهذا معناه أنها ليست حرباً منسية على الإطلاق، أو أنها منسية فقط لدى من لا قدرة لهم على الإستفادة منها أو الذين لا قدرة لهم على المساعدة في ما من شأنه محاصرة نارها. وإذا كان هنالك من هو غير قادر على القيام بنشاط فعال لمحاصرة نار الحرب، إلا أن ذلك لا يعني أنها ليست من الموضوعات الجوهرية التي تشغل بال الملايين في طول العالم وعرضه. وإلى ذلك هنالك الإقتناع التام بأن منطقة الخليج والشرق الأوسط لن تهدأ على الإطلاق ولن يستتب الأمن فيها إذا كانت هذه الحرب لن تتوقف.

التعامل مع حرب طويلة المدى

قُلت: هل إن الحرب تجاوزت بكثير تقديراتكم لها على صعيد الإستمرار؟

أجاب: في تقدير الجميع إن الحرب تجاوزت الزمن الذي كان يجب أن تنتهي فيه، وهذا عائد إلى أن الإيرانيين يتعاملون مع هذه الحرب بمنطق المعاند. ومن جانبنا فإننا لم نتعامل مع الحرب في أي مرحلة من مراحلها على أنها حرب قصيرة الأمد. منذ البداية عرفنا أنها طويلة الأمد، أما كم من الأشهر أو من السنوات ستستغرق فإننا لم نأخذ ذلك في الاعتبار. ولو أن نظرتنا لها كانت أنها حرب قصيرة الأمد ويجب ألا تستغرق السنوات الطويلة لكننا فوجئنا بالفعل أنها طالت.

قُلت: وهل في هذا الإطار يمكن النظر إلى التصريحات التي كان يدلي بها بعض المسؤولين في الدولة العراقية ويقولون فيها ما معناه إن العراق مستعد لحرب تستغرق 50 سنة أو مائة سنة؟
أجاب: من الممكن افتراض ذلك.

قُلت: وفي الإطار نفسه ما هو السر في هذه المفاجأة التي قَدّمها العراق والمتمثلة بالقوة الجوية التي فاقت قدرتها كل التوقعات؟

أجاب: هذه القدرة للقوة الجوية ليست قفزة وليست مفاجأة، وإنما هو نمو تصاعدي ضمن البرنامج الذي تم الإعداد له خلال سنوات طويلة وسيستمر.

قُلت: هل في تقديرك أن هنالك سنة سابعة من الحرب، وهل أن العراق مطمئن إلى أنه قادر على كسر الحلقات الصعبة في هذه الحرب؟

أجاب: إذا استمر الإيرانيون على عنادهم سنة أخرى فإنهم سيخسرون كل شيء. إن النظام الإيراني بات مثل المقامر الذي يخسر ويعالج الخسارة بالمزيد من المقامرة بدل أن يرتضي بالقليل الذي خسره ثم يعود إلى المقامرة من جديد ويظل يخسر ويخسر ويخسر إلى أن يصل إلى حافة الإفلاس. كذلك إنهم إذا كانوا في إيران سيواصلون رفض أي حل فإنهم سيصلون إلى وقت يخسرون فيه حتى ثيابهم. ومنذ البداية كنا واثقين من قدرة قواتنا ومن أن النصر سيكون حليفنا. وربما لا نكون أخذنا في الحساب أنهم في إيران سيحاولون المعاندة إلى منهج. إلا أنهم في أي حال يعرفون أن العراق إنتصر على شأنهم العسكري بعد فشل هجماتهم عام 1982 وخاصة شرق البصرة. وفي العام 1983 بتنا كثيري الإقتناع بأن حُمي الحرب هي التي تضغط على رؤوس الإيرانيين وليس عاقلاً على الإطلاق من يعرض سلامة شعبه لهذا التخبط الأهوج في موضوع الحرب.

قُلت: ضمن بعض المعطيات هل تعتقد أنه لن يحدث حل للحرب العراقية - الإيرانية قبل أن يتم إيجاد حل لحرب أفغانستان ثم حل للحرب في لبنان ثم بداية حل للقضية الفلسطينية؟

أجاب: إذا إستثنينا مسألة الحرب في أفغانستان التي لسنا طرفاً أساسياً كعرب فيها فإنني أعتقد أن الأولويات هي إنهاء الحرب العراقية - الإيرانية في إطار تضامن عربي ثم إيجاد حل للحرب في لبنان، وبعد ذلك يأتي حل القضية الفلسطينية. إن أفغانستان بعيدة. بعيدة جداً، في الجغرافيا بعيدة، وفي التشابك بعيدة.

قُلت: لا بد أن الحرب أفرزت دروساً مفيدة جداً. هل تعتقد أنه قد آن الأوان لإلقاء نظرة على بعض هذه الدروس؟

أجاب: إن الحرب لم تفرز دروساً وحسب وإنما أفرزت مدرسة واضحة الأسس والمنهج هي مدرسة صدام حسين في قيادة دولة صمدت ست سنوات وبمساهمة من كل مواطن في مواجهة هجمة كان من المحتمل لولا صمود العراق أن تقوم ببعض الإجتياحات. وعندما ننجز فك طلاسم للغز السوري سيكون لدينا الكثير الذي يجب قوله في

شأن دروس الحرب، وفي شأن هذا الأسلوب غير المطروق للصمود والذي إعتدته الرئيس صدام من اليوم الأول وأثراه بإبتكارات خلاقة وذات بُعد إستراتيجي.

القمة العربية بمن حضر، والقمة بالإجماع

قُلت للأستاذ طارق: ما دمت تشير إلى اللغز السوري فهل لكم رأي في مسألة القمة بالإجماع والقمة بمن حضر؟ وإلى ذلك ألا ترى أن القمة العادية المتفق على أمر عقدها في الرياض قد تضيع حداً لهذه الإرتباكات في العمل العربي إذا هي أقرت وثيقة تحرم على أي دولة عضو في الجامعة التدخل بشكل مباشر أو غير مباشر في شؤون الدول الأخرى الأعضاء؟

أجاب: الإجماع هو نظرية عربية وهو إجتهد غير عملي وغير واقعي. إن نظرية حل المشاكل قبل القمة تدعو إلى الإستغراب، وذلك لأن القمة في هذه الحال تصبح مجرد إحتفال يقام لمناسبة حل المشاكل. ونحن مع الإنعقاد السنوي ومع الإنعقاد بمن حضر، وعندما نشارك في القمم غير العادية فلأن صاحب القمة العادية لا يدعو إلى عقدها.

وليس بالضرورة توافر الإجماع لكي تنجح القمة ولقد إستطاع الملوك والرؤساء في بعض القمم التي لم يكن الإجماع فيها دقيقاً أن تحقق نتائج طيبة وعملياً إن هنالك طرفاً عربياً واحداً، ونعني به النظام السوري، هو الذي يعطل منذ العام 1983 إمكانات عقد القمة وذلك كي لا تضعه القمة، إذا هو شارك فيها، في زاوية حرجة بسبب موقفه الشاذ من هذه الحرب. ونحن نرى إنه إذا كان النظام السوري لن يعيد النظر كما تريد ذلك الأكثرية العربية الساحقة فإن هذه الأكثرية مطالبة بالإجتماع لكي تعلن ذلك بل ولكي تتخذ في هذا الصدد الإجراءات التي تتجاوز بعض التعابير اللفظية.

وإلى ذلك ان النص الذي تشير إليه والمتعلق بمسألة عدم التدخل... ان هذا النص موجود في ميثاق الجامعة العربية. كذلك إنه موجود في وثيقة أعدتها الجامعة وهي تنظم العلاقات العربية بشكل معقول. وهذه الوثيقة مجمدة منذ عدة سنوات وهي في إنتظار القمة العادية لإقرارها. والذي يعطل إقرار هذه الوثيقة هو الطرف الذي يعطل عقد القمة العادية.

قُلت للأستاذ طارق وكان قائد الطائرة دعا إلى ربط الأزمات إستعداداً للهبوط في مطار زيوريخ: هنالك أمور كثيرة يود المرء سماع رأيك فيها لو كانت الرحلة أطول. ومن بين هذه الأمور العلاقات بينكم وبين السودان في ضوء التغيير الديمقراطي اللافت للإنتباه الذي حدث هناك.

ومن خلال إجابة سريعة حول هذا الأمر لاحظت أن الأستاذ طارق لخص النقاط التي يمكن أن تكون محور مناقشة تجربها «التضامن» معه في أقرب وقت ممكن، على النحو الآتي: بالرغم من أن حزب البعث لم يحصل على مقاعد في الإنتخابات النيابية التي جرت في السودان، إلا أن الذي حدث هناك هو تحوّل يدعو إلى الإعجاب.

فالإنتقال من العسكرية إلى الإنتخابات بين أحزاب لها جذور في السودان هو في نظرنا أمر يعيد الإستقرار السياسي والإقتصادي إلى هذا البلد العزيز. إن علاقتنا طيبة مع الأخوة السودانيين. وعندما زارنا الصادق المهدي فإننا إتفقنا معه على مبدأ تطوير العلاقات. ولقد إتفقنا لتأكدنا من أنه سيكون الرئيس المقبل للحكومة السودانية. ونحن في إنتظار أن تستقر الأمور هناك لكي نستكمل البحث في أمر تطوير العلاقات. وإذا قرر الرئيس أن أقوم بزيارة فإنني سأزور السودان وستنجز الزيارة لعدة إعتبارات من بينها أن علاقتنا مع الحزبين الحاكمين هناك

(حزب الأمة والحزب الإتحادي) طيبة وقد زارنا رئيسا هذين الحزبين. ومن الإعتبارات المشار إليها أيضاً أن نظرتنا للصادق المهدي هي أنه رجل دولة عاقل ومتوازن وترك في نفس الرئيس إنطباعاً جيداً عندما زارنا في بغداد. ولولا ظروف الحرب الضاغطة لكنا قدّمنا إلى السودان مساعدة مالية أساسية. ولقد ردد الرئيس أماننا ذلك. والرئيس صدام يحترم في السوداني كبرياءه. ولقد بدا نتيجة أننا في المرحلة الإنتقالية لم نقم بأي إتصالات ولا نحن تبادلنا الزيارات أننا غير مهتمين بالتطورات التي تحدث في السودان. وهذا ليس شعورنا. كل ما حدث هو أننا قررنا ترك الأخوة في السودان يعالجون أمورهم في المرحلة الإنتقالية ونرى إلى أي مدى ستحقق التجربة الإنتقالية الهدف المرجو منها. وبعدما أكدت التجربة مصداقيتها وأمكنها أن تجنّب البلد كارثة كبيرة فإن التعاون العراقي - السوداني سينمو بعد الآن ويتطور.

* * * *

على أرض مطار زيوريخ ودعّ الأستاذ طارق الذي توجه بالسيارة إلى بيرن وبدأت كتابة هذا الحديث الحواري الكثير التميز. وبين كل كلمة أكتبها وأخرى كنت أردد: اللهم إجعله خيراً. واللهم أبعد عنهما (العراق وسوريا) وعن الأمة المفاجآت... إلّا إذا كانت من النوع السار.

نُشر الحوار في مجلة «التضامن»

بتاريخ 14 يونيو/ حزيران 1986

حوار الساعتين

مع وزير الخارجية العراقية طارق عزيز (3)



في حديث عن الحرب والسلام طارق عزيز... لـ «التضامن»: نحتفظ بحقنا في طلب قوات عربية



طارق عزيز نائب رئيس وزراء العراق ووزير الخارجية خلال إستقباله فؤاد مطر... ثم خلال إجراء الحديث

لكل حديث مع طارق عزيز نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية في العراق نكهة. ودائماً عند رجل الدبلوماسية العراقية الكثير لكي يقال ويُنشر، خصوصاً وسط هذه الظروف التي تمتزج فيها المعلومات بالإنجتهادات حول الوضع الناشئ عن إرتفاع صيحات التهديد الإيرانية ورجحان كفة التهويل على كفة الحقائق الموضوعية.

وقبل أن أتوجه إلى مكتب الأستاذ طارق عزيز في المبنى المؤقت للخارجية العراقية كانت لي جولات في الأفق حول مسار الحرب وتطوراتها مع أحد السفراء الخليجيين، وهو من النوع الكثير المتابعة والحريص على الإستئناس عند التحليل بالوقائع التاريخية وما يتعلق منها بالحضارات. كذلك كانت لي مناقشة مع واحد من الذين تسمح لهم خبرتهم وسعة أفقهم وإطلاعهم وإلمامهم، الكثير الدقة، بشخصية الرئيس صدام على رغم أنه ليس في موقع ممارسة المسؤولية.

وفي حين إنتهى السفير الخليجي في تحليله إلى خلاصة مؤداها «إن العرب هو العراق» فإن الشخصية الأخرى التي أشرت إليها قالت إن الأمر الذي يجب أن يأخذه كثيرون في الإعتبار هو أنه لا مجال للمناورة مع الرئيس صدام حسين، وفي الوقت نفسه فإنه هو إختار أن يكون في الهواء الطلق مع شعبه ومع الآخرين، كذلك قالت هذه الشخصية، إنه إذا كان هنالك من العرب من يفترض بأنه قد يسلم من إيران إذا أصيب العراق بسوء منها فإنه يخطيء، لأن الخنجر الإيراني سيذبح الجميع إذا هو إستطاع أن يذبح العراق. وإلى ذلك إن هذه الشخصية تعتقد أن ضرب العراق يعني إتاحة الفرصة أمام الجماعات الدينية لتكون هي البديل وأنه - تضيف الشخصية - يخطيء الذين لا يقفون مع تصوّر الرئيس صدام لطبيعة الصراع العراقي - الإيراني الذي هو في الواقع صراع عربي - فارسي.

وإنتهت الشخصية إلى القول: إن صدام حسين صمّم حياته على أساس أنه قائد دولة وبهذا الفهم يمكن النظر إليه.

في بداية اللقاء مع طارق عزيز قُلت له: من حُسْن الصدف بالنسبة إلى صحفي هو أن هذا اللقاء معه يتم (جرى اللقاء يوم 2- 11- 1986) في يوم تنعقد فيه في أبوظبي، وعلى ساعتين بالطائرة من بغداد، القمة السابعة لدول مجلس التعاون الخليجي وذلك لكي نسألكم عما هو مؤمل من هذه القمة، وهل أن جولات المبعوثين العراقيين الأخيرة على دول الخليج كانت للتشاور في أمور تودون لو تتم مناقشتها في القمة؟

وأجاب: الجولات التي قمنا بها، في الآونة الأخيرة، لبلدان الخليج لا تتعلق مباشرة بالقمة. فهذه ليست القمة الأولى التي تُعقد والمنطقة تتعرض إلى نزيف خطير. ولم يسبق لنا أن تدخلنا في عملية التمهيد للقمة ولكننا رغبتنا في هذه الظروف بالذات في أن نطلع إخواننا في منطقة الخليج على تحليلنا للموقف الراهن وتصوراتنا لما ينبغي عمله.

ماذا نأمل من القمة المنعقدة الآن؟ (جرى الحديث في اليوم الأول لإنعقاد القمة) أعتقد أن دول الخليج التي تحدثنا لديها ففي الآونة الأخيرة تتفهم الموقف بشكل يقترب من فهمنا. هذا ما سمعناه ولمسناه في محادثاتنا معهم. أما كيف سيتم التعبير عن هذه المسألة فالأمر متروك للأخوة الخليجيين ليتصرفوا فيها كما يرون. المهم هو أن لا يظهر في التعبير عن الموقف الخليجي ما يمكن أن يفسّر، ولو بالظاهر، على أن هناك تباعداً أو إختلافاً في الموقفتين الخليجي والعراقي، أو أن هنالك ثغرة. من الناحية العملية لم يوجد مثل هذا الأمر في الماضي، ولكن الناحية الشكلية أعطت بعض التصريحات والمواقف السابقة مثل هذا الإنطباع الذي خلق تشويشاً في الرأي العام في المنطقة وعلى الصعيد الدولي وحاولت إيران أن تستغله لمصلحة مخططاتها في التفرقة بين العراق ودول الخليج. إنني أؤكد أنه من الناحية العملية لم يكن هناك شيء من هذا النوع. والمطلوب هو أن يتطابق الشكل مع المضمون لكي نستبعد أي تشويش وأي إستغلال مشابه.

الشرح الذي يبدد القلق

قُلت: الأسبوع الماضي كنت في عمان وسمعتُ من المسؤولين الأردنيين تحليلاً لموضوع الحرب قائماً بعض الشيء. وبعدما زار الملك حسين بغداد وقرأنا له برقيته التي وجَّهها إلى الرئيس صدام حسين عند مغادرته بغداد لاحظتُ شخصياً أن تغييراً جذرياً طرأ على التحليل، خصوصاً أن برقية الملك تضمنت القول: «إن موقفكم البطولي الصامد الذي شرحتموه لنا بالتفصيل عزز إعتقادنا بقدرة العراق البطولية على سحق المعتدي وتحقيق النصر». إلى أي مدى يبدو المسؤولون العرب ملمين تماماً بحقائق الوضع بالنسبة إلى الحرب؟ وهل أفادت جولاتكم ثم جولة رفيقكم سعدون شاكر على دول الخليج في هذا السبيل؟ وهل أردتم أن تُبلغوا قمة دول التعاون بعض الأمور عن طريق حكام هذه الدول، حاكماً حاكماً؟

وإلى ذلك أليس من حق المواطن العربي العادي أن يسمع هو الآخر الشرح الذي يبدد قلقه على العراق أم أن الأمر يقتصر على أهل القرار فقط؟

وأجاب: لكي أكون صريحاً ودقيقاً في هذا الشأن أقول إننا تعرضنا، قبل بضعة أشهر على وجه التحديد، إلى حملة واسعة للتشكيك في قدرة العراق على مواجهة التهديد الإيراني الذي أعلن عنه منذ أشهر بالقول ان إيران تستعد لما سُمي بـ «عام الحسم» وتحشد لذلك أرقاماً خرافية من البشر. هذه الحملة إنعكست في الصحافة الغربية وفي تقارير أجهزة المخابرات وفي الصالونات السياسية. ويحدث في بعض الأحيان أن إخواننا العرب يتأثرون بها بقدر أو بآخر. نحن فضّلنا إزاء تلك الحملة أن نركز على الفعل، وهذا هو منهج الرئيس صدام حسين المركزي التركيز على الفعل وبعد إنجاز الفعل يجري التوضيح لأن التجربة العربية عبر عشرات من

السنين لم تعط المصادقية فيه للقول. القول وحده والشرح وحده لا يكفي، وإنما يجب أن نثبت على أرض الواقع ما نريد إثباته ومن ثم نشرح ذلك للأخوة وللعالم. وبعدما أنجزنا برنامجنا للتصدي لإحتمال العدوان الإيراني هذا بحجمه المبالغ فيه الذي أعلنه المسؤولون الإيرانيون، أي أننا تهيأنا لما يسميه الرئيس صدام حسين بـ «أسوأ الاحتمالات» أنجزنا ذلك. وكان من الواجب أن تبدأ عملية الشرح. وفي لقائنا مع إخوتنا في دول مجلس التعاون قمنا بشرح الموقف كما نراه. وقد تكرم جلالته الملك حسين بزيارة العراق لكي يطلع، كما يفعل دائماً، بشكل مباشر ومن أخيه وصديقه الرئيس صدام حسين على الموقف. وقد إطلع وإطمأن تمام الإطمئنان. وأعتقد أن أشقاءنا وأصدقاءنا الحريصين على العراق مطمئنون الآن وواقفون بقدرتنا على مواجهة أي عدوان إيراني قادم وعلى سحقه، كما ذكر جلالته الملك في رسالته. أما بالنسبة إلى حق المواطن العربي في معرفة الحقيقة فإننا نعلن قدراتنا ولكن المواطن العربي مواطن مجرب وذكي وهو لا يأخذ الكلام على مظهره، حتى بالنسبة إلينا على رغم ما أثبتناه من مصداقية في تعاملنا معه. ففي كل حالة يريد أن يتأكد بالملمس وأعتقد إننا بعد أن أكدنا بالملمس قدرتنا على مواجهة العدوان الإيراني فإن المواطن العربي المتابع للوضع والمهتم يشعر بالقدر نفسه من الإطمئنان الذي يشعر به المسؤولون الذين تعرفوا على الحقيقة.

تأجيل الغارات على الأهداف الاقتصادية!

قلت: لو أن هذه الغارات على الأهداف الاقتصادية الإيرانية حدثت في البداية.. فهل أن تلك الأهداف، الحرب كانت ستطول؟ وما هي الحكمة من جانب القيادة العراقية في أن ضرب تلك الأهداف، بدءاً من بعض المجمعات في جزيرة خرج والمصافي وبعض الصناعات الإستراتيجية التي تغذي في معظمها الحرب، تأخر حوالى خمس سنوات. هل أن ذلك نتيجة حسابات دولية وإقليمية أم لأن العراق كان في إنتظار توافر الطائرات والطارين.. لا أكثر؟

وأجاب: هذه المسألة كانت موضع تساؤل في الأشهر الأخيرة بحكم سفري الكثير كوزير للخارجية ولقائي مع كثير من الأجانب ولقد طرح كثيرون عليّ مثل هذا السؤال أكثر من مرة! وكانت إجابتي كما يمكن أن أخصها هي: إن إيران واصلت الحرب ضدنا ست سنوات، وقد إستخدمت في حربها هذه كل طاقاتها السياسية والعسكرية والبشرية والإقتصادية. وكان علينا أن نواجه التهديد الإيراني بكل عناصره. وهذا التهديد لم يتشكل بعنصر واحد لكي نضربه أو نوفر مستلزمات مواجهته فينتهي الأمر، وإنما كان لابد من مواجهة التهديد بكل عناصره السياسية والعسكرية والبشرية والإقتصادية. وعلى الصعد السياسية والعسكرية والبشرية أثبت العراق قدرته على الصمود والحاق الخسائر الفادحة بها. سياسياً هُزمت إيران في موقفها وثبت أن موقف العراق هو موقف صائب وقد إكتسب إحترام أشقائه العرب وتأييدهم وإحترام وتأييد العالم. على الصعيد العسكري الفني الصرف ثبت أن العراق، متفوق. وهذا ما يقر به الجميع العامل البشري الإيراني، وسُمي بالتفوق البشري الإيراني، كان يجب توفير المتطلبات للتغلب عليه. وقد نجحنا في ذلك.. ففي هذا اليوم الذي نتحدث فيه أعلن وزير الإعلام أن عدد الذين تمكّن العراق من تدريبهم على السلاح منذ معارك «الفاو» حتى اليوم تجاوز 670 ألف مقاتل ومقاتلة. وبإستثناء النساء وطلبة الجامعات فإن نسبة الذين تم تدريبهم لكي يقاتلوا مباشرة سواء في الجيش أو الجيش الشعبي عالية، أي أننا في المحصلة العملية إستطعنا أن نزج أعداداً أكثر مما إستطاعت إيران التي تزيد سكانها علينا بثلاثة أضعاف. إذاً كان علينا أن نبطل هذا التفوق الشكلي لإيران بصدد الموجات البشرية في المعارك السابقة وتنظيم تعبئة شعبية أكثر كفاءة وأوسع عدداً مما إستطاع نظام الملالي برغم صخبه وإدعاءاته. وإلى ذلك أنه كان علينا أن نخوض المعركة في الميدان الإقتصادي. الإيرانيون منذ عام

1983 على وجه الخصوص أطلقوا شعاراً أو تحدثوا بما معناه أن مواصلة الحرب أو إطالة أمد الحرب ستستنزف العراق من جميع الوجوه وخاصة في الجانب الاقتصادي بعد أن إتفقوا مع النظام السوري على إغلاق الأنبوب المار عبر سوريا في نيسان (أبريل) عام 1982 الأمر الذي أدى إلى خسارة كبيرة ونقص كبير في مواردنا. لقد تصوروا أن الإستنزاف الاقتصادي إلى جانب الإستنزاف العسكري على الجبهة سيؤدي إلى تحقيق أهدافهم في السيطرة على العراق أو إحتلاله لذلك كان علينا أن نتحسب لهذا المخطط وأن نقلبه ضد الطرف الآخر. والآن يأتي جانب الإستعداد. في عام 1983 عندما طرح الإيرانيون هذا المخطط حذرناهم وقلنا لهم إياكم أن تخطئوا الحساب في هذا الشأن. لنتفق على تحييد الإقتصاد، وخاصة النفط، في الحرب كحد أدنى، ومن ثم كمدخل لإنهاء الحرب. ولو عدنا إلى الوقائع والمبادرات العراقية في ذلك العام لوجدنا أن العراق قام بمبادرات دبلوماسية نشيطة في هذا المجال. الرئيس صدام حسين دعا عام 1983 إلى تحييد منطقة الخليج كلها بما فيها من شواطئ وموانئ في الحرب، ثم حملنا هذه الأفكار إلى الأمم المتحدة ومجلس الأمن وصدر في حينها القرار رقم 540 الذي يدعو إلى تحييد منطقة الخليج والمنشآت الاقتصادية الحساسة. غير أن الإيرانيين المغرورين دائماً والذين يخطئون الحساب ظنوا أننا نشعر بالفرح من شعاراتهم، وظنوا أن هذا المخطط سائر في طريقه فرفضوا أن يقبلوا بتلك المبادرات في حينها. ومرت حتى مبادرات من بعض الدول لتطبيق هذه الأفكار بصيغ عملية من غير إعلان رسمي، ولكنهم رفضوا ذلك أيضاً. عند ذلك كان علينا أن نثبت لهم بالملوس أنهم واهمون. وبدأنا منذ عام 1984 نضرب مرافقهم النفطية والإقتصادية. هذا ميدان جديد في الحرب. وكما يتعين على المرء أن يكتسب الخبرة ويوفر المستلزمات في الحرب البرية في كل حقولها (الدبابات والمشاة والمدفعية وغيرها) فإنه كان علينا أن نوفر المستلزمات لهذا الميدان. وهذه مسألة ليست سهلة. فالعراق لا ينتج السلاح وكان عليه أن يوفر المستلزمات ويتدرب ويتعرف على المعلومات ويبلغ المستوى المطلوب من المقدرة والمهارة. وقد بلغنا هذا المستوى وظهرت الآثار في ضرب الإقتصاد الإيراني ليس بسبب الكفاءة الفنية فقط. بل علينا أن نحسب أن هذه الآثار يجب أن تؤخذ في إطار الفشل الإيراني المستمر في تحقيق الأهداف التوسعية من الحرب.

الآن ينظر العالم إلى الموقف على الوجه التالي: بعد ست سنوات من الحرب من مخطط إيران في إستنزاف العراق يظهر العراق قادراً أولاً على الصمود على الأرض ويمنع الإيرانيين من التقدم ويكبدهم خسائر كبيرة ويضربهم في العمق ويستنزف إقتصادهم. فالنتيجة تبدو هنا دراماتيكية، ليس في إطارها الفني فقط وإنما محسوبة كإنجاز في كل الميادين وطوال ست سنوات من الحرب. ولهذا هي لفتت إنتباه العالم. ولذلك أقول إنها حصيلة جهد ست سنوات وليست حصيلة فعل بضعة أسابيع أو بضعة أشهر. لا يمكن أن نقول إن هذا يجب أن يحصل منذ ثلاث أو أربع سنوات لأنه هو نتيجة عمل طويل وشاق.

قلت: هل لما أعلنه الأستاذ لطيف نصيف جاسم وزير الثقافة والإعلام اليوم هدف معين من حيث التوقيت. لماذا في هذه المرحلة بالذات، وهل هي جزء من تطين الشعب العربي للموقف العراقي؟ وإلى ذلك إن ما لم يوضحه رفيقكم الأستاذ لطيف هو أن العراق لا يمكن أن يزج بالكثافة البشرية بالشكل الذي تزج به إيران التجمعات التي ترسلها للقتال. هل من إيضاح نستكمل به هذا الموضوع؟

وأجاب: توقيت الإعلان مرتبط بتوقيت البرنامج. فعندما اكتملت المعلومات لدى القيادة عن إكمال برنامج التدريب صدر الأمر بالإعلان فأعلن وزير الإعلام ذلك. إذا تحدثنا عن الأعداد أستطيع أن أقول مطمئناً أن عدد العراقيين الموجودين الآن على الجبهة هو أكبر من عدد المقاتلين الإيرانيين الموجودين على الطرف الآخر. هذه نقطة جوهرية.

قُلت: كنعونية أم كعدد؟

أجاب: كعدد بالإضافة إلى النوعية. والنوعية هنا هي نوعية تدريبهم ونوعية تسليحهم. وعدد المقاتلين العراقيين الآن في الجبهة هو أكبر من عدد المقاتلين الإيرانيين. ونحن لم نتغلب على التفوق السكاني الإيراني بالنوعية فقط وإنما بالعدد أيضاً.

وهذه هي أهمية ما أنجزناه خلال الأشهر الماضية. إن الإيرانيين لم يستطيعوا بعد معركة «الفاو» أن يجمعوا رغم كل ما آثروه من صخب أكثر من 70 ألف مقاتل، في حين نحن جمعنا أضعاف هذا العدد وهم الآن ممسكون ببنادقهم. التفوق الإيراني العددي هو تفوق شكلي، أي أن الناس يقارنون بين عدد السكان في العراق وعدد السكان في إيران ولكن لم تجرِ دراسة جدية ودقيقة لكيفية أو لمقدار نجاح الحُكم الإيراني في استثمار هذا التفوق.

ما كانت تتميز به إيران - وهي في أي حال ليست ميزة بل حماقة أو فلنقل إنها جريمة - هو انها كانت مستعدة لأن تعطي في المعارك خسائر بشرية أضعاف أضعاف ما يقرر القادة العراقيون السياسيون والعسكريون إعطاءه. فعندما يكون هناك هدف لا يستحق إلاّ بضع عشرات أو مئات من التضحيات فيعطيه الإيرانيون ألوفاً بل عشرات الألوف، فإن الإنطباع أو الوهم الذي يسود هو أن إيران كانت متفوقة بشرياً. إيران متفوقة في عدد قتلاها. إنها بالفعل متفوقة في عدد ما تعطيه من قتلى في الحرب، وهذا ليس تفوقاً بشرياً. كان علينا أن نصبر وأن نخطط وأن لا ننفعل في الحرب مع إيران لكي نستوعب هذه الهجمة الإيرانية، وهذا الإستعداد اللامسؤول للحُكم الإيراني لذبح مواطنيه، ومن ثم نثبّت على أرض الواقع إننا لسنا فقط الأكفأ في الحرب وإنما قادرون أيضاً على أن نستثمر طاقاتنا على وجه أفضل مما يفعل الحُكم الإيراني المتخلف والمغامر.

الحسم العسكري وارد وممكن؟

قُلت: ما هو أبرز ما إستفاده العراق في تحركه الدبلوماسي سنة 1986 التي تقترب من نهايتها؟ وهل في النية تطوير هذا التحرك مستندياً في ذلك إلى إنجازات يتم تحقيقها على الصعيد العسكري؟ وبصفة كونك رجل الدبلوماسية العراقية وأحد الذين يساهمون في صناعة القرار هل ترى أن الحسم عسكرياً في المواجهة العراقية - الإيرانية ما زال وارداً وما زال ممكناً؟

وأجاب: من أهم إستنتاجاتنا على الصعيد السياسي والدبلوماسي هو أننا أعدنا مرة أخرى التركيز على التسوية الشاملة للنزاع. في عامي 1984 و1985 حاولت إيران ومعها أطراف أخرى أن تتعامل مع الحرب من زوايا جزئية. مرة بإثارة موضوع السفن، ومرة موضوع الأهداف المدنية أو السكانية وما إلى ذلك من الزوايا. وقد بذلنا في عامي 1984 و1985 مجهودات كبيرة لكي نشرح للذين يتعاملون مع الحرب من هذه الزوايا بأن هذا المنهج خاطيء. البعض منهم كان يتصور أن التعامل بهذا الأسلوب قد يفتح بوابة نحو التسوية الشاملة للنزاع. وقلنا لهم إن ذلك فهم خاطيء. فالإيرانيون يستخدمون القضايا الجزئية لكي يبرروا إستمرار الحرب، بل لكي يوفروا لأنفسهم مستلزمات إستمرار الحرب. لذلك نحن رفضنا ذلك الأسلوب وقاومناه.

في هذا العام إستطعنا أن نُقنع العالم، وفي مقدمة ذلك مجلس الأمن، بأن المطلوب التركيز عليه هو التسوية الشاملة وليست تسويات ذات طبيعة جزئية. وقد نجحنا في ذلك بإصدار القرار رقم 582 في شباط (فبراير) 1986 ثم نجحنا في تأكيد ذلك القرار بقرار ثانٍ يحمل الرقم 588. الآن الحديث عن إنهاء الحرب هو أقوى مما كان عليه قبل عام أو عامين. كان الحديث في العامين الماضيين يميل إلى الحديث أو التركيز على الجزئيات، والآن - وهذا ما لمسناه في قمة هاراري وفي الأمم المتحدة وفي جولاتنا - فإن التركيز هو على

التسوية الشاملة.

أما بالنسبة إلى الحسم العسكري وهو وارد فإن ما يمكن قوله هو أن العراق لم يرغب في هذه الحرب وهو سعى إلى إيقافها بعد أن فرضت عليه ولذلك لم يلجأ العراق في أي وقت من الأوقات إلى الحسم العسكري. إن إيران هي التي كانت تصر على الحسم العسكري في كل هجماتها على العراق، ومن هنا فإننا لا نعتقد أن هذا الصراع أو النزاع يحل بالوسائل العسكرية. نحن ندعو إلى حل النزاع بالوسائل السياسية الموصلة إلى طاولة المفاوضات وإلى تسويات شاملة وعادلة له. إيران تصر على استخدام الوسائل العسكرية وسيثبت الواقع مرة أخرى كما أثبت عبر ست سنوات أن إيران عاجزة عن ذلك. متى ستكتشف هذه الحقيقة ويفعل ذلك الاكتشاف فعله في القرار الإيراني؟ هذه المسألة لم تعد بعيدة في رأيي، وإن المعادلة الراهنة تشير إلى أن الإيرانيين لو كان لهم الحد الأدنى من القدرة على الاعتراف بالحقيقة لكان عليهم أن يعترفوا، ليس ضمناً فقط وإنما علناً أيضاً، بأن برنامجهم في الحسم العسكري هو برنامج فاشل وأنه يؤدي بهم إلى الكوارث.

إذا قالت إيران وداعاً للحرب

قلت: في هذا الإطار أيضاً ما الذي يمكن أن يحدث لو أن إيران قالت في لحظة مفاجئة: وداعاً للحرب. هل إن الأيدي ستتصافح وتصفو القلوب ويسود الإطمئنان النفوس؟
وأجاب: أنا لا أريد أن أتحدث هنا بوسائل البلاغة عن القلوب المتصافية والنفوس المطمئنة ولكنني أقول إن موقف العراق، إذا ما قالت إيران وداعاً للحرب، وأعلنت رغبتها في الوصول إلى تسوية سلمية للنزاع، فإننا سنقبل ذلك على الفور لأننا هذا ما نطالب به وندعو إليه.

قلت: وما هو في رأيكم السبيل لوقف الحرب مع إيران؟

وأجاب: أولاً لا بد أن نثبت، وهذا ما فعلناه وما زلنا نسعى إليه، بأن البرنامج التوسعي الإيراني هو برنامج مستحيل. من دون ذلك لن يغير الحكم الإيراني موقفه. الحكم الإيراني في رأيي حكم توسعي وعدواني بطبيعته. وإذا لم يتوصل هو قبل غيره إلى قناعة بأن برنامجه مستحيل وإن إستمراره في الحرب سيؤدي به إلى كوارث داخلية لا قدرة له عليها فإنه لن يتخلى عن برنامجه التوسعي العدواني. ولكن من الناحية الأخرى على العالم أن يبذل جهده وأن يؤدي دوره، أي أن يضغط بكل الوسائل السياسية والمادية لكي يقلل من قدرة إيران على مواصلة الحرب ويقرّب الساعة التي يصل فيها النظام إلى تلك القناعة. هذا ما نسعى إلى عمله خلال الجهد الدبلوماسي، وهذا ما يسعى إليه أشقاؤنا وأصدقائنا الذين يعملون معنا لإنهاء الحرب.

قلت: إذا كانت إيران لا تريد إنهاء العناد وتصر على مواصلة الحرب بشكل أو آخر، فهل أن العراق مستعد للإستمرار في مثل هذا الوضع؟

وأجاب: العراق مستعد تمام الإستعداد للدفاع عن سيادته وعن أمنه وعن حريته للعيش بالطريقة التي يختارها. ليس أمامنا خيار آخر، وهذا ما عبّر عنه الشعب العراقي عبر ست سنوات وأكدّه برغم ما تحمّله من أعباء وتضحيات. لقد أثبت الشعب العراقي أنه يمتلك تصميماً حازماً على الدفاع عن أرضه وسيادته وكرامته وحقه في إختيار، طبيعة حياته. وموقف القيادة هو إنعكاس لموقف الشعب. وهو في الوقت نفسه موقف قيادي في هذا الإتجاه.

إن إيران تجلب على نفسها مزيداً من الكوارث إذا ما إستمرت في الحرب. الخيارات من هذا النوع ليست من دون ثمن. فبعد الذي حصل وبعد ثبوت أن البرنامج الإيراني في التوسع على حساب العراق مستحيل وأنه يلحق بإيران أضراراً كثيرة، لا أعتقد أن إيران كجسد - على أساس أن أي بلد من البلدان هو في النهاية يشبه

الجسد - تستطيع أن تتحمل عبء مواصلة الحرب وما في ذلك من خسائر موجعة ومن نتائج ذات طبيعة مأساوية.

المواقف العربية وحجم المخاطر

قُلت: هل إن المواقف العربية هي في حجم المخاطر التي يواجهها العراق؟ وما هو المطلوب من الدول العربية؟

وأجاب: في هذا الشأن علينا أن نتعامل تعاملًا نسبيًا، وأن نكون واقعيين في الوقت نفسه من زاوية فهم واقع الوضع العربي. كمواطن عربي قومي جوابي عن سؤالك لا، إذا إنطلقت من منطلق الطموح. إن الموقف العربي إزاء ما يحصل في الجناح الشرقي للوطن العربي لا يتناسب إطلاقاً مع حجم المخاطر. وكنا نتمنى لو أن الموقف العربي كان أقوى وأوضح من جميع الأوجه، السياسية والإقتصادية والعسكرية والإعلامية وغيرها. ولكن في إطار الوضع الراهن ومن نظرة نسبية نحن نشعر بالإرتياح الآن للموقف العربي أكثر من أي وقت مضى. هنالك وضوح يكاد يكون شاملاً من أن ما يهدد العراق ليس تهديداً لقطر أو لنظام عربي وإنما هو تهديد للوطن العربي وللأمة العربية. وهذا الكلام الذي نسمعه الآن في الكويت وفي أبو ظبي وفي الرباط وفي تونس وفي الخرطوم وفي معظم العواصم العربية، لم نكن نسمعه في 1980 و1981 و1982 بمثل هذا الوضوح وهذه الشمولية. هذا في حد ذاته تطور جوهري في الموقف العربي، وانتقال هذا إلى فعل هو مسألة نسبية. وعندما ننطلق من النسبية كما قُلت فإننا نشعر بالإرتياح.

قُلت: هل تعتقد أنه من المحتمل أن تتطور المواجهة مع إيران إلى درجة أن تطلبوا مساندة قوات عربية لكم. وهل من المحتمل أن تطلبوا ذلك من جميع الدول العربية؟

وأجاب: لقد مررنا بظروف صعبة في المواجهة العسكرية مع إيران ولم نصل إلى حد أن نطلب على وجه رسمي وملح من أشقائنا أن يساهموا في المعركة. ولكننا إحتفظنا بحقنا في ذلك، كأى عربي يتعرض إلى التهديد لا لمواجهة حالة راهنة فقط وإنما كحق يجب أن يثبت. نحن ما نزال نحتفظ بهذا الحق. أنا لست عسكرياً ولكن من معرفتي بالتوازن العسكري أقول إننا من الناحية العملية أقل حاجة إلى المشاركة مما كنا عليه في الماضي.

القمة الإسلامية: التمنيات والمخاطر

قُلت: ما الذي سيحمله الرئيس صدام حسين إلى القمة الإسلامية في الكويت؟ وهل تعلقون أهمية على هذه القمة كونها أول قمة عربية إسلامية بهذا الحجم تنعقد على مسافة قريبة من بر المعركة وسمائها وبحرها؟

وفي الإطار نفسه أود الإشارة إلى أننا معشر الصحفيين نُكثر أحياناً من التأملات في غياب المعلومات ونلجأ إلى التذكير ببعض التطورات. وأمس كنْتُ أحاول التساؤل: هل أن إيران، التي لا تريد للحرب أن تتوقف، ستترك أول قمة عربية - إسلامية من المقرر إنعقادها بالقرب من أرض المواجهة بين العراق وإيران، أن تنعقد، أم أنها ستحاول ما إستطاعت أن يحدث للقمة الإسلامية ما سبق أن حدث لقمة عدم الإنحياز التي كان من المقرر عقدها في بغداد وإستطاعت إيران تعطيل ذلك؟

وأجاب: بالنسبة إلى الشق الأول من السؤال ليست لديّ أجابات مسؤولة في الوقت الحاضر، وأفضل أن تكون أجاباتي مسؤولة لأننا لم نباشر حتى الآن في إعداد ملفنا للقمة الإسلامية، سنباشر بعد أيام قليلة وعند ذاك يمكنني، وبعد أن ننجز ملفنا الذي سنذهب به إلى الكويت، التحدث عما نريد وماذا سنطرح وماذا نأمل من القمة الإسلامية المقبلة.

لكن ما أستطيع قوله هو أن الحرب العراقية - الإيرانية ستكون مادة أساسية في هذه القمة لأسباب عديدة، منها استمرار الحرب لست سنوات ولأن القمة ستعقد في بلد يتأثر مباشرة بظروف الحرب ولأن هناك إرادة واسعة نلمسها بين الدول الإسلامية لبحث مسألة الحرب بحثاً أعمق مما جرى في القمة السابقة. هل ستحاول إيران تخريب هذه القمة؟ في الحقيقة لا أريد أن أساهم بأي شكل من الأشكال في عملية التخويف الإيراني التي بدأت بممارستها في شكل أو آخر من دون أن أذكر الوقائع، لأنني أترك هذا الأمر للمعنيين به وخاصة لأشقائنا الكويتيين. إنني لا أريد أن أساهم في عملية التخويف وأقول إن علينا أن نعقد القمة في الكويت وأن نوفر لها كل سبل النجاح.

صيغة من نوع القرار 242

قلت: ألا يعتقد الأستاذ طارق أن الدبلوماسية الدولية مازالت عاجزة عن إيجاد صيغة سياسية لإنهاء الحرب العراقية - الإيرانية ولو من نوع القرار 242 بشأن الصراع العربي - الإسرائيلي، وهو قرار أبقى على الصراع وجمّد المواجهات العسكرية، كما أنه على الصعيد السياسي ترك كل طرف يفسر الأمر كما يحلو له التفسير؟

وأجاب: المشكلة هنا ليست متعلقة بعجز الدبلوماسية أو نجاحها، فضلاً عن أن إيران لم تحضر مداوالات مجلس الأمن لكي تبحث عن أية صيغة بينما إسرائيل حضرت مداوالات مجلس الأمن وقبّلت بقرار وقّفت إطلاق النار وقبّلت بالقرار 242 كما قبّلت به الدول العربية المتحاربة.

إن إيران لم تحضر إلى مجلس الأمن ولم تشترك في مداوالاته وبذلك لم يكن من الممكن التوصل إلى أي قرار مهما كانت طبيعته. الشيء الآخر الذي أريد أن أوضحه الآن - وقد سبق لي أن قلته في مداوالاتي مع الكثيرين الذين تعاملوا معنا في إطار مجلس الأمن وسألوا عن رأينا - هو إننا لم نقبل صيغة القرار 242 في النزاع بيننا وبين إسرائيل. نحن نطالب بتسوية عادلة ونهائية للنزاع على أساس القانون الدولي وميثاق الأمم المتحدة ولن نسمح بأية مناورة من هذا القبيل لكي تبقى النزاع جرحاً ينزف إلى ما لا نهاية.

الحكام وقرارات وزراء الخارجية

قلت: في تونس إتخذ مجلس الجامعة العربية قراراً بالإجماع بعقد قمة عربية عاجلة ولكن القمة لم تنعقد، لا الإستثنائية تنعقد ولا العادية تنعقد. إزاء ذلك لماذا يقرر وزراء الخارجية العرب مثل هذه القرارات مادام الملوك والرؤساء لا يأخذون بها؟

أجاب: لكي نكون دقيقين فإن إجتماع تونس لم يصف القمة التي دعا إليها بأنها إستثنائية. وفهمي للقرار هو أنه دعا إلى القمة العادية. هكذا فهمتُ القرار. ثم ان وزراء الخارجية لم يتصرفوا بإجتهااداتهم الشخصية. وأنا كوزير للخارجية لا أصوّت إلى جانب قرار من هذا النوع، إلا إذا كنت واثقاً من أن رئيسي يدعم موقعي أو أن موقعي هو موقف رئيسي معبراً عنه بأنني أمثله في ذلك الإجتماع.

هنالك في الواقع رغبة واسعة وقوية لعقد القمة ولكن الإشكال الذي نواجهه هو أن الدولة التي يُفترض أن تستضيف القمة العادية ترى بأن هذه القمة يجب أن تكون ناجحة. وبما أنه ليس هنالك من يستطيع أن يضمن ذلك، لذلك يجري تأخير القمة أملاً بتوفر عوامل النجاح. وهكذا تُبعد، أو ندفع، القمة زمناً بعد آخر على أمل أن يقتنع الطرف الداعي بأن الظروف قد أصبحت مواتية. ولكن الظروف مازالت غير مواتية، حتى الآن. وإزاء ذلك هل ندعو إلى قمة في غير البلد المضيف؟ هذه فكرة طُرحت أكثر من مرة ولكن ما يزال الأمل قائماً في أن ننجح كعرب بعقد القمة في المملكة العربية السعودية وأن يتوفر لها الحد الأدنى من النجاح. هذا ما لم يحسم.

هذا النوع من التفكير هو الذي آخَر القمة العادية. نحن عقدنا قمة إستثنائية في العام 1985 في الرباط وكانت قمة ناجحة على رغم أن بعض الدول العربية قاطعتها وكانت على خطأ في ذلك. وفي إستطاعتنا أن نعقد قمة مماثلة، ربما لا يحضرها البعض ولكن هناك رغبة واسعة نسبياً في أن نعقد قمة عادية وإن نستأنف هذا الإنعقاد سنوياً. والعراق في هذا الشأن موقفه واضح وهو أنه مع الإنعقاد السنوي للقمة بصرف النظر عن توفر متطلبات النجاح أو عدم توفرها. نحن نعتقد، والرئيس صدام حسين يعتقد شخصياً، أن على الزعماء العرب أن يجتمعوا كل عام حتى وأن لم يكن هناك جدول. طبعاً من الأفضل أن يكون هناك جدول للأعمال وتحضير جيد ولكن حتى مع عدم توفر مثل هذه المستلزمات فالرئيس صدام حسين يرى بأن على القمة أن تتعقد لكي نحافظ على آلية العمل العربي المشترك ونواصل على أقل تقدير الإطار الذي يمكّن القادة العرب من أن يلتقوا مع بعضهم البعض ويتوصلوا إلى الحد الأدنى من القرارات.

مهمة الصادق المهدي

قُلت: هل تعلقون أهمية على دور يقوم به رئيس وزراء السودان الصادق المهدي؟ ولقد فهمتُ أن من بين الأفكار التي تخطر في باله هي أن يطلب من أهل الحُكم في إيران وقُف النار في الفترة التي سيزور فيها طهران لمناقشة موضوع الحرب. فإذا وافق الآيات يواصل سعيه لإنهاء الحرب والأفانه لا يريد - إذا جاز التعبير - للعناد الإيراني أن يحرق أصابع يديه. كذلك فهمتُ أنه ينوي تجزئة السعي بحيث ينهي أولاً موضوع الأسرى، ورأيه في ذلك أن عودة الأسرى ستشكّل عنصر ضغط لإيقاف الحرب. وللمناسبة هل من جديد بالنسبة للأسرى خصوصاً أنك شاركت حديثاً في إجتماعات الصليب الأحمر في جنيف؟

وأجاب: لكي أكون دقيقاً ومسؤولاً في إجابتي نحن لسنا مطلعين رسمياً على برنامج السيد الصادق المهدي في هذا الشأن وإنما إطلعنا على ما أدلى به من تصريحات وما ألقاه من خُطب في الآونة الأخيرة. نحن نحترم السيد الصادق المهدي ونقدّر أنه ينطلق من حُسن النية ومن الرغبة في إنهاء هذه الحرب. هل سيوفّق في طلبه الذي أشرت إليه والذي ذكرته من القادة الإيرانيين؟ لا أريد أن أحكم لأنني طرف نزاع. وقد يفهم أن رأينا هو رأي مُعرض ضد إيران. عليه أن يجرب ونتمنى له التوفيق.

ما يخص الأسرى إننا سنرحب بأي إقتراح يدعو إلى التبادل الشامل للأسرى وفق الأسس التي طرحناها في مجلس الأمن عام 1985 وذكرتها في خطابي في مؤتمر الصليب الأحمر في جنيف مؤخراً. نحن ندعو إلى تبادل للأسرى على أساس مراحل لمدة ستة أشهر تبدأ بتبادل الأسرى المعوقين والجرحى كمرحلة أولى ثم تبادل الذين قضوا سنتين فأكثر في الاسر كمرحلة ثانية ثم المرحلة الثالثة والأخيرة ببقية الأسرى. فإذا إقترح علينا السيد الصادق المهدي أو أية جهة مثل ذلك الإقتراح سنرحّب به لأنه ينسجم مع موقفنا في هذا الشأن.

المفاجآت والصراعات والنهاية

قُلت: هل يعتقد الأستاذ طارق أن موضوع الحرب تجاوز المفاجآت؟ وهل ترون، في تحليلكم أن العقد قد انفرط، إذا جاز التعبير، بين الذين يحكمون في إيران وبين الذين يقنعونهم بالقتال ويتوجهون إلى ساحات القتال؟ وهل أن 1988 يمكن اعتبارها سنة الحل على أساس أن حلقات إستمرارية الحرب تضيق يوماً بعد آخر وشارفت على ما قبل النهاية؟ وإلى ذلك هنالك صراعات يتزايد الحديث حولها في إيران ويهمن أن نسمع تقويمكم لهذه الصراعات. وهل ترون أن حالة منتظري تشبه في بعض جوانبها حالة أنور السادات بالمقارنة مع عبد الناصر؟

وأجاب: إن الحرب ما تزال تتطوي على مفاجآت. والمفاجآت ستكون في الطرف الآخر، في إيران وليس

في العراق. العراق مطمئن إلى موقفه، والشعب العراقي مطمئن والقيادة مطمئنة. نحن ندعو إلى سلام عادل ومشرف ولدينا التصميم على الدفاع عن بلادنا وقد أثبتنا أن لدينا القدرة. إذاً ما هي المفاجآت؟ لا يوجد احتمال واقعي لمفاجأة في طرفنا، المفاجآت لابد أن تقع في الطرف الآخر لأسباب موضوعية لا لأننا نتمناها كأعداء لإيران أو كطرف يتعرض لإيران ولكن هناك أسباب موضوعية، ومن هنا نتوقع المفاجآت في إيران.

مشكلة الحُكم الإيراني هو أنه بدافع من طبيعته العدوانية التوسعية تهادى إلى أقصى الحدود في برنامج العدوان والتوسع، الذي يمكن تلخيصه بمواصلة الحرب وإستنزاف في هذا التهادي إلى أقصى الحدود طاقات إيران المعنوية وكان وهو يستنزف هذه الطاقات بقوة وبشكل غير عقلاني وغير مدروس يتوهم بأنه سيحقق نتيجة ما في وقت ما. لذلك عندما يمر الزمن ويزداد الإستنزاف يصل الحُكم الإيراني إلى حافة الإفلاس في عملية الإستنزاف هذه، من دون أن يحقق النتيجة. وفي تقديري إن التدهور قد وقع منذ فترة طويلة ومعالمه أوضح في هذا الوقت مما كانت عليه قبل عام أو عامين. وستتضح أكثر في المستقبل القريب. أما الصراعات في إيران فلها جانبان: جانب لا يتعلق بالحرب، لأن حُكم المالكي - إذا وضعنا الحرب جانباً - لم يستطع بعد سبع سنوات من تسلُّم السلطة أن يحدد طبيعته وبرنامجه. ربما هو يعرف الكثير مما لا يريد ولكنه لم يحدد حتى الآن على وجه دقيق، إذا إستثنينا التوسعية والعدوان، ماذا يريد؟ ماذا يريد في الصناعة والزراعة والتعليم، وماذا يريد في ميادين الحياة المختلفة. وإيران كمجتمع ليست مجتمعاً بدائياً وإنما هو مجتمع دخل في زمن الشاه في عملية تنمية لم تكن ناجحة تماماً إلا أنه كان هناك برنامج تنموي واسع النطاق وكان هناك تخطيط وثروات تستثمر ومئات الألوف والملايين من المتعلمين، وليس سهلاً أن يصل الحُكم في بلد من هذا النوع إلى مأزق عدم القدرة على تحديد هويته وتحديد طبيعته وبرنامجه في قضايا حيوية. يمكن تأجيل ذلك لأشهر أو بضع سنوات ولكن لا يمكن تأجيل ذلك إلى ما لا نهاية. هناك إختلافات في داخل الحُكم الإيراني حول كل شيء تظهر على السطح بين حين وآخر بين الوزراء وأعضاء مجلس الشورى والمالكي في قم وفي طهران حيث يتكلم كل واحد منهم بلغة تختلف عن الأخرى حول هذه الموضوعات والقضايا الجوهرية. وفي معظم الأحيان كان الخميني بشكل خاص يقمع هذه المجادلات ويأمر الجميع بأن لا يتحدثوا إلا في الحرب التي إستُخدمت كغطاء لفشل الحُكم في معالجة المشاكل الجوهرية. وكان الخميني وهؤلاء المترمتون في الحُكم الإيراني يتصورون أن نجاحهم في برنامج الحرب سيحل لهم هذه المعضلة الكبيرة، ولكن الذي يواجهونه الآن وفي المستقبل، هو أنهم لم يحلوا معضلاتهم وأن الحرب لم توفر لهم الغطاء ولم توفر لهم النجاح الذي كانوا يأملون إستثماره لتغطية تلك المعضلات.

المسألة في تقديري أبعد من مسألة شخص منتظري كيف هو الآن وماذا يمثل وكيف سيكون إذا ما تسلَّم السلطة بعد موت خميني؟ المسألة أبعد من ذلك... المسألة هي مأزق النظام الديني، وفي رأيي أن البرنامج الديني هو برنامج مستحيل في هذا العصر مهما كان المذهب الذي أُستند إليه، إضافة إلى ذلك فإن الحُكم الإيراني دخل مغامرة وأضاف إلى الإستحالة الموضوعية إستحالة موضوعية أخرى، فوضع نفسه في مأزق لا يمكنه الخروج منه إلا بالصراع الذي تشهده إيران حالياً، والذي ستشهده في المستقبل، هو النتيجة الطبيعية للمأزقين.

العلاقات مع فرنسا

قُلْتُ: هل عادت سماء العلاقات صافية بين العراق وفرنسا بعدما كادت مواقف الصديق العريق لكم (جاك شيراك) أن تجعلها تتلبد بعض الشيء بغيوم من النوع القاتم؟
وأجاب: في الواقع إن العلاقات العراقية - الفرنسية لم تتلبد بالغيوم بعد مجيء السيد جاك شيراك. بعد مجيئه بفترة قصيرة ذهبْتُ إلى فرنسا في زيارة رسمية وأجريتُ مباحثات مع الرئيس ميتران ومع السيد جاك شيراك

ومع زميلي وزير الخارجية ومع المسؤولين الآخرين وعدتُ مرتاحاً ومطمئناً إلى أن العلاقات بيننا وبين فرنسا تسير في خطها الموضوعي، أي أن الصداقة والالتزامات المتقابلة قائمة ولم أتوقع مفاجآت سلبية في الموقف الفرنسي. هنالك في فرنسا كبلد ليبرالي يمر بمرحلة حرجة كلام كثير عن خيارات في هذا الاتجاه أو ذاك. نحن نراقب هذا الكلام ونضعه في موضعه الحقيقي ولم نخوف منه، ونعتقد أن المحصلة النهائية ستكون الثبات على الموقف الفرنسي ليس إزاء العراق فقط وإنما إزاء العرب أيضاً، لأن مصالح فرنسا تكمن في العلاقة الجيدة معهم.

قُلت: وهل إن فرنسا وهي تحاول إقامة علاقات مع إيران تتطلع إلى دور توفيق بين العراق وإيران فشل في تحقيقه الآخرون؟

وأجاب: لا أعتقد ذلك بل أعتقد، وهذا ما يقوله المسؤولون الفرنسيون في الصحافة، أن المحرك الأساسي في الوقت الحاضر لتحسين العلاقات أو المشاكل بين فرنسا وإيران، هو لإخراج الرهائن الفرنسيين من لبنان. وهذا ما يقوله المسؤولون الفرنسيون دائماً في صحفهم.

قمة أيسلندا والآمال المعلقة

قُلت: هل كنتم تتوقعون نجاح قمة أيسلندا بين الرئيسين ريغان وغورباتشوف وبأن يكون نجاحها مقدمة لإهتمام الرئيسين في قمتهم المقبلة بموضوع الحرب العراقية - الإيرانية؟

وأجاب: نحن متواضعون في تعاملنا الدولي. فأنا كوزير خارجية في بلد صغير لا أسمح لنفسني أن أعطي تصريحات أو تكهنات حول قمة تُعقد بين الإتحاد السوفياتي والولايات المتحدة. نحن لا نلعب لعبة الكبار، ولكن هنالك فرق بين التوقع وبين الأمل. نحن كنا نرغب وما زلنا نرغب في تحسين العلاقات بين الإتحاد السوفياتي والولايات المتحدة. وهذا موقف ليس نابعاً من ظروف الحرب فقط. العراق بقيادة صدام حسين يعتقد أن تحسُن العلاقات بين الإتحاد السوفياتي والولايات المتحدة يفيد العراق والعرب، على عكس ما يتصور البعض، لأن تخفيف حدة التوتر الدولي أو الصراع والتنافس بين الدولتين الكبيرتين يمكن أن يوفر ظروفاً دولية أفضل لنا كأمة عربية لمواجهة مشاكلنا، سواء التنمية أو المشاكل الأمنية في ما يتعلق بالصراع العربي - الصهيوني أو الحرب العراقية - الإيرانية. ولذلك وإستناداً إلى هذا الفهم نعتقد أنه عندما تتحسن العلاقات بين الإتحاد السوفياتي والولايات المتحدة فستتوفر أرضية موضوعية أفضل لكي يقوموا بدور أكثر فعالية لإنهاء الحرب لأنهما متفقان من حيث المبدأ على ذلك. انهما يعلنان أن إستمرار هذه الحرب ليس في مصلحتنا وأنهما يطالبان بإنهائها، وعندما يكونان في حالة توتر فإن إمكانية عملهما المشترك أو مساهمتهما في ذلك تكون أقل. وعندما تكون علاقتهما أفضل تكون الإمكانية أفضل. نحن لنا مصلحة في ذلك.

قُلت: هل أنتم مرتاحون لتطور العلاقات العراقية - الأميركية؟ وهل تلاحظون تبداً في الموقف الأميركي في اتجاه تفهّم أفضل لموقف العراق؟

وأجاب: الموقف الأميركي يجب أن يقسم تقسيماً جيوبوليتيكياً صحيحاً. الموقف الأميركي من الحرب موقف لا بأس به، أي أن أميركا تدعو إلى المنافع الدولية وتدعو بشكل منفرد إلى إنهاء الحرب وتشير إلى مسؤولية إيران في إستمرار الحرب. موقفهم هذا واقعي وجيد. ونحن نرحّب به.

في الطرف الآخر الموقف الأميركي من الوضع في المنطقة ومن الصراع العربي - الصهيوني يختلف معه. هل خطت الولايات المتحدة خطوات فعالة جداً لإنهاء الحرب؟ أقول لا، وهذا ما قلته خلال زيارتي إلى

أميركا ومباحثاتي مع المسؤولين ولقاءاتي مع الصحافة. أميركا لم تبذل حتى الآن جهوداً فعّالة بالمعنى الحقيقي لهذه الكلمة من أجل إنهاء الحرب. ولكنها وقفت موقفاً كما قلت لا بأس به في حده الأدنى وهو موقف يرضينا.

إسرائيل والتفوق الجوي العراقي

قلت: نتابع بإعتزاز كبير هذا التآلق في دور القوة الجوية العراقية ولكننا في الوقت نفسه نشعر ببعض المخاوف ونتساءل: هل إن إسرائيل التي لم تتحمل الطموح النووي للعراق وإعتدت على مفاعل تموز ستتحمل وجود قوة جوية عربية بكفاءة القوة الجوية العراقية التي أثبتت وما زالت أهميتها القصوى والتي يمكن أن يشكّل تطورها القتالي نقطة تحوّل في مسألة التوازن الإستراتيجي؟

وأجاب: في تقديري إن القادة الصهاينة يشعرون بالقلق من تخرّج طفل عربي في موريتانيا من المدرسة الابتدائية ويزداد قلقهم إذا ما تخرّج من الجامعة وإذا ما تعلّم الفيزياء والرياضيات والهندسة. الصهاينة يقلقون لأي تقدم عربي في أي ميدان، ومن ذلك التقدم العراقي في القوة الجوية. هل سيتآمرون علينا؟ هم يتآمرون الآن بمختلف الوسائل وفي مقدمة ذلك تعاونهم التسليحي مع إيران. هنالك تناقض شكلي بين الموقفين الإسرائيلي والإيراني، كما يظهر على السطح، ولكن في العمق هنالك تحالف موضوعي بينهما. هناك دعم إسرائيل لإيران وهذا الدعم في حد ذاته يستهدف العراق كله بقوته الجوية والبحرية وإرادته السياسية وبإمكاناته الإقتصادية. وهذا التآمر نحن نتوقعه، وعلى كل عربي أن يتوقعه حيثما يستطيع أن يحقق النجاح. إخواننا في الدول الغنية الذين يخطون خطوات كبيرة على طريق التقدم العلمي والثقافي والصناعي هم أيضاً عليهم أن يحذروا من التآمر الإسرائيلي الذي يخشى من بناء مصنع في المملكة العربية السعودية كما يخشى من تخرّج طالب في موريتانيا.

الحرب وطموح الدولة الحديثة

قلت: نلاحظ على مدى سنوات الحرب أن الرئيس صدام حسين يُكثر من الإشارة إلى الدولة الحديثة. وآخر هذه الإشارات كانت قبل أيام حيث قال في لقاء مطوّل مع المسؤولين كلاً أساسياً حول الدولة الحديثة. وهذه مناسبة لكي نستوضح منك ما الذي يعنيه تماماً الرئيس بالدولة الحديثة؟ وإلى أي مدى أثّرت الحرب على طموحاته في هذا المجال؟

وأجاب: أعتقد أن رأي الرئيس في هذا المجال واضح تماماً، وقد عبّر عنه في أحاديثه وكتاباتاته منذ السبعينات وحتى الآن بعد تحقيق الإستقلال إن التحدي الأساسي الذي يواجهنا نحن في العراق والوطن العربي والعالم الثالث هو تحدي التقنية والتقدم، أي بناء مجتمع يستطيع أن ينتج ثقافة وعلم ومادة تُمكنه من العيش بإستقلال وكرامة ورغد. هذا هو الهدف المركزي، وهذا لا يمكن أن يتحقق إلاّ بالتحديث. علينا أن نطوّر الثقافة والتعليم والمواصلات والزراعة وكل ميادين الحياة لكي نرقى في مستوانا إلى مستوى الدول المتقدمة التي تستطيع أن تعيش وتوفر لنفسها إمكانات العيش والإستقلال معاً. هذا هو تفكير الرئيس وهذا هو برنامجه.

هل عطّلت الحرب هذا البرنامج؟

أقول بإطمئنان لا. فالحرب قلّلت من الإمكانات المالية الموظّفة لهذا البرنامج ولكنها من جهة أخرى عمّقت خبراتنا وقدراتنا كبشر، كقيادة وكمؤسسات دولة في هذا الإتجاه، لأننا إستطعنا أو هذا ما إضطررنا إليه وأحياناً يقال الحاجة أم الإختراع. ما الذي إضطررنا اليه بسبب قلة مواردنا المالية من ناحية بعد الحرب التي نوظفها في هذا البرنامج وقلة البشر لمشاركة مئات الألوف منهم في المعركة، إضطررنا إلى إستخدام مواردنا المالية والبشرية على وجه أعمق مما كنا نفعله قبل الحرب، وهذه خبرة مهمة جداً تظهر آثارها الآن في المجتمع

العراقي لأنه لم يتوقف عن التقدم في زمن الحرب، وستظهر أكثر بعد الحرب عندما تزداد التوظيفات المالية ويزداد عدد البشر المساهمين في برنامج التحديث والتطور.

* * * *

عندما ودعت الأستاذ طارق عزيز شاكرًا له تخصيصه ساعتين من وقته لتوضيح أمور كثيرة، بعضها عالق ومعظمها مهم كان مساعدوه يتولون تحضير ملفات جولات جديدة قريبة وبعيدة سيقوم بها وكلها من أجل نهاية سعيدة لحرب اتسعت كثيرًا رقعة أحزانها. وهو منذ أربع سنوات يفعل ذلك. بل لعله أكثر وزير خارجية تشاء الأقدار أن ينتقل من مهمة تستوجب السفر إلى مهمة أخرى مروراً لبعض الوقت على مكتبه الذي جرى فيه هذا اللقاء الصحفي مع أحد أساتذة الدبلوماسية في مرحلة لم يشهد العالم العربي فيها هذا الحجم الهائل من الصراعات والحروب والتعقيدات.

نُشر الحوار في مجلة «التضامن»
بتاريخ 15 نوفمبر/ تشرين الثاني 1986

طارق عزيز لـ «التضامن»:

تحرير «الفاو» درس لإسرائيل

ها هي «الفاو» قد تحررت، وإعادتها خمس وثلاثون ساعة من القتال الشجاع الذي يمتزج فيه الإقتحام الجريء بالفطنة والحُسن واليقظة.

وفي اليوم الثالث لإسترجاع «الفاو» وبينما كان الفرح يغمر العراقيين قيادة وشعباً كما لم يحدث من قبل، توجهتُ إلى رجل الدبلوماسية العراقية التي ناضلت بضع سنوات قبل أن تنجح في إستصدار قرار دولي يحمل الرقم 598 يحقق في حال تنفيذه أرضية معقولة لحل سياسي لأكثر الحروب شراسة في التاريخ الحديث.

ولقد توجهتُ إلى وزير الخارجية العراقية، طارق عزيز، في مكتبه، بعدما كنتُ سعيث من لندن لهذا اللقاء لأكثر من سبب، من بينها أن هنالك بعض التباطؤ من جانب وسائل الإعلام الأجنبية في إستيعاب خطوة التحرير البالغة الأهمية والتي تحدث للمرة الأولى في تاريخ المواجهات العسكرية العربية مع الآخرين.

كانت الإذاعات تبث الأنباء الأولية عن الخطوة السعودية المتمثلة بقطع العلاقات مع إيران عندما أجريثُ هذا الحديث مع طارق عزيز. وكان ياسر عرفات وصل إلى بغداد من زيارته إلى دمشق. وكانت الإتصالات الهاتفية لا تتوقف بين كثيرين من أهل القرار الدولي والعربي وبين الرئيس صدام حسين للتهنئة والإطمئنان بعدما كانت هذه الإتصالات لا تبدو سريعة وحارة في عاطفتها.

وكانت أفواج من المراسلين والصحافيين الأجانب تتوافد إلى بغداد وتتوجه إلى «الفاو» وتعود وقد تبددت الشكوك التي زرعها الإعلام الأجنبي، عندما لم يمارس الحياد المطلوب، ولم يحسم في أمر نجاح القوات العراقية في تحرير «الفاو».

وعندما أجريثُ هذا الحديث مع رجل الدبلوماسية العراقية كانت السماء تُمطر كما لم تُمطر منذ ربع قرن في مثل هذه الأيام من السنة. وكان منسوب مياه دجلة يرتفع ويرتفع وتحُدث حالات فيضان في بعض المناطق. خير. اللهم إجعله خيراً.

ما يهمني كصحافي أن أعرفه من طارق عزيز كان يتلخص في الآتي: هل إنه بعد الآن سيواصل رحلاته في شرق العالم وغربه سعياً من أجل تطبيق قرار دولي كان سيحقق إنسحاب القوات الإيرانية من «الفاو» مادام الإنسحاب حدث بعمل عسكري عراقي شجاع، ولم يحدث طوعاً من جانب الإيرانيين تجاوباً مع إرادة دولية؟

هذا في الدرجة الأولى ما كنت أود أن أعرفه.

وكان رد طارق عزيز أنه متوجه بعد يومين في زيارة إلى البرازيل وأنه سيواصل السعي لتطبيق القرار 598 لأنه في نظر العراق قرار عادل ويجب إحترامه.

توظيف الانتصار عربياً ودولياً

قُلت: على رغم هذا الإنجاز العسكري الكبير تواصلون السعي؟

وأجاب: إن تحرير «الفاو» خطوة جبارة من شأنها أن تساعد على تطبيق القرار 598.

قُلت: كيف سيتم توظيف هذا الإنجاز على الصعيدين العربي والدولي، وهل إنه سيُشكّل نقلة في الموقف

العربي بحيث يجعل العراق أقل تمسكاً بالمرونة التي تتسم بها حركته الدبلوماسية طوال سنوات؟

والى ذلك هل إن الدول الكبرى ستعيد في ضوء هذا الإنجاز خلط الأوراق في ما يتعلق بالقرار 598

وبالتالي في نظرتها إلى مسألة الحرب بشكل عام؟

وأجاب: إن ما نواجهه منذ سنوات هو النضال العسكري والسياسي والنفسي ضد البرنامج العدواني التوسعي الإيراني. وقد يكون مناسباً قبل التأكيد بأن ما يجري ليس حرباً فقط بمفهوم الصراع العسكري وإنما هنالك في إيران برنامج عدواني وتوسعي له مرتكزاته التاريخية والإيديولوجية والمرتكزات المادية التي يستخدمها النظام في إصراره على تنفيذ هذا البرنامج. وعندما تمكّن الإيرانيون من إحتلال منطقة الفاو توهم النظام وتأثرت بوهمه هذا قطاعات واسعة من الإيرانيين، بأن برنامجه العدواني التوسعي الذي كان تم صده بقوة في معارك 1982 و1983 و1984 و1985 أصبح أقرب مما كان عليه الأمر في السنوات السابقة. لقد وجد الإيرانيون أنفسهم في الضفة الغربية لشط العرب يحتلون ميناء عراقياً يطل على الخليج وصاروا يشعرون بأنهم أقرب إلى ميناء «أم قصر»، وبالتالي يستطيعون منه إذا ما إحتلوا ميناء «أم قصر» إنهاء الصفة الخليجية للعراق فيقطعونه جغرافياً عن الخليج، ويكونون في جوار الكويت وحتى السعودية، وينشئون دولة تسيطر على الشاطئ الشرقي للخليج كما هو الواقع الجغرافي لإيران، بل هم تصوروا أن يصبحوا دولة لها إمتداد إلى الكويت والسعودية. ثم صاروا يتوهمون إستثمار هذا الوجود للإمتداد شمالاً في إتجاه إحتلال البصرة وجنوب العراق. وهذا التقدير كان قوياً جداً في صفوف القيادة الإيرانية، وبين قطاعات واسعة داخل إيران. لذلك إذا تابعت تطورات الصراع العسكري بين البلدين نجد انه بعدما تمكن الإيرانيون من إحتلال الفاو قاموا بأضخم عملية حشد وتعبئة في تاريخ الصراع كله، وقاموا بها ولديهم نسبة عالية جداً من الثقة بأن هدفهم الذي قاتلوا من أجله أعوام 1981 و1982 و1983 و1984 و1985 أصبح ممكن التحقيق، وكل ما في الأمر أنهم كانوا يحتاجون إلى قوات أكثر ومعدات أكثر وإلى جهد عسكري وسياسي ودعائي أكثر من السابق. وبعد تثبيت العدوان الإيراني وإحتوائه في شهر أيار (مايو) 1986 بدأنا نلمس أن الإيرانيين يحشدون قوة هائلة للهجوم، فكان علينا أن نستعد لمواجهة هذا الإحتمال الخطر جداً، وبالفعل فإنه في شهر كانون الأول (ديسمبر) 1986 بدأ الإيرانيون هجومهم الكبير بإمكانات هائلة جداً من حيث العدد والنوع. وكان الهجوم الذي حصل في كانون الأول يستند إلى الوجود الإيراني في «الفاو» فضربوا في إتجاهات ثلاثة. ضربوا شمال وجنوب البصرة، ولكن هجومهم ذاك قضي عليه بمعركة حاسمة سريعة، ولكن هجومهم لم ينته. في شهر كانون الثاني (يناير) 1987 قاموا مرة أخرى بتنفيذ الصفحة الثانية من الهجوم. وإستمرت معركة الفاو من شهر شباط (فبراير) وحتى أيار (مايو) 1986 أي حوالي ثلاثة أشهر، وخلال هذه الفترة جرى إحتواء العدوان وتضييق رقعة الإحتلال. في كانون الأول 1986 قاموا بهجوم لإستكمال إحتلال قاطع البصرة، ولكنهم فشلوا. وفي كانون الثاني (يناير) 1987 قاموا بالهجوم الكبير على شرق البصرة، وهو أكبر هجوم في تاريخ الحرب العراقية - الإيرانية، حيث بدأ في كانون الثاني (يناير) وإنتهى في نهاية نيسان (أبريل) أو أوائل أيار (مايو) 1987.

بعد هذا الفشل الذي كان فشلاً إستراتيجياً تزعزع البرنامج التوسعي الإيراني، ولكن المحللين الذين يراقبون

الموقف من الناحية الموضوعية لمسوا أن إيران وضعت إستثماراً كبيراً جداً في البشر والمعدات، ولم تُحقق النتيجة التي كانت تحلم بها، أو التي كان يتوقعها كثير من المراقبين. وفي كانون الثاني (يناير) وشباط (فبراير) 1987 لم يكن هناك وثوق عام بأن العراق سيستطيع أو يتمكن من صد الهجوم الإيراني. وأنا كوزير خارجية للعراق كنت أُلَمَس في إتصالاتي مع عدد من زملائي في دول مهمة ودول على إطلاع أن لديهم قلقاً شديداً من نتائج المعركة التي كانت تجري، وكنت أطمئنهم وأقول لهم: لا تخشوا، إننا قادرون على صد العدوان الإيراني وقادرون على حماية البصرة. طبعاً كأصدقاء وكدول يعرفوننا ويعرفون مصداقية أقوالنا، كانوا يهتمون ولكنهم لم يكونوا متيقنين، ولم يتأكد المراقبون سواء من الدول أو من الباحثين من قدرة العراق على صد الهجوم الإيراني إلا بعدما إنتهى الهجوم.

كان فشلهم فشلاً إستراتيجياً من الناحية الموضوعية، ولكن الإحتمال بقي قائماً. بدأ الإيرانيون مرة أخرى بعملية تعبئة جديدة. وبعد إنتهاء معركة شرق البصرة نزل حكام طهران إلى المدن والقرى في محاولة لجمع أعداد كبيرة من المتطوعين أو من المقاتلين لكي يواصلوا برنامجهم في الهجوم وبالتالي إحتلال البصرة. في هذه المرة بالذات نجح الرئيس صدام حسين في توفير قوات عراقية مدربة تدريباً جيداً ومسلحة تسليحاً جيداً بعمل أكبر مما تمكّن الإيرانيون من حشده، فقبل معركة الفاو كانت المعادلة العسكرية بين العراق وإيران هي أن عدد العراقيين الذين يحملون السلاح على طول الجبهة هو أكثر من عدد الإيرانيين الذين يحملون السلاح وبالتالي تم تغيير أهم عنصر في المعادلة لصالح إيران، وهو ما يسمى بالتفوق البشري. فإيران متفوقة على العراق بعدد السكان. هذا أمر ثابت، ولكن الذي حصل هو أن إيران لم تعد متفوقة في عدد المقاتلين، أي أن عدد القوات الإيرانية المسلحة من جيش وحرس وما يسمون بالتعبئة، عددهم جميعاً قبل معركة الفاو وعلى طول الجبهة البالغة 1200 كيلومتر كان أقل من عدد العراقيين من أفراد القوات المسلحة الموجودين في الجبهة، يضاف إلى ذلك التفوق النوعي العراقي في التدريب والتسليح، وتفوق القوة الجوية العراقية، وتفوق القوة الصاروخية العراقية الذي ظهر في نهاية شباط (فبراير) وخلال آذار (مارس).

كيف خُطط صدام حسين؟

قُلْتُ: هل إن الإستراتيجية التي أشرتم إليها بدأت قبل الفاو أم أن إحتلال الفاو هو سببها؟
أجاب: بعد الفاو. وقد ذكرت أنه عندما تم إحتلال الفاو كان صدر قرار بتحريرها. والتحرير يتطلب إعداداً وعدداً. فبدأ الرئيس صدام حسين يخطط ويعمل لزيادة عدد القوات العراقية ولزيادة تأهيلها. ولكن في الوقت نفسه كنا نتوقع أو أننا صرنا نلمس أن ثمة هجوماً إيرانياً قادمًا. كان هناك عمل مشترك بين التهيئة للتحرير وبين المتطلبات الدفاعية لمواجهة العدوان ثم حصل العدوان الأول والثاني، وتمكنا من سحقه. وكان وجود الإحتياطات الكافية أحد عوامل النجاح في سحقه، لأن زيادة عدد القوات العراقية بدا في الحقيقة منذ النصف الثاني من العام 1986، وأعطى ثماره الأولى في معركة شرق البصرة.

كان الإيرانيون يزجون موجة إثر موجة فيجدون أمامهم قوات عراقية. فرقة تقايل يوماً أو يومين أو ثلاثة ثم تنسحب إلى الورا وتأتي فرقة جديدة لتأخذ الموقع وتقاتلهم... وهكذا إلى أن تم تدمير الموجات الإيرانية المتتالية.

وما حدث في إستنتاج نهائي هو أنه قبل معركة الفاو بات عدد المقاتلين العراقيين أكثر وأرقى من حيث التسليح والكفاءة، وبذلك فإن المعادلة تم تغييرها بشكل حاسم. وهذا التغيير كان يلمسه المحلل والباحث العسكري، الذي يعرف كل الحقائق. ولكن الناس، لا على صعيد المنطقة ولا على الصعيد الدولي، ولا في إيران، كانوا قد إكتشفوا هذا التغيير النوعي الذي جرى في المعادلة بين العراق وإيران. وبالنسبة إلى إيران فإنها

لكي تتهرب من المعادلة أو تغطي عليها بعد إكتشافها لم تقم بالهجوم المتوقع في هذا الشتاء. كان كل المراقبين يتوقعون هجوماً إيرانياً على قاطع البصرة ولم يحدث الهجوم لأن القيادة الإيرانية توصلت إلى إستنتاج أنها لا تستطيع القيام بهجوم ناجح، ومن أجل ذلك حوّل الإيرانيون الكثير من جهدهم إلى الشمال وصاروا يحاولون أن يعوّضوا بأعمال ذات طبيعة ونتائج تكتيكية وينسجوا حولها بهرجة إعلامية للتعويض عن الحقيقة الموضوعية التي تأكدت في تغيير المعادلة بين الطرفين. وكان الإيرانيون يتصورون أنهم بنقل المعارك إلى الشمال سيغيّرون من ترتيباتنا في القواطع الأخرى، أي أنهم يستدروننا إلى معارك هاشمية الطابع وهاشمية النتيجة على حساب المعادلة الرئيسية أو الميزان الرئيسي في الصراع. وهذا لم يحصل، حيث أن القيادة العسكرية كانت متنبهة جداً وتعاملت مع الموقف في المنطقة الشمالية بحكمة وبتدبير وسعت إلى إحتواء الخروقات الإيرانية المحدودة، وتم تكبيدهم خسائر كبيرة في المدفعية والطيران بإنظار حسم الموازنة في موقع المجابهة الرئيسي الذي هو الجنوب. وعندما أكملت القوات المكلفة بواجب تحرير الفاو تدريباتها وتحضيراتها صدر القرار للشروع بالهجوم.

كان الكثير من المراقبين يقولون: هذه معركة سريعة تمت بساعات... الخ. ولم تكن متوقعة، كيف خسر الإيرانيون؟ لابد أن تكون هنالك عوامل أخرى. من دون أن يعرفوا أن ما حصل في الفاو هو تنويع لمجهود مضت عليه سنتان وإستهدف تغيير المعادلة.

وكان هذا المجهود بدأ ينمو ويتطور منذ أيار (مايو) وحزيران (يونيو) إلى أن جاء هجوم التحرير.

المباغثة... وعناصر أخرى

قلت: أليس عنصر المباغثة والمفاجأة هو الذي حسم؟

أجاب: إن عامل المفاجأة مهم في الحرب، ولكن المفاجأة وحدها لا تستطيع أن تحسم معركة. الذي حسم المعركة بالإضافة إلى المفاجأة هو العوامل الموضوعية المتوفرة لدى القوات المسلحة العراقية عموماً، والتي جعلت الهزيمة الإيرانية محققة، ومن هذه العوامل القوة النارية التي حشدت للمعركة، والكفاءة في تنفيذ القوة النارية وكفاءة القوة الجوية العراقية التي دمرت الجسور في الساعات الأولى من المعركة وكفاءتها في منع الإيرانيين من إرسال التعزيزات. هذه عملية ليست ذات صفحة واحدة. إنها عملية ذات صفحات متعددة ومتراصة مع بعضها البعض وتحتاج إلى تنسيق عسكري من أعلى طراز وهو نتيجة لجهد إستمر سنوات عديدة. وتبقى الإستنتاجات التي تُمثلها معركة الفاو. ان هذه المعركة هي البرهان الساطع على المعادلة التي كانت قد تحققت موضوعياً قبل «الفاو». كان الناس بحاجة إلى هذا البرهان لكي يروه تماماً. كنا نقول قبل الفاو للسياسيين والصحافيين الدوليين والعرب الذين نلتقي بهم إن المعادلة بيننا وبين إيران قد حُسمت بالتفوق العراقي، وإن هنالك مكابرة إيرانية، ومحاولة من الإيرانيين لمواصلة الحرب ولكن الحرب قد حُسمت برجحان كفة العراق. كانوا يسمعون هذا الكلام طبعاً ويأخذونه في الإعتبار لأنهم يعرفون أننا لسنا من النوع الذي يتبجح من غير قاعدة وأساس ولكننا نحن بحاجة إلى البرهان الملموس الساطع الذي يعزز هذا التحليل. فجاءت معركة الفاو لتقدّم هذا البرهان على أن المعادلة قد تغيرت والآن توصل الكثير من المحللين إلى هذا الإستنتاج بشكل سريع.

ماذا سيقولون بعد الآن؟

قلت: بسرعة إسترجاع الفاو؟

وأجاب: بسرعة إسترجاع الفاو. لكن عملية إسترجاع الفاو ليست منفصلة عن كل المعادلة التي تم بناؤها خلال فترة الحرب ككل وبصورة خاصة من عام 1986 وحتى اليوم، وإنما هي تنويع لمرحلة كانت قد إستُكملت بعناصرها الموضوعية. هذا الإستنتاج وهو أن الحرب قد حُسمت عسكرياً بمعنى ترجيح كفة العراق، يعني أن

البرنامج التوسعي العدواني الإيراني قد أصبح برنامجاً مستحيلاً غير ممكن من الناحية العملية. طبعاً هنالك أناس يذهبون الى طهران، ويروون لنا أنهم يقولون للإيرانيين: إنكم لن تكسبوا هذه الحرب ولن تنتصروا. وكان هنالك كُتاب يكتبون في الصحف بأنه لن يكون في هذه الحرب منتصر. ولكن الإيرانيين كانوا يهزأون بهذا الكلام ويقولون كيف لا يكون في هذه الحرب منتصر. انظروا إلى الفاو. لقد إنتصرنا وعبرنا شط العرب واحتلنا أرضاً عراقية. وإذاً من الممكن أن نقوم بالعملية نفسها وكل ما في الأمر أننا نحتاج إلى قوات وإستعداد وبعض التجهيزات.

إن المسألة بالنسبة إليهم كانت مسألة إمكانات، والآن بعد طردهم من الفاو ماذا سيقولون. إن القيادة الإيرانية ربما لا تعترف به على الإطلاق ولا أتوقع أن تعترف به على الإطلاق ولكنها ستعترف به ضمناً. ومن الناحية الواقعية ستعرف القيادة الإيرانية أنها غير قادرة مستقبلاً على تغيير موازين الصراع كما كانت تتوهم في السابق. هذا سبب واحد. والأهم من هذا أن الإيرانيين - الشعب الإيراني - الذي كان الملالي يؤملونه بتحقيق النصر الحاسم على العراق لابد أن يتوصل بالملموس إلى أن هذا البرنامج... برنامج الحرب الذي يدعو إليه القادة في طهران، هو برنامج فاشل لأنه بعد ثماني سنوات لا يحقق ليس فقط عشرة في المئة أو خمسة في المئة من الأهداف المحددة، وإنما يلمسون أن قواتهم تُطرد بشكل دراماتيكي وحازم، وهو أمر لا يمكن إخفاؤه والتغطية عليه لأنه يتضمن طرد قوات ورميها من ضفة نهر إلى ضفة أخرى. هذه عملية لا يستطيع الملالي، رغم قدرتهم على الإدعاءات، إخفاءها، وهذا يعني أنه سيكون في داخل إيران شعور بالإحباط أو بعدم الثقة بما تدعيه القيادة الإيرانية من قدرة على تحقيق أهدافها.

كذلك إن هذه الحقيقة باتت واضحة عربياً وإقليمياً ودولياً. وباتت هنالك ثقة أكبر بالنفس وبالمستقبل. كان العرب يتضامنون مع العراق بإعتباره بلداً شقيقاً تعرّض إلى عدوان وأرضه محتلة. الآن يتضامنون مع العراق كبلد شقيق يتعرض للعدوان وأرضه محتلة ولكنه في الوقت نفسه قادر على طرد الإحتلال وهذا تعبير نوعي في الموقف. إقليمياً ودولياً هنالك أيضاً تقدير جديد للمعادلة في الصراع بين العراق وإيران حيث أن الذين كانوا يراهنون على نجاح المخطط التوسعي الإيراني لابد أن يعيدوا النظر الآن في مراهنتهم، والذين كانوا يعتبرون أن إيران هي المرجحة في كفة الصراع باتوا يرون أنه إذا ما تم تنفيذ القرار 598 فإن كيفية تطبيق القرار يجب أن تخضع إلى هذه المعادلة. وهذا ما حدث. وبصراحة أقول إن المشاريع التي قدمت خلال الأشهر الماضية لكيفية تطبيق القرار 598 كانت متأثرة بالتفسيرات الخاطئة والقصيرة النظر للميزان العسكري القائم بين البلدين. كانوا يتصورون، ومنهم الأمين العام للأمم المتحدة، وأقول ذلك صراحة أن إيران هي الراجحة عسكرياً، فإذاً لابد من أخذ ذلك في الإعتبار عندما نضع خطة تنفيذية للقرار 598. وقد تأثرت مقترحات الأمين العام بهذا التقدير. والآن لابد من إعادة النظر في هذه التقديرات التي ثبت أنها كانت خاطئة وقصيرة النظر، لأن العراق ليس الطرف الأضعف في الحرب بل إنه الآن، وبالبرهان الساطع الذي قدمناه في الفاو، هو الطرف الأقوى. هل سيغير هذا موقفنا؟ كلا لأننا لم نغير موقفنا. نحن كنا نقول، وأنا قلت للأمين العام للأمم المتحدة ولوزراء خارجية الدول الاعضاء في مجلس الامن: إياكم أن تتوهموا أن العراق سيخضع للإبتزاز الإيراني، لأن إيران تحتل الفاو أو عدة أجزاء هنا أو هناك، العراق لن يخضع للإبتزاز حتى لو إستمرت الحرب عشر سنين أخرى. العراق سيصر على تطبيق نزيه ونظيف للقرار 598 ولن يخضع لذرة من الإبتزاز الإيراني. هذا الموقف كنا نقوله في تموز (يوليو) وفي آب (أغسطس) وفي أيلول (سبتمبر) وفي تشرين الأول (أكتوبر) وفي تشرين الثاني (نوفمبر) وكانون الأول (ديسمبر) ونقوله الآن أيضاً. ولقد إكتسب قوة ملموسة على أرض الواقع من دون أن يتغير موقفنا. ولو تمعنّا في البيان الذي صدر يوم تحرير الفاو، وقد كتبه الرئيس صدام حسين بنفسه، سنجد أن

فيه برنامجاً للسلام هو إعلان بالإنصار، وفيه برنامج موضوعي ورصين وحكيم للسلام، وهو البرنامج نفسه الذي دعونا إليه في السابق، وهو التطبيق الأمين والدقيق للقرار 598، ومهما تغيرت المعادلة لصالحنا في المستقبل فلن نغير خطنا السياسي.

أما كيف ستتصرف الدول إزاء هذه الحالة فأعتقد أن نجاح العراق في تحرير الفاو، كنتيجة للجهد الذي شرعته، هو خدمة تاريخية لقضية السلام والإستقرار في منطقة الخليج وفي منطقة الشرق الأوسط بصورة عامة.

هل تتوقف الحرب؟

قلت: هل معنى ذلك إن الحرب يمكن أن تتوقف؟

أجاب: ربما لا تتوقف الحرب، وقد يستمر النظام الإيراني في أعماله العدوانية في المنطقة، لكن هنالك فرق بين معتد قوي لديه آمال لتحقيق برامج العدوانية والتوسعية، وبين معتد مكابر غير منطقي، يضرب ويعتدي فيتم ضربه على رأسه، ويتم تأديبه.

أما كيف نوظف ذلك كله لمصلحة السلام؟ فإن ردي على ذلك هو أنه يجب التركيز على أن إيران ليست قادرة على إحتلال العراق، ولا هي تستطيع فرض إرادتها على دول الخليج، وإن على دول المنطقة أن تعرف حدودها وتحترم نفسها وتحترم الآخرين. وهو درس أيضاً لإسرائيل إضافة إلى دروس الإنتفاضة... درس خلاصته أن إستمرار الإحتلال مستحيل ويجب أن يزول، وأن معركة الفاو نموذج لقدرة الأمة العربية، بمعنى أن ما إستطاع العراقيون أن يفعلوه يستطيع أن يفعله العرب، والمستقبل ليس للإحتلال، وليس لفرض الإرادات، وإنما هو لإحترام السيادة والإرادات الوطنية، وإن الإحتلالات سواء كانت من جانب إيران أم من جانب إسرائيل هي إلى زوال وعلينا أن نوظف هذا الإنصار لصالح قضية السلام والأمن والإستقرار والإحترام المتبادل للحقوق والسيادة.

هل تتدخل إسرائيل؟

قلت: هل تعتقد أن إسرائيل، وهي متضررة من تحرير الفاو، يمكن أن تتدخل بشكل ما؟ وهل ثمة إمكانية لجعل إيران، في تقديرك وفي ضوء قدرة عسكرية تجسدت في الفاو، تعترف، ويعترف أيضاً الذين كانوا يتصلون بإيران، بالحقبة الموضوعية الجديدة وهي تفوق العراق وإقتداره؟

وإضافة إلى ذلك هل تعتقد أن ثمة إستثناءات على صعيد التغيير الشامل في الموقف العربي على أساس أن الإنصار العراقي يمكن أن يريح الجميع ويطمئنهم؟

وأجاب طارق عزيز: نحن متيقنون منذ العام 1979 أن هنالك تحالفاً موضوعياً، على الأقل في الأهداف، بين (إسرائيل) والنظام الإيراني، ثم جاءت الأحداث لتؤكد أن التحالف الموضوعي ليس قائماً في الأهداف فقط وإنما هناك عمل مشترك بين الجانبين، وعلى وجه التخصيص هنالك دعم إسرائيلي لإيران لكي تتمكن من المضي قدماً في برنامج العدوان والحرب على العراق وبلدان المنطقة. إن إسرائيل تجهز إيران بالسلاح بصورة مباشرة وتسهل لها الحصول على السلاح والعتاد، وكل ما تحتاجه من المعدات. وما تمكنت إيران من الحصول عليه من السلاح خلال ثماني سنوات من الحرب ليس كفاءة إيرانية فحسب، وأنا لا أريد أن أقلل من كفاءة الإيرانيين وأرى فيهم شعباً لديه مؤهلات، ولكن الذي حققته إيران من قدرة على صعيد التعامل مع سوق السلاح الدولي، الذي يسمى بـ «السوق السوداء» ليس قدرة إيرانية، وإنما هو قدرة إسرائيلية مضافة إلى القدرة الإيرانية وموظفة في خدمتها، وتكشف ذلك الوقائع التي تم نشرها في الصحافة العالمية، من واقعة الطائرة الأرجنتينية عام 1981 إلى وقائع أخرى حدثت حتى الأمس القريب. كذلك شاهد وعرف كل الناس أن «إيران - غيت»

هي مخطط إسرائيلي بالكامل أشركت فيه ودفعت إليه الولايات المتحدة. ولقد كشفت «إيران - غيت» أن أجهزة الموساد (المخابرات الإسرائيلية) وضباط الموساد المتقاعدين، واليهود الذين يتاجرون بالسلاح كلهم بتصرف إيران. من هنا إن خسارة إيران هي خسارة موضوعية لإسرائيل. وإذا عدنا إلى التحليل الذي ذكرته قبل قليل وهو أن تحرير الفاو رسالة لكل من يحتل أرضاً عربية بأن الإحتلال لن يستمر، فإن إسرائيل لابد أن تكون قد فهمت الرسالة بشكل أو آخر، وهو أن إصرارها على إحتلال الضفة الغربية وقطاع غزة مكابرة وعناد إزاء الحقيقة. إلى متى سيستمر هذا العناد؟ سنة أو سنتين أو أقل... إلا أنه يبقى عناداً، وهو لن يستمر لأن الإنتفاضة دورها حاسم وهي التي تتولى المجابهة المباشرة. وبعد معركة الفاو، التي هي عامل قومي مضاف، لن تستطيع القيادة الإسرائيلية ان تقنع الناس داخل (إسرائيل) وخارجها وعلى الصعيد الدولي بأنها قادرة على أن تستمر في الإحتلال، وقادرة على أن تفرض شروطها في ما يسمى بالتسوية. كان الإيرانيون يتبحون ويتحدثون عالياً عن شروطهم لتطبيق القرار 598 وأنهم لن يقبلوا به كما هو، لأن لهم تفسيرهم لهذا القرار، ولهم أيضاً شروطهم. هم لن يستطيعوا أن يقنعوا أحداً بقدرتهم على فرض الشروط أو ترويج تفسيرهم تحت ضغط الإبتزاز. وما حدث في الفاو، وما يحدث عموماً في المعادلة بين العراق وإيران رسالة لـ (إسرائيل) أيضاً وعليها أن تستنتج منها الإستنتاج الصحيح.

تتدخل (إسرائيل)؟ نعم تتدخل. ونحن نتوقع أن تتدخل. وهي بدأت تتدخل إعلامياً. ومن يتابع ما يكتب في بعض الزوايا في الصحافة الغربية والأميركية يجد أن أنصار إسرائيل تحولوا بشكل أو آخر إلى مدافعين عن إيران، وصاروا يحذرون الإدارة الأميركية من الصدام مع إيران، ويستثيرون العداء ضد العراق ضد العرب. هذا مجهود اعلامي نقرأه. (إسرائيل) ستتدخل عسكرياً، وتدخلت وستتدخل إستخبارياً، وقد تدخلت ولكن المعادلة تغيرت، لا يمكن، كما يقال، إعادة عقارب الساعة إلى الوراء.

هل ستعترف إيران بحقيقة تفوقنا؟ السؤال: إذا كان السؤال هل ستعترف، فإن الرد هو أن القيادة الإيرانية لن تعترف لأنها تعتبر فشل برنامجها العدواني التوسعي إنتحاراً لها، وتعتبر السلام أكثر خطر يهددها. هذا ليس تحليل. هذا ما قاله خميني. وما يقوله الزعماء الإيرانيون صراحة أو تلميحاً هو أن السلام أكبر خطر يهدد النظام الإيراني. من هنا لا نتوقع من القيادة الإيرانية التي ربطت مصيرها بالبرنامج التوسعي العدواني أن تعترف بأن هذا البرنامج بات مستحيلاً، ولكن إيران ليست القيادة الحاكمة فقط. فهناك شعوب من مختلف الفئات والشرائح من مدنيين وتجار وموظفين وأساتذة جامعات ومتقنين داخل إيران وخارجها. وهؤلاء كلهم يستنتجون، أن إستنتاجاتهم لها تأثيرها على المحصلة النهائية للموقف، وأعتقد أن كل إيراني سواء كان مع النظام أو على حافته أو خارجه لابد أن يتوصل إلى هذا الإستنتاج.

نأتي إلى الذين يذهبون إلى طهران. أنا أعرف أن وزير خارجية دولة بعيدة جداً عن المنطقة كان قد زار طهران عام 1983 وقال للإيرانيين إنكم لن تكسبوا الحرب وإن العراق بلد قادر على الدفاع عن نفسه. وكان الإيرانيون يسخرون من هذا الكلام. الآن إن الذي سيقول هذا الكلام سيشعر أنه لا يقوله بإستشراف للعوامل الموضوعية فقط، ولا ينطلق وهو يؤكد من تقدير مستقبل وحسب، وإنما سيعطيهم الفاو كنموذج لا يستطيعون إنكاره. إذاً الحجة التي تقول بإستحالة تحقيق البرنامج العسكري الإيراني أصبحت مدعومة بالبرهان الساطع. وبالنسبة إلى تغيير في الموقف العربي أجد نفسي أقول الآتي: عندما أتحدث عن الموقف العربي فإنني أتحدث عن العرب الذين يتخذون الموقف السليم والذين عبّروا عبّر ثمان سنوات عن موقفهم هذا، وكانت قمة عمان هي خلاصة لهذا الموقف. أما الذين تحالفوا مع إيران وراهنوا عل نجاح النهج التوسعي الإيراني فهؤلاء هُزموا مع الخندق الإيراني الذي وضعوا أنفسهم فيه. إن كل من وقف إلى جانب إيران هُزم في معركة الفاو بينما الذين

إنتصروا معنا في معركة الفاو هم الذين وقفوا الموقف القومي الطبيعي في التضامن مع العراق ضد العدوان الإيراني.

الحرب وقمة موسكو

قُلت: هل تعتقد أن تحرير الفاو سيكون له أثر في قمة موسكو المقبلة وهل أنه يشكّل فرصة موضوعية لتطبيق القرار 598؟

أجاب: نحن نتمنى ذلك. نتمنى أن تتوصل القيادة الإيرانية إلى الإستنتاجات الصحيحة وبأنه لا مجال للإبتزاز والتهديد والضغط. هنالك حرب، هذه الحرب تكلف الطرفين ويجب أن تقف... كيف؟ تقف بالتطبيق القانوني والمنطقي للقرار 598. وقف إطلاق النار. الإنسحاب. تبادل الأسرى. الجلوس إلى طاولة المفاوضات. ومن ثم تطبيق الفقرة السادسة وهي البحث عن مسؤولية النزاع. ولكن هل موضوعياً نتوقع ذلك؟ هذا يشترط إقراراً إيرانياً بالواقع. ولا أجد الآن إقراراً من جانب القيادة الإيرانية بهذا الواقع ولا أتوقعه.

أما تأثير تحرير الفاو على القمة الأميركية - السوفياتية في موسكو فإنه سيكون موجوداً. لأنه كما قُلت سابقاً كانت هناك تقديرات دولية، ومنها تقديرات الدولتين العظميين بأن إيران تمتلك الرجحان العسكري في النزاع بين العراق وإيران. ولا بد أن هذه الدول ستعيد النظر في الإستنتاج الدقيق وهو أن إيران ليست متفوقة عسكرياً على العراق وأن العراق ليس قادراً فقط على الصمود في وجه البرنامج التوسعي الإيراني وإنما هو قادر على سحق هذا البرنامج وإيقافه عند حده. وهذا التقدير الموضوعي سينعكس على الموقف.

قُلت: وهل يمكن أن تتوقف الحرب إذا إتفق الرئيسان ريغان وغورباتشوف خلال لقائهما بعد أيام في موسكو على أنهما لا يريدان للوفاق الجديد أن يتأثر بنزاعات إقليمية؟
وبالنسبة للسؤال الأخير هل الحرب ممكنة إذا إتفقت الدولتان؟

أجاب: إستمرار حالة الحرب يقررها الطرفان المتحاربان. وما يحدث هو أن العراق يرغب في السلام ومستعد للقبول به وإيران ليست راغبة في السلام ولأنها كذلك تستطيع أن تستمر في حالة الحرب إلى أن تغيّر موقفها، ولكن القدرة على مواصلة الحرب بمعنى شن الهجمات الكبيرة والتهديد الخطير للأمن والإستقرار في المنطقة ليست قدرة إيرانية وإنما هي قدرة محكومة بالعوامل الدولية والموقف الدولي. فإذا قررت الدولتان العظميان المضي في تطبيق قرارات العقوبات على إيران، كنتيجة طبيعية لرفضها الإنصياع للقرار 598، وصدر عن مجلس الأمن قرار بحظر السلاح على إيران وتولت الدولتان العظميان تنفيذه بصورة جادة، فإن قدرة إيران على تهديد الأمن والإستقرار وقدرتها على مواصلة الحرب ستضمحل. إن إيران ربما لا تتجه نحو السلام ولكنها ستتحول إلى كيان عاجز عن أن يمارس العدوان بمستوى مؤثر. وللدولتين العظميين دور مهم جداً في الوصول إلى هذه النتيجة.

أعلن لأول مرة: كانوا قلقين علينا ورفضنا وقف إطلاق النار فقط

قُلت من خلال إتصالاتكم وإجتماعاتكم في موسكو وواشنطن هل إن الدولتين العظميين كان لديهما الإنطباع نفسه الموجود لدى الدول الأخرى بأنه توجد إستحالة لجهة إستعادة الفاو عسكرياً بشكل أو بآخر؟
أجاب: في شباط (فبراير) وآذار (مارس) 1987 كانت الدول الكبرى كلها قلقة جداً على الموقف العسكري وخائفة. وكانت تقديرات هذه الدول أن من الصعب جداً على العراق أن يصمد أمام الهجوم الإيراني الكبير جداً، الذي كان يجري في شهر شباط وآذار. وأنا كما ذكرت سابقاً كنت أقول لهم إننا سنصمد. ولقد بلغ القلق أن

البعض منهم فكّر في ذلك الوقت أن يقتصر قرار مجلس الأمن الدولي الملزم على وقف إطلاق النار فقط. وقد فوّتت بهذا رسمياً، وأنا أكشف عن هذه الحقيقة لأول مرة ورفضت حتى قبل أن أعود إلى بغداد، رفضت فوراً، وأنا أعرف موقف بلادي وإمكانيات العراق. وقلت لمحدثي لن نقبل إذا أصدرتم قراراً ملزماً بوقف إطلاق النار فقط لأن العراق سيرفضه وسيواصل القتال حتى تحرير أرضه. قالوا وماذا عن البصرة؟ قلنا لهم حتى لو احتلوا البصرة، ولن تحتل، وحتى لو احتلت فإننا سنواصل القتال حتى نستعيد أرضنا. إذا أردتم أن تمرروا قراراً ملزماً فيجب أن يكون هذا القرار قرار إنهاء الحرب وليس قراراً لوقف إطلاق النار... وقلت لهم إن العراق لن يوافق على الإطلاق على حالة تسري على حالة الصراع الإسرائيلي - العربي بينه وبين إيران، ولن يوافق على أن ينتهي الأمر إلى ما انتهى إليه الصراع العربي - الإسرائيلي، أي وقف إطلاق نار وبقاء الاحتلال والدخول في دوامة لها أول وليس لها آخر وقد استمرت عشرين عاماً حول التسوية النهائية، بل سنستمر نقاتل حتى نقبل إيران بالتسوية النهائية. سنة سنتين خمس عشرة سنستمر القتال حتى نقبل إيران بالتسوية الشاملة.

القصد هو القول إن الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة ودولاً أخرى لم تكن تتوقع أن يكون العراق قادراً على تحرير الفاو. ومن هنا كان تحرير الفاو مفاجأة لهم.

ولقد استمرت المفاجأة لدى البعض حتى بعدما أعلنّا عن تحرير أرضنا. وكان يمكن ملاحظة ذلك في البيانات التي صدرت في بعض العواصم الدولية وإستمرت لبضع ساعات غير ميالة للإقتناع بأننا حررنا أرضنا. ولكن في أي حال إن ذلك يفيد على صعيد تأكيد مصداقيتنا.

قلت وأنا أودع رجل الدبلوماسية العراقية الذي إستقبل بعد ذلك أبوعمار الواصل من دمشق: إنتخابات فرنسا بعد أيام. وتشاء الصدف أن قطبها صديقان لكم. فهل تفضلون صديقاً على آخر؟

وأجاب: إن الرئيس فرنسوا ميتران صديق ورئيس الوزراء جاك شيراك صديق قديم. وستستمر علاقاتنا الجيدة مع فرنسا في حال فوز أحدهما.

وأضاف «إن العلاقات العراقية الفرنسية قد أصبحت من طراز العلاقات الثابتة التي لا تتغير رغم كل المتغيرات».

ووافقني على أنه يمكن مقارنتها بالعلاقات العراقية - السوفياتية ومن دون أن تكون هنالك معاهدة بين العراق وفرنسا.

نشر الحوار في مجلة «التضامن»

بتاريخ 7 مايو/ أيار 1988

مقابلة مع طارق عزيز

حول إيران وسوريا وعُلق بعد الوفاة (5)

١٠٠



○ أعلن لأول مرة، ولضمان القراحة بصدور قرار مفرد
بوقف إطلاق النار في أوج الهجوم الإيراني في شباط
وآذار، وصممنا على قرار بإنهاء الحرب وليس فقط وقف
إطلاق النار... ولقدنا اننا سنواصل القتال مهما كلف من
تضحيات

[illegible]

موضوع الفلاف



من تحرير الفلّاح قبل فمّه ويؤمّره

طار «عزيز» المتضامن»

أجرى الحديث في بغداد
فؤاد ماطر

ها هي بالقوة
ساعة من الف
الجري بالقوة
وفي اليوم الثالث
التراخين قبرة وسعياً
الديولوجية العراقية
في استصدار قرار دولي
أرضية معقولة لحل
الحدوث.

العلم

100

في الخرج بقمر
ت إلى رجل
ل أن تخرج
على شقذ
في الشرايح
في حمير
من
م الاجنبية

١٠٠

١٠١

١٠٢

١٠٣

١٠٤

١٠٥

١٠٦

١٠٧

١٠٨

١٠٩

١١٠

١١١

١١٢

١١٣

١١٤

١١٥

١١٦

١١٧

١١٨

١١٩

١٢٠

١٢١

١٢٢

١٢٣

١٢٤

١٢٥

١٢٦

١٢٧

١٢٨

١٢٩

١٣٠

١٣١

١٣٢

١٣٣

١٣٤

١٣٥

١٣٦

١٣٧

١٣٨

١٣٩

١٤٠

١٤١

١٤٢

١٤٣

١٤٤

١٤٥

١٤٦

١٤٧

١٤٨

١٤٩

١٥٠

١٥١

١٥٢

١٥٣

١٥٤

١٥٥

١٥٦

١٥٧

١٥٨

١٥٩

١٦٠

١٦١

١٦٢

١٦٣

١٦٤

١٦٥

١٦٦

١٦٧

١٦٨

١٦٩

١٧٠

١٧١

١٧٢

١٧٣

١٧٤

١٧٥

١٧٦

١٧٧

١٧٨

١٧٩

١٨٠

١٨١

١٨٢

١٨٣

١٨٤

١٨٥

١٨٦

١٨٧

١٨٨

١٨٩

١٩٠

١٩١

١٩٢

١٩٣

١٩٤

١٩٥

١٩٦

١٩٧

١٩٨

١٩٩

٢٠٠

٢٠١

٢٠٢

٢٠٣

٢٠٤

٢٠٥

٢٠٦

٢٠٧

٢٠٨

٢٠٩

٢١٠

٢١١

٢١٢

٢١٣

٢١٤

٢١٥

٢١٦

٢١٧

٢١٨

٢١٩

٢٢٠

٢٢١

٢٢٢

٢٢٣

٢٢٤

٢٢٥

٢٢٦

٢٢٧

٢٢٨

٢٢٩

٢٣٠

٢٣١

٢٣٢

٢٣٣

٢٣٤

٢٣٥

٢٣٦

٢٣٧

٢٣٨

٢٣٩

٢٤٠

٢٤١

٢٤٢

٢٤٣

٢٤٤

٢٤٥

٢٤٦

٢٤٧

٢٤٨

٢٤٩

٢٥٠

٢٥١

٢٥٢

٢٥٣

٢٥٤

٢٥٥

٢٥٦

٢٥٧

٢٥٨

٢٥٩

٢٦٠

٢٦١

٢٦٢

٢٦٣

٢٦٤

٢٦٥

٢٦٦

٢٦٧

٢٦٨

٢٦٩

٢٧٠

٢٧١

٢٧٢

٢٧٣

٢٧٤

٢٧٥

٢٧٦

٢٧٧

٢٧٨

٢٧٩

٢٨٠

٢٨١

٢٨٢

٢٨٣

٢٨٤

٢٨٥

٢٨٦

٢٨٧

٢٨٨

٢٨٩

٢٩٠

٢٩١

٢٩٢

٢٩٣

٢٩٤

٢٩٥

٢٩٦

٢٩٧

٢٩٨

٢٩٩

٣٠٠

٣٠١

٣٠٢

٣٠٣

٣٠٤

٣٠٥

٣٠٦

٣٠٧

٣٠٨

٣٠٩

٣١٠

٣١١

٣١٢

٣١٣

٣١٤

٣١٥

٣١٦

٣١٧

٣١٨

٣١٩

٣٢٠

٣٢١

٣٢٢

٣٢٣

٣٢٤

٣٢٥

٣٢٦

٣٢٧

٣٢٨

٣٢٩

٣٣٠

٣٣١

٣٣٢

٣٣٣

٣٣٤

٣٣٥

٣٣٦

٣٣٧

٣٣٨

٣٣٩

٣٤٠

٣٤١

٣٤٢

٣٤٣

٣٤٤

٣٤٥

٣٤٦

٣٤٧

٣٤٨

٣٤٩

٣٥٠

٣٥١

٣٥٢

٣٥٣

٣٥٤

٣٥٥

٣٥٦

٣٥٧

٣٥٨

٣٥٩

٣٦٠

٣٦١

٣٦٢

٣٦٣

٣٦٤

٣٦٥

٣٦٦

٣٦٧

٣٦٨

٣٦٩

٣٧٠

٣٧١

٣٧٢

٣٧٣

٣٧٤

٣٧٥

٣٧٦

٣٧٧

٣٧٨

٣٧٩

٣٨٠

٣٨١

٣٨٢

٣٨٣

٣٨٤

٣٨٥

٣٨٦

٣٨٧

٣٨٨

٣٨٩

٣٩٠

٣٩١

٣٩٢

٣٩٣

٣٩٤

٣٩٥

٣٩٦

٣٩٧

٣٩٨

٣٩٩

٤٠٠

٤٠١

٤٠٢

٤٠٣

٤٠٤

٤٠٥

٤٠٦

٤٠٧

٤٠٨

٤٠٩

٤١٠

٤١١

٤١٢

٤١٣

٤١٤

٤١٥

٤١٦

٤١٧

٤١٨

٤١٩

٤٢٠

٤٢١

٤٢٢

٤٢٣

٤٢٤

٤٢٥

٤٢٦

٤٢٧

٤٢٨

٤٢٩

٤٣٠

٤٣١

٤٣٢

٤٣٣

٤٣٤

٤٣٥

٤٣٦

٤٣٧

٤٣٨

٤٣٩

٤٤٠

٤٤١

٤٤٢

٤٤٣

٤٤٤

٤٤٥

٤٤٦

٤٤٧

٤٤٨

٤٤٩

٤٥٠

٤٥١

٤٥٢

٤٥٣

٤٥٤

٤٥٥

٤٥٦

٤٥٧

٤٥٨

٤٥٩

٤٦٠

٤٦١

٤٦٢

٤٦٣

٤٦٤

٤٦٥

٤٦٦

٤٦٧

٤٦٨

٤٦٩

٤٧٠

٤٧١

٤

[illegible]

A black and white portrait of a middle-aged man with light-colored hair, a mustache, and thick-rimmed glasses. He is smiling and wearing a dark suit jacket, a white shirt, and a dark tie. The photo is mounted on a light-colored card with a red border.

[illegible]

من الناحية الإنسانية، فإننا نرى أن هذه المواقف التي تتخذها بعض الدول العربية، وخاصة العراق، تجاه الفلسطينيين، هي مواقف غير إنسانية، ولا تتفق مع المبادئ الإنسانية التي يجب أن تكون أساساً للعلاقات الدولية. إننا نرى أن هذه المواقف هي انعكاس لضعف الوعي الإنساني لدى بعض الحكومات العربية، وخاصة العراق، والذي يجعلها تتجاهل حقوق الإنسان الأساسية، وتنتهكها بشكل منهجي. إننا نرى أن هذه المواقف هي انعكاس لضعف الوعي الإنساني لدى بعض الحكومات العربية، وخاصة العراق، والذي يجعلها تتجاهل حقوق الإنسان الأساسية، وتنتهكها بشكل منهجي.

[illegible]

المخاطر .. وعناصر أخرى

قلت الجبر، مصدر الزجر، وأخاطبكم لاني جسرنا
أعجب اني بطل العباد بعد ان العبر، وانك الخصال وهذا في تسليط
عزلة الذي بعد العزلة بطلان في القاموس انما انما انما انما
الان انما انما العزلة عودا وانما عودا انما انما
انما انما انما انما انما انما انما انما انما

مواقع إسرائيلية في الضفة الغربية المحتلة، ١٩٦٧-١٩٦٨

[illegible]

الاعتصام بالنسي في تطبيق قرارات المحكمة في إيران: دراسة ميدانية تطبيقية لفرهنا
 البصيصي نوري دة، وحسن علي حسيني، الامام محمد باقر الموسوي السليمان في العراق وبنات
 البصيصي الاعتصام بنسوة بصيرة دة دة علي قراره في العراق في نهاية الامم والاعتصام
 وفرهنا في بؤرة الحزن مستعصم ان العراق دة دة شجرة نسي السلام وبنات

AT-TAHRIK 12

[illegible]

سمران الاسرائيلي على احتفال الطفلة الغريبة
على رتمه ابيض هو مكتوبة وسند. وهو
لأن الانقضاة دورها حاسم وهي التي تتولى
القيادة

[illegible]

الخلايا الحرة التي تقوم بعمليات التمثيل الغذائي من خلال العمليات الأيضية التي
تطلقها.

أما ما يخص طاقاتها فخلايا الدم الحرة - السوفلية من دون أن تكون
من الخلايا العصبية.

المصدر: www.1000000.com - ٢٠١٠

الانتماءات العربية ودولها

مكي المكي

في يوم من الأيام، انشدت في طريق القطار، جدار
 من حديد الحديد العربي والذي يحزن له مستقيم قلة
 من دماء كرامونا التي تشرب حروقه الدخانية

في جوف هذا الأبرار خط الأمل في دمايتنا مغاور
 من حديد الحديد العربي والذي يحزن له مستقيم قلة
 من دماء كرامونا التي تشرب حروقه الدخانية

[illegible][illegible]

۱۱

اللقب كتيبة الرئيس صدام شخصيا
الطرف الاقوى في الحرب
اللقب دعمه للسلام والاستقرار في الخليج
الوسط

[illegible][illegible]

حديث عن القمة وإيران والموقف المطلوب من سوريا وعن ميشال عفلق وهل لمواقفه الأخيرة أثر على الدبلوماسية

إعتدنا طوال سنوات على نائب رئيس وزراء العراق وزير الخارجية طارق عزيز لا يكاد يعود من مهمة حتى يستعد لمهمة جديدة تتطلب منه السفر إلى هذه الدولة العربية أو تلك الدولة الأجنبية. بل إن طارق عزيز بدا خلال هذه السنوات أنه الثاني الذي تتساوى لديه ساعات في الجو واللقاءات التي يجريها خلال المحادثات أو المفاوضات أو المهمات الرسمية التي ينقل خلالها رسائل من الرئيس صدام إلى قادة دول العالم، مع الساعات التي يقضيها في مكتبه في وزارة الخارجية. أما الأول الذي سجل رقماً قياسياً في هذا المضمار فإنه ياسر عرفات وإن كان بعدما بات رئيساً لدولة فلسطين باتت طقوس البروتوكول وإحتياطات تفادي المخاطر توجب عليه تكليف المستشارين بمهمات كان يقوم في الماضي شخصياً ببعضها.

كان طارق عزيز عائداً لتوه من لقاء لوزراء خارجية دول «مجلس التعاون العربي» عُقد في العاصمة الأردنية وتم فيه وضع خطة تنسيق متقدمة في مجال التحرك الدبلوماسي لم تكن بعض ملامحها قائمة أو واضحة من قبل.

ومنذ أسابيع والدبلوماسية العربية والدولية لدول «مجلس التعاون العربي» مهمة ومهمومة في الوقت نفسه. الإهتمام بما إنتهت إليه القمة العربية الإستثنائية في الدار البيضاء، وهل أن قرارات تلك القمة ستحقق الإنفراج إذا إستعصى إيجاد الحل. أما الهموم فإنها متصلة في شكل أو آخر بالموقف الإيراني إزاء المفاوضات المباشرة التي تستهدف السلام الشامل والدائم مع العراق وبالوضع المرتبك الذي يعيشه السودان وإنشغال مصر، إحدى دول «مجلس التعاون العربي»، بهذا الوضع بما يتجاوز مشاعر الدولة الشقيقة. وقبل أن أقابل طارق عزيز يوم 25 تموز (يوليو) 1989 وأجري معه هذا الحديث الصحافي كانت قد توافرت لي من مصادر عربية معلومات مفادها أن مصر ترى أن إشراك السودان في «مجلس التعاون العربي» هو الضمانة لتفادي المفاجآت، إلا أن الدول الثلاث الأخرى كانت ترى أن المجلس وعاء لدول مستقرة وليس سياجاً يحمي دولاً تفتقد إلى الإستقرار.

وكدت أثير هذا الموضوع مع وزير خارجية العراق في شكل سؤال يطرحه صحافي على مسؤول وهو أمر مشروع وطبيعي، لولا أنه من الأفضل ترك أمور السودان وبالذات العلاقة المصرية - السودانية المستجدة وما يقال في شأن دور مصر في إنضاج المجموعة الجديدة التي قلبت حُكم الأحزاب، أو الحزبين، بعيدة عن إجتهدات الصحافي ومهاراته في طرح الأسئلة على مسؤول، علماً بأن طارق عزيز هو أحد قلائل في عالم الدبلوماسية العربية لا يضيق ذرعاً بأي سؤال مهما كان محرّجاً، ويحرص على أن يرد عليه ويتفادى الأسئلة المكتوبة مؤثراً عليها العفوية التي لم تسبب إجاباته في إطارها أي إحراج حتى الآن. وهذه

شهادة له يسجلها أهل الصحافة والكتابة الذين نحن منهم.
ولعل قدرات طارق عزيز الكتابية وممارسته مهمة الصحافة لبعض الوقت هي التي تجعله يفضل ذلك
ويجعلنا كزملاء له يواصلون دورهم على صفحات الصحف والمجلات يرتاحون إليه كزميل ينفذ على وجه
الدقة السياسة الخارجية التي رسمها الرئيس صدام حسين.

الإنسجام الرائع بين ميشال عفلق وصدام حسين

وقبل أن أسأل طارق عزيز عما ستكون عليه الحال بعد تسلّم رفسنجاني الحُكم وبعض السلطة في
إيران، وأسأله عما ستكون عليه الحال مادام العد العكسي للمهلة التي تم تحديدها للجنة الثلاثية التي تعالج
أمر لبنان قارب على الإنتهاء، وجهتُ إليه سؤالاً أعرف أن الرد عليه ينبع من الوجدان.
قُلْتُ: ونحن نقرب من أربعينية الأستاذ ميشال عفلق ما الذي يمكن قوله من ذكريات عنه في هذا
الحديث بدءاً من معرفتك به وإنتهاء ببقاءاتك الأخيرة به، وهل ترى أن مواقفه الفكرية في السنوات الست
الماضية سهّلت على الدبلوماسية العراقية مهمتها، بمعنى أن تلك المواقف إتسمت بشيء من المرونة
والواقعية التي تحتاجها دبلوماسية حُكم تشكّل مبادئ البعث أيديولوجيته؟

وأجاب: بالنسبة إلى الشق الأول من السؤال هنالك الكثير من الذكريات الحافلة التي لا يستطيع المرء
إستحضارها خلال لحظات قليلة من الزمن. لقد تعرّفنا على الأستاذ ميشال عفلق في البداية كشباب من خلال
ما قرأناه له في أوائل الخمسينات. وقد إنفعلنا بما قرأناه وتأثرنا وحددت كتاباته الأولية خياراتنا الفكرية والسياسية
في وقت مبكر.

ثم تعرّفنا إليه شخصياً. وأول مرة نتعرّف إليه شخصياً كانت بعد ثورة 14 تموز 1958، عندما جاء إلى
العراق في زيارة ممثلاً للجنة الإتصال الشعبي العربي هو وزميله الأستاذ الرويسي من تونس وفؤاد جلال من
مصر للتهنئة بمناسبة ثورة 14 تموز وبقي في العراق فترة وأجرى إتصالات مع قيادة الثورة والحركات السياسية،
كان ذلك في الأيام الأولى التي أعقبت ثورة 14 تموز ثم تعرّفنا عليه خلال فترة النضال السري بين 14 تموز
وثورة 14 رمضان (8 شباط 1963) خلال مشاركتي في مؤتمرين قوميين للحزب عُقد الأول في بيروت عام
1960 وعُقد الثاني في حمص في سوريا أثناء عهد الإنفصال عام 1962. وفي عام 1963 كان الأستاذ يتردد
على العراق خلال فترة ثورة رمضان وكنا على إتصال وثيق به. ثم إنتقلت أنا إلى سوريا عام 1964 وقضيت
عدة سنوات هناك وكنا على صلة وثيقة به. وأخيراً إستؤنفت هذه الصلة وتعمقت خلال فترة ثورة 17 - 30
تموز وهي أطول فترة قضيناها مع الأستاذ ميشال عفلق.

ماذا يمكننا أن نستحضر من ذكريات؟ لقد كتبتُ مقالاً قصيراً بعد وفاته نشرته في جريدة «الثورة» بعنوان
«هل رحل ميشال عفلق راضياً؟»، قُلْتُ فيه إن القادة التاريخيين من أمثال ميشال عفلق الذين بدأوا حياتهم
ببرنامج كبير أو مشاريع كبيرة لابد أن يسألوا أنفسهم بعد عشرات السنين من كفاحهم أو يُسأل رفاقهم أو الذين
يتولون الكتابة عنهم في ما إذا كانوا قد رضوا أم بلغوا مرحلة الرضا في المراحل اللاحقة لنضالهم وكفاحهم، لأن
الكثير من هؤلاء القادة الكبار لم ينجزوا مشاريعهم، أو أنهم أصيبوا بالإخفاق أو الإحباط. الأستاذ ميشال عفلق
في قناعاتي الشخصية رحل وهو يشعر بالرضا لأن مشروعه القومي صمد أمام كل الأعاصير التي ألمّت به
عبر خمسين عاماً من النضال القومي. هذا لا يعني أن المشروع القومي قد بلغ مرحلة الحسم ولكن نستطيع أن
نقول إن المشروع القومي الذي حدد معالمه الأستاذ ميشال عفلق والذي وضع ما نسميه بنظرية التطبيق. هذا
المشروع ليس واقعاً في العراق فحسب وإنما هو مشروع مستقبل للأمة العربية وبات يؤمن به الكثير من العرب

حتى من الذين لم يكونوا جزءاً مما سميناه أو كنا نسميه بحركة القومية العربية. فالشخصيات سواء في الحُكم أو في المؤسسات الشعبية والفكرية والإعلامية التي لها منطلقات وطنية صادقة التي تشعر بالمسؤولية إزاء الوضع العربي يمكن القول إنها باتت جزءاً من المشروع القومي أو قد إختارت المشروع القومي بوسائلها الخاصة وطبقاً لظروف كل فُطر عربي وطبقاً لظرف الفرد من هؤلاء. ومن معالم نجاح هذا المشروع القومي وإعتبارنا له مشروعاً مستقبلياً هو هزيمة التيار الشيوعي الأممي الذي ليس له مستقبل كما هو واضح الآن على الساحة العربية، وهزيمة التيار الذي أراد أن يستخدم الدين لأغراض سياسية. وفشل المشروع الخميني الذي كان أكبر مشروع ضمن المشروع الديني السياسي، بات واضحاً. وأستطيع أن أقول إن المنهج الليبرالي المستغرب قد فشل أيضاً فشل في الماضي وليس له مستقبل.

إذا لم يبق في الساحة كمشروع مستقبلي غير المشروع القومي بنظرية التطبيق التي جاء بها السيد الرئيس صدام حسين في العراق وبالتيار القومي العام الذي نراه ينمو ويترسخ في عموم الساحة العربية. لذلك يمكن القول إن ميشال عفلق رحل عن هذه الدنيا ومشروعه في الوضع الذي تمناه له في البداية. وبرغم كبر سن الأستاذ ميشال عفلق فإنه كان مستقبل الرؤية. عندما كان يتحدث معنا خلال السنوات الأخيرة، وكان قد تجاوز النصف الثاني من السبعينات من عمره، لم يكن يتحدث كشيخ من ناحية السن يتعامل مع مفردات الواقع الحالي بإعتبارها حالة نهائية أو حالة مستمرة، وإنما كان يتحدث كمفكر مستقبلي ويربط أحداث الحاضر بأفاق المستقبل. إنه يرحمه الله كان يعمل بالتشاور مع عدد من القيادات الفكرية والسياسية العربية من جيله ومن الأجيال اللاحقة. يعمل بهدوء وبأسلوب المفكر والقائد وصاحب الافكار المستقبلية في وضع مشروع مستقبلي لإعادة الديناميكية إلى الفكر القومي وإلى العمل القومي المشترك.

والحديث عن هذا الشق من سؤالك يقودنا إلى الحديث عن الشق الثاني. السياسة الخارجية العراقية التي مارسناها ليس في السنوات التسع الأخيرة من حياة الأستاذ ميشال عفلق وإنما منذ تولي الرئيس صدام حسين للمسؤولية الأممية في الحزب والدولة هي إنعكاس لنظرية التطبيق أو لنظرية العمل التي أوجدها الرئيس صدام حسين منطلقاً من الأسس الفكرية التي وضعها الأستاذ ميشال عفلق قبل عشرات السنين. وكان هنالك إنسجام تام ورائع بين القائدين.. القائد المؤسس وبين القائد الذي يضع العقيدة موضع التطبيق. وكنا أنا ومن سبقني بالعمل في وزارة الخارجية وزملائنا في الحقل الدبلوماسي ننفذ منهج السياسة الخارجية بما يعكس المبادئ والتطبيقات العملية للمبادئ. لذلك في الواقع لم نجد أية صعوبة في عملنا في هذا المجال بل على العكس كان هذا الإنسجام بين المبادئ وبين أسس التطبيق من ناحية ثانية عامل إلهام لنا في عملنا وعملاً مساعداً ساعدنا كثيراً في تحقيق نتائج ملموسة في المجال الدبلوماسي.

قمة الدار البيضاء وموقف الحُكم السوري

قلت: ألا يرى السيد الوزير أن قمة الدار البيضاء التي عولت الأمة عليها كما لم تعول على أي قمة من قبل، لم تغير حتى الآن شيئاً من موقف سوريا إزاء تعاطيها مع الأزمة اللبنانية وأن موقف الحُكم السوري من هذه القمة وقراراتها هو مثل موقف إيران من القرار 598، فما هو الحل؟

ورد قائلاً: سأجيبك بصراحة عن هذا السؤال، غالبية الدول العربية وغالبية القادة العرب الذين شاركوا في قمة الدار البيضاء ومعاونوهم وخاصة وزراء الخارجية كانوا مقتنعين بدرجات متفاوتة بأن الوجود السوري في لبنان، أو الإحتلال السوري للبنان، سمّه ما شئت، هو أكبر عقبة أمام حل القضية اللبنانية. هذا لا يعني أنه لا توجد هناك عقبات أخرى أو مشاكل أخرى، هذا لا يعني أن هؤلاء ليسوا مهتمين للإحتلال الإسرائيلي لجنوب

لبنان أو ليسوا مهتمين للخلافات السياسية الموجودة بين الزعامات اللبنانية. هذه كلها عناصر معروفة في الأزمة اللبنانية ولكن القناعة بأن الوجود السوري هو العقبة الأولى كانت سائدة. البعض من الدول العربية كان يتصور، وأقول بصراحة (يتوهم) بدلاً من يتصور، أن النظام السوري يشعر هو الآخر بأنه قد تورط في لبنان وأنه ربما يفتش عن سبيل ملائم، أو كما يقال في الدبلوماسية يحفظ ماء الوجه للخروج من لبنان. مثل هذا التصور أو الوهم كان موجوداً قبل قمة الدار البيضاء لدى اللجنة السادسة. وانتقل هذا التصور (الوهم) إلى قمة الدار البيضاء. وعلى هذا الأساس صيغت قرارات قمة الدار البيضاء وصيغت الإجراءات التي توصلت إليها القمة فيما يخص الأزمة اللبنانية على نظرية أن سوريا دولة عربية لا بد أن تسعى مع الدول العربية إلى إيجاد حل للوضع اللبناني ربما تكون لديها إجتهاادات مقبولة أو غير مقبولة، ولكن لا بد لسوريا في النهاية أن تتعامل مع المجموعة العربية لإيجاد مخرج من الوضع الحالي اللبناني.

ولا بد أيضاً إستناداً إلى هذه النظرية من البحث عن الصيغ المناسبة لجميع الأطراف ومن ذلك سوريا. موقف العراق كان قبل ذلك عند تشكيل اللجنة السادسة وأثناء القمة، أن النظام السوري مصمم أو لديه مخطط في لبنان ووجوده هناك، في نظر النظام السوري، ليس تورطاً جرت به إليه الأحداث وإنما هو وجود نشأ بإرادة الحُكم السوري، وإستمرار الوجود السوري حصل أيضاً بإرادة الحُكم السوري. لذلك من الأفضل أن تتعامل المجموعة العربية أو القمة مع المسألة اللبنانية من خلال هذا التصور. وأن نباشر بوقت مبكر بإفهام النظام السوري بأن عليه أن يخرج من لبنان لكي يتمكن اللبنانيون، وبمساعدة العرب، من إستعادة الوحدة الوطنية في لبنان وإستعادة مؤسساتهم الدستورية لكي يعود لبنان فُطراً عربياً مستقلاً آمناً.

ومع تأكيدنا على نظرتنا هذه لم نمانع في تأييد أو إعطاء الفرصة للخيار الذي إختارته اللجنة. وعلى هذا الأساس أيدنا اللجنة الثلاثية وسهّلنا مهمتها ولبينا كل ما طلبته منا من مواقف وخطوات لكي تتجح.

الآن يتضح أن المسألة ليست البحث عن مخرج ملائم أو مخرج يوفر ما يسمى بحفظ ماء الوجه للسوريين لكي يخرجوا من لبنان. الآن يتضح أن الحُكم السوري لا يريد أن يرفع يده عن لبنان وعندما يضع شرطاً أو يضع مطلباً وتحاول اللجنة الثلاثة أن تتجاوب معه بقدر أو بآخر فإنهم يفاجئون اللجنة بمطلب ثان وثالث وهكذا حتى أوصلها حسب معلوماتي إلى مرحلة التعجيز. وما أنت ترى ونحن نتحدث اليوم أن الوضع في لبنان يزداد تدهوراً والعمل العسكري يزداد إتساعاً وخطورة وآفاق الحل القمة لم تقش في تقديري، القمة حاولت محاولة أخيرة لكي تزيل أية ذرائع يمكن أن يتذرع بها النظام السوري للبقاء في لبنان. كان من الضروري لقليلي القناعة أن تزداد قناعتهم. كان من الضروري للذين لديهم أوهام بأن النظام السوري يمكن أن يتعامل بشكل أو بآخر لحل المسألة اللبنانية أن تزال هذه التصورات الوهمية. الآن في هذه المرحلة لا بد أن تكون هناك مواجهة مباشرة للحقيقة وهي أن الوجود السوري هو العلة وإذا لم تزال هذه العلة فلن يكون هناك حل للمسألة اللبنانية.

مجلس التعاون العربي... والوضع في السودان

قُلت: هل لمجلس التعاون العربي موقف موحد مما حدث في السودان أم أن هناك عدة مواقف؟ وأنا أسأل على أساس إننا نلاحظ بأن رد الفعل لا يوحي بأن الموقف واحد. فهل في تقديركم أن ذلك ينسجم مع روحية مجلس التعاون العربي. وبالنسبة إلى العراق هل أنتم مرتاحون إلى ما يحدث في السودان وما الذي طلبه منكم الإخوان. ومن الطبيعي كما إعتدنا على قيادة الرئيس صدام حسين أنها عندما تطلب منها دولة عربية أموراً وإحتياجات وتكون قادرة على تلبيتها فإن التلبية تتم على وجه السرعة.

وأجاب: عندما حدث التغيير الأخير في السودان تبادلاً بشكل أولي المعلومات والتحليلات عن هذا

التغيير، بين دول مجلس التعاون العربي. وخلال إجتماعنا الأخير في عمان أيضاً تبادلنا المعلومات والتحليلات حول هذا الحدث في قطر عربي يهمنى أمره. هل لدينا موقف موحد أم ليس لدينا موقف موحد؟ أنا لكي أكون دقيقاً لابد أن أقول إننا جميعاً ننطلق من موقف واحد إزاء ما يحدث من أحداث داخلية في البلدان العربية، بمعنى إننا جميعاً نحرص على أن يكون هناك في كل قطر عربي، من دون التدخل في شؤونه الداخلية، وضع يحافظ على سيادة ذلك القطر، وحدته الوطنية ويؤمن له متطلبات الأمن والاستقرار والنمو الإقتصادي والإجتماعي والثقافي. هذه هي رغبة العراق ورغبة الأردن واليمن ومصر أو تمنياتهم إزاء كل الأقطار العربية من دون، وأؤكد ذلك، أن تكون لدينا نزعة لا فردية ولا جماعية للتدخل في الشؤون الداخلية. ولكن عندما يحدث تغيير وهذا التغيير يريد منا أن نعاونه فلا بد أن نبحث الأمر. في هذه الجوانب هنالك موقف موحد إزاء ما حصل ولكن نحن طرحنا تساؤلات وقد طرحناها مباشرة مع الوفد السوداني الذي زارنا بشكل أخوي وصريح وقلنا إن تاريخ السودان الحديث أماناً جميعاً. حصل السودان على الإستقلال وتشكلت حكومة مدنية سمها مدنية أو حكومة قائمة من الأحزاب والقوى السياسية التي كانت قائمة آنذاك. في عام 1958 حصل إنقلاب عسكري وتسلمت قيادة الجيش السلطة. في عام 1964 فشلت قيادة الجيش في تسلّم السلطة وعاد النظام السياسي السابق، نظام الأحزاب والبرلمان، إلى الحُكم. في عام 1969 حصل إنقلاب عسكري ثانٍ وإستمر هذا الانقلاب بشتى الصيغ التي ظهر بها على السطح وإستمر في الواقع حُكم الجيش. فميري وقيادات البلاد بين 1967 و1985 كانت بيد قيادات عسكرية مع هذا المدني أو ذاك أو هذه الكتلة أو تلك، مرة يسار ومرة يمين، مرة ناصريين ومرة جبهة إسلامية ولكن الجيش هو الذي كان يحكم البلد، فشل أيضاً. جاءت القيادة العامة وتسلمت السلطة برئاسة المشير سوار الذهب ثم سلمته إلى حُكم الأحزاب ثلاث سنوات ثم فشلت وجاء الجيش لمرة ثالثة ليحكم البلد. نحن تساءلنا أمام السودانيين وأمام زملائنا في مجلس التعاون العربي ونتساءل: هل يمكن للحُكم العسكري الصرف أن يحل مشاكل السودان؟ هذا الأسلوب وهذه الصيغة في الحُكم جُربت في السابق. البعض يقول إن الأحزاب قد فشلت. نعم. الأحزاب فشلت ولكن الجيش أيضاً فشل في السابق. لا بد إذاً نظرياً وعملياً من التفتيش عن صيغة جديدة لحُكم السودان.

إن بقاء الصيغة العسكرية الصرف كصيغة وحيدة للحُكم قد تؤدي إلى إستئناف الصيغة السابقة للحُكم المدني ويبقى السودان يعيش في حلقة مفرغة لا خروج منها وهي الفشل المتتالي للأحزاب التقليدية والفشل المتتالي للمؤسسة العسكرية. نحن نؤمن بهذا وإنطلاقاً من محبتنا للسودان وحرصاً عليه ومن دون التدخل في الشؤون الداخلية له. نؤمن بهذا ونقول، قلناه للسودانيين ونكره بإننا نعتقد بأنه لابد من التفتيش عن صيغة جديدة. وهذه الصيغة على السودانيين أن يبتكروها. ليست لدينا الرغبة في أن نعطيهم دروساً في هذا الشأن، فأهل مكة أدرى بشعابها، ولكن عليهم هم أن يجدوا صيغة جديدة توفر المقومات اللازمة للمحافظة على وحدة السودان لتحقيق السلام فيه ولتحقيق الأمن والاستقرار للنهوض بالإقتصاد ولتأمين المشاركة الشعبية الحقيقية في الحياة.

هل إنها الحرب الباردة.. وإلى متى؟

قلت: تصلنا رسائل كثيرة يسأل فيها مرسلوها عن السر في تباطؤ إيران في تنفيذ بنود القرار 598، ونقول لهم ما معناه إنها ما دامت لم تتمكن من مواصلة الحرب الساخنة فإنها ستوجد حالة الحرب الباردة ولسنوات طويلة بحيث يمكن أن تصبح الباردة ساخنة عندما تتوفر لها الظروف التسليحية.

ما الذي يمكن أن نقوله عن لسانكم للذين يسألون؟

أجاب: إن الذين يسألون هذا السؤال ينطلقون من موقف مشروع تماماً. وهم ليسوا بعيدين عن الواقع. أنتم تعرفون أن إيران لم تقبل بالقرار 598 عندما صدر وعندما صاغ مجلس الأمن الدولي القرار 598 صاغه بشكل كامل ومتوازن بحيث يصلح لأن يكون خطة سلام شاملة يرضى بها الطرفان. إيران كانت غائبة عن التداول المباشر في القرار 598 ولكن أعضاء مجلس الأمن الدائمين وغير الدائمين كانوا يهتمون بالرأي الإيراني إلى أقصى الدرجات وقد أعطوا إيران في قرار مجلس الأمن الكثير مما كانت تطالب به كشعارات في ذلك الوقت. ومع ذلك لم تقبل إيران به عندما صدر لأنها كانت تتوهم بأن برنامجها العسكري ضد العراق سيحقق نتائج تُمكنها من رفض السلام وتُمكنها من المزيد من التوسع وتحقيق أهداف المشروع الخميني. وإستمر هذا الوهم لعدة أشهر حتى هُزمت إيران هزيمة عسكرية ساحقة بين نيسان 1988 وتموز 1988 وفي جو الهزيمة العسكرية الساحقة قبلت إيران بالقرار 598. وكانت طريقة قبولها تعبر عن حقيقة الموقف هناك. ففي منتصف الليل بتوقيت نيويورك بعث الرئيس الإيراني خامنئي وبشكل مفاجيء برسالة إلى الأمين العام للأمم المتحدة وصلته وهو نائم في فراشه يبلغه بأنهم قد قبلوا بالقرار 598.

لو كانت ظروفهم طبيعية وقبولهم طبيعياً لما إحتاجوا إلى هذا الأسلوب. نحن في تموز 1987 عندما صدر القرار عقدنا إجتماعات للقيادة القطرية ومجلس قيادة الثورة ومجلس الوزراء والمجلس الوطني. ثم حملت أنا رسالة من القيادة العراقية وذهبت إلى نيويورك وإجتمعت مع ديكيوار بأسلوب رصين وطبيعي في التعامل مع هذه المسائل. لقد قبلوا القرار 598 في جو الهزيمة العسكرية الساحقة. وبعد قبولهم القرار 598 لم يتقدموا خطوة واحدة بإتجاه السلام الشامل والدائم. في هذا الشأن نحن لدينا إتفاق 8 آب (أغسطس) 1988 الذي توصلنا إليه نحن وهم عبر الأمين العام للأمم المتحدة ويقضي بأن يتم وقف إطلاق النار في العشرين من آب (أغسطس) وتبدأ مفاوضات مباشرة (وأؤكد على مباشرة) بين وزيرى الخارجية برعاية الأمين العام من أجل الوصول إلى فهم مشترك لبقية أحكام القرار والإجراءات والتوقيات الخاصة بذلك، أي نصل إلى فهم مشترك لخطة السلام التي وضعها مجلس الأمن ومن ثم نتفق على الإجراءات والتوقيات.

عندما بدأنا مفاوضاتنا، أو فلنقل إجتماعاتنا لأن ما حصل لم يكن مفاوضات وإنما إجتماعات برعاية الأمين العام في 25 آب (أغسطس) وحتى اليوم رفض الجانب الإيراني الدخول في مفاوضات مباشرة حقيقية معنا. في كل الإجتماعات التي حضرناها كان الجانب الإيراني يتحدث مع الأمين العام للأمم المتحدة ونحن جالسون أمامهم ورفض وزير خارجية إيران والوفد الإيراني إجراء مفاوضات مباشرة جدية، بمعنى أن نجلس على طاولة مباشرة وتبادل الرأي ونتناقش ونبحث المسائل التي أمامنا. ثم رفضوا القبول أو التعامل مع نص وروح إتفاق 8 آب (أغسطس) وهو الوصول إلى فهم مشترك لخطة السلام ومن ثم الإجراءات والتوقيات الخاصة بذلك.

ماذا يعني هذا؟ عندما يرفض الوزير الإيراني التحدث معي مباشرة فهذا يعني أنه لا يريد أن يلتزم أمامي بشيء. والتزامه أمامي لا بد أن يكون إلتزاماً بالسلام بين البلدين لإننا بصدد تطبيق خطة سلام.

ومنذ البداية لجأ الجانب الإيراني إلى وسائله المعروفة في التركيز على نقطة واحدة من النقاط لعزلها عن النقاط الأخرى في اللعب على الألفاظ وفي شن حرب دعائية وتسميتك لها بأنها حرب باردة، نعم، حرب دعائية وهي نوع من أنواع الحرب الباردة. النظام الإيراني إذاً لم يتخذ قراراً واضحاً بإقامة سلام شامل ودائم مع العراق. قراره حتى الآن هو إبقاء حالة الاحرب واللاسلم هو يركز فقط على مسألة عودة القوات وإن التواجد الحالي في بعض الأراضي الإيرانية هو نتيجة لحالة وقف إطلاق النار. وهو لا يركز إلا على هذه المسألة وفي كل المناقشات التي جرت بيننا لا يبحث إلا هذه المسألة. حسناً. كلنا نقول هذه مسألة جديدة بالبحث ولكن هناك

مسائل أخرى لنبحثها أيضاً. ما هي التزاماتكم تجاهنا بموجب القرار 598؟

ما هي تصوراتكم لمستقبل العلاقات بيننا وبينكم؟

كيف سنؤمن أمن حدودنا نحن وأنتم وهي على إمتداد 1200 كم؟

ما هو الموقف من التدخل في الشؤون الداخلية؟

هذه القضايا لا بد من بحثها وإيجاد الحلول لها لكي نقول إننا توصلنا إلى حالة سلام. كان النظام الإيراني يتهرب من مناقشة أي من هذه القضايا. لذلك لا بد أن يتعمق لدينا الشك بأن النظام الإيراني يريد أن يبقى حالة اللاحرب واللاسلم بانتظار تطور ما في المستقبل. أنا لا أستطيع أن أنفي أن الحُكم الإيراني يخطط لحرب جديدة. لا أستطيع أن أنفي أن النظام الإيراني يفتش عن فرص وإمكانات لكي يستأنف سياساته السابقة تجاه العراق فحسب وإنما تجاه بلدان المنطقة لأنه لم يحل مشاكله مع بلدان المنطقة حتى الآن. إن موقفه من السعودية، لم يتغير. علاقاته مع دول الخليج لا تزال مفتوحة لكل الاحتمالات، وعلاقاته مع العالم الخارجي مازال مبنية على المنهج الإنتقائي الإنتهازي نفسه الذي إتبع في سنوات الحرب، وهو أن يستفيد من هذه الفرصة أو تلك من أجل أن يعزز موقفه العسكري أو السياسي أو الإقتصادي.

إنه لم يتوصل بعد إلى برنامج خارجي يثير الإطمئنان بأنه برنامج سلمي قائم على إحترام القانون الدولي وإحترام علاقات حُسن الجوار وإتباع أسلوب المفاوضات لحل المشاكل من خلال القواعد التي تنظم العلاقات في العصر الحديث. ماذا سيكون الموقف الإيراني كما يقال في الصحافة بعد إنتخاب رفسنجاني رئيساً للجمهورية وإستقرار السلطة، هذا سؤال على الجانب الإيراني أن يجيب عنه. نحن سننتظر وإذا وجدنا إستعداداً في إتجاه إقامة سلام شامل ودائم وإستقرار حقيقي في المنطقة فإن العراق وبلدان المنطقة جميعاً ستتجاوب بكل إخلاص، ولكن في الوقت نفسه علينا أن لا نكون سذجاً وأن نكون حذرين في التعامل مع النظام الإيراني.

الدورة العادية للجمعية العمومية.. هل تكون غير عادية؟

قُلت: هل تتوقعون أن تكون الدورة العادية للجمعية العمومية للأمم المتحدة غير عادية، بمعنى أن تكون أكثر حيوية إزاء موضوع السلام العراقي - الإيراني وموضوع الدولة الفلسطينية وذلك على أساس أنها أول دورة بعدما باشر الرئيس جورج بوش منصبه رسمياً وأول دورة بعدما إنتصر العراق وأجبر إيران على القبول بالقرار 598؟

أجاب: من متابعتي للموقف لا أجد أن الدورة المقبلة للجمعية العمومية ستكون دورة غير عادية. صحيح ان هنالك مستجدات في الوضع في منطقتنا وعلى الصعيد الدولي حدثت خلال العام الماضي، وهي مستجدات ذات طبيعة إيجابية لها صلة بدور الأمم المتحدة ونشاطها، ولكن هذه القضايا ما تزال جميعاً في مرحلة البداية. الوضع بين العراق وإيران كما أوضحته في الإجابة عن السؤال الأول لا يسمح بخطوة كبيرة جداً تتخذها الأمم المتحدة في هذه الدورة. وحسب الإتصالات التي أجريتها فإن الأمين العام يخطط بعد أن يُجري إتصالات معنا ومع الجانب الإيراني ربما على هامش مؤتمر بلغراد وأثناء الدورة، لإستئناف اللقاءات مع الطرفين في شهر تشرين الأول (أكتوبر) أو تشرين الثاني (نوفمبر) المقبل (1989).

ولكن من المؤكد أنه ستكون هنالك إتصالات كثيفة خلال الدورة مع عدد من الدول المهمة بالوضع في المنطقة. القضية الفلسطينية ربما ستحصل على إهتمام أكثر في هذه الدورة مما حصلت عليه في العام الماضي. وهناك تطورات حصلت في القضية الفلسطينية بين أيلول (سبتمبر) 1988 وأيلول (سبتمبر) 1989 ولا يمكن تجاهل هذه التطورات. مثلاً سنسمع كلمات من وفود كثيرة في الجمعية العامة تشير إلى هذه التطورات وسيكون

هناك نشاط سياسي وديبلوماسي ذو صلة بهذه التطورات.

هل سيبدل جورج بوش مجهوداً أكثر من ريغان؟ لا أدري. ريغان كان يحضر في الدورات السابقة للجمعية العامة ويلقي فيها الكلمات ربما يأتي الرئيس الأميركي ويتحدث. على كل حال في ما يخص القضية الفلسطينية إذا لم يخرج الموقف الأميركي من الشرقة التي مازال فيها فإن ذلك سيكون وضعاً سلبياً لأن الجميع يتطلعون إلى أن يتقدم الموقف الأميركي عن المستوى الذي هو عليه الآن.

التباطؤ الإيراني وعدم التريث في الترحيب والتوقعات

قُلت: هل إن هذا الموقف والتباطؤ من إيران في ما يتعلق بالمفاوضات المباشرة فاجأكم كدولة وكديبلوماسية؟

أجاب: لا لم يفاجئنا لا كدولة ولا كديبلوماسية لأننا نعرف كيف قبلت إيران بالقرار 598، ونعرف أنه عندما قبلت إيران بالقرار 598 بصورة رسمية ظن البعض أن الأمر قد إنتهى وأن إيران وافقت وسيحل السلام. ذهبُ إلى نيويورك وبناء على موقف القيادة العراقية وافقُ على أن تجري مفاوضات مباشرة. البعض قال لماذا ذلك، إن إيران قد قبلت بالقرار، قلنا نعم إن إيران قد قبلت ولكن علينا أن لا ننسى كيف قبلت. علينا أن لا ننسى أن إيران رفضت القبول بالقرار 598 وأن إيران رفضت كل قرارات مجلس الأمن السابقة ورفضت أسلوب التسوية السلمية للنزاع. القبول الآن لا يعني أن الأمر قد إنتهى وأن السلام سيقوم، لابد أن نتأكد من نيات إيران. والمفاوضات المباشرة هي إحدى الوسائل التي ثَمَكُنَّا من التأكد.

قُلت: بعد موافقة إيران على القرار 598 بادر العراق ورَّحَّبَ بذلك في حين أن شيئاً من التريث في هذا الموضوع (خصوصاً أنه كان قد أكمل عمليات التحرير المطلوبة) كان من شأنه أن يشكِّل نوعاً من الضغط الذي يجعل الموقف الإيراني الحالي على غير ما هو عليه بالنسبة لموضوع التفاوض المباشر. لماذا لم يحدث ذلك التريث؟

أجاب: في اليوم الذي قبلت إيران القرار 598 لم يكن قد تبقي من أراضينا المحتلة من قبل إيران إلا عارضة سانوبه وقد حررناها في آخر عملية تحرير في 1988/7/22. وبعد أن حررنا كامل ترابنا الوطني تعاملنا مع القبول الإيراني للقرار 598، كما سميناه في وثائقنا، تعاملنا واقعياً وبحسُن نية، على الرغم من معرفتنا بأن قبول إيران هو حصيلة للهزيمة وليس نتيجة للقناعة.

نحن كنا قد قبلنا القرار 598 بدافع أصيل وبقناعة عميقة ورغبة جدية في الوصول إلى سلام، ووجدنا أنه ما دامت إيران قد قبلت رسمياً أو تظاهرت بالقبول رسمياً فلا بد من الدخول في البحث في تطبيق القرار. المشكلة كما قُلت هي أن إيران تمتنع حتى الآن عن الدخول في بحث مباشر جدي لتطبيق القرار 598.

قُلت: هل هنالك احتمال عقد جولة مفاوضات قبل أن يبدأ عهد رفسنجاني في إيران؟

أجاب: لا. أنا لا أعتقد. في ضوء حديثنا الأخير مع الأمين العام للأمم المتحدة أثناء زيارتي إلى روما، لا توجد خطط لإستئناف اللقاءات قبل شهر تشرين الأول (أكتوبر) المقبل.

قُلت: هل يمكن التوقع بأن الجهود الدبلوماسية المشتركة لدول مجلس التعاون العربي ستعطي مردوداً أفضل بالنسبة إلى موضوع إيران؟

أجاب: على الصعيد العربي هناك اللجنة السباعية العربية التي كانت مسؤولة عن متابعة موضوع النزاع العراقي - الإيراني. وهذه اللجنة ما تزال قائمة، صحيح أنها لم تعمل خلال الأشهر الماضية لكنها نشطت كثيراً قبل وقف إطلاق النار. وبعد وقف إطلاق النار قامت بزيارات إلى عواصم الدول دائمة العضوية في مجلس

الأمن لدعم موقف العراق.

ولكن منذ أشهر لم تقم بنشاط لأن المفاوضات تحت رعاية الأمين العام بدأت. هذه هي المؤسسة التي تتحرك ضمن الإطار العربي. أما دول مجلس التعاون العربي فإنها تتضامن مع العراق تضامناً مطلقاً وتقوم بنشاط دبلوماسي مشترك لدعم وجهة نظر العراق. وبالتأكيد فإن هذا الدعم سيظهر في مؤتمر بلغراد لحركة عدم الانحياز وسيظهر في الدورة المقبلة للجمعية العامة.

توقعات وتمنيات من القمة الخليجية في مسقط وقمة عدم الانحياز والقمة العربية غير العادية

قُلت: بعد بضعة أسابيع ستعقد في مسقط القمة الخليجية الحادية عشرة وهي الأولى بعد وقف إطلاق النار. ما هو المؤمل من وجهة نظركم من هذه القمة الخليجية، أو بالأحرى ما هو المطلوب منها. وهل تتوقعون انعقاد قمة عربية عادية في المدى غير البعيد؟

أجاب: ما يخص الوضع بين العراق وإيران في تقديري أن أغلبية دول الخليج تتفق معنا في التحليل والاستنتاج، بأن إيران ما تزال في وضع لم تُحدد فيه خياراتها النهائية، وأن إيران ليست مستعدة لإقامة علاقات سلمية مستمرة لا مع العراق فحسب وإنما مع دول الخليج. هناك كما تعرف إجتهاادات لدى عدد محدود جداً من دول الخليج في مواصلة ما يسمى بالإنفتاح على إيران. هذه الإجتهاادات قائمة على الرغم من أن طروحاتها في السابق لم توصل إلى نتائج ملموسة. نتمنى أن تتوصل القمة إلى إستنتاج موحد بالإتجاه الصحيح. وسنبقى نحن على حوار مع إخواننا في دول الخليج لأن هذا الموضوع يهمهم كما يهمنا.

قُلت: هل هناك ما تتوقعونه في القمة المقبلة لعدم الانحياز، وهل تستعدون للقمة التي قررتم إستضافتها وتأجلت؟

أجاب: قبل ذلك أود أن أجيب عن الشق الثاني من سؤالك السابق حول القمة العادية. ما نتوقعه الآن هو قمة غير عادية أخرى تدعو إليها اللجنة الثلاثية، لأن اللجنة الثلاثية المكلفة بالملف اللبناني لم تصل حتى الآن إلى النتيجة المتوخاة وهناك مدة محددة لها وهي ستة أشهر بدءاً من أيار (مايو)، إذاً كحد أعلى لابد أن تتعقد قمة عادية أخرى في موعد أقصاه شهر تشرين الثاني (نوفمبر) المقبل. وربما تتعقد القمة قبل ذلك الوقت لأن المأزق اللبناني لا يحتمل مثل هذا التأجيل. لذلك لا يمكن الحديث في الوقت الحاضر عن قمة عادية في الوقت الذي نتوقع فيه عقد قمة إستثنائية أخرى خاصة بالملف اللبناني.

بالنسبة إلى قمة عدم الانحياز نحن ننتهياً للمشاركة الفعالة في هذه القمة لأن حركة عدم الانحياز رغم ما فيها من ضعف وسلبيات تبقى إطاراً مهماً للنشاط السياسي والدبلوماسي وللعراق رغبة مبدئية وعملية في أن تكون الحركة أقوى وأكثر فعالية على الصعيد الدولي.

قُلت: الآن تنشط إيران في سبيل الحصول على سلاح وعلى مساعدات لإعادة بناء قواتها العسكرية التي حطمها العراق خلال سنوات الحرب إذا كان هذا البناء بإتجاه عدواني وحربي كيف سيكون شكل العلاقات بين العراق والدول التي تساعد إيران في هذا الإتجاه؟

أجاب: هذا الموضوع طُرح علينا في الأوان الأخير وقد قلنا إن إقامة علاقات طبيعية مع إيران في المجال الإقتصادي والثقافي وغير ذلك من المجالات المدنية أمر لا غبار عليه وقد يكون مفيداً لأنه يؤدي إلى تطبيع الوضع الإيراني الشاذ بصورة أو بأخرى. أما تزويد إيران بالأسلحة فهو موقف سلبي لأنه لا يوجد هناك مسوغ لإمداد إيران بالسلاح.

قيل إن إيران تبحث عن أسلحة دفاعية. وقد سألنا ضد من؟ من الذي يهدد إيران؟ إذا كان التهديد من الإتحاد السوفياتي فالإتحاد السوفياتي هو الذي قرر تزويد إيران بالسلاح. تركيا ليست لها خطط للهجوم على إيران. باكستان ليست لها خطط للهجوم على إيران. أفغانستان أضعف من أن تهدد إيران. إذاً يبقى العراق ودول الخليج. العراق ودول الخليج تريد السلام مع إيران وكانت ضحية للعدوان والتوسع الإيراني، لذلك إنها ليست مصدر تهديد لإيران وإنما إيران هي مصدر تهديد لهذه الدول.

إن أي سلاح يذهب إلى إيران سيكون مصدر تهديد لأمن العراق وأمن دول الخليج ولا يمكن أن نشعر بالإرتياح لعملية تزويد إيران بالسلاح. كيف نشعر بالإرتياح إزاء تصرف من هذا النوع يؤدي إلى تهديد أمننا، هذا قلناه بصراحة للسوفيات ولغيرهم من الذين زودوا إيران أو ممكن أن يزودوا إيران بالسلاح. المساهمة الإيجابية في الوضع بالمنطقة لا تكون بتزويد إيران بالسلاح.

بالنسبة إلى موضوع إستضافة العراق لقمة عدم الإنحياز بعد القمة المقبلة أقول إن العراق مستعد إذا ما رغبت حركة عدم الإنحياز في ذلك.

قُلت: لن تكون هناك دعوة من العراق؟

أجاب: هناك بحث سيجري في القمة حول مكان القمة المقبلة. والعراق من بين الدول المستعدة لإستضافة القمة إذا ما رغبت الحركة بذلك.

«مجلس التعاون العربي» لا يتحمل إنضمام أعضاء جدد

قُلت: هل سيتوسع مجلس التعاون العربي خلال السنتين المقبلتين بعض الشيء؟

أجاب: من السابق لأوانه الحديث في هذا الموضوع، لأن مجلس التعاون العربي يحتاج لأن يترسخ. إنه في تقديري مؤسسة راسخة من حيث الأسس المبدئية التي قام عليها ولكن يحتاج إلى عمل تطبيقي لعدد من السنوات حتى يصبح واقعاً ملموساً على صعيد المواصلات وحركة السفر والتنقل، وعلى صعيد التبادل والتنسيق في مجال شركات الطيران وعلى أصعدة كثيرة أخرى، لكي يرى الذين يدخلون في المستقبل بيتاً كاملاً يضيف كل منهم له غرفة. أما عندما يأتي اليوم ويرى خططاً وخرائط أو مواد للبناء لا تزال غير موضوعة بشكل بيت كامل فإن إضافة أعضاء ستكون غير بناءة ولن يكون دخول أعضاء جدد مساعداً على إستكمال بنية مجلس التعاون.

قُلت: في ضوء إجتماع عمان سمعنا كلاماً عن التنسيق. ما هو سقف التنسيق؟ وهل تتطلبون إلى تكامل أم مجرد تبادل آراء. وما هي فلسفة كلمة تنسيق. هل تعني موقفاً واحداً أم موقفاً مشتركاً أم تعني عدم تناقض؟

أجاب: في الجانب السياسي يمكن القول إن نسبة الإتفاق والوحدة في الرأي أو الموقف بين دول مجلس التعاون العربي إزاء القضايا الإقليمية والدولية عالية جداً.

قُلت: عالية قياساً بالفترة التي سبقت قيام المجلس؟

أجاب: لا. قبل قيام المجلس وبعده عالية جداً، وهذا شيء مهم جداً في العالم. خذ مثلاً أوروبا. السوق الأوروبية المشتركة التي تُعتبر الآن نموذجاً للعمل الوحدوي في العالم لا يوجد بينها مستوى إتفاق على القضايا الإقليمية والدولية مثلما هو موجود بين دول مجلس التعاون العربي. الإتفاق بيننا أكبر. ولكن في الوقت نفسه نحن أربع دول ولا يمكن أن يكون هناك تطابق حر في كل المسائل. ما هو موجود من هوامش من عدم التطابق ثانوي ويُستكمل من خلال الحوار ومزيد من الآلية التي وضعناها في التنسيق والتعاون بين وزارات الخارجية.

في الدول الأربع قبل أيام في عمان تعزز هذا الأمر، باتت وسائل التقارب أكثر وتوافر التطابق في المواقف من خلال التبادل السريع للمعلومات من خلال الاتصالات المباشرة في الاجتماعات.

قُلت: لنفترض أن العراق ليس لديه سفير في دولة ما. هل يستطيع السفير المصري مثلاً أن ينوب عن العراق في هذه الدولة؟ والسؤال بالعكس أيضاً؟

أجاب: من الناحية المبدئية نعم. وهذا إتفقنا عليه من حيث المبدأ ولكن لا يستطيع أن يمثل بالمعنى الرسمي، لأننا لسنا دولة واحدة والمجلس ليس كونفيدرالية، ولكن سياسياً نعم.

من الناحية السياسية أنا أستطيع أن أبعث رسالة إلى أخي الدكتور عصمت عبد المجيد أطلب منه أن يذهب سفير مصر في بلد ما ويوضح نقطة ما تخص سياسة العراق لدى وزارة الخارجية. سيفعل الأخ عصمت وأنا سأفعل أيضاً إذا ما طلب مني ذلك وهذا حصل في الماضي، قبل الإتفاق. كنا نتعاون ونعتبر أن الخدمات التي نقدمها، بعضنا لبعض، مسألة طبيعية. وقد إستفدنا من التنسيق في باب التمثيل القنصلي. فالسفارة العراقية مثلاً في البلد الذي لا يوجد فيه تمثيل لليمن أو الأردن ممكن أن تقوم بخدمات قنصلية للبلدين. هذا إتفقنا عليه وسنضعه موضع التنفيذ. هناك آليات سيتم بحثها بين وكلاء وزارات خارجية الأقطار الأربعة.

* * * *

في نهاية الحديث وعند مصافحة الأستاذ طارق مودعاً، قُلت له: أليس هنالك على هامش السياسة ما نستطيع أن نكتبه عن الأستاذ أبو زياد؟

وأجاب: العائلة سعيدة بتخرج زياد مهندساً مدنياً قبل أيام. وهكذا سيشترك الإبن في الفيلق التي تعيد بناء ما دمرته الحرب.

نُشر الحوار في مجلة «التضامن»
بتاريخ 7 أغسطس/ آب 1989

مقابلة مع أبو الزعيم



أبو الزعيم ... الخارج على زعامة أبو عمار في مصارحة مع «التضامن»



أبو الزعيم يتحدث إلى فؤاد مطر

في التاريخ السياسي العربي الحديث كانت الانقلابات العسكرية هي السمة البارزة. والإنقلابات نوعان: إنقلاب ينجح القائمون في تنفيذه ويدوم طويلاً إنما بعد أن يعتمد القمع والتصفيات قبل أن تستقر به الحال. وإنقلاب لا يدوم طويلاً بسبب إفتقاد القائمين به إلى الحنكة السياسية في حدها الأدنى وهو أمر لا غنى عنه. وإلى جانب الانقلابات حدث ما إصطُح على تسميته «الحركة التصحيحية». ولعل الذين قاموا بهذه الحركات أرادوا من ذلك القول ما معناه إنهم ليسوا إنقلابيين وهذا ناشئ عن إدراكهم لرفض المواطن لإنقلابات والإنقلابيين، وكيف أن مصداقية التغيير بواسطة الإنقلاب إنعدمت تماماً في نفوس الناس. لكن التسمية لا تلغي حقيقة أساسية وهي أن «الحركات التصحيحية» هي حالات إنقلابية.

وفي مسيرة العمل الفلسطيني حدثت إنقسامات كثيرة وإنقسم التنظيم الواحد بتنظيمات إلا أنها المرة الأولى التي تحدثت «حركة تصحيحية» ونعني بها تلك الحالة الإنقلابية المفاجئة بل وغير المتوقعة التي قام بها أبو الزعيم الذي كانت علاقته بزعيم "فتح" ياسر عرفات أكثر من عادية وإلى درجة أنه عندما خرج أبو الزعيم عن خط عرفات وزعامته أثار الأمر الدهشة وعلامات الإستفهام، إضافة إلى أن البعض رأى في هذا الخروج ما ينطبق عليه قول الشاعر:

أعلمه الرماية كل يوم فلما إشتد ساعده رمانى

إلى أي مدى يبدو ساعد أبو الزعيم قوياً، وإلى أين وصل الإشتداد، وهل أن الحالة التي أوجدها أبو الزعيم ستكون أكثر من البرق الذي سرعان ما يختفي؟ ومن أجل أجابة واضحة عن هذه التساؤلات التي ترد في البال وفي مجالس الفلسطينيين العاديين الذين مازالوا يسكنون في المخيمات أو الفلسطينيين

البورجوازيين الذين تنتشر داراتهم الأنيقة على تلال عمان وجبالها السبعة وفي أحيائها الفخمة من الشميساني إلى قلاع العلي إلى الجبيهة إلى الصويفية إلى ببادر وادي السير وغيرها.. من أجل الأجوبة الواضحة هذه بحثت في عمان عن أبو الزعيم. ولأن الذي يسأل، خصوصاً إذا كان صحافياً مثلاً، لا يتوه فإنني عرفت أين يستقر أبو الزعيم في عمان. وإتصلت أطلب الإجتماع به. وفي اليوم التالي كنت في مقر أبو الزعيم. وكان هذا الحديث.

قلت له يحيط بنا حسين عويضة المسؤول عن إدارة الإعلام وهو من الطيارين الفلسطينيين: هذا اللقاء يمكن أن يكون للتحية على أساس أنك صديق قديم عرفناه في بيروت وفي تونس وفي القاهرة، أو يتحول إلى حديث صحافي أطرح فيه الأمور بصراحة بما في ذلك إستهجان الكثيرين ليس فقط لتخليك عن صديق السنوات الصعبة أبو عمار وإنما لكونك تقود معركة ضده وكأنما الحال التي عليها الثورة الفلسطينية من الصدمات والمطاردات لا تكفي لوقفه تأمل.

وبدا أبو الزعيم مستعداً للرد على أي أسئلة وعلى كل الأسئلة. وأمام هذا الإستعداد قلت له: الدخول إلى مكاتب حركتكم التصحيحية يلاحظ أنكم وضعت في صدر الديوان صورة الملك حسين إلى جانب صورتكم. فهل أن ذلك متعلق بوجود الحركة في الأردن، بمعنى أنه لو كانت حركتكم في بلد آخر غير الأردن لكانتم علّقتهم صورتكم إلى جانب صورة حاكم ذلك البلد، أم أن الامر يتعلق بإعتبارات تدخل في صلب الحركة وتوجهها وإستراتيجيتها؟

وأجاب: إسمح لي أولاً أن أرد على المقدمة قبل السؤال، فإذا كانت الزيارة بروتوكولية فنحن نعز بها، وكل ساعات نقضيها مع الاخ فؤاد نستفيد منها، ونستفيد من خبراته الطيبة، وهو صديق حميم وحبيب لهذا فنحن سعداء إذا أخذت الزيارة هذا المنحى.

ونكون أكثر سعادة إذا أخذت الزيارة طابع الحديث، لأن ما يهمنا هو نقل صوتنا الحقيقي للناس، بعيداً عن اللف والدوران، لأنه إذا كان هناك أولوية لأعمالنا، وإنقادات صارخة لأمر نعتبر أنفسنا مسؤولين عن تصحيحها في حركتنا، فهي اللف والدوران في أعمالنا، الذي فقد معناه وأصبح ممجوجاً لدى شعبنا العربي والفلسطيني، وأمتنا العربية كلها وحتى لدى كل دول العالم وعند الكثير من المسؤولين في العالم، لأننا بدأنا في لحظات معينة نفقد مصداقيتنا، وهذه أساءت لشعبنا وأساءت لقضيتنا؟

وسيكون الحديث معك كما هو مع كل من ينشر لنا رأينا، صادقاً ومن القلب إلى القلب، حديثاً لا مواربة فيه.

وبالنسبة إلى سؤالك فقد تكون محقاً فيه، ولكنني لا أرى فيه أي عامل من عوامل الأبعاد السياسية لسبب واحد، هو أننا أولاً لسنا في مكتبي الخاص، وفي مكتبي لا توجد سوى صورة القدس والعلم الفلسطيني، إنما خارج ردهات المكتب لأبد لأي مكتب لمنظمة التحرير الفلسطينية، أن توضع صورة رئيس الدولة في مكتب قيادة المنظمة كنوع من تكريم رئيس هذه الدولة الذي نقيم نحن فوق أرض بلاده، وفي الأردن الوضع يختلف لأننا نعتبر أنفسنا - فلسطينيين وأردنيين - شركاء دم وشركاء مصير، وهذه الشراكة ليست مزاجية، وليست شراكة حاكم مع مسؤول، وليست شراكة ملك مع رئيس منظمة ولا رئيس حكومة مع قيادة منظمة، بل شراكة مصير حقيقي بين شعب واحد يعيش شرقي النهر وغربه، ولهذا الشعب الذي يعيش غرب النهر خصوصيات وإن كانت المعركة قومية، لأننا نرى أن الشخصية الفلسطينية وبلورتها في صورة واضحة ودقيقة والحفاظ على الهوية الفلسطينية مطلب أساسي تحرص عليه هذه الحركة أكثر مما تحرص عليه منظمة التحرير نفسها، ولذلك وضعنا على رؤوس أولوياتنا في عملنا أن منظمة التحرير الفلسطينية هي الممثل الشرعي والوحيد للشعب

الفلسطيني، نقاتل على هذا المبدأ ونستشهد من أجله، لأننا نرى أن الهوية الفلسطينية تتجسد في هذه المنظمة، ومن هنا فوجود الصورة يعني تكريماً للبلد الذي كرمنا ونحن على أرضه كقيادة حركة وكقيادة منظمة، ولكن إذا عدنا إلى الجذور وإلى التاريخ والروابط الشعبية والمصيرية التي تربط الشعبين فنحن لا نرى أن الملك حسين أو أن الأردن غريب عن الفلسطينيين، أو أن الفلسطينيين غرباء على أرض الأردن.

العلاقة مع عرفات والآخرين

قُلت: عندما بلغنا أنك قمت بحركة أسميتها «حركة تصحيحية» إنتابنا شعوران: الشعور الأول: كان كيف يحدث هذا من قِبَل «أبوالزعيم» نظراً لطبيعة العلاقة الكثيرة المتميز مع صديقه أبو عمار؟

الشعور الثاني: إن الحركة حدثت وهناك الكثير مما يحتاج إلى التوضيح، بمعنى لماذا في هذا الوقت بالذات؟ وهل أن الصف الفلسطيني ينقصه المزيد من الإنقسامات والتشتت؟

وأجاب: إنني كنتُ على علاقة وثيقة جداً بالسيد ياسر عرفات، وعلى الصعيد الشخصي ما زلت أكن له علاقة صديق حميم مع صديق حميم، بعيداً عن إطار الأخطاء وإطار العمل النضالي والعمل الوطني. لا شك أن ياسر عرفات ناضل، وقد قُلت قبل أيام في مهرجان كبير في منطقة في عمان إسمها «حي نزال» وكان يحضر هذا المهرجان حوالي خمسة آلاف شخص قُلت لهم. إن الفلسطيني لا يخون، وإنني لا أتهم ياسر عرفات بالخيانة، وإياكم أن يخطر في بال أي فلسطيني أنه ستكون هناك في يوم من الأيام قيادة فلسطينية يمكن أن تخون، هذا كلام بعيد عن أخلاق الفلسطينيين وعن ممارساتهم اليومية والحياتية، لأن الفلسطيني لديه حب كبير لوطنه ولديه معاناة كبيرة، ولأنه دقيق في التعامل مع إخوانه، وأنا أعتز بأية علاقة كانت مع الأخ ياسر عرفات، ولكن عندما ننظر في عمق الموضوع، نرى هنالك حقائق هي بيت القصيد.

أولاً - عندما قمنا بهذه الحركة لم نقم بها لكي نكون إنشقاقاً أو إنقساماً أو إنفصالاً أو منظمة جديدة تضاف إلى سلسلة منظمات كثيرة أعيت الشعب الفلسطيني وضغطت عليه وعلى أعصابه سنيماً طويلة ولم تُعْطه أية فائدة إطلاقاً.

وعندما قمنا بهذه الحركة، والتي لا يروق لي إطلاقاً أن نسميها حركة تصحيحية، أي بمعنى تنظيم، فعلى أساس ديمقراطي يهدف إلى تصويب المسيرة وإلى مناقشة كل أخطاء مسيرتنا الفلسطينية منذ أن فُكر عدونا الصهيوني سنة 1897 في مؤتمر «بال» الأول بأن يقيم وطناً «قومياً» له على أرضنا الفلسطينية إلى يومنا هذا، وما هي حصيلة هذا النضال الفلسطيني وكم دفع الفلسطينيون؟ وكيف تصدوا للمؤامرات؟ كيف قاتلوا؟ كيف كانت علاقاتهم العربية؟ كيف كانت علاقاتهم الدولية؟ كيف تعرّضوا للمحنة وكيف قاوموا اليهود الذين تميزوا بالعقل والوعي والعلم؟ وقد قُلت هذا في مهرجانات كثيرة أنه في الوقت الذي أنجب فيه الشعب اليهودي ماركس وانشتاين وغيرهما، ثم جاء حايم وايزمن وبن غوريون والوكالة اليهودية وأقطاب الصهيونية، كان شعبنا الفلسطيني مغلوباً على أمره، يقاومهم بـ «أبو محمد» و «أبو محمود» وهذا ليس تقليلاً من شأن الشعب الفلسطيني ولكن هذه هي الحقيقة، شعب مسكين، بسيط، يتعرض لمؤامرات دولية خطيرة ويقرر مصيره من خارج حدوده وهو ضحية هذه الأشياء.

ومن هنا كانت فكرتنا في أن نتحرك ديمقراطياً داخل «فتح» أولاً والتي هي المنظمة الأساسية التي تقود العمل الفلسطيني، شاء الناس أم أبوا، والتي تشكّل العمود الفقري في النضال المسلح والتيار الشعبي العام الذي يؤيدها، وفي منظمة التحرير الفلسطينية التي هي الكيان السياسي والممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني،

وفي أوساط الشعب الفلسطيني الذي نعتبره صاحب المصلحة الحقيقية ولولاه ما كانت منظمة ولا كانت قيادات ولا كانت قضية.

ومن هنا نحن نقول إن هناك أرضاً وشعباً وقضية، هنالك قيادة وهناك منظمات وهناك ممارسات، هذه الشرائح مجتمعة تشكّل معنى الواقع الفلسطيني الذي يحتاج إلى تشريح. الفلسطينيون من سنة 1927 وحتى 1947 خسروا الأول من فلسطين بغض النظر عن المؤامرات التي حلت بشعبنا. من 1947 إلى 1967 خسروا ما تبقى، قامت هذه الثورة وقام جميع الفلسطينيين مؤمنين بها وأعطوها كل ما عندهم من دم ومن معاناة ومن تشرد ومن صبر ومن بندقية ومن تهجير ومن تدمير مخيمات على رؤوسهم ومن كل التضحيات التي قدّمها شعب في الدنيا، ولا يوجد شعب في الدنيا أعطى عطاء الشعب الفلسطيني. ثم نجد أنفسنا من عام 1967 ونحن الآن على أبواب 1987 قد خرجنا خارج إطار العقل والزمن، أصبحنا مشردين حتى خارج الوطن العربي، كي لا أقول خارج دول الطوق، أصبحنا بالفعل خارج أية قدرة على العمل، بإستثناء إننا مجرد قيادة شرعية مسماة ولا أرى هناك خلافاً بينها وبين الهيئة العربية العليا القيادة التي سبقتها في تاريخ الشعب الفلسطيني والتي مازالت قائمة ولها مكاتب في عمان وفي السعودية وفي بيروت، وفي الكثير من البلدان، وما تزال تعتبر نفسها كهيئة عربية عليا انها مسؤولة عن النضال الفلسطيني، فأنا أرى يوماً بعد يوم أن قيادة منظمة التحرير الفلسطينية ستتحول إلى مثل هذه الهيئة، لأنني لا أرى وهي تقيم في السودان أو تقيم في الجزائر أو تقيم في أقصى المعمورة أنها على صلة بشعبها أو على اتصال بالعمل اليومي للشعب الفلسطيني، إنما هي عبارة عن هيئة تتابع النشاط السياسي في العالم، تصدر بياناً هنا وبياناً هناك، تعلق على ذكرى وعد بلفور وتعلق على ذكرى التقسيم، تسمع عن عملية إرهابية فإما أن تتبناها أو تقول رأيها فيها، ولا يوجد أي تحرك سياسي فاعل أكثر من هذا إلا التعاطف العربي والدولي الذي ورثناه منذ السنوات الأخيرة مع المنظمة. ومن هنا كان في تقديرنا أنه لا بد من وقفة تصحيح مسار القضية كلها، أين كنا وأين ذاهبون؟ كم دفعنا وكم أخذنا؟ نتيجة هذا العمل إلى أين؟

هناك عملية إستبداد سُلطوي وقع من المنظمات على الشعب الفلسطيني، الذي هو صاحب المصلحة الحقيقية، وهو الممثل الشرعي لنفسه ولقضيته ولكل ما يتعلق بمصيره، وهو صاحب الحق في إختيار مصيره. منظمة التحرير الفلسطينية قامت عام 1964 في زمن الشقيري بقرار من الجامعة العربية، وبقيت هذه المنظمة موجودة حتى اليوم، في 1967 سقطت الأرض العربية المحتلة في الأردن والجولان وفي سيناء، وقامت المنظمات وبدأت تأخذ دوراً ومداً في الكفاح المسلح، وسيطرت على الساحة بحكم الرفض الشعبي العربي للهزيمة، وفي طليعته الشعب الفلسطيني، والأمة العربية مجتمعة رفضت الهزيمة وحملت البندقية ونادت بالقتال، فما الذي حدث؟

عام 1969 دخلت المنظمات في منظمة التحرير الفلسطينية، وكان رئيسها يحيى حموده بعد أن مضى الشقيري، وإتفق على أن تكون نسبة معينة بسيطة للتنظيمات وباقي مقاعد المجلس الوطني الفلسطيني للمستقلين أي للشعب الفلسطيني، والذي حدث أنه بين يوم ويوم إبتدأ عندنا نظام «الكوتا» أي ورّع المستقلون على التنظيمات فلان له 10، فلان له 15. فلان له 50 فلان له 60 من خارج حصة المنظمات، فتأتي الشعبية وتتسب من لها من المستقلين، وتأتي «فتح» وتتسب من لها ممن يسمون بالمستقلين إلى أن إختفى لون الإستقلال الحقيقي للشعب الفلسطيني في هذا المجلس، وأصبح المجلس هو مجلس التنظيمات، ومن هنا كان المجلس لا يتفق في أي يوم من الأيام إلا على كلمة «لا» عندما تأتي قيادة المنظمة لتقدّم أي مشروع. وقد قدّمنا عدة مشاريع، مشروع فاس وقد كتبه الأخوة بإيديهم، وأنا مطلع على هذا، ولا يستطيع أحد أن ينفي ذلك،

مشروع فاس الأولي كتبه صلاح خلف وفاروق القدومي وخالد الحسن وراجعهم معهم وليد الخالدي وباسل عقل، وقُدم للسعودية وعندما قُدم المشروع في مؤتمر فاس لوزراء الخارجية قال أحد وزراء الخارجية العرب متكهماً إن هذه خيانة فإذا بأبو اللطف يجاوب ويرد وهو كاتب المشروع. نعم هذه خيانة، مما إضطر الأمير سعود الفيصل إلى أن يقف ويقول إنه إذا كانت هناك خيانة فهي في من قَدّم هذا المشروع وكتبه وليس في من تبناه لأن هذا يا إخوان مشروعكم، فشلت قمة فاس ولم تخرج بشيء، كثير من المشاريع التي تُقدمها المنظمة وتكون مقتنعة بها إقتناعاً كاملاً مثل الإتفاق الأردني - الفلسطيني.

بعد خروجنا من الشام، وبعد إنشقاق الأخ أبو موسى ومجموعته، وبعد الذي حصل في طرابلس وبعد الذي حصل في البقاع، وبعد ما خرج الأخ أبو عمار على باخرة وتركنا كل ما لنا في لبنان، وكنا قد خرجنا قبلها من بيروت.. وبعد هذا كله وجدنا أننا نسير بلا خطة، وعندما جمعنا رأينا على عقد مجلس وطني في الأردن ونرتب وضعنا السياسي، ووصل الناس إلى إتفاق مكتوب وموقع بين رئيس منظمة التحرير الفلسطينية والملك حسين، وهذا الإتفاق أخذ موافقة اللجنة المركزية لحركة "فتح"، وأخذ موافقة اللجنة التنفيذية للمنظمة، وأخذ موافقة المجلس الثوري والمجلس المركزي، وجميع مؤسسات منظمة التحرير أقرت هذا الإتفاق، ثم فجأة وبعد سنة من الحديث والأخذ والرد، وجدنا أنفسنا غير قادرين على تنفيذ إتفاق، وأنا أرفض ما يقوله الأخ أبو عمار من أنه ضد هذا الإتفاق، لأن أبو عمار ولغاية الآن لا يقول أنه ضد الإتفاق، أو أن هناك إجحافاً في حق الفلسطينيين، هناك خلل في القيادة وهذا يجب أن نعرفه، خلل في صنع القرار - وأرجو أن تعطيني بالك لهذه الكلمة - هناك خلل في صنع القرار الفلسطيني، فانت تعرف أن هناك منظمات لها دول، وأن هناك منظمات لها أحزاب، حتى "فتح" التي تقود العمل الفلسطيني، ولعلك أنت متابع أكثر مني، ومطلع أكثر مني على المواقف المشهودة أو المعلنة، ففي إسرائيل نجد الليكود والعمل ونجد بيريز وشامير يتبادلان السلطة، وعندما يتفقدان على مشروع يلتزمان به، ولما شارون «يقول أدبه» مع رئيس الوزراء يحاسبه، و «يشيله» من منصبه ولما موداعي يعمل أقل خلل، فإن لرئيس الوزراء سلطة عليه رغم أنه من حزب آخر، أما عندنا فلا نستطيع أن نقيم سلطة على أي عضو لجنة تنفيذية من تنظيم ثان، بل وأكثر إن أبو عمار لا يستطيع أن يقيم سلطة على أبو اللطف، ونجد أبو اللطف الذي هو رئيس الدائرة السياسية وعضو مؤسس مع أبو عمار نجدهما متناقضين، هذا يتكلم في الشرق وهذا يتكلم في الغرب، خالد الحسن له رأي وصلاح خلف له رأي، وتجد أبو مازن له رأي، وأبو ماهر له رأي، تجد من يرى في سوريا والديمقراطية وبعض التنظيمات هي الوحدة الوطنية، وتجد من يرى في الأردن وفي الإتفاق الأردني - الفلسطيني وفي تحقيقه الوحدة الوطنية.

هناك تناقضات كثيرة في هذه القيادة، وأنا أقول أعطني قراراً واحداً صدر عن هذه القيادة وفيه شيء من التوازن، كلها قرارات «إرضائية» كي لا يتفجر المجلس، أو كي لا تتفجر اللجنة التنفيذية، أو كي لا تتفجر اللجنة المركزية في «فتح».

من هنا كانت يومياتي مع ياسر عرفات، ولعله يذكر ولا ينسى، ولا أريد الآن أن أثير مواقف، عندما قام جلالة الملك فهد بزيارة الجزائر والتقى مع الرئيس الشاذلي، وكان الأخ أبو عمار موجوداً، وكانت القصة تدور حول أن نذهب إلى مصر أو ألا نذهب، وأنا أعتقد أن الملك فهد والرئيس الشاذلي قَدّما دعماً معنوياً لياسر عرفات، ورأينا في سوريا دولة تقدمية ورأينا في السعودية دولة تستطيع أن تلم شعث العرب، وقلنا: هاتان الدولتان لو وقفنا وراءنا لحققنا الشيء الكثير وبالفعل وقفنا، ثم فوجئنا بأن السيد ياسر عرفات يطالبني أن أذهب إلى مصر لكي أقترح على الرئيس حسني مبارك أن يبدّل الحكومة وأن يأتي باعضاء من المعارضة، لكي يستقيم الأمر في مصر حتى يستطيع ياسر عرفات أن يزورها، وقد عصيتُ أمره لأنني رأيتُ في هذا خروجاً

على الخلق القيادي لأي شعب في الدنيا، فأنا لا أستطيع أن أفرض على مصر هذا التغيير، ثم بعد فترة وجدنا أنه يذهب إلى القاهرة.

قُلت: هذه النقطة بالذات ربما تحتاج من الأخ أبو الزعيم إلى المزيد من التوضيح، ما هي منطلقات تغيير الحكومة؟

وأجاب: حتى يزور أبو عمار مصر في راحة، وألاً يجد في هذا حرجاً، على أساس أن الحكومة المصرية الآن بدأت تضم المعارضة، وهذا نوع من محاولة إرضاء التنظيمات من خلال اللعب على إنقسامات وتناقضات داخل الشعب المصري، وهذا شيء مؤسف.

الكلام المسجل على فيديو

قُلت: هل هذه المحاولة تمت عن قناعة؟

نعم، وأعتقد أنه أبلغ المصريين عن غير طريقي لأنني رفضت، وقد جُن جنون المصريين، ثم ذهب إلى مصر وأعلن وقف العمليات ووقف الإرهاب، وقال للرئيس مبارك كما قُلت أنا في أحاديث صحيفة كثيرة، قُلت نحن كقيادة فلسطينية يا أخ ابو عمار، عندما تأتي إلى الأردن ماذا لدى الأردن سوى قرار 242، الملك حسين كان واضحاً معنا، وقال لنا ليس عندي سوى 242 وأنتم ممثلو الشعب الفلسطيني الشرعي ترفضون الإعراف به وهذه لعبة كيسينجر، ونحن المعترفون بالقرار لا نملك حق التمثيل، فتعالوا نلم بعضنا البعض، فليس عندنا الرغبة في التفرد بالقضية، ناس معترضة وناس لديها حق التمثيل لعلنا نطلع بحاجة وقال الملك حسين: أنت يا أبوعمار منذ عام 1983 كتبتَ معي إتفاقاً وكدتَ توفِّع عليه ثم ذهبت إلى الكويت ولم تعد، فإذا كان هناك شيء داخل قيادتك، فقال أبوعمار: أنا منزعج من أبو اللطف، ومن صلاح خلف، وأنا سأرسلهما إليك يا جلالة الملك لتتباحث معهما، وبالفعل حضر صلاح خلف وفاروق القدومي - وهذا حدث قبل المجلس الوطني - وإتفقا مع الملك على أن المجلس الوطني سيُعقد في عمان، وسيترتب على ذلك إتفاق أردني - فلسطيني، وسيدخلون في مفاوضات جدية، وأنهم يقبلون 242، وجاء الملك وأكد هذا في المجلس الوطني الفلسطيني على مسامعنا جميعاً، وقُلت يومها والكلام مسجل على فيديو - إن المجلس يناقش كل شيء ما عدا قضية أساسية، وهو ما طرحه الملك علينا، ونحن يجب أن تكون لدينا جرأة الرجل في مناقشته وألاً نكون أقل منه صراحة لأننا ثوار علينا أن نقف مع قضيتنا بكل رجولة، فإذا كان في كلام الملك ما يزعج فعلينا أن نقول له يا جلالة الملك نحن لا نستطيع أن ننقذ هذا، وإذا كانت هناك إمكانية فعلينا أن نقول رأينا بصراحة، وأنا أقترح التالي: أن يُعقد إجتماع بين القيادتين الفلسطينية والأردنية - وهذا مسجل على شريط فيديو - وأن نقول ما لنا وما علينا، وأن نناقش كلمة كلمة، وحرافاً حرافاً، فإذا وجدنا شيئاً يستطيع أن يكسبنا فائدة وطنية أخذنا به، وإلاً إعتذرنا، وأنا أريد أن أقول شيئاً، فأنا لا أريد أن أدخل في لعبة الأرقام كي لا يقول الناس أن هناك عضواً في المجلس الوطني إعتترف بقرار ما قُلت إذا كان هناك حل يعيد الضفة الغربية وغزة والقدس ونرفضه فنحن خارجون على مجالسنا الوطنية، لأن مجالسنا الوطنية الفلسطينية تقول بإقامة الكيان الفلسطيني على كل شبر ينسحب منه العدو، فلماذا نتهيب من مناقشة هذا الكلام؟ وبالفعل نوقش الموضوع، وشكلت لجنة مشتركة من الأردن وفلسطين، وصاغت عدة أوراق وإتفاقات إلى أن وصلت الإتفاق النهائي الذي وُقِع في 11 شباط (فبراير) 1985.

من هنا أشعر بالتناقض في القيادة، وأشعر بمذابح عربية أدخلتنا بها هذه القيادة، من مذابحنا في أيلول، إلى مذابحنا مع السوريين حيث سعينا لمنع القوات السورية من الدخول لفرض النظام والقانون بموجب قرار من الجامعة العربية كقوة ردع عربية، نستعدي الناس على الموارنة ونقاتل الموارنة ونعزلهم، ثم بعد قليل يتحالف

ياسر عرفات مع الموارنة ضد الشيعة الذين إحتضنوه عشرة أو خمسة عشر عاماً وأعطوه قراهم وأعطونا كل ما يستطيعون. فلماذا نفجر الخلاف بيننا وبين الشيعة؟ لماذا؟ هل لأن الشيعة يريد أن يقتل الفلسطيني هذا ليس صحيحاً، أو أن الفلسطيني حريص على قتل الشيعة هذا ليس صحيحاً، لأن هؤلاء الناس قاتلوا معنا حصار بيروت، وقاتلوا معنا الموارنة والإنعزاليين كما كانوا يسمونهم، وقاتلوا معنا كل معارك هذه الثورة، لماذا إذاً يجري ما يجري في لبنان؟ لأن هناك قيادة تبحث عن الدم، قيادة تبحث عن أن يُكتب عنها مانشيت في الصحف أياً كان هذا الدم، سواء كان مع السوري مع الأردني مع الشيعة مع السني مع الدرزي، ليس هذا مهماً، المهم أن يسيل الدم حتى تبقى هذه القيادة موجودة لان بقاءها مرهون بالدم الفلسطيني، يتوقف الدم الفلسطيني الآن فتسقط هذه القادة، لأنه ليس لديها حجة سياسية تستطيع أن تقدمها، وليست لديها قدرة عسكرية لكي تقاتل في قلب العدو، ومن هنا بدأنا يوماً بعد يوم نحس أن صراعنا يتحول من إسرائيلي إلى عربي، ونرى واحداً مثل حنا سنيورا الناطق الرسمي بإسم ياسر عرفات في الأرض المحتلة يدعو صراحة وجهاً إلى إتحاد كونيديالي مع إسرائيل، بينما ترى أن الحروب التي تصير ما بيننا كقبائل عربية تصرف الفلسطيني إلى عداء العربي، وأصبح الفلسطيني متهماً في كل أقطار الدنيا، ساعة يتهمونه بالإرهاب، ساعة يتهمونه بأنه قاتل عربي. أنا لا أنكر المؤامرات على الشعب الفلسطيني من أية جهة جاءت حتى العرب بعضهم مشارك في هذه المؤامرات، ولا أنفي هذا، ولكن أقول إن القيادة المسؤولة هي التي تتعامل مع المؤامرة بالعقل، فسائق السيارة ليس مسؤولاً فقط عن خطئه بل ومسؤول أيضاً عن خطأ الآخرين، ويجب أن تعلم القيادة كيف تقود بهدوء وكيف تحسب كافة العوامل والحسابات، والشعب العربي لم يضمن على القضية الفلسطينية، أعطاه الكثير، وأنت تعلم كيف إستقبلنا نحن في لبنان في جنازة «الجمال» وكيف يحيط بنا الشعب الأردني، ثم بدأت قضايانا مع الشعوب، نحن لا نقاتل الآن دولاً، أنا الآن لا أقاتل أمين الجميل ولا أقاتل قائد الجيش، أنا الآن أقاتل مواطناً عربياً مثلي، هذا القتال لماذا؟ ولمصلحة من؟ وإستعداد الفلسطيني لماذا؟ حتى الصحف العربية تقع في هذه الأخطاء وتصور كان مجزرة تدبر للفلسطينيين، الفلسطيني مظلوم. واللبناني مظلوم، ولكن هناك قيادة تاجرت بالدم الفلسطيني - اللبناني المشترك. هذه عوامل كلها دفعتنا إلى التحرك في هذا الإتجاه.

ضد العنف داخل الثورة

قُلت: هل نفهم من هذا أنكم في إتجاه حركة اللاعنف، أو إسقاط العنف نهائياً؟

وأجاب: نحن ضد العنف داخل الثورة الفلسطينية، نحن لا نفرض رأينا بالعصا على أحد، ونحن نرى هناك أخطاء، وسأتحدث عن الأخطاء المالية، فلا يجوز إطلاقاً أن (120) ألف عامل فلسطيني يعملون مع إسرائيل في بناء مستوطنات على أراضيهم، وفي شتى أنواع العمل لأنهم لا يجدون لقمة العيش، وكانت القيادة تخطط لكي تضربهم وتؤدبهم بينما لو وفروا لهم لقمة الخبز لما إشتغلوا مع اليهود، بينما ترى أنه من الهند حيث حملة أنديرا غاندي، إلى تونس التي خرجوا منها البارحة، إلى أوغندا، إلى تنزانيا، إلى الكثير من الدول التي تدفع لها مئات الملايين من الدولارات بينما الشعب الفلسطيني في الجوع، مخيمات الفلسطينيين في لبنان ممسوحة من الغزو الإسرائيلي، فماذا قدمت قيادة المنظمة للمخيمات في لبنان؟ ماذا قدمت للمخيمات هنا في الأردن؟ ماذا قدمت للأرض المحتلة؟ ماذا قدمت لتعزيز صمود الشعب الفلسطيني!

نجد أيضاً التخطط في المجلس الوطني السابع عشر، أستثني كل من في الشام من المنظمات وتنظيمات (فتح أو قيادة عامة أو شعبية أو ديمقراطية أو غيرها) وإعتبرنا ان النصاب متوفر وأن هذا الحضور هو المطلوب وأن وحدة الشعبين الأردني والفلسطيني، ووجود شعبنا الفلسطيني هنا هو الأساس، وصفقنا لهذا

الموضوع، ثم نجد بعد الخروج من الأردن البحث عن نايف حواتمه والبحث عن سليمان النجاب، لكي نقيم معهم الوحدة الوطنية، الأمر عجيب وغريب، بالأمس كانت كل هذه التنظيمات ليس بحاجة لها العمل الفلسطيني والآن أصبح إتحادك مع أبو العباس ومع نايف حواتمه ومع سليمان النجاب يأتيك بالوحدة الوطنية الفلسطينية.

في الحقيقة أنا لا أرى أهل غزة يهاجمون أهل جنين، ولا أهل جنين يحتلون صفد، ولا أهل صفد يهاجمون الخليل، الشعب الفلسطيني واحد، الوحدة الوطنية موجودة في داخله، الوحدة بين الأحزاب والتنظيمات فلن يوحدنا أحد، لأن لكل واحد إيديولوجيته، وكل واحد يرى في نفسه زعيماً فلسطينياً، فكيف تعود فلسطين لا ندرى.

من هنا نحن حركة في إطار «فتح» ومنظمة التحرير الفلسطينية والشعب الفلسطيني لجعل الشعب الفلسطيني يلتف معنا من أجل تغيير هذا الواقع المظلم السيء الذي لا يمكن أن يوصلنا إلى قرار، محافظين في ذلك على منظمة التحرير الفلسطينية الممثل الشرعي والوحيد وهي للشعب الفلسطيني، ملتزمين بالإتفاق الأردني - الفلسطيني نصاً وروحاً، إذا كان هناك سلام حقيقي فأنا مع هذا السلام لأن الشعب الفلسطيني متهم دائماً بأنه هو الذي يعرقل السلام وإذا لم يكن هناك سلام، فأنا أعتبر أن خطئي الفلسطيني أنني حاولت أن أتفرد كفلسطيني بالقضية الفلسطينية واعتبرتُ هذا إستقلالاً في القرار، أنا أقول نعم لإستقلال القرار الفلسطيني ضمن عمل عربي موحد، لأن الفلسطينيين وحدهم لا يستطيعون أن يقوموا بعبء قضيتهم لا عسكرياً ولا سياسياً. وأضرب مثلاً، إذا أردتُ أن أعلن التعبئة العامة في الأردن فهل أستطيع هذا إذا لم يأذن لي الملك حسين. إذا أردتُ إعلان التعبئة الفلسطينية في دمشق فهل أستطيع من دون قرار سوري. أنا في وضعي هذا مضطر إلى التعامل مع الدول العربية بقدر حاجتي إليها، وبقدر ما تعطيني، الواجب ألا أتناقض مع هذه الدول العربية تناقضات حادة تجعل مني إنساناً متهوراً طائشاً لا يصل إلى شيء، يجب أن أعيد النظر في حساباتي، أفهم المعادلات الدولية، وأفهم المعادلات العربية، وأفهم الواقع الفلسطيني، وأفهم روح العصر، ومن خلال كل هذه مجتمعة أستطيع أن أرى أين خيوط الشتاء التي أستطيع أن أسير تحتها من دون أن أبتل. أما أن آخذ الأمور وكأنها عبارة عن مزرعة، هذا شيء مؤسف ولا يمكن أن يوصلني إلى شيء.

عرفات من دون قيادة!

قُلْتُ: وهل يعتقد الأخ أبو الزعيم أن القيادة الفلسطينية، وتحديداً قيادة الأخ ياسر عرفات لا تعمل في هذا الإتجاه؟

وأجاب: أنا في الحقيقة لا أرى لياسر عرفات قيادة وصدقني وأنا أقول هذا، وآسف وأنا أقول هذا، ولكن لياسر عرفات يعلم ذلك أكثر من غيره. ليس لياسر عرفات قيادة، ولو كنتُ مقتنعاً أن لياسر عرفات قيادة لما خرجت منها.

قُلْتُ: كيف هذا؟

أجاب: كيف ذلك؟ القيادة في معناها هي مجموعة عقول ملتفة حول قائد واحد، في إطار ديمقراطي، تنفذ سياسة مرسومة تخدم مصالح الشعب والقضية التي تعبّر عنها، أنا لا أجد أي إجماع فلسطيني واحد يتفق فيه على شيء. الشعبية لها رأي في الإتفاق الأردني - الفلسطيني، و«فتح» لها رأي في الإتفاق الأردني - الفلسطيني. الديمقراطية تطالب قبل أن تجتمع معها - والله وحده يعلم كم عدد أفرادها - بإسقاط الإتفاق الأردني - الفلسطيني. هناك منظمات تتهم ياسر عرفات بالإستسلام، ولا تريده على رأس المنظمة ومنهم جماعة أبو

موسى وجميع من في الشام، وهناك منظمة «فتح» ترى في ياسر عرفات ديكتاتوراً. وحقيقة هو ليس ديكتاتوراً، هو إنسان متخبط، ديكتاتور في الفلوس، ديكتاتور في التعيينات، لكن ليس ديكتاتوراً في القرار السياسي، لأنه لا يملك القرار السياسي، حقيقة يا ريت ياسر عرفات ديكتاتور في القرار السياسي، لأن شعبنا في حاجة إلى ديكتاتور يستطيع أن يفرض مصلحة الشعب على هؤلاء الناس، ولكن ديكتاتور في صرف الفلوس، يصرف لوحده ولا يعطيهم، يعين في المناصب التي لا يتقاتل حولها مع أبو اللطف، ولكن ياسر عرفات يعلم تماماً، وقد تناقشنا طويلاً في الكثير من القضايا وسألني ما المخرج؟ فقلت له البيان رقم واحد ضد لجنتك المركزية.

لم يستطيع الأخ أبو عمار حتى الآن أن يعقد مؤتمراً لـ «فتح» منذ عام 1980. ألا يستحق خروجنا من بيروت إنعقاداً للمؤتمر؟ إنشقاق أبو موسى وجماعته ألا يستحق عقد مؤتمر؟ مطالبتي وإخواني جميعاً بعقد مؤتمر ألا تستحق عقد المؤتمر؟ أنا لم أعلن انفصالي ولم أعلن إنشقاقي، أنا طالبت أيضاً بعقد مؤتمر لنقول ما لنا وما علينا، ونقرر أين نسير؟ فلم يُستجب لهذا منذ عام 1980 وحتى الآن، بينما نظام الحركة يعطيني حق عقد المؤتمر كل سنتين، وسأعقد أنا المؤتمر هنا في عمان وقبل بداية السنة الجديدة (1987) ولديّ رصيد جيد، لديّ كل العسكريين وهم يشكّلون 55% من الفتحاويين، ولدينا مدنيون كثر من إخواننا المناضلين، وكلهم موجودون، وأنا أتحدى أن يقول لي من معه؟! من معه: خمسة في السودان، إثنتان في تونس من مرتزقة الإعلام المحيطين به أمثال نبيل عمرو وأحمد عبد الرحمن والمطبل حكم بلعاوي، من هم الذين حول ياسر عرفات؟ من تبقى لياسر عرفات؟ نحن طول عمرنا الذين نضع لياسر عرفات لعبته السياسية، وكل الذين معي طلوعوا من عنده فأصبح أسير صلاح خلف، «يمرّمطه» كما يشاء، وقد مرّمطه، أنا متناقض مع ياسر عرفات في أنني رجل وأستطيع أن أقول رأيي، هو يقول أنه ممثل شرعي وحيد وأنا أقول أنني ممثل شرعي وحيد، هو يقول بالإتفاق الأردني - الفلسطيني، وأنا أقول بالإتفاق، وهو يقول بالسلام وشكل وفداً من حنا سنيورا وغيره وأنا أقول بالسلام، المشكلة بيني وبين ياسر عرفات أنه ليس قائداً، لأنه يريد أن يكسب ثقة أبو اللطف أو أبو إباد أو فلان على حساب أصحاب القضية في أشياء هو مقتنع بها، ومن هنا خرجت على قيادة ياسر عرفات لأشعره بأن الشعب الفلسطيني مع هذا الإتجاه ولكن القائد عاجز.

أنا أتحدى أن يأتي بجديد في العمل السياسي، ما هو الذي أختلف عليه مع ياسر عرفات؟ منظمة التحرير إنني متمسك بها ممثلاً شرعياً ووحيداً، «فتح» تعال لنعقد مؤتمراً لها، ونسمع رأي الناس. الشعب الفلسطيني يفضل مهرجانات في مخيم البقعة الذي هو أكبر تجمع فلسطيني يضم 180 ألفاً في هذا المخيم، وغداً أقيم مهرجاناً في الحصن، وأمس كنت في حي نزال، وبعده في مخيم شنلر، وسأعقد مؤتمرات في كل المخيمات، شعبنا لم يخرج بالخيال والرايات والطبول، لا تُصدق هذا، لكن مع الأسف إذا الناس لا تكتب فهذا ليس عاراً عليّ، بل هو عار على الذين لا يكتبون رأي الشعب الفلسطيني، لم يُستقبل أحد في الدنيا كما استُقبلت في المخيمات الفلسطينية، وكنت واقفاً في سيارة مكشوفة، وجاءوا يهددوني كيف أصل إلى المخيمات؟ كنت في سيارة مكشوفة طوال الوقت، أنا أعرف شعبنا، ياسر عرفات يقول بالمنظمة، وأنا أقول بالمنظمة، يقول بالإتفاق الأردني - الفلسطيني وأنا أقول بهذا الاتفاق: إختلافي مع ياسر عرفات هو إختلاف مع العاجز، وأنا أربأ به عن التأمّر.

مع من الخلاف إذاً؟

قلت: يبدو إذاً أن الخلاف كما لو أنه مع أعضاء اللجنة التنفيذية أو مع أعضاء قيادة «فتح» أكثر مما هو مع ياسر عرفات.

وأجاب أبو الزعيم: صحيح، هذا صحيح، صحيح.

قُلت: هل لك مأخذ على هؤلاء الأعضاء عضواً؟

أجاب: أنا لا أريد أن أنشر غسيل الناس على السطوح لأن هذا ليس من أخلاقي، أنا مأخذي على أمرين: أولاً - إن هذه القيادة لم تبدل في تاريخ «فتح»، في ظل مؤتمر تبقى القيادة هي هي وكما يقول أبو عمار «ببعرها وبجرها» وهذا حقيقة معيب في شعب مثل شعبنا.

ثانياً - إن هذه القادة متناقضة، ولا يلتقي منها إثنان معاً، وكلما اجتمعوا تقاتلوا ثم فرضوا علينا قرارات ليس لها معنى، هناك جماعة تخص أبو عمار وجماعة أبو إياد وجماعة تخص أبو فلان، ونحن في «فتح» دويلات، حقيقة دويلات وإستمرء هذا الواقع عيب. المفروض أن تكون هناك قيادة تُصلحه وتجعل من «فتح» واحدة وليس خمسمائة «فتح». «فتح» مع سوريا و«فتح» مع الأردن، «فتح» مع لبنان و«فتح» مع الهند، «فتح» ضد الكتائب و«فتح» مع الكتائب، كيف هذا؟ وفي الوقت الذي يعقد فيه صلاح خلف إتفاقاً مع أمين الجميل ويوقعه، ولا أدري بإسم من، فإنه لا يستطيع فرضه عليّ بإسم «فتح»، فهذا ليس رأي «فتح» ولا رأي عناصر صبرا وشاتيلا، وبأي حق يقطع العلاقة مع هذه الدولة أو تلك، أو يقوم بإرهاب في هذا البلد أو ذاك.

التغيير نحو نظام أفضل

قُلت: بصرف النظر عن تنوع القنوات فإن الثورة الفلسطينية تحولت سنة بعد أخرى إلى نظام، وكنت أنت شخصياً في مواقع المسؤولية وشاركت في هذا التحويل، ولذا من الطبيعي أن نكون نحن الآن أمام نظام فلسطيني، يمارس ما يمارسه أي نظام عربي.

وأجاب أبو الزعيم: ونحن الآن في صدد تغيير هذا النظام إلى نظام أفضل للشعب الفلسطيني. مادام هو نظام، فنحن نريد تغيير هذا النظام من دون أن نمس الأخلاقيات والثوابت والأسس الفلسطينية. نغيّر في الأشخاص ولا نغيّر في المبادئ، وهذا من حق الشعب الفلسطيني.

قُلت: وهل يعتقد أبو الزعيم أن الأمر بهذه السهولة؟

أجاب: بالنسبة إلى الشعب الفلسطيني نعم، فأنا أعرف الشعب الفلسطيني، وأعرف نفسيته وأعرف مع من يقف هذا الشعب.

قُلت: وهل في الإطار الديمقراطي سيتم التغيير ويتحقق من دون مفاجآت دموية ومن دون المزيد من العنف والتصفيات؟

وأجاب: مليون بالمائة، نحن عقدنا المجلس العسكري الأعلى لـ «فتح»، وعقدنا المجلس العسكري العام لحركة «فتح»، بالنسبة إلى العسكريين إنتهينا، 55 % منهم معنا، ثم بدأنا مع إخواننا المدنيين الذين كانوا خائفين، وحقيقة كانوا خائفين من هذا النظام الذي تحدثت عنه، لأن لديه ثلاثة أسلحة، إما القتل وإما الرشوة وإما الإشاعات، وليس عنده سواها، فحررنا هذا الإنسان منها، وقلنا له لا تخف من الرشوة والقتل، ولا تخف من الإشاعات، فالإشاعات كثيرة، المهم أن نصل إلى فلسطين. وأنا في صدد تغيير هذا النظام، وعندما أعقد مؤتمر حركة «فتح»، سأدعو كل الناس، وستكون جلساته مفتوحة، وسيطرد كل هذه القيادة حسب علمي، وسيأتي بمنهاج جديد، ثم بعد ذلك منظمة التحرير الفلسطينية بالشعب الفلسطيني، ومن المحتمل إقامة مؤتمر شعبي عام يمثل الفلسطينيين في جميع أنحاء العالم، ونحشد له جماهيرياً حشداً لم يسبق له مثيل في تاريخ الشعب الفلسطيني، لكي يقول كلمته وساعتها يرى العالم ما إذا كان هذا الشعب الفلسطيني، وإذا كان ياسر عرفات أو إثنان هم الشعب الفلسطيني، فهذا عقم في محافظتنا على التقاليد وليس في موضوع إننا متطورون فكرياً وعقلياً، خمسة منظمة التحرير الفلسطينية، فالمنظمة هي كل الشعب الفلسطيني، وهي هويتنا وثوابتنا وليس أنا أو ياسر

عرفات أو خمسة أو ستة أشخاص، فلماذا لا يتغيرون؟ هل هم أصنام، والمجلس الوطني الفلسطيني لماذا لا يتبدل كل أربع سنوات مرة، أو كل سنتين، نبذل ثلثه أو نصفه، ويأتي دم جديد لكي يظل الناس على إطلاع بما يجري في قضيتهم.

لماذا المجلس الوطني الفلسطيني كله ثابت، واللجنة التنفيذية تتغير وتأتي منه، وقيادة «فتح» تعيّنهم وكأنهم أولاد مدارس، هؤلاء القياصرة الخمسة في «فتح» يعيّنون، حتى المساكين الغالبا الذين يملأون الدنيا صراخاً لا يملكون شيئاً، بدليل أنهم لم يستطيعوا شيئاً في الدورة السابعة عشرة، «فتح» تقود، ولذلك أريد أن أصل إلى «فتح»، بقدها وقديدها، وليبقى معهم سبعة أو ثمانية من المنتفعين الذين يعرفهم شعبنا، ويعرفهم العالم كله، «فتح» ليست خمسة أو ستة، وإنما هم الجمع والحشد من كوادرننا العسكرية والمدنية في كل مجالات الحياة الثورية اليومية.

من الأرض المحتلة إلى الشرعية العربية

قلت: بهذا الطرح، يستطيع الإنسان أن يتصور أنه ليس هناك ما يمنع أن يكون لكم حضور حتى داخل الأرض المحتلة.

وأجاب أبو الزعيم: حضورنا موجود داخل الأرض المحتلة.

قلت: أعني قيادات من الحركة التصحيحية تتوجه إلى الأرض المحتلة وتنشط علناً فيها.

أجاب: سترى أنني أعقد مؤتمرات داخل الأرض المحتلة، فإذا لم يسمح العدو الإسرائيلي بها، فسأعقد هذه المؤتمرات في الضفة الشرقية، وسأعقد مؤتمرات في شيكاغو للفلسطينيين وفي هيوستن وفي كل الولايات المتحدة، هناك مليون فلسطيني وسأعقد لهم مؤتمراً، وقد دعينا هذا العام وكانت لنا كلمة في حوالي (25) ألف فلسطيني في شيكاغو، كان يدعى له دائماً ياسر عرفات، هذه السنة لم يدع له.

قلت: لكن يبقى الأمر الآخر المهم وهو أن هذه الحركة تحتاج إلى نوع من الشرعية العربية.

أجاب: بالنسبة إلى الشرعية العربية، كلنا بحاجة للشرعية العربية، ولكن أنا أقول شيئاً واحداً، إن ما أطلبه من العرب هو أمران: أن يقفوا على الحياد في هذه المرحلة، وأن يتركوا الفلسطينيين طالما أننا لا ننتقل بالبندقية مثل سوانا من الفصائل، فنحن نطالب بتحول ديمقراطي وتغيير ديمقراطي داخل الحركة يأتي من خلال مؤتمر عام، إنعقاد المؤتمر العام حق لكل كادر في هذه الحركة وترفضه القيادة، والقانون يعطيني الحق في توجيه الدعوة إذا جمعت ثلث الأعضاء، إذا اجتمع ثلثان زائد واحد يكون تحقق لي نصاب الدعوة، فالنصاب عندي موجود، فلماذا لا يجتمع هذا المؤتمر ويقول رأيه.



أبو عمار في الدورة السابعة عشرة للمجلس الوطني الفلسطيني
في عمان (تشرين الثاني/ نوفمبر 1984)

سوف أشهد العالم وليس العرب فقط على ماذا يقول الشعب الفلسطيني إلى أن أصل إلى أنه ليس هناك عشرة في المائة مختلفون معي، وأن تسعين في المائة يؤيدوني وبعد هذا سأقول للدول العربية تفضلوا إذا كنتم تقدّمون المعونات لياسر عرفات لأنه ياسر عرفات فمبروك عليكم أعطوه ما تشاءون. وإذا كنتم تقدّمون هذا للشعب الفلسطيني فالشعب الفلسطيني أخوج لهذه المساعدة، أما بالنسبة إلى الاعتراف، فالدول العربية تعترف بالمنظمة كما تعترف بهذا البلد أو ذلك، ذهب حاكم أو جاء حاكم، فهذا لا يغيّر شيئاً من واقع الشعب، ومن هنا أنا ضد الشخص وضد الحاكم ولست ضد المنظمة ولا ضد الشعب الفلسطيني ولا ضد أهدافه ولا ضد مبادئه، ومن هنا فالاعتراف إلزامي من كافة هذه الدول إذا كانت تكن للشعب الفلسطيني في ضميرها الوطني إعتبارات مهمة، لأن من حق الشعب الفلسطيني أن يأتي بممثليه من بينه من دون فرض من هذه الجهة أو تلك، فإذا تحقق هذا لا أعتقد أن العرب سيقفون حجر عثرة في طريقه.

الخارجون الآخرون على أبو عمار

قلت: إستهتراداً، يفترض ببقية القيادات الفلسطينية والتي هي على خلاف مع قيادة الأخ أبو عمار والخارجة على قيادته وزعامته أن تكون متفهمه لكم، سواء أكانت القيادات المقيمة في دمشق أو المتنقلة أو الموجودة داخل الأرض المحتلة. فهل هناك مثل هذا التفهم، وهل هناك نوع من التنسيق شبه المباشر مع هذه القيادات؟

أجاب: أريد أن أقول شيئاً واحداً، هذه القيادات لو أردنا أن نأخذ من كوادرها الكثير لأخذنا، لأنه عرض علينا الكثير، حتى المنظمات الفلسطينية، ولكنني حتى الآن لم أقبل ذلك لأنني أعتبر على صعيد التنظيمات أن المعركة ما تزال داخل «فتح» تحسم بالمؤتمر، بعد المؤتمر إمتد إلى المنظمات الفلسطينية لكي أرى ما يكون من أمرنا نحن وإياها، هناك في الحقيقة خلاف مع بعض التنظيمات كان ما يزال وسيبقى إلى أن ينتهي هذا الخلاف وأنا أعلن ولا أخفي. هناك تنظيمات فلسطينية ترى أنها مع تحرير فلسطين من النهر إلى البحر وأن لديها القدرة على ذلك، أنا مع تحرير فلسطين من النهر إلى البحر ولكن على مراحل، وضمن المنطق وضمن الواقع، قد اختلف معهم في هذه النظرية، أما مطالبهم بإزاحة عرفات ويطالبون بنقد عرفات فقد نكون ملتقين معهم في هذه الناحية.

هناك أيضاً إعتباران في هذا المجال، فأنا لا أريد أن أحاور هذه التنظيمات كأفراد بل أريد أن أحاورهم كـ «فتح»، فعندما أنتهي من حسم الصراع داخل حركة «فتح» بالمؤتمر العام وتصيح القيادة التي يفرزها المؤتمر هي قيادة «فتح» فنحن سنحاور جميع التنظيمات وغيرهم من هذا المنطلق.

ثانياً- أنا لا أعتبر أن المنظمات الفلسطينية هي الشعب الفلسطيني، هي إفرازات من هذا الشعب الفلسطيني، إفرازات مسلحة نادت بالكفاح المسلح وأعتبرها لحقت بـ «فتح»، لأن للقوميين العرب خلفية نعرفها، وللبعثيين أيضاً وغيرهم، إنما في أيديولوجيتهم السياسية لحقوا بـ «فتح» على الكفاح المسلح، نحن أصحاب نظرية الكفاح المسلح، ونحن «فتح». ونحن الذين نقوم هذه النظرية، ولذلك أقول أنا عندما ينتهي وضعنا بالمؤتمر العام، فمن حقنا أن نحاور شعبنا، وأن نحاور إخواننا في منظمة التحرير كفضائل وكشعب فلسطيني، أما الآن فلا نريد أن نبدأ هذا الحوار كمجموعة من الرجال كان لنا فكر وكان لنا هدف، عندما نصل نحن إلى حجمنا الحقيقي المطلوب وهو حجم «فتح» بكاملها أينما كانت، ساعتها نلجأ إلى الحوار مع جميع الأطراف.

قلت: يفترض في مثل هكذا طرح أن أفكار الحركة تستقطب شريحتين من الشعب الفلسطيني، تستقطب سكان المخيمات على أساس أن بعض هؤلاء السكان مسحوق إجتماعياً والبعض الآخر مهدد أمنياً وليس

هناك دفاع حقيقي عنه. هذه شريحة، والشريحة الأخرى هي البورجوازية الفلسطينية، بمعنى أن هذه البورجوازية بحكم تكوينها ميالة إلى من يتحدث بواقعية معينة وإلى من يبني جسوراً طيبة مع النظام في الأردن على أساس أن الأردن هو المقر الرئيسي لهذه البورجوازية وعلى أساس أن هذه البورجوازية مجموعات من رجال الأعمال وتميل إلى الحلول التي تحقق الإستقرار وليس إلى الحلول الثورية. لكن الذي يلاحظه المرء أن هاتين الشريحتين تقفان وراء القيادة الفلسطينية التي تشكون أنتم منها، وتقدم لها الدعم المتناهي، وكما لو أن هاتين الشريحتين يعنيهما في الدرجة الأولى أمر قيادة ياسر عرفات على أساس أن هذه القيادة هي رمز الشرعية الفلسطينية أو رمز الكيانية الفلسطينية أو رمز السيادة الفلسطينية أو رمز الوطنية الفلسطينية.

هل يتكرم الأخ أبو الزعيم بتفسير لهذه النقطة البالغة الأهمية؟

وأجاب: في الحقيقة إن ما تفضلت به أمر مهم من حيث المبدأ، ولكنه ليس صحيحاً من حيث الواقع، لأن الواقع مختلف تماماً. الشيء الأساسي الذي أحرص على تأكيده هو أن الفلسطيني أياً كان ومن أي شريحة جاء، سواء كان على الأرض الأردنية أو على الأرض المحتلة عام 1947 أو 1967 أو منتشراً في شتى بقاع الأرض، لديه إحساس غريب بهويته الفلسطينية، وأنا واحد من هؤلاء، أنا وكل إخواني، فالفلسطيني مشدود دائماً وأبداً بقطب مغناطيسي شديد يجذب ما هو أصغر منه إسمه الهوية الفلسطينية، والخوف على هذه الهوية والتمسك بها يجعل الفلسطيني دائماً يخاف قبل أن يحسم رأيه في أي موضوع، المهم أن يرى له كياناً مهماً كان هذا الكيان. بالنسبة إلى الفلسطينيين في الأردن سواء كانوا من البورجوازية أو المخيمات فأن لا أنفي أنهم معي أكثر من عرفات وسيشهد ذلك العالم في كل يوم، لكن الفلسطيني بحكم واقعه على هذه الأرض وهو مشدود إلى هويته الفلسطينية مشدود إلى واقعه اليومي في هذا البلد سواء كان من الشريحة البورجوازية أو من الشريحة الشعبية الأخرى، لأنه في هذا البلد مواطن كامل الحقوق والواجبات، يحمل جواز سفر، يشتري أرضاً يتاجر، يبيع، ينتخب، ممثل في البرلمان، ممثل في الحكومة، ممثل في أي شيء يريده وهو هنا يتميز عن أي فلسطيني آخر بأنه متفرد في هذه الإمتيازات التي جاءت من خلال العلاقة المصرية بين الضفتين الشرقية والغربية، وهو هنا تجده مشدوداً بين قطبين. قطب يشده عاطفياً لقضيته ولوطنه ولهويته وقطب يشده لواقعه وإستقراره الحياتي اليومي في هذا البلد. التعبير البسيط عن هذا الموضوع هو بإبقاء العلاقة دائماً وأبداً بين قيادة منظمة التحرير والقيادة في الأردن علاقة سليمة، لأنه هناك تداخل أردني فلسطيني لا يمكن فصله، ويستحيل فصله، في جذور الشعب، والذي لا يعرف هذا الواقع لا يعرف الشعب الفلسطيني، إذا ذهب إلى عبدون - أرقى مناطق عمان - تجد 90 % من هذه المباني للفلسطينيين، وإذا ذهبت إلى المخيمات المسحوقة تجدها 100 % فلسطينيين، وتجد أن الفلسطيني هنا ممثل في البرلمان والحكومة وممثل في كل قطاعات العمل بينما الأردني لا يملك حق التمثيل في المجلس الوطني الفلسطيني، نايف حواتمه حتى الآن ليس عضواً في المجلس الوطني الفلسطيني لأنه ليس فلسطينياً، هنا أرى تمايزاً فلسطينياً، وهنا أقول إن المخيمات لا تقف حقيقة وراء عرفات لأن هناك خوفاً على الشرعية الفلسطينية، وكانت الناس تأخذ الموضوع بحذر ولما بدأنا نفسر أفكارنا وآراءنا للناس، وبدأنا نزرر المخيمات على هذا النطاق الواسع. وأدعوك يوم الجمعة إلى مخيم الحصن، لكي ترى بعينك الشعب الفلسطيني وتناقشه، وعندني سلسلة جولات على كل المخيمات في الضفة الشرقية وعندنا في الضفة الغربية سعي متواصل، وتشكل لجاناً في كل مخيماتنا وبقاعنا الفلسطينية، مئات بل الآف اللجان، ولا أريد أن أذكر الأرقام حتى لا يفكر الناس بأنني أبالغ، وأحتفظ بها لنفسي، لكن إذهب حيثما شئت وستراها وهذا التفاعل موجود في شرائح الشعب، مختلف شرائح الشعب حتى البورجوازي وغير البورجوازي هو معنا ولكن لم

نطلب منه حتى الآن موقفاً، لأننا نريد أن ننتهي أولاً من عملية «فتح» ونؤهل الشعب الفلسطيني لهذا الدور، بعد أن ننتهي من مؤتمر حركة «فتح» سوف ندخل علنياً في منظمة التحرير الفلسطينية، ونحن مازلنا حتى الآن في الأطر التنظيمية، نخوض معركتنا داخل «فتح» ولكن نستقطب الشعب الفلسطيني لأنه صاحب المصلحة الحقيقية في هذه القضية، لذلك في الحقيقة فإنني لا أرى لا البورجوازية الفلسطينية ولا المسحوقين في المخيمات ولا أية شريحة من شرائح الشعب الفلسطيني يوماً من الأيام كانت ضد هويتها الفلسطينية وأنا معها في هويتها، وأنا معها في منظمة التحرير الفلسطينية، وعندما فهم الناس إننا متمسكون بالمنظمة مثل عرفات «وزيادة شوية» وشعر الناس أن الهوية بخير، بقي الموضوع موضوع أشخاص، هل يبقى فلان في قيادة المنظمة أو يخرج فلان من قيادة المنظمة، إنما المنظمة كحق تاريخي وكهوية فلسطينية مكتسبة، وموجودة كعضو أساسي في جامعة الدول العربية فلا غبار عليها ولا يستطيع إنسان على وجه الدنيا أن يمسه. وشرعيتها الدولية ستبقى.

من هنا فإن الفلسطيني عندما يفهم هذه الحقيقة لا يمكن أن يتناقض معنا، لأنني، وأقسم على هذا، لم أجد واحداً أو اثنين في المائة من الشعب الفلسطيني هو ضد ما نطرح، لأن الفلسطيني المسكين من خلال كل هذه المسيرة وصل إلى الاحباط، بدأ يشعر أن ليس لديه شيء، وكلها وعود كاذبة ودم. حمامات دم ووعود براقعة، وتخبط وضياح، قبل عشر سنين كان الفلسطيني في لبنان سيداً - بغض النظر عن كون هذا خطأ أم صواباً - لكن هكذا كان، ويجد نفسه الآن في السودان، وفي تونس مطروداً، وهنا منبوذاً، فأين يذهب الشعب الفلسطيني؟ وكيف نخرج الشعب الفلسطيني من هذا المأزق في هذه المرحلة، الموضوع ليس موضوع منصب أو مركز أو دولة، أنا لا أتدخل في شؤون الأردن ولا أسمح للأردن بأن يتدخل في شؤوني ولا أتدخل في شؤون مصر ولا أسمح لمصر أن تتدخل في شؤوني، ولا سوريا ولا العراق ولا أية دولة عربية.

ولكن مرحباً بالمشاركة القومية على موقف فلسطيني منطقي معتدل يستطيع أن يترجم إلى حقائق، وليس موقفاً فلسطينياً يدفعنا كل يوم في مأساة، أو في حمام دم أو في مستقبل جديد لا نستطيع الخروج منه، هذا هو الخلاف، وليس الخلاف أن فلاناً يسوى أو لا يسوى أو أن فلاناً سرق أو لم يسرق أو أن فلاناً خان أو لم يخن، ليس هناك خائن ولكن الأمر أن هناك واقعاً، وهناك أناس يرفضون التعامل مع الواقع، وكأن الأمر أن هناك قيادة محترمة، ولديها إمكاناتها، وأي بلد تذهب إليه تستضاف به، وهذا الشعور الفلسطيني عليه أن يبحث عن طريق، إذاً قولوا له ذلك، ليس هناك من يجرو على أن يقول للشعب الفلسطيني إننا خلال عشرين سنة قد فشلنا، هذه تجربة، والكفاح المسلح حرب طويلة النفس ضد هذا العدو، جربناها عشرين عاماً فأين وصلنا بها؟ أنا لست ضد هذه الحرب، ولكننا لم نحقق شيئاً.

فهل كان الخطأ في النظرية أم في الممارسة؟ الإسلام صحيح ولكن المسلمين ليسوا كذلك، منطلق الثورة صحيح، ومبدأ الثورة صحيح، التعامل اليومي والتطبيق ليسا كذلك، علينا أن نعيد النظر في التطبيق وليس في المبدأ، هل هذا جريمة، تعالوا نجتمع في مؤتمر ونقول ما لنا وما علينا، ونرى حجم فلان الذي نصّب نفسه قائداً، ونرى حجمه داخل هذا المؤتمر، وداخل الشعب الفلسطيني ولماذا هذا الاستبداد والظلم.

البداية بعد فاس

قُلت: متى بالتحديد بدأ تفكيرك بهذه الخطوة، وهل من الممكن أن ننشر بعض الأمور التي تزامنت مع القرار الذي إتخذته في هذا الشأن؟

وأجاب: هذا الموضوع بدا جدياً في رأسي وفي رؤوس بعض إخواني عام 1981، وبالتحديد منذ «فاس»

الأولى، ولكن وجودنا في لبنان كان حالة أخرى وكانت تعطيك نوعاً من الثقة بأنك موجود، وأنت على تماس يومي بالقتال مع هذا العدو، الصراع مستمر والقضية حية، كان لنا مآخذ كثيرة على إفشال مشروع فاس، وإن القيادة وصلت إلى قرار وكتبته، أكثر من هذا، وعندما نستعيد خطاب الأخ أبو عمار في الأمم المتحدة والعالم وقف مصففاً لمنظمة التحرير الفلسطينية، وقال جئت بالبندقية في يد وبغصن الزيتون في اليد الأخرى، وعندما أراجع حسابي أجد أن البندقية سقطت أو أسقطت وأن غصن الزيتون جف ونشف، بفعل هذه القيادة وبحكم هذه الظروف التي لم نحسن التعامل معها بالإيجابية المطلوبة.

جاءت فاس الأولى عام 1981، وكنا نأمل بالفعل أن تكون هناك تسوية جدية أو على الأقل دعونا نرى إننا لم نكن نحن السبب في إفشال هذا الموضوع، وتحالفنا مع دول عربية وقدمنا مشروعاً واضحاً ثم عدنا وإستكفنا عن هذا المشروع لأسباب تعود إلى «القيادة»، بعد هذا الكلام بدأنا نشعر وكان هناك معنا سعد صايل - الله يرحمه - ان جماعتنا ليسوا جادين في الوصول إلى شيء للشعب الفلسطيني، وبدأوا يستمرئون الحياة على هذه الصورة، ثم جاءت الطامة الكبرى في خروجنا من بيروت، فإذا بنا نلقى في كل بقاع الدنيا، وإن الفعل الفلسطيني لم يتقلص وحسب بل وإنتهى تماماً، وتآكلت نفسي أنا وغيري، أنا مناضل، وأحس أنني مسؤول عن هذا الشعب، بل ومسؤول عن نفسي، وإبتدأنا الكلام مع القيادة في أنه لا بد من مخرج، وجدنا أن المخرج تضيق، جاء أبو عمار هنا إلى الأردن وبدعوة منه، وكتب إتفاقاً، ولم يعترض عليه أبو عمار نهائياً وأصبح جاهزاً للتوقيع، ثم ذهب إلى الكويت وبقية القصة معروفة، وبعد هذا حصلت قضية الشام وخرجنا مما تبقى من طرابلس ولبنان، وأنت تعرف وضعنا الفلسطيني جيداً في لبنان، إنه وضع «الغلابا والمساكين» الذين يقتلون.

إذاً ما هو الحل؟ وكيف يمكن أن أتصرف؟ تحولنا إلى سلطة صغيرة خارج أرض الوطن وخارج سلطة الواقع، وكان أول صدام لنا في صنعاء عام 1984، وإخواننا في اليمن الشمالي يعرفون ذلك، وللعلم فقد جاءت إليّ دعوة رسمية من الرئيس علي عبدالله صالح، وقد نقلها لي السفير اليمني في عمان، وأعتقد أن خلفية هذه الدعوة هي وجود أبو عمار هناك في عيد الثورة وكان يضغط بإتجاه لملمة الشمل، وأنا لست ضد أن يلم الشعب الفلسطيني شمله، بل وأسعى إلى ذلك، وقبلت الدعوة شاكراً بإسم إخواني، وقُلت إنني بعد المؤتمر سأذهب وألبي الدعوة لكي أذهب وأنا أمثل أناساً موجودين، والدعوة منذ عشرين يوماً فقط.

قُلت: يعني هذه هي الدعوة العربية الأولى.

أجاب: هي الأولى، ولكن خلفيتها لم توضّح لي، لأن السفير لم يكن في صورة الموضوع، أنا قبلت الدعوة وحددت موعدها بعد إنتهاء المؤتمر الخامس لحركة «فتح».

ما أريد أن أقوله إننا تناقضنا في صنعاء في عام 1984، وخرجتُ غاضباً من المجلس العسكري وخرج معي ثلثا أعضاء المجلس، وشعر أبو عمار يوماً أن إنقساماً في القيادة العسكرية قد حصل، وبدأ منذ ذلك اليوم بتأجيج الصراع بدلاً من لملمة الأوضاع، وزاد التخبط، كنت أقول له: يا أخ أبو عمار نريد أن نصل إلى شيء فيرد: نعم نريد أن نصل إلى شيء وكنت أسأله: كيف؟ فيرد: لا أعرف، ودائماً كان يشتم أعضاء القيادات في اللجنة المركزية، وإنهم لا يفهمون شيئاً، وأن بعضهم يشتغل مع سوريا، وبعضهم مع غير سوريا ويتهمهم إتهامات شتى وأنه لا يستطيع أن يأخذ قراراً، وفي النهاية القرار لقيادة «فتح»، وهكذا هي نهاية الأمور ولا حول ولا قوة إلا بالله.

من هنا بدأت الأمور تتصاعد شيئاً فشيئاً إلى أن وصلنا إلى هذا المأزق الذي نحن فيه، وأريد أن أقول، وليسمعي كل فلسطيني وعربي: إنني لو كنتُ أعرف أنه تبقى 10% من النضال الفلسطيني يمكن لهذه القيادة ان تحققة فلعة الله عليّ ان كنت سأخرج منها، حتى ولو كانت الجراحات اليومية تزداد وتتعاظم إلى أعلى

الفضاء على ألاّ تمس الوطن. ولكنني شعرتُ إنني لا أغامر بشيء، وأنه لم يبق في جعبة النضال الفلسطيني عملياً أي شيء، الشرعية المعترفة بها الدول العربية كانت موجودة أيام الشقيري عام 1964، الشقيري دخل في الجامعة العربية فوجد مقعده في الخلف، فأُتي بمقعده ووضّعه إلى جانب مقعد الرئيس عبد الناصر، وقال لهم: هذا مقعد فلسطين، وليس مقعد أحمد الشقيري، وثبت شرعية المنظمة في كل مؤتمر قمة، فكل هذا النضال الفلسطيني المسلح لم يأتِ بجديد لهذه الشرعية، فالشرعية قائمة وموجودة.

لكل مرحلة ظروفها وأسلوبها

قُلت: ولكن هناك الشرعية الدولية.

وأجاب: عندما تكون هناك شرعية عربية، ويكون هناك إسم فلسطين فإن العالم لا يستطيع أن يصم آذانه وأن يغفل قضية مثل قضية فلسطين، فهذه القضية أكبر منا جميعاً، وليست بالبساطة التي يستطيع معها العالم أن يتجاهلها، وأنت تعرف أن عبد الناصر هو الذي قدّم ياسر عرفات إلى الكرملين، أنا لا أقول: إستسلموا ولا أقول جنّوا، بل أقول أن لكل مرحلة ظروفها، ولها عواملها، ولها أسلوبها، وأنا أميز بين الثائر والثور، الثور نطّاح وقوي البنية وينزل إلى الحلبة معتقداً أنه لا يوجد سواه، في دقائق يستطيع أي واحد محترف أن يرميه أرضاً، أما الثائر فعقل ووعي وإرادة ويعرف أين يضع قدمه في هذه الظروف المحيطة به، إما أنه على حق وكل الناس على باطل، وأنه وحده الوطني وكل الناس خونة، لهذا لا يقبل من أحد في هذا العصر، العالم متحرر عقلياً وفكرياً وهو مستعد للمناقشة في كل شيء، ثم إنني أقترح شيئاً: ليعطوني ما هو البديل؟ ما هو البديل عما أطرحه لكي أمشي معهم فيه؟ ها هم وحدهم فلماذا لا يجتمعون ويتفقون ويعتبروننا نحن المنبذين، إتفقوا على شيء، هل هم قادرون على الإتفاق على شيء، هل هم قادرون على أن يأتوا بجديد سوى المزيد من التشرذم والويلات والهجوم على بعضهم البعض.

إلى متى يظل الفلسطيني ينتظرهم؟ لقد أعطاهم عشرين سنة من دمه ولحمه ومعاناته وكوخه ثم أوصلتموه إلى هنا، قولوا له رأيكم فيما يحدث، من حقه عليكم يا إخوان.

الفرق بين أبو موسى وغيره

قُلت: لنكن واقعيين قليلاً، عندما جاء الأخ أبو موسى والأخ أبو صالح طرحا طروحات مماثلة، وإنتهى الأمر، فما هو التغيير الجذري الذي أحدثاه سوى حالة إنقسامية.

وأرجو ألا يفهم من كلامي أنه في معرض الدفاع عن قيادة أبو عمار ذلك أن هذه القيادة تستطيع الدفاع عن نفسها.

أجاب: هذا صحيح، الأخ أبو موسى والأخ أبو صالح وغيرهم، عندما قاموا بحركتهم قاموا مركزين على الأخطاء اليومية من دون أن يتطرقوا إلى البعد السياسي لقضية هذا الشعب، وأنا مأخذي عليهم أنهم لم يشخّصوا هذه الحالة الأساسية وهي إلى أين المصير؟ وما طرحوه لم يطرحوه في مكان ليس هو مكان الشعب الفلسطيني، أنا أطرح بين أوساط الشعب الفلسطيني، وفي تقديري أن أية حركة تريد أن يكتب لها النجاح يجب أن تعرف ماذا تطرح وأين تطرح وعلى ماذا تطرح وضمن أية ظروف تطرح؟ فأنا أعتقد أن حركة الاخ أبو موسى كانت تفقر إلى الكثير من هذه الظروف، مثلاً لم تطرح مصير الشعب الفلسطيني، لم تطرح الضياع الذي وصلنا إليه في هذه التخططات التي تقوم بها القيادة، لم تطرح الطريق من أين وإلى أين؟ ولم تطرح هذا على أوساط الشعب الفلسطيني، بل طرحته في أوساط معيّنة ومحددة نادى بقتال الموارنة ونادت بالكفاح المسلح، وهي القصة نفسها ولكن بأسلوب آخر، أما نحن فنقول بشيء آخر وهو أن المعبر الفلسطيني بعد

عشرين سنة أصبح في خطر ومهدداً نهائياً، وإننا خلال واحد وعشرين عاماً لم نحقق شيئاً للشعب الفلسطيني، ولا حتى تركنا الشعب يشاركنا إلا في الدم، الآن إلى أين نحن ذاهبون؟ ولماذا لا نصل إلى إجماع شعبي وإجماع وطني على شيء ما؟ وأقول كيف يمكن أن أشارك الشعب الفلسطيني في المصير وكيف أجعل له إختيار مؤسساته من خلال منظمة التحرير الفلسطينية وهذا هو الفارق بيني وبين الآخرين.

أهمية المكان للحركة

قُلت: النقطة الأساسية التي تعطي حركتكم قوة هي عامل المكان، أي كون هذه الحركة في الأردن، وإعتقادي إن هذه الحركة لو قامت خارج الأردن فلن تكون ذات فعالية.

أجاب: أنا أقول هذا، وهذا مأخذي على إخواني في دمشق، والسبب ليس أن هذا البلد هو الأردن، بل السبب هو أن هذا التجمع الفلسطيني يشكل 70% من مجموع الشعب الفلسطيني، وهذا الإتصال اليومي والمباشر مع الأهل في الارض المحتلة، هذه اللقاءات مع الناس القادمين والذاهبين من الكويت والخليج أو من أميركا أو من أي مكان آخر، يعني هذا بلد الفلسطينيين ومن هنا فأنت عندما تطرح فإنك تطرح من واقع الشعب الفلسطيني ومن قلب الشعب الفلسطيني.

قُلت: إستكمالاً للسؤال ثمة نقطة خلاصتها أنه طالما هذا هو الواقع وطالما أن هناك العلاقات المستجدة والطيبة بين الأردن وسوريا، فما الذي يمنع مثلاً قيادات سبق لها أن دخلت في أزمة مع قيادة «فتح» وإختارت سوريا مكاناً لتحركها وإقامتها من أن تنتقل إلى عمان وأن تنسق معكم.

وأجاب: أنا أدعوهم صراحة إلى هذا، وأدعوهم بكل محبة إلى هذا الموضوع على أن يأتوا واضحين، فنحن حاورناهم فيما مضى، وعندنا الآن ثلاثة أخوة منهم، عندنا الآن العقيد كايد والمقدم ربحي والرائد مصطفى جاءوا من هناك، وعدد كبير من الكوادر الصغيرة تركت وجاءت من سوريا، وإلتحقت بنا، كما إلتحقت بنا أعداد كبيرة من بغداد ومن كل أماكن الشتات الفلسطيني، لكن حتى يوم الخميس الماضي (الحديث تم يوم الإثنين 27/10/1986) ولا أكشف هنا سراً، جاء إلينا رسول منهم، ونحن نتحاور حول نقطة واحدة فقط، بالنسبة إلى المصير الفلسطيني: أين أنتم منه؟ هم يرون النجاح لحركتنا، لأن الظروف المحيطة بها كلها تقول هذا، والشعب الفلسطيني تفاعل وتجاوب معنا بسرعة، ولكن قضية المصير هي النقطة، هناك إتفاق أردني - فلسطيني، موقفهم من هذا الإتفاق مازال فيه غموض، وموقفهم أقرب، ما يكون أحياناً إلى جبهة الإنقاذ بإلغاء الإتفاق الأردني - الفلسطيني ونعمل «فتح» واحدة، وفي تقديري إن أي حل في هذه المنطقة لا يمكن أن يكون إلا حلاً فلسطينياً أردنياً، وإذا أردت أن أتكلم بلغة الوضوح والصراحة، فيجب أن يعرف شعبي هذه الحقيقة، ولا يمكن لأحد أن يترك الموقع الرئيسي الذي تكون فيه مداخل إلى القضية ويذهب لبحث عن مواقع أخرى إذا إستطاع، ولكن أنا أقول إن هذا الإتفاق الذي أقرته كل القيادات الفلسطينية في منظمة التحرير وفي «فتح» وغيرها، وأقرته الحكومة الأردنية، ووقعه الملك ورئيس المنظمة، لماذا لا نجعل منه المنهاج السياسي للمرحلة المقبلة، وعندما نفشل في تحقيق السلام يصير واضحاً أن العدو والولايات المتحدة لا يريدان السلام، فلماذا يؤخذ منا هذا الموقف الحاد في أننا نعطل السلام، نحن مع السلام، وعلينا أن نعمل معاً، فإذا فشل السلام نعزز صمود الأهل في الأرض المحتلة ونبني واقعاً جديداً عربياً يقاوم الإحتلال بكل الطرق المشروعة وفي طليعتها الكفاح المسلح، يجب ألا يسقط هذا الموضوع، فالمقاومة الشعبية حق مشروع لكل شعوب الأرض المحتلة، وأنا أدعو إلى مرونة في المواقف وإلى واقعية، هناك واقع عربي أراه أمامي، واقع عربي متردي إلى الحضيض، وواقع فلسطيني أسوأ، متمزق كله، الشعب الفلسطيني في جانب والمنظمات الفلسطينية في خمسين جانباً، وإذا لم يكن هناك سلام

وفشلنا جميعاً، نكون يداً واحدة وقلباً واحداً، ما هو المطلوب من الفلسطيني الصامد على أرضه وكيف نعزز صموده، وكيف نطوّر نضاله بكل الأشكال السياسية والعسكرية وغيرها، ما هو المطلوب من الأردن كدولة واقعة على أطول حدود مع هذا الفلسطيني وهي في إنتماء يومي متفاعل معه، وكيف نستطيع أن نطوّر موقفاً أردنياً أفضل، كيف نستطيع أن نطوّر موقفاً سورياً أفضل، ولبنانياً أفضل، ومصرياً أفضل ثم كيف نستطيع أن نطوّر موقفاً عربياً عاماً أفضل لتؤدي كل هذه المواقف مجتمعة إلى وضع دولي أفضل لمصلحة القضية. ليس هناك مزايدة ولا إستسلام، وما أطالب به هو ألا نزايد وألاً نستسلم، وألاً نمزق الصفوف.

مبادرة من أجل المخيمات

قلت: مثل هكذا توجه يفترض أن يحل مشكلة يعاني منها السكان في المخيمات في جنوب لبنان، على أساس أن مثل هذا الطرح ومثل هذه النظرة يجعل الذين يتصدون للمخيمات يُبدون بعض التفهم وبعض المرونة. ما الذي يحول دون إنقاذ سكان هذه المخيمات في حركة إتصال تقومون بها في هذا الإتجاه، وتكون إختباراً لمرونتكم في مجال التعامل السياسي مع الآخرين؟

أجاب: هذا حصل، وخلال معارك صبرا وشاتيلا الأخيرة وجهت نداءات إلى السيد نبيه بري عبر وسائل الإعلام، وقلت له أرجو ألا تُجر إلى إشراك ينصبها لك ياسر عرفات لكي تدخل التاريخ مدمراً للقوتين الفلسطينية واللبنانية، ولكي لا تدخل التاريخ واحداً من الذين ذبحوا الفلسطينيين واللبنانيين، فأنا لا أعتبر أن الفلسطيني وحده يُذبح. وناشدت الرئيس حافظ الأسد أيضاً وحيث الخطة الأمنية وطالبت أن تستمر، ونشر هذا في الصحف السورية وجاءت لي بعدها رسالة من السيد نبيه بري نقلها إليّ أحد الاخوة - ومع الأسف وصلنا الآن إلى شيء آخر - وقال لي أنا أريد أن أسأل الأخ أبو الزعيم، فهو أكثر الناس معلومات في هذا الموضوع وأول من دخل لبنان، أنت صديق للإمام الصدر وصديق لكل القوى السياسية في لبنان، وتعرف ماذا قدّم الشيعة للقضية الفلسطينية، فقد شاركنا في الدفاع عن قرى الجنوب لحمايتها ولحماية الثورة الفلسطينية، وأهل بعلبك أكثر الناس حرصاً على الثأر وسألني من الذي قتل في مخيم بعلبك رداً على ما جرى في بيروت، وقال إن لدينا ثمانين مخيمات في جنوب لبنان نحتفظ بها في قلوبنا، فليبعد عنها ياسر عرفات، ولكن عندما يأتي ليحارب سوريا من خلال وضعه في لبنان، ويحارب القوى اللبنانية من أجل محاولة السيطرة مرة أخرى على لبنان، فهذه هي القضايا التي يجب أن يتوقف عنها ياسر عرفات، وفي ذلك الوقت وجدت بالفعل أن الموضوع يتعلق بمدى حرص قيادة ياسر عرفات على الشعب الفلسطيني في لبنان. أي أنه لا يجوز أن أتعامل مع الشعب الفلسطيني وكأنني مازلت في لبنان، الآن الظروف إختلفت أنا الآن أطالب بشيء واحد فقط هو حماية الدم الفلسطيني من أن يُسفك، أما عندما أدخل الشعب الفلسطيني في لبنان في دوامة التناقض مع الشيعي ومع الماروني ومع السوري ومع الفلسطينيين أنفسهم، فلا أعتقد أن الآخرين سيشعلون لك المباخر وأنت تقاثلهم أو تستفهمهم أو تقوم بممارسات قد يعتبرونها هم ضد مصلحتهم الوطنية.

ومن هنا فيجب أن تتغير إستراتيجية العمل الفلسطيني في لبنان جذرياً في هذه المرحلة، بحيث تحمي الدم الفلسطيني، وتحافظ عليه ذخيرة لأية مرحلة مقبلة، لا أن تدخل في متاهات مع هذه الجهة أو تلك أو مع هذه الفئة أو تلك، ونستعدي علينا إخواناً مفروض منهم أن يحتضنونا في قلوبهم أو صدورهم.

قلت: تسنى لك خلال أكثر من خمس عشرة سنة أن تعرف الكثير من الحكام والمسؤولين العرب، ومعظمهم ما زال في موقع المسؤولية وإتخاذ القرار، ومن دون الخوض في التسميات، وأنت أدري بسؤالي أو ما وراء سؤالي، ما هو تقديرك في ما يفكرون الآن أو كيف ينظرون إلى المسألة بعد أن طرحت هذا الطرح

المتعلق بالتصحيح؟

وأجاب: أنا أعتقد أن هذا السؤال قديم جديد، وأنا أريد أن ينشر هذا الكلام وبعيداً عن الأسماء كي لا نخرج أحداً، وأنت تعلم إنني في الكثير من المهام الخاصة للسيد عرفات كنت أنقلها مباشرة إلى الملوك أو الرؤساء العرب، فأنا في تقديري إن هذا السؤال قديم جديد كما قلت، وكنت أحمل الكثير من الرسائل إلى الأخوة الملوك والرؤساء وكنت قريباً جديداً بحكم موقعي من القيادة، وأريد أن أذكر إخواني في كل مقابلة حصلت كيف كان الحديث يدور حول مسلكية أو منهجية الأخ ياسر عرفات، وكنت دائماً أحاول أن أدافع، لأنه لا يجوز لي أن أتهم أحداً أحمل رسالته، كان الجميع يرى أننا نتخبط، وأنه ليس لدينا قرار، وأنا بهذا الوضع سنخسر قضيتنا، وأنا عاجزون عن وحدة القرار، هذا بالإضافة إلى العتاب الشخصي على هذا الجانب من الشتيمة أو ذلك. أنت تعرف أن أبو عمار قال عن هذا الحاكم أو ذلك كلاماً كبيراً ثم عاد عنه وأصبحت العلاقات طيبة والكلمات التي تقال دافئة جداً. ومرة أخرى أقول: دعني من التسميات لأنني لا أريد إحراج أحد. كما أنني لم أتصل بأحد من الحكام والمسؤولين العرب حتى الآن، لماذا؟ لأننا مازلنا حتى الآن في صدد عقد مؤتمر حركة فتح، وعندما ن عقد المؤتمر، تكون لدينا شرعية نتكلم بإسمها، وعندما نطرح الموضوع كمنظمة تحرير فلسطينية فنحن سنطرحه مع العرب مباشرة ونسمع ما يقولون، وفي تقديري أن كل زعيم عربي يقف إذا شاء أن يقف مع الشعب الفلسطيني ومع القضية الفلسطينية، لا مع أبو الزعيم كشخص ولا مع ياسر عرفات كشخص. ما يحكمنا في المستقبل هو الإجماع الفلسطيني والأغلبية الفلسطينية والمنهاج الأصح، فإذا كان هناك منهاج أصح من منهاجهم (أي منهاج القيادة) فيجب أن يقفوا معه، وإذا كانت الأغلبية الفلسطينية وراء فكرة معينة أو قيادة معينة فأنا أطالب العرب أن يلتزموا بهذه الأخلاقيات.

لبنان وقصة تسمية «أبو الزعيم»

قلت: في نهاية هذا اللقاء هناك أمران:

الأول - إلى أي مدى يستبد بك الشوق إلى لبنان والحنين إليه وكيف يمكن لحركة مثل حركتك أن تساعد هذا البلد.

الأمر الآخر - هو أن يسمع منك قراء «التضامن» عرضاً لسيرتك ومتى إنضمت لـ «فتح» ولماذا تسمية أبو الزعيم مثلاً؟ وهل أن الاسم مرتبط بمسألة طموح مبكر للزعامة أم أن التسمية أمر عفوي؟

وأجاب: في ما يتعلق بلبنان فإن له في قلب كل فلسطيني موقعاً متميزاً وخاصاً، لأن هذا البلد فتح لنا أبوابه وأعطانا ما لم يعطه الكثير من إخواننا العرب، ولا شك أن هذا البلد تحمّل بسببنا الكثير من الويلات، بعد أن كان البلد المزدهر في الشرق. ديمقراطياً وإقتصادياً وحضارياً أصبح بلد الويلات والنكبات، وأنا أعتقد أن الثورة الفلسطينية لو لم تدخل هذا البلد، وأن هذه الثورة مورست ولم تمارس العمل بكل الأشكال السوداء والبيضاء والخضراء والحمراء التي هي بألوان علمنا الفلسطيني على الأرض اللبنانية لما كانت الأمور وصلت إلى هذا الحد. ومن باب الصدق وللأمانة التاريخية أقول: إن هذا الشعب وهذا البلد الطيب تعامل مع الفلسطيني بمنتهى الطهر العربي وبمنتهى النخوة والمروءة العربية، وعلى مر السنين الطويلة التي قضيناها في لبنان لم يشعر أحد منا أنه ليس في بلده، بل بالعكس كان يرى في نفسه أنه لبناني، وفي الكثير من المواقف كان القائد الفلسطيني يرى في نفسه قائداً لبنانياً أقرب إلى قائد لبناني آخر من أخيه الفلسطيني الآخر، ولذلك كل ما أتمنى من الله أن يرفع عن لبنان كل هذه الويلات وهذه المحن، وأن يجنيه كل هذه العثرات وأن يعيده بلداً واحداً متحداً في ظل شرعية يتفق عليها أهل هذا البلد، وأن يعود إلى أمته وإستقراره ورخائه.

وحول ماذا تستطيع حركتنا أن تقدّم لهذا البلد؟ فأول عامل قدمناه أننا لم ندخل في هذا الصراع، ونقول كلمة الخير لجميع الأطراف، ونحن متأكدون بأن إنتصار هذه الحركة قريب، وعندما تصبح هذه الحركة في أيدي اخواني أو في أيدي من ينتخبهم الشعب الفلسطيني، ولابد أن نكون طرفاً أو جزءاً من هذا الواقع الجديد، فسوف نعمل كل ما في إستطاعتنا وعلى الأقل أن نجذب الفلسطيني في أن يكون طرفاً في الصراع في لبنان، لأن الفلسطيني ليس معنياً من قريب أو بعيد في هذه الصراعات.

أما موضوع من هو أبو الزعيم فإن من الممكن تلخيص هذه السيرة على النحو الآتي.

أنا إسمي عطا الله محمد أحمد عطا الله، مولود في قرية صغيرة إسمها بيت سوريك شمال غرب القدس (8 كم تقريباً) وهي أقرب ما تكون إلى قرية القسطل بكيلومتر واحد، ولدتُ عام 1936، وكان والدي معتقلاً في «عتليت» على يد سلطات الإنتداب البريطاني آنذاك لمساهمة في الثورة الفلسطينية، ونحن من منطقة «بني مالك» وهي عدد كبير من القرى. وكان لوالدي موقع معروف في هذه المنطقة وفي معظم فلسطين، وعام 1947 خرجنا. درستُ في الكلية الرشيدية ثم إنتمت إلى جامعة الأسكندرية وأتممت دراسة الصحافة والتحقت بكلية الأركان الأردنية وعملتُ ضابطاً في القوات المسلحة الأردنية حتى عام 1968، حيث كان لي رأي آخر وهو أننا مقصرون جميعاً كعرب في خدمة القضية العربية والفلسطينية، وكانت لي نشاطات سياسية معينة وأهمها إنني كنتُ عضواً سرياً داخل حركة «فتح» ثم إعتُقلت وحُقق معي وبقيتُ (28) يوماً معتقلاً ثم خرجتُ من الجيش الأردني كي ألتحق بـ «فتح» وأُرسِلتُ إلى العراق، دربتُ مجموعة من الدورات العسكرية الفاعلة لمدة ستة أشهر أو أكثر، ثم عدتُ إلى الأردن لأقود معركة «الحمة» و «الحزام الأخضر» و «الأرض الطيبة» و «حراب الفتح» و «عزالدين القسام» و «فرحان السعدي» وهي سلسلة من العمليات الواسعة التي أردتُ بها أن أغيّر إستراتيجية العمل الفلسطيني الذي كان ينطلق في مجموعات لا تتعدى 3 أو 5 أشخاص على جوانب الحدود، وقلتُ إنه لا بد من عمليات إحتلال ومن عمليات يقوم بها عدد لا يقل عن «200» أو «300» مقاتل في مرحلة واحدة، كي يصبح التفاعل أكثر ويصبح التأثير العسكري أكثر، وهذا تدريب لخلق جيش تحرير شعبي قادر على القيام بعمليات واسعة ومهام واسعة، وفي ذلك الوقت حصل ما حصل في توسيع الثورة في لبنان ولا بد من ضم الجبهة اللبنانية التي تبدأ من جبل الشيخ إلى الناقورة لقتال العدو الإسرائيلي وكنتُ في ذلك الوقت قد تسلمتُ مدير العمليات الحربية في حركة «فتح» فذهبتُ على رأس بعض القوات، بعد أن ذهب بعض الأخوة وأخفق ولم يستطع أن يتصرف وإعتُقل هو ومجموعة معه، إستُدعيت للقيام بهذه المهمة ودخلتُ إلى لبنان على رأس بعض القوات الفلسطينية في إتجاه الجنوب، وحصل أن تعاركنا مع بعض الأخوة في الجيش اللبناني، ويذكر أهل «عيحا» وأهل «راشيا الوادي» أنني أقسمتُ ألا أطلق النار إلا بعد الطلقة الخامسة عشرة أو بعد المرة الخامسة عشرة التي يطلق فيها الجيش اللبناني النار علينا، وأذكر أن «شيلي العريان» تحديداً كان موجوداً وبعض الأخوة من أهل «عيحا» كان موجوداً وبعد أن قُتل معي احد مرافقي حدث الصدام.

أما بالنسبة إلى تسمية «أبو الزعيم» فما يمكن قوله هو أن والدي منذ ان كنت في الخامسة من عمري كان يناديني بهذا الإسم، وبعد أن كبرت وصرت شاباً بدأ زملائي في المدرسة وفي الكلية الحربية ينادونني بإسم «أبو الزعيم» وبعد إنضمامي إلى حركة «فتح»، صار الرفاق - الذين كان لكل منهم إسم حركي - ينادونني بهذا الإسم.

ما أود قوله في نهاية هذا الحديث مع الأخ أبو الزعيم إن هذه الحركة التي يقودها هي أمر لا يجوز

الإستهانة بطروحاته، بمعنى أنه من الضروري - على رغم إندفاعات أبو الزعيم في التعبير عن أفكاره - النظر بجدية إلى الدور الذي يقوم به والذي قد يحدث مفاجآت صاعقة في المعادلة الفلسطينية وإستطراداً في المعادلة العربية - الفلسطينية - الدولية.

ولقد كنت أتمنى في هذه المقابلة لو أن الأخ أبو الزعيم مارس بعض النقد الذاتي خصوصاً أن تعليق أخطاء الجميع على مشجب القيادة التاريخية المتمثلة بشخص ياسر عرفات فيه نوع من الظلم لهذه القيادة. وكان من شأن النقد الذاتي أن يعزز مصداقية حركة أبو الزعيم في نفوس الآخرين.

ما أود قوله أيضاً كبضعة أسطر أختتم فيها هذا الموضوع، هو أن الحركة التصحيحية التي يقوم بها أبو الزعيم هي الثالثة في التاريخ العربي الحديث بعد حركة الرئيس حافظ الأسد في سوريا ثم حركة الرئيس (الراحل) أنور السادات في مصر. أما إلى أي من الحركتين تبدو حركة أبو الزعيم أكثر تشابهاً أو تأثراً فإن ذلك في علم الغيب وإن كنت من باب الإفتراض أرى في الجو مفاجآت أو أرى في الجو ما ينطبق عليه كلام الأغنية الذائعة الصيت للفنان محمد عبده «أرجوك إبعد إبعد... ترى في الجو غيم...».

نُشر الحوار في مجلة «التضامن»

بتاريخ 29 نوفمبر/ تشرين الثاني 1986

مقابلة مع زيد الرفاعي (1)



في حديث شمل الهموم والمشاعل... والتطلعات

زيد الرفاعي لـ «التضامن»:

هذه أحوال الأردن في منتهى الصراحة

هذا الحديث مع الرئيس زيد الرفاعي جرى بين مناسبتين كانت المرارة هي الجامع المشترك بينهما. المناسبة الأولى تمثلت بكلام سمعته من الملك حسين في قصر جلالته (يوم 22 - 10 - 1986) خلال مأدبة غداء خاصة ومضيئة كان لي الشرف أن أكون أحد المدعويين الثمانية لها. وفي هذه المناسبة تدفقت أحزان الملك الدفينة من الأحوال العربية في كلام ردهه الملك حسين بما يشبه الهمس الذي له دوي الرد. وأضاف الرئيس زيد إلى الكلام وقائع تجعل بعض القنوات السائدة تخرج من أسرها العاطفي وتدخل في المدار الواقعي.

اما المناسبة الثانية فتتمت في اليوم التالي وفي مبنى رئاسة الوزراء في عمان وفي أعقاب زيارة قمت بها إلى غور الأردن وإلى البحر الميت وقفنا على ضفته وشعرنا أن أنفاسنا تتجمد في صدورنا ونحن نتأمل الجانب الآخر من البحر. ونتذكر أمجاد الكرامة المعركة.. والخصائل.

وكنت تمنيث على الرئيس زيد وأنا إلى جانبه في مناسبة الغداء الكريمة أن يعطيني بعض الوقت فأعطى بقدر ما تستحقه الأحوال العربية - أي الكثير - وتمنى أن يكون كلامه بعضه للنشر والباقي للتوضيح وربما النشر في الوقت المناسب، وذلك فقط مخافة أن تتسع رقعة التدايعات.

وهنا في هذه الصفحات ما هو للنشر على أساس أنه لا يندرج تحت بند الكلام الذي ينطبق عليه القول الشائع «المجالس بالأمانات».

ويهمني وأنا أنشر الحديث التأكيد على هذا الرقي في التعامل من جانب الحكم الأردني مع الآخرين، وأن أسجل الشكر للرئيس زيد الرفاعي الذي لم يسبق لي أن عرفته وجهاً لوجه، وإن كان إنطباعي عنه هو أنه رجل دولة من نوعية نعز بها. وكذلك للزميل السابق الدائم وربما العائد الأستاذ محمد الخطيب وزير الإعلام الذي أحاطنا بلباقة الأصيلين.

قلت للرئيس زيد الرفاعي: ما شاء الله على هذه الديناميكية. قادم من الكويت، ذاهب إلى القاهرة، ومن قبل زائر لدمشق، عائد منها، ذاهب إلى بغداد، ذاهب إلى الرياض، ذاهب إلى عواصم أخرى. وبين هذه الزيارات نشاطات ومحاضرات تتناول الهم الأردني بشكل عام، لعل وعسى في هذه الحركة بركة كما يقول الحديث الشائع؟

وأجاب: إن تحديات العصر أمام جميع الدول وبالأخص الدول النامية تفرض على المسؤولين فيها أن يبذلوا كل ما يستطيعون لأداء الأمانة وحمل الرسالة، وبإذن الله نأمل في أن نثبت بأن في الحركة بركة.

قلت في ضوء معلومات سبق أن توافرت لي في القاهرة عن تعقيدات ترافق حركة التبادل التجاري وكيف أن بعض الصادرات الأردنية تصل إلى مصر بحراً في غضون عشرة أيام لكنها تبقى مكدسة على الأرصفة

حوالى شهرين: هل هناك بعض الهموم في موضوع العلاقات مع مصر، خصوصاً وأنتك مسافر خلال ساعات إلى هناك، بمعنى هل تواجه العلاقات المستجدة في شقيها الإقتصادي والسياسي البيروقراطية المصرية الشهيرة إذا جاز القول أم أنه لا وجود لمشاكل؟

وأجاب: مشاكل وهموم بمعناها الدقيق لا وجود لها والحمد لله، علاقتنا مع مصر علاقة جيدة، وهي نابعة من إيمان جلالة الملك، والحكومة الأردنية بأنه من الواجب أن نقيم علاقات خاصة مع مصر، ونفتح أمامها الأبواب والنوافذ العربية. ونحن لا نعتقد أن في أسلوب محاولات ما يسمى بعزل مصر عن العالم العربي مصلحة للدول العربية أو للقضية العربية الفلسطينية أو للقضايا العربية الأخرى. مصر دولة رئيسية ذات وزن ويجب أن ننمي العلاقات معها، وبحمد الله أصبحت هناك علاقة خاصة ومتميزة بين جلالة الملك وسيادة الرئيس حسني مبارك، ونحاول أن نترجم هذه العلاقة إلى علاقة عمل مجدية ونافعة بين الحكومتين.

بالطبع هنالك عقبات أمام أية مسيرة مشتركة، قد يكون منها البيروقراطية التي ذكرت، ولكن هذه كلها أمور تفصيلية نتغلب عليها بالتدريج ضمن إطار الهدف الأكبر والأسمى وهو فتح الأبواب أمام عودة مصر إلى مكانتها الطبيعية في العالم العربي.

(ولقد لاحظت أن الرئيس زيد الرفاعي يعتمد التهوين إلى الحد الأدنى من تلك التعقيدات التي إعتقد أنها مربكة للتعاون بين البلدين ربما على أساس أنه لا جدوى من التهويل).

طفرة العمار وضربتها الباهظة

وقلت للرئيس الرفاعي وكنت لاحظت أنه أخرج سبخته اللازوردية اللون والتي أشك أنه لن يبدي أحد زملائه من رجال الدولة العرب الإعجاب بها وبذلك يحصل عليها:

يصل المرء إلى عمان فيجد نفسه مأخوذاً بهذا العمران الذي تتسع مساحته يوماً بعد آخر، وكيف أنه لا تكاد تنقضي السنة إلا وإكتمل بناء حي ليبدأ بناء حي آخر، وهو ما ينطبق عليه القول الشائع إن الدوّار الذي لم يبن بعد هو الدوّار الذي سيكون على مقربة من القدس. ويتأمل المرء أثناء الزيارة في أمور كثيرة وفي العمارات الخالية من السكان، فيجد نفسه يخاف على الأردن أن يكون على موعد مع تسديد لا قدرة له عليه لضريبة الطفرة التي يبدو أنها حلت في وقت غير مناسب.

ما الذي يقوله دولة الرئيس في هذا الشأن؟

وأجاب: عملياً إن الأردن إستفاد من الطفرة - وأضع الكلمة بين قوسين - التي شملت المنطقة. ونحن نتأثر بشكل مباشر بالوضع الإقتصادي العام في الدول المجاورة، لكن وبحمد الله الوضع الإقتصادي الأردني سليم ومتين والفرق بيننا وبين الدول الأخرى هو أن هذه الطفرة وإنعكاساتها على البلد أنت نتيجة الأوضاع الإستثمارية الداخلية في الأردن.

وكما هو معروف إن الاردن بلد محدود الإمكانيات، وليس لديه نبط ولا موارد طبيعية غنية، مورد الأردن الرئيسي هو الإنسان الأردني، والسياسة الأردنية التي تعكس الإستقرار والإستمرارية والإنتفااح على العالم. الأوضاع الإقتصادية سليمة، والتوسع الذي يشهده الجميع في عمان وغيرها هو التوسع الطبيعي لأننا مازلنا بلداً في طور البناء والتشييد، صحيح هنالك بعض العمارات والشقق الفارغة ولكن هذه ليست مؤشر الإقتصاد الأردني وإنما المؤشر هو إقتصاد ديناميكي متحرك متفاعل ومستفيد من تجارب الماضي وإن وضعنا الإقتصادي العام هو من المفار التي نعتز بها. ولابد أثناء وجودك في عمان لاحظت النشاط المستمر لجميع أبناء الشعب بجميع قطاعاته. الأردن بأكمله والحمد لله عبارة عن مصنع يعمل ليلاً نهاراً،

يواجه التحديات ويعتمد وبشكل رئيسي على الأمن والاستقرار والانفتاح، ووضع السياسات والإقتصادي والمالي وسياساته تجذب الكثير من المستثمرين العرب والأجانب بالإضافة إلى إتجاه القطاع الخاص بتشجيع الحكومة له على القيام بدوره، ولذلك نحن بخير والحمد لله، والمصاعب المالية التي تواجه الحكومة، وهي تختلف عن الوضع الإقتصادي للدولة ككل، ناجمة عن الإلتزامات الكبيرة المفروضة علينا، والإنفاق العسكري بشكل خاص نتيجة وجودنا على أطول خط لوقف إطلاق النار مع العدو الإسرائيلي، ولإضطرارنا أن نكون خط الدفاع الأول ليس فقط عن الأردن ولكن عن الأمة العربية في المشرق العربي.

كلام قليل حول الهم الكثير

قلت، وقد بدأت أشعر بإرتياح لأسلوب التحليل الذي يعتمده الرئيس الرفاعي:

يبدو اللقاء مع الرئيس زيد في هذه الظروف الصعبة التي يواجهها بشكل عام في العالم العربي - والمملكة الأردنية الهاشمية جزء أساسي في قضايا العالم العربي - مناسبة جيدة لسماع رأي دولته في هموم المملكة. ويسمح دولة الرئيس بأن أعرض أمامه الهموم كما أراها ككاتب وصحفي يتابع التطورات في المنطقة على مدى ربع قرن هماً بعد آخر. وأبدأ بالهم الإقتصادي. وفي هذا الخصوص أسأل الرئيس زيد عما إذا كانت زيارة الكويت قبل أيام حققت هدفها الإقتصادي؟ وأسأل أيضاً عما إذا كانت هناك آمال معلقة على إستجابة أوروبية وأميركية ويابانية لخطة التنمية. وهل من السهل وفي هذه الظروف بالذات، وخصوصاً بعدما أخفقت محاولة تدوير الموقف الفلسطيني بالموقف الأردني ومزجها في موقف موحد، جمع 1300 مليون دولار من هذه الدول لتلبية إحتياجات هذه الخطة.

وأجاب:

السؤال غطى نواحي كثيرة متداخلة وليست بالضرورة مترابطة، ولذلك سأحاول أن أجيب عنه بتفصيل وبالنقاط التي تعرض لها. أولاً زيارتي للكويت كانت لحمد الله ناجحة وموفقة، ولم يكن الهدف منها إقتصادياً محضاً وعلاقته مع الكويت علاقة أخوية متينة، وتبادل معهم الزيارات ونطلعهم على المستجدات، ونحاول أن نشرح لهم وضع الأردن بشكل مستمر، ولقد أتيت لي مناسبة - أثناء وجودي في الكويت - أن ألتقي بعدد من المستثمرين الكويتيين وبأعضاء مجلس إدارة غرفة الصناعة والتجارة وشرحت لهم خطة التنمية المقبلة، وهنا أتكلم عن خطة التنمية في الضفة الشرقية للمملكة، وإتفقنا أن نعزز على الإخوة في الكويت مشاريع أردنية محددة مدروسة وثابتة الجدوى الإقتصادية لنفسح في المجال أمام إمكانية مشاركتهم بالإستثمار في مشاريع الخطة والمشاريع الأردنية الأخرى. وبالنسبة إلى الخطة توجد لدينا خطتان، خطة خمسية للتنمية في الضفة الشرقية للمملكة، وهي الخطة الخمسية الثالثة التي نقدم عليها، وقد حققنا إنجازات كبيرة وتمكناً بحمد الله من تنفيذ خطة التنمية الأولى والثانية، والآن نحن على أبواب تنفيذ الخطة الثالثة وهي مشاريع للتنمية والخدمات في جميع القطاعات وسيكون الإنفاق فيها خلال السنوات الخمس المقبلة في حدود ثلاثة آلاف مليون دينار. وسيشارك القطاع الخاص في جزء لا بأس به من هذا الإستثمار وبالذات بعض المشاريع التي يقوم هو بتنفيذها. وفي الخطة حوالى أربعة آلاف مشروع بمبالغ صغيرة (في حدود 50 ألف دينار) بالإضافة إلى المشاريع الكبرى ومشاريع تنمية موارد الأردن. وفي هذه الخطة سنعتمد على التمويل الذاتي بالإضافة إلى تمويل المؤسسات المالية العربية والإسلامية والعالمية، وبحمد الله تعامل الأردن ومع جميع المؤسسات التمويلية بطريقة نموذجية، وفي الأردن بإلتزاماته في مواعيدها ولم يسبق أن حدث أي تأخير أو إشكال في تعاملنا مع أية مؤسسة عربية أو إسلامية (حكومية، أو أهلية) أو مع الدول الأجنبية أو مع البنك الدولي، وتقارير البنك الدولي تشهد على ذلك

وتؤكد ما ذكرت.

أما موضوع الـ 1300 أو الـ 1500 مليون دولار الذي ذكرته، فهو يتعلق بخطة التنمية للأراضي المحتلة، وهذه خطة تختلف تماماً عن خطة التنمية للضفة الشرقية للمملكة. إنها خطة تهدف إلى دعم صمود الشعب العربي الفلسطيني في أرضه وإبقائه في مدنه وقراه في مواجهة مخططات إسرائيل لإقتلعه من جذوره وتهجير، ونحن نعتبر أن دعم الصمود في الأراضي المحتلة ولأهلنا هناك واجب قومي ووطني خاصة لظروف اللاحرب واللاسلم التي نعيشها. إلى ذلك نحن لم نشع إلى تذويب - وهي الكلمة التي إستعملتها في سؤالك - الدور الفلسطيني في الدور الأردني، ونرى أن الدور الأردني والدور الفلسطيني مكملاً لبعضهما البعض، ونحاول أن ننسق الجهود لنقوم بواجبنا أردنياً وفلسطينياً، لأننا نعتبر أن القضية الفلسطينية وهي قضية العرب المركزية الأولى هي قضية أردنية أيضاً. وبالنسبة إلينا انها قضية حياة أو موت. الشعب العربي الفلسطيني والشعب الأردني في الواقع هما شعب واحد، لذلك نستعمل كلمة الشعب الأردني الفلسطيني وفي هذا نوع من التكامل وليس نوعاً من محاولة التذويب أو السيطرة أو الهيمنة.

وبالنسبة إلى إمكانية الحصول على تمويل للمشاريع في الأراضي المحتلة، فإن الحكومة الأردنية ستقوم بجزء منها، وهذا ليس جديداً. فالحكومة الأردنية تدعم أهالي الأرض المحتلة وتدعم صمود الأهل في الضفة الغربية منذ عام 1967، وهذا الدعم كان يأخذ - بالإضافة إلى دفع رواتب جميع العاملين في الضفة الغربية في الجهاز الحكومي - شكل مساعدات مباشرة للبلديات وللمؤسسات وللجمعيات التعاونية وللقطاعات المختلفة. وفي فترة من الفترات كان هذا الدعم يتم عن طريق اللجنة الأردنية - الفلسطينية المشتركة. لكن للأسف ونتيجة عدم وفاء بعض الأشقاء بالتزاماتهم المالية تجاه الصندوق المشترك، توقفت اللجنة الأردنية المشار إليها عن القيام بواجبها، وبالتالي أصبح من واجب الحكومة الأردنية أن تتولى هي عملية دعم الصمود في الأراضي المحتلة، وهذا واجب مقدس ولا يجوز أن يضحي الأخوة في الأراضي المحتلة بأمور تتعلق بمعيشتهم وإمكان الإستمرار في البقاء على أرضهم نتيجة أوضاع مالية عربية أو حتى نتيجة خلافات سياسية بين أي طرف عربي وطرف آخر.

وقلت للرئيس الرفاعي بهدف الإطمئنان إلى إرتياحه للمسائل التي أثرتها وإستعداداً لطرح مسائل أخرى ساخنة بعض الشيء:

دولة الرئيس، هل أستطيع الإفتراض أن الحديث حتى الآن يسير في الإطار الذي تبدو مرتاحاً إلى الطرح فيه. إن من شأن هذا التقويم أن يساعد على أن أ طرح أسئلة وتساؤلات قد تنير الجدل؟

وأجاب بلهجة رجل الدولة الذي لا يرتبك: أنا مرتاح ومستعد للإجابة عن كل ما ترغب طرّحه.

وهنا توكلت على الله وقلت للرئيس الرفاعي: في إطار الحديث عن الهم الإقتصادي، نأمل أن نسمع رأي الرئيس زيد فيما يتردد بشأن بيع القطاع الأردني العام ومن الذي سيشتري؟ وهل ستوافقون على أن تشتري جهات غير أردنية؟ وهل إذا إشتري الفلسطينيون أو شاركوا في الشراء في هذا القطاع يبدو الأمر مقبولاً منكم؟

وأضفت: إن المؤسسات التي يتردد أنها يمكن أن تطرح للبيع هي مؤسسة المواصلات السلوكية واللاسلكية التي قيل إن موجوداتها تقدر بـ 900 مليون دينار، ومؤسسة الخطوط الجوية الملكية الأردنية، (عاليه) ومؤسسة النقل العام وخدمات مؤسسة الموانئ أو مؤسسة ميناء العقبة؟ وهل صحيح أنكم أنجزتم دراسات في هذا الشأن أعدها خبراء أجانب وأن هنالك مقترحات أميركية لإنقاذ الإقتصاد الأردني بعثت بها في تقرير إليكم الإدارة الأميركية؟

ورد الرئيس: إبدأ الجواب من نهاية السؤال. وفي هذا الشأن أقول إنه لا صحة مطلقاً أن الإدارة الأميركية نصحت أو أرسلت إلينا أية تقارير حول موضوع ما يسمى Privatisation والذي يترجم عربياً بـ «التخصيص» على ما يبدو.

وسعيثُ إلى التأكد من الكلمة فأعاد الرئيس الرفاعي القول (التخصيص أو العودة إلى القطاع الخاص) وأكمل:

وفي الواقع وبمنتهى الصراحة إنني أسمع للمرة الأولى هذا الطرح وأسمعه منك الآن. وأكرر وبمنتهى الصدق انني لم أسمع إطلاقاً وحتى كمجرد إشاعة أن الإدارة الأميركية أرسلت تقريراً أو أنها نصحت. هذا موضوع غير وارد إطلاقاً ولا أساس له من الصحة. كذلك ليس صحيحاً أن هناك خبراء أجانب يدرسون موضوع العودة إلى القطاع الخاص.

الموضوع، لسبب أحله، تم إخراجُه عن إطاره الصحيح وبشكل مؤسف. والموضوع يتلخص بالآتي: تؤمن الحكومة بدعم دور القطاع الخاص وتؤمن بوجود إبتعاد القطاع العام عن مجالات يستطيع القطاع الخاص أن يقوم بها. وهذا الموضوع يتعلق بتوجه الحكومة، وليس في الإمكان أن يناقش هذا الموضوع من جهة هل هو صحيح أم غير صحيح؟ نجد في أوروبا أن الحكومة في بريطانيا مثلاً تقدم على تأميم الصناعات الكبرى، وتأتي حكومة ثانية بعد أربع سنوات أو ثماني سنوات تؤمن بدور القطاع الخاص وتعيد بيع هذه الصناعات إلى القطاع الخاص، وهذا ما حدث في بريطانيا مؤخراً بشأن شركة الطيران أو حتى مؤسسة المواصلات. وفي فرنسا تأتي حكومة فتؤم كل شيء بما في ذلك المصارف وتأتي حكومة كالحكومة الحالية تؤمن بإعادة هذه الأوجه من النشاط الإقتصادي إلى القطاع الخاص. ولذلك الموضوع هو موضوع إجتهد وقرار وتوجه حكومي. هذه الحكومة تؤمن بدور القطاع الخاص ولا تؤمن بدور هيمنة القطاع العام على الإقتصاد، ونحن لدينا العديد من التجارب في الدول الإشتراكية وغيرها بالنسبة إلى أوضاعهم الإقتصادية، ونحن في هذا البلد نؤمن بالحرية الإقتصادية والمبادرة الفردية ودور القطاع الخاص، هذا بالنسبة إلى المبدأ. أما بالنسبة إلى التفاصيل، فإن الحكومة وجدت أن لدينا بعض المؤسسات الحكومية التي تقوم بالإشراف على بعض القطاعات الإقتصادية في البلد ومنها مؤسسة النقل العام ومؤسسة عاليه - الخطوط الملكية الأردنية - ومؤسسة المواصلات السلوكية واللاسلكية، وفيما يتعلق بمؤسسة الموانئ، فلم تتعرض لها لا من قريب ولا من بعيد وستبقى مؤسسة حكومية لأهمية ميناء العقبة، وضرورة وجود الدولة في المؤسسة وهي تعمل بشكل جيد.

قررنا أن نسير على خطوات مدروسة وتدرجية وكل حالة على حدة. نبدأ أولاً بتحويل المؤسسات الحكومية هذه إلى شركات يمتلك القطاع العام جميع أسهمها، فهي تصبح شركات تعمل على أساس تجاري، وتملكها الحكومة، يملكها القطاع العام. هذه تكون المرحلة الأولى، والهدف من هذا واضح، وهو إبعادها عن الروتين الحكومي والتعقيدات الحكومية والأنظمة التي تُعقد إمكانية نموها أو تقديم خدماتها للمواطنين على الشكل الأفضل.

المرحلة الثانية (وستختلف المعالجة من مؤسسة إلى أخرى) بعد أن تصبح شركة نفسح في المجال أمام القطاع الخاص للمساهمة في نشاطاتها. وعندما نقول الإفصاح في المجال للقطاع الخاص للمشاركة في الملكية والإدارة، فإننا لا نتكلم عن بيع جميع الأسهم للقطاع الخاص. مؤسسة النقل العام تقوم بتسيير باصات داخل حدود أمانة العاصمة. في جميع أنحاء المملكة، وجميع خطوط المملكة تقوم شركات أهلية من القطاع الخاص بتسيير الباصات، وبإستثناء أمانة العاصمة، هذه المؤسسة بالذات بعد تحويلها إلى شركة سنقوم ببيعها في مجملها إلى القطاع الخاص، والقطاع الخاص مستعد، والمعنيون بخطوط الباصات وشركات النقل يرغبون

ويلحون ويصرون منذ مدة على أن تكون هذه من مسؤوليتهم وستجوابوهم. وأكبر دليل على شجاعة هذا القرار أن هذه المؤسسة مؤسسة النقل العام ولأنها حكومية ولا تعمل على أساس تجاري تعمل الآن بـ 25 في المائة من طاقتها فقط. هذا الوضع لا يمكن أن يكون موجوداً لو كانت الشركة مملوكة من القطاع الخاص، وهذا سيعني رفع مستوى الخدمات وتحسين مستوى الباصات وبذلك تعود الفائدة على المواطن. بالطبع تبقى السيطرة الحكومية موجودة بالنسبة إلى تحديد الأسعار، والإصرار على وجود خطوط والإستمرار فيها، ولذلك هي عبارة عن إعادة الشيء إلى طبيعته في القطاع الخاص.

بالنسبة إلى مؤسسة المواصلات السلوكية واللاسلكية، إن عملية تحويلها من مؤسسة إلى شركة ستستغرق حوالى السنة، وستصبح شركة تملك الحكومة كل أسهمها، ولم نصل بعد إلى تقويم موجودات هذه المؤسسة لذلك لا أستطيع أن أتكلّم عن مئات الملايين من الدنانير، ولكن عندما تعرض على القطاع الخاص والمستثمرين شراء بعض الأسهم، فسيتم ذلك بالتدريج وستحافظ الحكومة على الأقل على 51% من أسهم هذه الشركة. عندنا هنا نظام قد يكون فريداً من نوعه، وهو جزء من التجربة الأردنية ويتلخص في أن الحكومة تساهم مع القطاع الخاص في عدد كبير من المؤسسات حتى على مستوى الفنادق، وفي بعض الحالات تملك الحكومة حوالى 90 في المائة من الأسهم، لكن تترك الإدارة للقطاع الخاص ونكون ممثلين كحكومة في مجالس الإدارة، وبالتالي لا نتدخل في أسلوب عملهم، ونتعامل معهم كأى استثمار عادي لأي إنسان، الحكومة تكون مستثمرة في مشروع ما.

في هذا الموضوع، بالنسبة إلى مؤسسة المواصلات السلوكية واللاسلكية. ستحافظ الحكومة على الأقل على 51 في المائة من الأسهم، ولا أتوقع بيع الـ 49 في المائة من الأسهم إلا بعد سنوات طويلة، حيث نطرح الأسهم بالتدريج في السوق بعد أن يتم تحويل المؤسسة إلى شركة، ونخرج من موازنة الدولة وتعمل على أساس تجاري سليم.

بالنسبة إلى مؤسسة "عاليه" - الخطوط الملكية الأردنية - سيتم تحويلها أيضاً إلى شركة، الحكومة أو القطاع العام سيملك أسهمها كلها، ثم نبدأ ببيع الأسهم بالتدريج. والقرار الوحيد الذي توصلنا إليه لغاية الآن هو أن نبيع حوالى خمسة في المائة من الأسهم إلى جميع العاملين في مؤسسة "عاليه"، ليصبح كل من يعمل بها مساهماً في الشركة، وهذا يؤدي إلى المزيد من الإلتزام والتفاني في الخدمة ونأمل في المستقبل أن نتوسع في عملية الإستثمار.

وعلى أية حال، وكما ذكرت فإن أسهم الحكومة ستبقى هي الغالبية في هذه الشركات. لم نفكر إطلاقاً في أية مؤسسات عامة أخرى، والإستثمار سيكون مفتوحاً للجميع كما هو مفتوح الآن، فالآن يستطيع أي أردني وأي عربي أن يستثمر في سوق عمان المالي في العقارات وفي الأراضي وفي الأسهم، وكما ذكرت فنحن في هذا البلد منفتحون على الجميع، وبالعكس صدرت قرارات عن مجلس الوزراء، وأصبحت جزءاً من القانون الإقتصادي في البلد، حيث نعامل كل مستثمر عربي معاملة المستثمر الأردني ولا تمييز إطلاقاً، ولهذا نرحب بأية إستثمارات من جميع الجهات.

وببقى أن الذي عرضته عليك هو بمنتهى البساطة والصرامة تصور الحكومة ولذلك، كما ذكرت في بداية حديثي نستغرب كيف تم إخراج هذا الموضوع عن نطاقه المنطقي، ونستغرب المبالغات من بعض الجهات التي تفضل أسلوب الإشتراكية أو لها توجه إقتصادي معين، لكن هذا لا ينعكس على التصميم وعلى الواقع وعلى القرار الذي شرحته لك.

عودة إلى «التخاصية» والتأثر بأسلوب الوالد

قُلْتُ للرئيس الرفاعي: قَبْلَ الإنتقال إلى سؤال عن بعض الهموم الأردنية الأخرى، أود توضيح أمرين: الأول - أن تشرح لي «التخاصية» لأنها فعلاً جديدة عليّ وعلى مدى خمس وعشرين سنة من العمل الكتابي والصحفي لم ترد عليّ وأكون شاكراً لو شرحتها لعلنا نستعملها بعد الآن.

الأمر الآخر هو رغبتني في أن أعرف إلى أي مدى في أسلوب إدارتك للدولة تتأثر أو تسترشد - إضافة إلى جلالة الملك حسين - بأسلوب الطيّب الذّكر والدك الرئيس الراحل سمير الرفاعي؟

وأجاب: اما «التخاصية» فهي جديدة عليّ أيضاً. وما أعرفه هو أن ما يسمى بإعادة أو تحويل مؤسسات قطاع عام إلى القطاع الخاص تسمى بالإنكليزية Privatisation، فطلبتُ من الأخوة المضطّلعين باللغة أن يجدوا ترجمة مناسبة لهذه الكلمة، فبحثوا في القواميس وعادوا إلى أصول اللغة، فطلعوا علينا بكلمة «التخاصية» ولهذا نستعملها لأول مرة كترديد لـ Privatisation، والمهم أن الأمر واضح وهو إفساح في المجال أمام القطاع الخاص للمساهمة في تملك وإدارة بعض المؤسسات الحكومية.

وبالنسبة إلى الشق الثاني من السؤال أقول إنني رئيس الجهاز التنفيذي لجلالة الملك، ننقذ ونتّرجم توجيهاته السامية وإرشاداته إلى إجراءات نتبناها ونحاول قدر الإمكان أن نعطيها الشكل والمضمون الذي ينسجم مع طموحات وتطلعات جلالة الملك. أما ما يتعلق بالمرحوم والذي فأقول إن العصر الذي مارس فيه الحُكم يختلف تماماً عن العصر الحالي. التحديات كانت مختلفة كثيراً، والأوضاع المالية والاقتصادية كانت مختلفة ولم تكن بهذا التعقيد. كانت عندهم مشاكل تختلف عن مشاكلنا، وكانوا هو وعدد من زملائه يعملون ابتداءً من خدمة جلالة المغفور له الملك عبد الله طيّب الله ثراه وجلالة الملك طلال طيّب الله ذكره، وجلالة الملك حسين في ظروف مختلفة تماماً إنتقلت بها الأردن من طور التأسيس وبناء الإمارة إلى الحصول على الإستقلال إلى تثبيت وتدعيم ركائز هذا الإستقلال إلى مواجهة قيام إسرائيل في الوسط العربي، إلى معالجة المشاكل العربية المختلفة التي مرت على عالمنا العربي في الخمسينات وفي الستينات، كانت هموم ومشاكل تختلف تماماً عما نواجهه الآن، لكن ما تعلّمته في مدرسة والذي السياسية فهو خدمة العرش، والإخلاص والتفاني في هذه الخدمة، ومحاولة مستمرة لأن يصل الإنسان عن طريق عمله وجهده وكده إلى مستوى الأمانة التي شرفه بحملها جلالة الملك.

هذا هو الأساس في التوجه، وكل ما نعمله على الساحة الأردنية أو العربية هو ترجمة أو إجراءات تفصيلية لهذه القاعدة - الأساس.

... دعوة أخرى إلى الهموم... والشواغل

قُلْتُ للرئيس الرفاعي: لو تأذن لي بالعودة إلى بعض الهموم التي تعيشها المملكة وأعرضها هماً هماً. وتكراراً أستاذنا دولتك في رحابة الصدر. ابدأ بهم البطالة. أن هم البطالة يرافقه إزدياد عدد الخريجين. وللمناسبة أود أن أسجل إعجاباً بتجربة الجامعة الأردنية التي زرتها قبل أمس وحدثنا رئيسها عن تجربة رائدة فضلاً عن أنني لمستُ في هذه الجامعة صحة ونظافة وأسلوب تعامل من النادر أن نلاحظه في جامعات أخرى.

والملاحظ يا دولة الرئيس إضافة إلى إزدياد عدد الخريجين الذين لا يجدون بسهولة فرص عمل، يرافقه أيضاً عودة مغتربين كثيرين من دول الخليج نتيجة للظروف السائدة هناك، وفي الوقت نفسه وهو أمر لا أخفيك أنه أدهشني، وجود عمالة أجنبية في البلد، ووجود عناصر تقوم بأعمال يمكن أن يمارسها الشاب

الأردني من دون أن يخل هذا بكبريائه وكرامته.

إضافة إلى هذا، تبدو هذه المسلكية وكما لو أنها بوابر إنفتاح على طريقة الإنفتاح الذي واجهته مصر، وأنت أدرى يا دولة الرئيس بأنها تجربة بدأت مصر تدفع ثمنها.

وأجاب: الموضوع في الواقع ليس موضوع إنفتاح، فلا يوجد أي وضع جديد بالنسبة إلى إنفتاح الأردن على العالم، ولا مجال للمقارنة بين التجربة الأردنية والتجربة في الشقيقة. موضوع البطالة توليه الحكومة إهتماماً خاصاً لأنه جديد، والسبب في زيادة الإقبال على سوق العمل، هو الأعداد الكبيرة من الخريجين وعدم وجود وظائف كافية لإستيعابهم، لكن البطالة في الأردن، إذا أردنا أن نكون صادقين مع أنفسنا ونحن نتحدث عنها هي بطالة هيكلية، بمعنى أنها بطالة في بعض القطاعات وليست شاملة، وتشير الإحصاءات إلى أن الراغبين في العمل الآن في الأردن والذين لم يتمكن من إستيعابهم في وظائف القطاع العام والخاص المختلفة يبلغ عددهم ثلاثين ألف شاب وشابة، وفي الوقت نفسه، نجد في الأردن حوالي 130 ألف عامل وافد من الخارج. هذا يدل على أن فرص العمل متاحة في البلد وفي إستطاعتها أن تستوعب الثلاثين ألفاً العاطلين عن العمل، وتستوعب خمسة أضعافهم، لكن عندنا مشكلة في الأردن تتعلق بالقيم الإجتماعية، والنظرة إلى مستوى العمل، وعدم الإقبال على القيام بأعمال معيّنة، ونجد عدداً كبيراً من المهندسين، وكان هناك إقبال على دراسة الهندسة، الشاب المهندس المتخرج يصر على أن يعمل كمهندس، ويرفض أن يعمل أي عمل آخر. توجد لدينا مشكلة مماثلة، بين الأطباء، مئات الأطباء يبحثون عن العمل الآن، وهم ليسوا على إستعداد لأن يقوموا بأي عمل آخر، وعندما أقول عمل آخر، فإنني أتكلم عن المهن المساعدة في الحقل نفسه. إننا نعاني مما قد يسمى بـ «حمل الشهادات». كل شاب أو شابة أردنية يحب أن يحصل على شهادة جامعية، وبالنسبة إلى الإحصاءات بالمقارنة مع دول العالم فنحن نتقدم على معظم العالم المتقدم بالنسبة إلى عدد الخريجين وبالنسبة إلى عدد الطلبة الذين يدرسون في الجامعات قياساً إلى عدد سكان المملكة.

مشكلتنا الكبرى أنه لم يكن في الماضي ربط بين التحصيل الجامعي وبين فرص العمل المتاحة، وهذا ما بدأنا في معالجته الآن، إتخذنا عدداً من الإجراءات وسنبدأ تنفيذا قريباً بإذن الله، وتتمثل في إعادة نظر جذرية في أسلوب التعليم في المملكة، بحيث إننا سنعيد النظر من المرحلة الإبتدائية والإعدادية والثانوية مع التركيز على التدريب والتعليم المهني، الإنقاص من التعليم الأكاديمي إلّا على ضوء حاجات البلد. كذلك سنعمل على ربط إختصاصات الطلبة في الجامعات بإحتياجات المملكة وفرص العمل الموجودة فيها وفي الدول المجاورة، وإرشادهم إلى فرص العمل قبل أن يختاروا إختصاصهم.

البطالة في وضعها الحالي غير مقلقة ولكنها قد تسبب مشكلة في المستقبل إذا لم نبدأ معالجتها منذ الآن. العامل المساعد الأساسي الإضافي الآخر هو محاولة تغيير القيم الإجتماعية، بمعنى أن العمل اليدوي ليس عيباً وأنه يشرف أي إنسان وأن العمل في حد ذاته أفضل بكثير من الجلوس في البيت وانتظار الفرصة المناسبة للعمل المختار. وعملية تغيير القيم الإجتماعية ليست سهلة ولا تتم بين عشية وضحاها، لكن بدأنا في هذا من خلال عمليات توعية مستمرة وسنحاول بإذن الله وعن طريق القرارات التي صدرت عن الوزارات المختلفة وعن وزارة التعليم العالي ومجلس التعليم العالي وبالتعاون مع الجامعات، هذا الموضوع يعالج على أعلى المستويات، وحتى جلالة الملك شخصياً شرفنا بتروّس عدد من إجتماعات مجلس التعليم العالي لهذا الهدف بالذات، ولنتمكن أن نتغلب تدريجياً على هذه المشكلة.

وكما ذكرت الآن فالمشكلة بطالة هيكلية، بمعنى أنها تشمل بعض القطاعات وبعض التخصصات وليست بطالة على صعيد الدولة ككل.

قُلت: في هذا الإطار يجوز الافتراض، أن هناك إ تجاهاً لإستحداث كليات للصيانة إذا جاز القول؟

أجاب: بدأنا الآن هذا التوجه، وبدأنا في تنفيذه، ولدينا إضافة إلى الجامعة الأردنية ثلاث جامعات وسمحننا بفتح جامعة أهلية. وفي المملكة 52 كلية الدراسة فيها لمدة سنتين في المهن المتخصصة والمساعدة، الجامعة الأخيرة التي تم إفتتاحها هي جامعة العلوم والتكنولوجيا والتي ستركز على النواحي العلمية والمهنية بشكل خاص.

العملية شاقة وتستوجب إجراء مسح وبشكل مستمر لمتطلبات وإحتياجات السوق في الأردن وفي الدول العربية وتوجيه التعليم العالي لتغطية النقص وتلبية الحاجات في هذه المجالات والإبقاء على العلوم الأكاديمية المحض، يحمل الشاب أو الشابة شهادة الليسانس في الآداب ويعتقد أنه مؤهل لعمل معين ويرفض العمل في أي مجال آخر.

الطفرة والعودة الى الواقع والتبسيط

قُلت للرئيس الرفاعي: هل لي أن أستوضح بعض الأمور المتصلة بـ الهم الأكبر وهو هم الطفرة الإقتصادية إذا جاز التعبير، وسأوردها بشكل ملاحظات على النحو الآتي:

الطفرة الإقتصادية في الأردن، كما يتذكر المرء بدأت في عهد حكومتك الأولى، ونحن في عهد حكومتك الحالية نجد أن هذه الطفرة تواجه إختباراً دقيقاً بعض الشيء. والطفرة بدأت بقدوم مستثمرين خليجيين وتحديدأ مستثمرين كويتيين، وقد إستطاعوا من خلال التعامل مع فعاليات أردنية في مجال تجارة الأراضي إضافة إلى أموال المغتربين والفلسطينيين المستفيدين من عملهم في الخارج من إحداث نقلات نوعية في هذه الطفرة.

هل في تقدير الرئيس أن هذه الطفرة أمكن الإستفادة منها بشكل جيد في الأردن، وهل في ضوء تقويم لما حدث ولما هو حاصل حالياً، هناك تقويم لسلبيات هذه الطفرة وإيجابياتها، بمعنى أن يكون في ضوء هذا التقويم تركيز على النواحي الإيجابية لتلافي السلبيات إلى حد ما.

إلى ذلك هل يأخذ الرئيس في الإعتبار أن هذه الطفرة أحدثت إلى حد ما تناقضاً في طبيعة المجتمع الأردني وبساطته وتقاليده؟

وأجاب: عندما نقول «الطفرة» فإن التسمية في حد ذاتها تعطي الإنطباع بأنها وضّع غير طبيعي، ولا يمكن لأي شيء غير طبيعي أن يستمر، الأمور تعود إلى طبيعتها دائماً. ولذلك فإن ما نشاهده الآن وما بدأنا نعيشه في هذا البلد منذ بضع سنوات، وبعد انتهاء الطفرة في أسعار النفط في الدول المجاورة والتي إنعكست بشكل مباشر علينا، هو العودة الى الأوضاع الطبيعية كما يجب أن تكون. لا يمكن لأي مجتمع أو لأي دولة أن يعيش في حالة طفرة دائمة، المهم هو الإستفادة من الطفرات وتفادي السلبيات والتركيز على الإيجابيات. وبالطبع كان هناك بعض السلبيات من الإستفادة من هذه الطفرة. وقد يكون على رأس هذه السلبيات عدم دراسة كافية لبعض الأولويات. لكن المهم إننا بدأنا وبشكل جدّي وفَعَل في وقْف التراجع الإقتصادي، والتغلب على الإختناقات وإستئناف المسيرة وعلى مستواها الطبيعي الذي نستطيع أن نتكيف معه. إن عملية الإستفادة من التجربة السابقة مستمرة ونحن نراعيها في كل مشروعاتنا المستقبلية.

قُلت للرئيس الرفاعي: لاحظت من نشاطك الديناميكي المتنوع أنك كثير الإهتمام بالوضع المصرفي،

وانك طالبت في محاضرة ألقيتها يوم 1986/10/20 في أعقاب عودتك من الكويت بتخفيض أسعار الفائدة لدفع عجلة الاقتصاد. هل يشكو الوضع المصرفي من أزمة لا تتحدثون عنها، أم أن الأمور بخير؟ وأجاب: الأمور بخير..

وعُدْتُ أسأل: هل تحديداً هناك أزمة سيولة في المصارف؟

وأجاب: الواقع هو العكس تماماً، والمصارف الأردنية لم يسبق أن توافرت فيها سيولة كما يوجد الآن، وهذا ما قصدتُ أن أشير إليه في كلمتي أمام جمعية البنوك الأردنية المشكلة لتلخص كما نراه نحن، وهنا نتكلم عن وجهة نظر الحكومة، هي أن السيولة مرتفعة جداً لدى المصارف وأن هذه المصارف يجب أن تفتح أكثر لتأمين سيولة للمستثمرين الأردنيين. السيولة عالية ومرتفعة ويجب أن يعاد ضخ هذه الأموال من المصارف إلى المجتمع الأردني بالطبع. هذه المصارف تقوم بدور مشكور ومؤثر في عملية التنمية الأردنية عن طريق شرائها لسندات التنمية الحكومية وإصدارات البنك المركزي، ولكن الذي يحصل هو أن الحكومة نفسها هي التي تقوم بضخ المبالغ من المصارف إلى السوق الأردني. وما نريده هو أن يكون هناك ضخ مباشر من المصارف عن طريق القطاع الخاص وليس عن طريق الأجهزة الحكومية في برامج التنمية، والمصارف دورها أساسي في التنمية، يتم ذلك بشكل جيد بالنسبة إلى مشاريع التنمية الرسمية الحكومية، ونريد أن يتوسعوا بذلك عن طريق دعم أفضل للفعاليات في القطاع الخاص.

وسألتُ الرئيس الرفاعي: هل مازال هناك دور وفعالية للمغتربين الأردنيين في خطط التنمية وأستند بهذا السؤال إلى الظروف التي لا تخفى على دولتك والسائدة في منطقة الخليج الآن؟

وأجاب: دور المغتربين في برامج التنمية أساسي، والأردن يعتمد إلى حد كبير على تحويلات المغتربين إلى الأردن. وللمناسبة وعلى هامش هذا السؤال، نجد أن الحقائق تختلف عما يشاع، حيث أن تحويلات المغتربين الأردنيين إلى الأردن في الأشهر الستة الأولى من هذه السنة فاقت تحويلاتهم بالنسبة إلى السنوات السابقة، ومن هنا فإنه لا يوجد إنخفاض في تحويلات المغتربين بل هناك زيادة.

وشمة مبالغاة كبيرة بالنسبة إلى عدد العائدين من الخليج للعمل هنا، ويعود السبب إلى نوعية الأردنيين وإلى إرتياح دول الخليج حيث يعملون على تواجدهم هناك. ومن هنا فإن أعداد الذين أنهموا أعمالهم في الخليج وعادوا كانوا حسب الترتيب المتبع لمن يكون له خدمة خمس وعشرين سنة أو من يحال على التقاعد بعد سن الستين، ولا يوجد تهجير جماعي كما تردد وبالنسبة إلى المغتربين الأردنيين في المملكة العربية السعودية ودول الخليج فإن وجودهم هناك سيستمر وهم يقومون بدور أساسي في هذه الدول الشقيقة خصوصاً في موضوع التنمية وتحويلاتهم إلى الأردن مستمرة تبعاً لذلك.

وقُلت: هل يجوز الافتراض أن زيادة التحويلات ناشئة عن شعور بأن الأردن مستقر؟

أجاب: هذا ما نأمل، ولكن ليس لهذا علاقة بعودتهم المباشرة، الإستقرار موجود، ومجالات الإستثمار موجودة، عائلاتهم وأسرهم متواجدة هنا، ونحن نعثر بالثقة التي يشعر بها أي مواطن أردني مغترب أو أي مستثمر عربي بالوضع الأردني الذي يدفعه ويشجعه على تحويل مدخراته إلى الأردن.

قُلت: ما هو السر في أن الأردن لم يستقطب الأشقاء العرب للسياحة، رغم أن الله أنعم على هذا البلد بالكثير مما يوجب الحضور إليه لهذا الغرض؟

وأجاب: كنت أمس في إجتماع لبحث موضوع السياحة، وتشير الأرقام إلى أن معظم السياح القادمين إلى الأردن هم من السياح العرب، ثلاثة أرباع السياحة إلى الأردن هي سياحة عربية، ولكن قد نكون مقصرين في

تقديم بعض الخدمات المطلوبة التي تشجع على المزيد من السياحة العربية، نأمل أن تتطور وأن تقدم الخدمات اللازمة لهم ليشعروا أنهم في بلدهم عندما يأتون لزيارة الأردن.

قُلت: لا أقصد بالسياحة، سياحة الترفيه، فمن وجهة نظري أعتقد أن في الأردن الكثير مما هو مناسب لسياحة الأسرة العربية.

وأجاب: هذا صحيح، وهُمنا الأول سيكون التركيز على ما يسمى السياحة الأسرية وتقديم الخدمات المناسبة وفي المستوى الجيد الذي يجب أن تكون عليه، سيكون هذا جزءاً من خطة الحكومة لتشجيع السياحة.

الترشيد وليس التقشف

قُلت: من يتابع الصحف يلاحظ أن حركة سفر الرسميين رغبة إلى حد ما. وهذا معناه أنه ليست هناك حالة تقشف في الدوائر الرسمية أو أن حالة التقشف لم تصل إلى الأردن. هل من توضيح لهذا الأمر؟

أجاب: لم نصل إلى درجة التقشف، نحاول أن نسيطر على الإنفاق وأن نعمل على ترشيده. أما بالنسبة إلى الحركة المستمرة للمسؤولين الأردنيين فهي نابعة عن طبيعة علاقة وإتصالات الأردن مع العالم العربي والخارجي. مثلاً هنالك بين الحكومة الأردنية وبين تسع دول عربية شقيقة إتفاقيات للتبادل الصناعي والتجاري، تجتمع هذه اللجان على الأقل مرتين في السنة، ويتطلب عمل هذه اللجان المشتركة إجراء إتصالات مستمرة ومباشرة عن طريق لجان متخصصة ولجان فنية ولجان فرعية، لذلك يتم هذا بشكل دوري. نستقبل الأشقاء العرب ونقوم نحن بزيارتهم. هنالك أيضاً إلتزامات دولية نقوم بها. لكننا نحاول ترشيد الإنفاق بقدر الإمكان، إنما ليس على حساب تحقيق المصلحة، فنحن نؤمن بأسلوب الإتصال المباشر والحوار المستمر، وتبادل الزيارات، ونحاول أن نكون منفتحين على الجميع في الأردن عن طريق الإستقبال أو في الخارج عن طريق الدعم السعودي ودور الملك فهد.

قُلت: قرأنا أن المملكة العربية السعودية حوّلت قسطاً جديداً من مساعدات الدعم إليكم. ما هي المبالغ المترتبة على الآخرين حتى الآن والتي لم يتم دفعها، وهل أن الدعم السعودي للأردن لم يتأثر بظروف تقلبات أسعار النفط التي واجهتها دول الخليج بشكل عام والمملكة السعودية بشكل خاص. وما نلاحظه هو أن الملك فهد بن عبد العزيز يبدي حرصاً شخصياً على المملكة الأردنية لا يحظى به آخرون فما هو السبب؟

وأجاب:

المملكة العربية السعودية مشكورة تقوم بشكل دائم ومستمر بدعم الأردن. ولم تتوقف عن هذا الدعم على مر السنين، وهي مستمرة بدفع إلتزامات قمة بغداد، ويتم تحويل الأقساط في مواعيدها وبكامل المبلغ الملتزم به ومن دون الحاجة إلى تذكير ولا حتى إنتظار. وإلى ذلك من الطبيعي القول إن الأوضاع المالية وأسعار النفط وكميات التصدير أثرت على الأوضاع المالية في الدول الشقيقة الأخرى وإنعكست بالتالي على الوفاء بإلتزاماتها كاملة نحو الأردن.

وبالنسبة إلى جلالة الملك فهد بن عبد العزيز فإنني وقد تشرفتُ بمعرفة جلالته منذ سنوات طويلة أجد نفسي أقول إن الملك فهد هو من القادة العرب المتميزين الذين نفخر كمواطنين عرب بوجودهم على رأس المملكة العربية السعودية. التي تقوم بمساعدة الأشقاء في كل مكان للتغلب على ما يعانون منه. ودور جلالة الملك فهد أساسي على صعيد توحيد الكلمة وتوحيد الصف.

فريق واحد لا فريقان

وقُلت للرئيس الرفاعي: هل أن الإنسجام على خير ما يرام داخل حكومتك أم إنها فريقان، فريق متفهم

لسياسة التعاون مع مصر والعراق وآخر متفهم للخط الذي يعمل على تمتين العلاقة مع سوريا؟ والمعذرة من هذا السؤال؟

وأجاب: الحكومة تعمل كفريق واحد، ولا يوجد فيها فراق أو أحزاب أو توجهات. إنها حكومة واحدة، جهاز واحد، فريق واحد، وتعمل على تنفيذ سياسة واحدة وتتجاوب مع السياسة التي رسمها جلالة الملك للحكومة في كتاب التكليف السامي.

الهموم بمعنى الشواغل

وقُلت للرئيس الرفاعي: في إطار الهموم، هل ما يزال همّ التيار الديني يقلقكم في الأردن؟ وأجاب برقة متناهية لكنها الرقة التي تدعو إلى التنبه.

إذا سمحت لي أن أعلق فإنني أعترض على إستعمالك المتكرر لعبارة «همّ»، كل ما ذكرته من أمور لا نعتبرها هموماً بل هي جزء طبيعي من حياة أية حكومة أو دولة. لذلك فإننا لا نتكلم عن هموم وإنما عن قضايا بحاجة إلى معالجة وشرح.

وأجبت على الملاحظة بالقول:

المعذرة دولة الرئيس، إلا أنني لا أقصد الهموم بالمعنى السلبي.

وقال الرئيس الرفاعي: لعلك تقصد إهتمامات.

وأجبت: شواغل أكثر منها إهتمامات وأرجو أن تؤخذ على هذا المعنى.

وقال الرئيس الرفاعي: لا مانع إذا ما دام هذا هو المقصود.

قُلت: وأعيد السؤال على هذه الصيغة: هل إن شواغل الدولة إزاء التيار الديني في المملكة الأردنية

الهاشمية ما تزال تقلق حكومتك؟

وأجاب: في الواقع لم يسبق أن شعرنا بأي قلق مما يسمى بالتيار الديني، هذا البلد أنعم الله عليه بقيادة هاشمية، وليس في إستطاعة أي إنسان أن يزايد علينا في موضوع الدين. جلالة الملك هو حفيد الرسول، ونحن نفتخر ونعتز وننتشرف بوجود فرع الدوحة الهاشمية على رأس الحكم في هذا البلد، ولذلك لا يمكن لأي تيار أو توجه ديني أن يقلقنا، لأن هذا هو توجهنا. كانت هناك في السابق بعض المشاكل مع تنظيمات دينية معينة حاولت أن تتجاوز خط التعايش المسموح به ضمن هذا البلد المتسامح، وبالتالي عوملت كأي تنظيم آخر يحاول أن يمس أمن البلد أو إستقراره أو سلامة جبهته الداخلية، وعندما توقفت هذه الأعمال، عادت الأمور إلى طبيعتها ولا يوجد أي مشكل يقلقنا مما يسمى بتيار ديني أو خلافه. في هذا البلد تيارات كثيرة نتعايش معها وتتعايش معنا، ولكن ضمن حد معين وسقف معين وهو السقف الذي يبدأ بالانعكاس السلبي على المصلحة الوطنية والمصلحة العليا.

الأردن والمنظمة: الطريق شبه مسدود

قُلت للرئيس الرفاعي: ما أردناه كهوموم وإتفقنا على أن يكون شواغل، فإنني بالنسبة إلى الموضوع المتعلق مع منظمة التحرير الفلسطينية، أستأذنك في أن يكون همّاً وليس من الشواغل. وهمّ الخلاف مع المنظمة كما هو واضح أو كما نفترض هم كبير، ولعل في توضيح دولتك لأسئلة سأطرحها وتسألات سأبديها في هذا اللقاء ما يجعل الهم شواغل أو ما هو دون الشواغل بقليل.

لقد لاحظنا في تصريحكم في الكويت يوم 19/10/1986 حول المنظمة قولكم إن الاتفاق الأردني - الفلسطيني لم يُلغ ولم يُجمد وأنكم تتعاملون مع المنظمة كممثل شرعي ووحيد للشعب الفلسطيني. هل هذا

معناه أن العلاقات عادت طبيعية مع السيد ياسر عرفات وأنكم تعتبرونه القائد الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني.

وفي الإطار نفسه هل لنا أن نعرف ظروف وقف التنسيق مع القيادة الفلسطينية خصوصاً وأن ما هو متوافر لنا من معلومات يرجح مسألة أن قيادة المنظمة مظلومة. وإلى ذلك فإذا كان الوضع الحالي ليس تجميداً يا دولة الرئيس فما هو إذاً التجميد؟ وكيف يمكن أن تدب الحرارة في أوصال العلاقة بينكم وبين قيادة المنظمة.

وإستكمالاً لهذه التساؤلات هل هناك فيتو من جانبكم على أشخاص معينين في القيادة، وهل يعتقد الرئيس زيد أن هناك فرصاً ضائعة على مكاسب كان يمكن للتنسيق الفلسطيني مع الأردن أن تجنيه المنظمة والقضية.

وثمة تساؤل آخر هل هناك نوع من العتب السوفياتي ومن الدول الاشتراكية عموماً عليكم بسبب الجفاء في علاقاتكم مع منظمة التحرير الفلسطينية؟
والمعذرة فقد أكثرث من الاسئلة ولكن الغرض تنويري.

وأجاب الرئيس: سؤالك بحاجة إلى أطروحة للإجابة عنه. في الواقع معظم هذه التساؤلات أجب عنها في خطاب جلالة الملك إلى الشعب في 19 شباط/ فبراير - عندما أعلنت الحكومة الأردنية وقف التنسيق مع قيادة منظمة التحرير ولكن لا بأس من تلخيص بعض ما ورد، وذلك لشرح الموقف الأردني مرة أخرى.

لا يوجد خلاف بين الحكومة الأردنية ومنظمة التحرير الفلسطينية، الخلاف هو بين الحكومة الأردنية وقيادة منظمة التحرير الفلسطينية، ونحن لا نتعامل مع أشخاص ونتعامل مع مؤسسات، ومنظمة التحرير ممثلة في قيادتها دخلت مع الأردن في إتفاق 11 شباط 1985، والذي إعتبرناه آلية لتنفيذ مقررات فاس. وتم الإتفاق في جلسات متعددة مع رئيس منظمة التحرير الفلسطينية وأعضاء في اللجنة التنفيذية على خطوات وأسس محددة لتكون قاعدة مشتركة للتحرك الأردني الفلسطيني، وبأشرنا التحرك على أساس هذا الإتفاق وهذه التعهدات، وكان واضحاً أن الهدف من التحرك هو أن نصل إلى مؤتمر دولي يعقد لتنفيذ قراري مجلس الأمن رقم 242 و338 وأن المؤتمر الدولي يجب أن تشارك فيه الدول الخمس الدائمة العضوية في مجلس الأمن مع جميع أطراف النزاع بما فيها منظمة التحرير الفلسطينية، وعلى قدم المساواة مع بقية الأطراف. وبالطبع لا يعقل لأي طرف أن يشارك في أي مؤتمر إذا كان يرفض الأساس الذي يُعقد المؤتمر عليه، بمعنى أنه عندما يُعقد مؤتمر دولي لتنفيذ القرار 242 لا يعقل أن يدعى طرف للمشاركة في أعمال هذا المؤتمر إذا كان يرفض هذا القرار، وهذا كان واضحاً تماماً بالنسبة إلى قيادة المنظمة، وتم الإتفاق معها على قبول قراري مجلس الأمن إذا ما توصلنا إلى صيغة تضمن مشاركة المنظمة في أعمال المؤتمر الدولي. وفي الواقع ومن منطلق إعطاء الفضل لذويه، تمكّن جلالة الملك ونتيجة لما أسماه الأخ أبوعمار بـ «جهد خارق» من أن يصل إلى درجة أقيمت معها جميع الدول المعنية بضرورة عقد المؤتمر الدولي والموافقة على حضور منظمة التحرير الفلسطينية لهذا المؤتمر على قدم المساواة مع بقية الأطراف ضمن الوفد الأردني - الفلسطيني المتفق عليه في إتفاق عمان.

الولايات المتحدة قبلت بهذا، وكان موقفها بالطبع الإصرار على قبول المنظمة بقرار 242 وهذا ما سبق أن إتفقنا عليه مع قيادة المنظمة، عندما توصلنا إلى هذه الدرجة المتقدمة، وفي اللحظة الأخيرة، غيرت قيادة منظمة التحرير موقفها ولم توافق على قبول قرار مجلس الأمن وإشترطت إضافة حق تقرير المصير للشعب الفلسطيني، كشرط للمشاركة في أعمال المؤتمر عن طريق قبولها قرار مجلس الأمن.

وقلنا للإخوة في قيادة منظمة التحرير الفلسطينية إنه لا يوجد بيننا وبينهم أي خلاف حول حق تقرير المصير للشعب الفلسطيني وأن هذا الحق مقدس وحق ذاتي وحق غير قابل للتصرف وحق لا يُمنح من جهة أو من دولة وإنما هو حق يمارسه الشعب تلقائياً. وأوضحنا أن المهم هو انسحاب إسرائيل من الأراضي المحتلة. وبعدها يمارس الشعب الفلسطيني حقه كاملاً غير منقوص. ولذلك، وعلى ضوء الرفض الأميركي وقد يكون الإسرائيلي، والذي تعكسه مواقف الولايات المتحدة، رفض إجراء أية إضافات أو تعديلات على قرار مجلس الأمن رقم 242 رجونا الإخوة في القيادة الفلسطينية أن يؤجلوا طرح هذا الموضوع إلى داخل المؤتمر، قلنا لهم لنبدأ بالمؤتمر، على أساس مشاركتكم فيه وعلى أساس قبولكم بقرار مجلس الأمن، وفي المؤتمر تطرحون ما تشاؤون، وبما في ذلك حق تقرير المصير، لكن للأسف لم نتمكن من التوصل إلى إتفاق، ووجدت قيادة المنظمة نفسها عاجزة عن إتخاذ القرار علناً بعد أن إتخذته عدة مرات في جلسات العمل التي عُقدت في معية جلالة الملك.

في ضوء هذه النتيجة المؤسفة، أعلنّا وقف التنسيق مع قيادة المنظمة حول المبادرة التي بدأناها. وبالطبع هذا الموقف وهذا الإعلان بوقف التنسيق لا ينعكس على موقف الحكومة الأردنية من منظمة التحرير كمؤسسة شرعية تُمثل الشعب الفلسطيني، ولا يؤثر هذا الموقف على التنسيق حول المبادرة السياسية على إعترافنا بمنظمة التحرير كممثل شرعي ووحيد للشعب الفلسطيني، وأعلنّا مراراً أن الأردن لا يمكن أن يكون بديلاً عن الشعب الفلسطيني، ولا يمكن أن يكون بديلاً عن منظمة التحرير، وأن أي تحرك سلمي يجب أن يكون على أساس مشاركة أردنية - فلسطينية مع بقية الأطراف العربية المعنية. لذلك أستغرب عندما أسمع أن المنظمة أو قيادتها قد تكون ظُلمت. في الواقع إذا كان هنالك ظلم فنحن الذين ظلمنا، ونحن الذين عانينا الكثير. لقد بذل جلاله الملك جهداً خارقاً، وفي مرة من المرات إستعمل الأخ أبو عمار عبارة «معجزة» ليصف الإنجاز الذي حققه جلاله الملك من ناحية الإصرار على مشاركة منظمة التحرير في أعمال المؤتمر الدولي وقبول الولايات المتحدة بذلك، ولكن للأسف، وكما ذكرت، تبدّل الموقف الفلسطيني في اللحظة الأخيرة، ولذلك لم يعد هناك مجال للتنسيق حول المبادرة الأردنية - الفلسطينية المشتركة.

وبالنسبة إلى الإتحاد السوفياتي، نحن على إتصال مستمر ووثيق معه، علاقتنا جيدة وننسق المواقف ونطلعه على كل ما عندنا، ونسمع منهم عما عندهم، ولا توجد تحفظات لهم على الموقف الأردني، بل على العكس إنهم يقدّرون موقف جلاله الملك ومساعي الحكومة في ترجمة هذه المواقف إلى واقع، وخاصة بالنسبة إلى إصرارنا على مشاركة الإتحاد السوفياتي في أعمال المؤتمر الدولي، لأننا لا نتصور أن المؤتمر سيكون دولياً إذا لم يشارك فيه الإتحاد السوفياتي.

وإستكمالاً للنقاط السابقة قُلت للرئيس الرفاعي: هل هنالك إحتمال للقاء بين جلاله الملك والسيد ياسر عرفات قبل القمة الإسلامية في الكويت:

وأجاب: لا يوجد أي ترتيب للقاء كهذا، وفي الواقع إن اللقاء في حد ذاته غير مهم، وقيادة المنظمة تعرف تماماً وجهة نظر الحكومة الأردنية، وتعرف موقف جلاله الملك وتعرف ما نعتقد نحن أنه واجبه ويجب أن تقوم به إذا أردنا أن نتكلم عن إستئناف التنسيق والمسيره المشتركة.

قُلت: في الإطار نفسه هل يمكن أن نسمع تقويمك لمرحلة حُكم شامير؟

وأجاب: أعتقد أن سياسة الحكومة الإسرائيلية في إطارها العام لم تتغير كثيراً ومن المهم أن نتذكر أن حكومة الائتلاف الحالية عندما شكّلت قبل خمسة وعشرين شهراً إنما تشكلت على أساس برنامج سياسي إتفق عليه بين الحزبين الرئيسيين في الحكومة. الخطوط العريضة للسياسة إتفق عليها، وإتفق على أن يكون هناك

تبادل بين رئيس حزب العمل ورئيس حزب الليكود على رئاسة الحكومة كل خمسة وعشرين شهراً، وهذا الإتفاق ما يزال قائماً وسيحكم الخطوط العريضة للسياسة الإسرائيلية. قد نتوقع تغيراً في الأسلوب وفي التركيز على بعض النواحي، وقد يكون هنالك المزيد من التطرف والتعنت في المواقف، لكن في ما يتعلق بالإطار العام للسياسة لا أتوقع أي تغيير، ونعتبر أن الحكومة مستمرة وأن التغيير الوحيد الذي حصل هو التغيير في شخص رئيس هذه الحكومة.

القلق الكويتي وغيره من الحرب

قُلْتُ للرئيس الرفاعي الذي نبهني إلى أنني أخذت الكثير من وقت رئيس بلدية بيت لحم السيد الياس فريج الذي جاء للقاء معه، وفهمتُ أن عليّ أن أختصر:

ما الذي لمسته من خلال أحاديثك مع المسؤولين الكويتيين؟

هل إنهم قلقون، وإلى أي مدى، من مسألة الحرب العراقية - الإيرانية وهل هنالك تخوُّف من تحولها إلى حرب مذهبية؟

وأجاب: هنا، أفرك بضرورة إستعمال كلمة همّ، فالحرب العراقية - الإيرانية هي همّ كبير لنا جميعاً، نحن نعتبر أن هذه الحرب تحمل في طياتها أخطاراً على المنطقة العربية وعلى الكيان العربي، وعلى الوجود العربي، ويجب أن تنتهي الحرب وبأسرع وقت ممكن.

الحرب في الواقع لا تهدد العراق فقط، بل تهدد جميع الدول العربية في المشرق العربي ونحن نعتبر أن في إستمرارها خطراً حتى على الوجود العربي، وبالطبع الأخوة في الكويت وفي الخليج وفي المملكة العربية السعودية وهنا، وفي كل مكان، يشعرون بخطورة إستمرار هذه الحرب، والجميع يعمل من أجل التوصل إلى حل مقبول لدى الطرفين، وعلى حكام إيران أن يدركوا أنه ليس في وسعهم الإستمرار بهذه الحرب، وأنهم لن يستطيعوا أن يفرضوا ما يريدونه على دولة عربية مستقلة.

أما بالنسبة إلى مخاطر الحرب وخطورتها فإنه لا خلاف بين الجميع على هذه المخاطر، ونأمل أن يتم وضع حد لهذه الحرب في أقرب وقت.

قُلْتُ: ما الذي يمكن أن يفعله الأردن على صعيد المساندة العسكرية إذا تعرضت الكويت للمخاطر من إيران، وتحديداً هل يمكن أن ينوب الأردن عن العراق في الدور الذي يُفترض أن يقوم به العراق إزاء الكويت من حيث المساندة العسكرية لدولة شقيقة إذا تطلّب الامر؟

وأجاب: هذا الموضوع لم يُطرح للبحث، ونأمل ألا يكون هناك أي داع لمساندة أية دولة من الخارج نتيجة لعدوان إيراني عليها. وبالنسبة إلى العراق إن وضعه على الجبهة سليم ومتماسك وبإذن الله سيتمكن من إقناع حكام إيران عن طريق صموده وتصديه للمحاولات العدوانية المستمرة في فشل مخططاتهم. أما بالنسبة إلى دور الأردن في المنطقة، فإن الأردن يشعر بأن عليه واجباً قومياً لن يتردد عن القيام به إذا دعت الضرورة إلى ذلك.

قُلْتُ للرئيس الرفاعي: هل تعتقد أنه ليس هنالك نقاط مشتركة يمكن أن يلتقي عليها الحكمان السوري والعراقي وبذلك، يستطيع الأردن إستئناف سعيه في سبيل التوفيق بينهما؟

وأجاب: هذا معروف فقد حاول جلالة الملك أن يقوم بالمساعي الكثيرة لدعم جهود لجنة تنقية الأجواء العربية برئاسة سمو الأمير عبدالله بن عبد العزيز. ولقد أحرزت هذه المساعي بعض التقدم ثم أصيبت بإنتكاسة، ولكن يبقى الشعور لدينا بأنه من الواجب العمل المستمر من أجل التوصل إلى موقف عربي موحد بين جميع الأشقاء لمجابهة ومواجهة كل الأخطار المحدقة بنا من جميع الجهات.

لبنان... يا لبنان

قُلْتُ للرئيس الرفاعي: في هذه الجلسة التي أشعر أنها كانت مفيدة جداً ومشوقة جداً أود أن أسألك: ألا تشعر بوحشة إلى لبنان الذي عرفته منذ زمان، ولماذا لا تعملون مع أصدقائكم السوريين على هدوئه وإعادة الإستقرار إليه؟

وأجاب: كل عربي يعرف لبنان يشعر بوحشة له، لبنان كان واحة حضارة وإستقرار ومتنفساً للعالم العربي، كنا نفتخر ونعتز بلبنان ونباهي به الدنيا، وما يجري على الساحة اللبنانية يدمي القلوب. إنها مأساة حقيقية، ونأمل أن يتمكن الإخوة اللبنانيون من تجاوز خلافاتهم ومن التوصل إلى وفاق يضمن للبنان وحدته وإستقلاله وسلامته وسيادته على أرضه. وبالنسبة إلى الأردن فإنه إتخذ منذ البداية دور الداعم لكل مسعى يُطرح من أجل حل الأزمة اللبنانية ونحن نعتقد أن الخطوة الأساسية الضرورية لحل أزمة لبنان هي القرار اللبناني ومن إخواننا في لبنان على إنهاء هذه الحرب الأهلية المدمرة وعلى تجاوز الخلافات والترفع على كل ما من شأنه أن يؤدي إلى الإنقسامات على الساحة اللبنانية ليعود لبنان إلى صورته المشرقة التي كنا نعرفها والتي نشاق إلى عودتها آمليين أن يتم ذلك في القريب العاجل بإذن الله.

وودعتُ الرئيس زيد الرفاعي الذي أكرر إعتزالي به كرجل دولة من معدن كثير التميز.

نُشر الحوار في مجلة «التضامن»
بتاريخ 1 نوفمبر/ تشرين الثاني 1986

مضر بدران وزير الرفاعي في حديثين منفصلين لـ "التضامن"

أديب التفتاني، وديوانه

مضر بدران وزير الرفاعي في حديثين منفصلين لـ "التضامن".
هذه هي أسباب الأزمة.. وهذه هي الحلول




أجرى الحوار: محمد بن علي
في عمان

أديب التفتاني، وديوانه

مضر بدران رئيس حكومة العهد البرقاني في حديث شامل لـ "التضامن".
بعد شهرين من غير تجربة البرقاني بدأ دوايونا في التفتاني
أقام مجلس التعاون العربي ضرورة إيمان الأول حتى لا تنقل لغة سلالة



أجرى الحوار: محمد بن علي
في عمان

لجنة الإنسحاب أزهر قطاع الفكر في الأردن

أحداث نيسان لم تكن عفوية كما صوّرت
الحل الذي اقترضه مزار في الأردن
من غير الطبيعي أن تنفي سوريا
خارج مجلس التعاون

لجنة الإنسحاب في الأردن
أقامت اجتماعاً في عمان
في 14 نيسان 1987
لبحث الوضع في الأردن
والتدابير التي يجب اتخاذها
لحل الأزمة.

أديب التفتاني، وديوانه

مضر بدران رئيس حكومة العهد البرقاني في حديث شامل لـ "التضامن".
بعد شهرين من غير تجربة البرقاني بدأ دوايونا في التفتاني
أقام مجلس التعاون العربي ضرورة إيمان الأول حتى لا تنقل لغة سلالة



أجرى الحوار: محمد بن علي
في عمان

في ديوانه أديب التفتاني، وديوانه

مضر بدران رئيس حكومة العهد البرقاني في حديث شامل لـ "التضامن".
بعد شهرين من غير تجربة البرقاني بدأ دوايونا في التفتاني
أقام مجلس التعاون العربي ضرورة إيمان الأول حتى لا تنقل لغة سلالة



أجرى الحوار: محمد بن علي
في عمان

أديب التفتاني، وديوانه

مضر بدران رئيس حكومة العهد البرقاني في حديث شامل لـ "التضامن".
بعد شهرين من غير تجربة البرقاني بدأ دوايونا في التفتاني
أقام مجلس التعاون العربي ضرورة إيمان الأول حتى لا تنقل لغة سلالة



أجرى الحوار: محمد بن علي
في عمان

أديب التفتاني، وديوانه

مضر بدران رئيس حكومة العهد البرقاني في حديث شامل لـ "التضامن".
بعد شهرين من غير تجربة البرقاني بدأ دوايونا في التفتاني
أقام مجلس التعاون العربي ضرورة إيمان الأول حتى لا تنقل لغة سلالة



أجرى الحوار: محمد بن علي
في عمان

أديب التفتاني، وديوانه

مضر بدران رئيس حكومة العهد البرقاني في حديث شامل لـ "التضامن".
بعد شهرين من غير تجربة البرقاني بدأ دوايونا في التفتاني
أقام مجلس التعاون العربي ضرورة إيمان الأول حتى لا تنقل لغة سلالة



أجرى الحوار: محمد بن علي
في عمان

الحديث مع مضر بدران رئيس حكومة العهد البرلماني



مضر بدران يتوسط رئيس تحرير "التضامن" فؤاد مطر فالزميل فيصل الشبول وعند يمين السيد بدران،

منذ فترة والآن وحتى إشعار آخر تبدو المملكة الأردنية وكما لو أنها محور الهم العربي ويكاد لا يخلو مجلس مناقشة عربي من الحديث عن الأردن وعما سيحدث له في ضوء التطورات الجديدة في شأن القضية الفلسطينية وأحدثها بل وأكثرها خطورة على الإطلاق هجرة اليهود السوفيات إلى إسرائيل والأثر البالغ الحساسية لهذه الهجرة على المملكة التي سيتوجه إليها من الضفة الغربية عشرة من أبنائها مقابل كل مهاجر وافد إليها من يهود الإتحاد السوفياتي. بل هنالك في عمان من يقول إنه مقابل الواحد سيتم تهجير مائة وربما أكثر.

ولقد وصلت إلى عمان في اليوم الذي عاد فيه الملك حسين من جولة خليجية إستهدفت إحاطة قادة الخليج بدقة الوضع الذي تواجهه المملكة وحسابات الملك حسين وتقديراته.

ولمجرد أن عاد الملك من جولته توجه إلى بغداد ليحيط الرئيس صدام حسين بالأمور التي توافرت في ضوء الجولة وللتشاور معه قبل أن يتوجه الملك إلى فرنسا ثم إلى بريطانيا.

ماذا جنى الملك حسين من الجولة الخليجية؟

وهل زالت المخاوف وإنحسرت وطأة الضغوط المالية؟

من المؤكد أن المشاعر التي كانت مشدودة لم تعد كذلك. ومن المؤكد أن الملك حسين أراد من الجولة الخليجية إختصار الإستفسارات. وهو عندما قام شخصياً بالجولة ولم يعتمد على المبعوثين فلكي يُطلع أهل الدعم على الحقيقة كاملة غير مجزأة.

في إنتظار أن يستعيد الأردن إطمئنانه، وهو ما يمكن حدوثه في ضوء النتيجة التي ستنتهي إليها

التطورات الدولية المتلاحقة، حرصنا في «التضامن» على أن نقابل الخلف والسلف ونجري مع كل منهما حديثاً للنشر هو أقرب إلى جولة في الأفق منه إلى الحديث الصحافي التقليدي. الخلف هو مضر بدران رئيس الوزراء الحالي في الأردن اما السلف فهو زيد الرفاعي. ومن خلال هذين الحديثين يمكن تلمس بعض الأمور التي حفلت بها السنوات الماضية التي كانت سنوات الإزدهار والبناء في الأردن، وكذلك تلمس بعض الأمور التي يمكن أن تتسم بها المرحلة المقبلة... مرحلة تسديد فواتير ذلك الإزدهار، وهي فواتير تختلط فيها الأرقام بالتساؤلات، وعلامات الإستفهام بالتعجب.

في هذا العدد ننشر الحديثين. ونترك إلى عدد آخر ما جمعناه من مخاوف وإجتهادات وتساؤلات وأخبار مصدرها مواطنون عاديون يشعرون بالخوف من قساوة المرحلة المقبلة ومسؤولون واثقون بأن المملكة ستجاوز الأزمة بحيث لا تتحول إلى مأزق، وتجار وأصحاب مصارف يحاولون جاهدين الإمساك ببقايا الإزدهار كي لا يفلت من أيديهم.

والى الحديث مع السيد مضر بدران:

قلت: أصبحت للديمقراطية عدة مفاهيم في عصرنا، فما هو المفهوم الذي تحدده للديمقراطية وما هي الديمقراطية التي تراها مناسبة للأردن؟

أجاب: الديمقراطية هي الديمقراطية.. لها مفهوم واحد. لكن تطبيقاتها مختلفة بحسب ما يلائم هذا البلد أو ذاك وبقدر ما يتحملة هذا البلد. الديمقراطية هي المسؤولية، بل المزيد من المسؤولية. والمسؤولية هي قيد الديمقراطية. والإنسان لا يستطيع أن يفعل ما يشاء بإسم الديمقراطية فهو ضمنها يؤدي واجباته ويأخذ حقوقه. كلما قرأنا الدستور الأردني نجد فيه فكرة جديدة، وكلما بحثنا فيه عن موضوع نجده يدلنا على الطريقة الواضحة.

(هنا بدأ السيد مضر بدران يقرأ بعض مواد الدستور الأردني وخاصة ما يتعلق منها بالحريات).
إننا نجد تحت عنوان «حقوق الأردنيين وواجباتهم»، وهو الفصل الثاني في الدستور عدداً كبيراً من المواد التي تتحدث عن الحريات وضوابطها فمثلاً: الأردنيون أمام القانون سواء. تكفل الدولة العمل والتعليم ضمن حدود إمكانياتها. الحرية الشخصية مصونة. تحمي الدولة حرية القيام بشعائر الأديان والعقائد. تكفل الدولة حرية الرأي. الصحافة والطباعة حرتان ضمن حدود القانون. هنا الدستور وضع الحقوق والواجبات.
وبالنسبة إلينا في الأردن وبعد تطبيق الديمقراطية في «ظروف الأردن الخاصة» نجد أنها الأثبت لكيان المملكة ومستقبلها.

أنا أؤمن بهذا الكلام منذ زمن طويل وليس بعد التطبيق الفعل، وقد ذكرت ذلك أمام مجلس النواب. فعندما شكّلت حكومتي الأولى في منتصف عام 1976 وكان مجلس النواب منحلّاً نتيجة عدم إجراء إنتخابات في الضفة الغربية المحتلة والظروف السياسية السائدة إستعضنا عن البرلمان بالمجلس الوطني الإستشاري. وأعطيته كل حقوق مجلس النواب ما عدا موضوع سحب الثقة من الحكومة على الرغم من أنني أبلغتُ المجلس أنني مستعد لتقديم إستقالتي إذا سحبتم الثقة في ما بينكم على رغم عدم وجود مادة قانونية.

كانت تجربة جيدة، إذ كان المجلس يضم نخبة تمثل الشعب من أقصى اليسار إلى أقصى اليمين، فكان فيه شيوعيون كما ضم إسلاميين وما بينهما. جميعهم مثقفون ولهم وزنهم في البلد. لكن هذه التجربة لا يمكن أن تكون بديلاً عن مجلس النواب المنصوص على إنتخابه بموجب الدستور. وكنا نلتزم بكل ما يقررونه.

لكنني لم أشعر أنها كافية، ولذلك فقبل أن أغادر الحكومة، وفي عام 1983 أعدت مجلس النواب وعدلتُ الدستور لأن عودة المجلس كانت تقتضي تعديل الدستور. وإجتمع مجلس النواب وإستمرت الحياة النيابية.

(وساد صمت لبرهة قبل أن يتابع رئيس الوزراء الأردني حديثه قائلاً):

كان من المفروض أن تجري الانتخابات النيابية في ذلك الوقت. قد يكون حدث خطأ، لكن مجلس النواب في ذلك الوقت لم يكن مستعداً أن يوافق على تعديل الدستور، إذا رأى أنه سيحل وتجري الانتخابات. ولذلك استطاعوا أن يأخذوا وعداً منا ألا يحل المجلس.

لقد كان الأجدى في ذلك الوقت أن يعدل الدستور وتُجر الانتخابات لأن مجلس النواب السابق كان عمره عشرين سنة حيث أمضى مدته وجُدد له ثم أعيد. تماماً كما في لبنان إذ لو تتم انتخابات الآن فإن معظم النواب الحاليين لن يعودوا أعضاء في المجلس الجديد.

جرت الانتخابات عندنا وإستطعنا أن نعرف ما هي توجهات الناس وظهر مجلس النواب بتركيبته الحالية.. «هيك بده الشعب» ويجب إحترام إرادة الشعب.. أنا أتكلم ببساطة ومن دون تعقيدات. أنا كسلطة تنفيذية مطلوب مني التعامل مع السلطة التشريعية التي أَرادها الشعب ولكل من السلطتين مهامها المحددة في الدستور ويجب عليها ممارستها ممارسة مسؤولة.

بهذه الطريقة يمكن أن نقر النهج وندعمه لأن يستمر ويبقى. ما أن ظهرت نتائج الانتخابات الحرة النزيهة حتى ظهرت أصوات من هنا وهناك تقول انه لو شارك الشعب كله لتغيرت النتائج. صحيح أن البعض لم ينتخب لعدم الثقة بممارسات سابقة، إلا أن المشاركة والانتخاب مسؤولية على كل من يحق له الانتخاب وهو قد فرط بحقه ولكنه يمكن أن يشارك في المرات المقبلة بالشكل الأفضل.

أقول هذا علماً بأنني مقتنع بأن نسبة المشاركين في الانتخابات جيدة قياساً إلى النسب الأخرى في العالم. نسبة 64 جيدة ونحن لسنا من الناس الذين يقولون 99.9%.

قلت: بعد هذه المرحلة هل يمكن أن تشكّل حكومة في الأردن تضم كافة الإتجاهات المتمثلة بمجلس النواب لتتحمل مسؤولياتها، أم أنكم تنظرون إليها كأقليات تعبر عن رأيها داخل مجلس النواب؟

أجاب: لم يعد سرّاً أنني عندما كلفْتُ بتشكيل الحكومة إتصلْتُ بكافة الأطراف والإتجاهات وكنْتُ تواقاً وعمِلْتُ بجد من أجل مشاركتها في الحكومة لتعلم معنى تحمّل المسؤولية. فالمسؤولية وفي السلطة التنفيذية بالذات ليست شعارات وخطابات بل تنفيذ لها لأن لدينا شعباً يريد أن يعيش ويجب أن نكون مسؤولين أمامه نطوّر وننمي مهما كُنْتُ من يافطات.

لكن من كتب (90) يافطة ليس سهلاً عليه أن يحوّل شعاراته إلى خطة تنفيذ ونهج للحكم. حاولْتُ كثيراً فرفضوا. بعضهم قال نحب أن نبقى نواباً نراقب السلطة التنفيذية فحسب. اليساريون إعتذروا، وحتى من الوسط إعتذروا أيضاً. الإخوان المسلمون بعضهم كان يقول بأهمية المشاركة وتحمّل المسؤولية والآخر يرى البقاء خارج الحكم والمراقبة، وإستمرت المناقشة معهم عدة أيام إلى أن خرجت الحكومة بهذه الصيغة.

وتقدّمت الحكومة ببيانها الوزاري. وخلال 22 يوماً هي الفترة ما بين التقدم بالبرنامج وبدء مناقشته لنيل الثقة إتخذنا القرارات الإدارية التي لا تحتاج إلى تشريعات كحرية الصحافة وجوازات السفر وإطلاق سراح الموقوفين فشعر المواطن بالإطمئنان كما شعر مجلس النواب بالتوجه الحقيقي لدى الحكومة نحو حياة ديموقراطية برلمانية دستورية.

ثم عقدت جلسة الثقة التي كانت من أندر الجلسات المماثلة في العالم، لأن تراكمات الماضي الكثيرة والأخطاء التي حدثت منذ وقت طويل جميعها إنصبت على رئيس الوزراء.

نحن نقول دوماً أن الحكومات هي إستمرار في المسؤوليات، لكن الخلل كان عميقاً ولم يكن سطحيّاً. فهناك خلل إقتصادي ومالي أحدث إضطراباً في مناحي عدة كنا نفاخر بها. الدينار الأردني كان كسبكية

الذهب، ويجري تخزينه كما الذهب وخاصة في الضفة الغربية حيث لا توجد بنوك ولا إطمئنان الأمر الذي جعلنا نصدر لهم ورقة من فئة عشرين ديناراً لتسهيل عملية التخزين، ونحن لم نكن بحاجة لها ولكننا أصدرناها لحاجة الضفة الغربية لها حيث أنهم هناك لا يخزنون الدولار بل الدينار الأردني.

عندما حدث الإضطراب، من جملة ما حدث أن قرار فك الارتباط وهو قرار سياسي تبعته قرارات إدارية، وفي وقتها قلت إنه لا حاجة للإجراءات الإدارية التي لا تقدم أو تؤخر في القرار السياسي، بمعنى أنني إذا أسقطت الجنسية عن مواطني الضفة الغربية فليس لهم بديل أي الجنسية الفلسطينية مثلاً، وكذلك جوازات السفر المؤقتة لمدة سنتين لا تزيد في القرار السياسي وجاءت متأخرة بعض الشيء.

هذه أحداث إضطراباً حيث أصبح الناس ينظرون إلى المسألة على أنها ليست مسألة سياسية فحسب، ولذلك فمن كان يخزن الدينار أصبح يأتي إلى عمان ويستبدله بالدولار.

وخلال عشرة أيام فقط دخل إلينا 90 مليون دينار من الضفة وإستبدلت بالدولار. هكذا أصبح الضغط علينا.

نحن نعرف أن قيمة النقد المتداول بالدينار في الضفة الغربية يتراوح ما بين 220 - 240 مليون دينار، وإذا أردنا أن نعطيها فلسفتها الإقتصادية فهي عبارة عن عملة موجودة هناك كدين مؤجل التسديد وليس معروفاً لدينا الموعد الذي يجب أن يُرد فيه. وفجأة وبسبب الإجراءات ومن دون تخطيط أوجبنا على أنفسنا أن ندفعه فوراً. والأردن لا يستطيع تسديد مثل هذا الدين خلال شهر واحد.

ارتفع الدولار مقابل الدينار فوصل سعر صرفه إلى 95 قرشاً وراهن المضاربون على أن يصل إلى 115 قرشاً، وبسبب ذلك إنقلبت جميع الظروف الإقتصادية. هجم الناس على شراء الحاجيات للخلاص من الدينار فارتفعت الأسعار بصورة غير عادية.

كانت الأسعار تقفز كل ساعة وليس كل يوم فقط، وأصبح الدينار عملة رديئة يجب التخلص منها إما بشراء الحاجيات أو العملات الأجنبية. لم يبق في السوق دولار أو جنيه إسترليني أو مارك ألماني أو فرنك فرنسي أو غيرها.. وحتى الذين بدلوا الدينار بالجنيه المصري والليرة السورية كسبوا.

وباختصار، فقد سقطت العملة، ولم تعد في السوق عملات أجنبية وعانى المواطنون من غلاء فاحش وسط عدم انضباطية وفقدان الثقة بالعملة الوطنية ورافق ذلك برنامج تصحيحي من دون التهيئة له ووضع الناس في الصورة الحقيقية للأوضاع.

كنا نقراً التزام الحكومة بعدم رفع الاسعار، وفي اليوم التالي كانت الأسعار ترتفع بشكل مذهل. على الجانب الآخر، وفي السابق كان الموظفون يضغطون علينا بالإستقالة لتوفر فرص عمل جيدة في الخليج. كنا نحاول منعمهم لحاجتنا الماسة إليهم ولمزيد من الموظفين، وكنا نتصل بإخواننا في الخليج كي لا يشجعوا في إستدراج المزيد من موظفينا فأصبح أصحاب الشركات في الخليج يأتون ويوقعون عقود العمل في الفنادق، كان الطلب كبيراً على الموظفين. وفجأة إذ بالناس عاطلون عن العمل.

وأصبح قطاع الفقر ينمو في الأردن شيئاً فشيئاً بسبب ما حدث للدينار، وحدث ما حدث في الجنوب كحالة إجتماعية، وأنا أنظر إلى المسألة الإجتماعية كعامل أكبر وأخطر بكثير من أي حالة أخرى وخاصة أنها عمل داخلي ليس محرّضاً عليه من الخارج.

وعاد جلالة الملك الحسين من الخارج بسرعة لتهدئة الأوضاع، وقدم الأشقاء وخاصة المملكة العربية السعودية الدعم السريع، وجاءت حكومة جديدة وساهم في ذلك الخطاب الذي كان الملك حسين ألقاه قبل الأحداث وأعلن فيه العزم على إجراء الإنتخابات النيابية ووضع الميثاق الوطني.

وإستقر الدينار شيئاً فشيئاً إلى أن إستقر نهائياً خلال الآوان الأخير حيث تم توحيد سعر الصرف بعد أن أتبع نظام السعريّن في السابق أولهما لإستيراد المواد الأساسية والثاني للسوق.

أقول كل هذا لأؤكد أنه لو كانت عندنا حياة ديمقراطية حقيقية ومجلس نواب منتخَب بنزاهة وحرية لما وقعنا في هذا المأزق لأن مجلس النواب كسلطة تشريعية كان سيحاسب السلطة التنفيذية ويسحب الثقة فيها ولا يقع الخطأ.

ولذلك فإن الحياة الديمقراطية في بلدنا هي صمام الأمان الحقيقي. الأردن منذ قيامه وحالته المالية صعبة ولكنها لم تكن خطرة عليه كما هي الحال في هذه الأيام.

نحن نتحمل فوق طاقتنا، لدينا جيش أكبر بكثير من قدراتنا وعليه واجب قومي كبير.

ومنذ نشوء إمارة شرق الأردن خصصت لها مساعدات كانت بريطانيا بدأت بستة ملايين ووصلت الـ 12 مليوناً ثم إلى 16 مليوناً يوم ألغيت المعاهدة، ويوم إلغائها تعهدت الدول العربية بأن تحل محلها. وحتى في ذلك الوقت إنقطعت المساعدات العربية بعد سنتين فقط من الإلتزام بها فحلت محلها المساعدات الأميركية.

وضغنا صعب منذ البداية وزاد من صعوبته الإلتزام بالقضية الفلسطينية لكن الوضع لم يكن خطراً كما هي الحال اليوم. وإصلاح هذا الوضع يحتاج إلى وقت طويل. الديون على الأردن أكبر بكثير من امكانياته (8.3 مليار دولار).

أذكر إنني بدأت عام 1983 عندما كنت رئيساً للحكومة أوقف حتى قروض التنمية ولو ثبتت الجدوى للمشروع، ذلك لأن المديونية وصلت إلى 26 مليار دولار آنذاك (كان الدينار يعادل 3 دولارات تقريباً) وأصبحتُ أشعر إنني قريب من الخط الأحمر لخطر المديونية.

في ذلك الوقت كانت فاتورة النفط لوحدها «تكسر الظهر»، إذ كنا ندفع (650) مليون دولار سنوياً، وفوق ذلك كانت الحكومة تدعم أسعار النفط بمبلغ 48 مليون دينار.

وأؤكد لكم هنا أنه لم يصلنا نفط بالمجان بل كنا ندفع ثمنه بالدولار ونبيعه للمواطن مدعوماً وبالدينار.

قلت: تشير إلى أن الديمقراطية هي الحل والإستقرار، ولكن ألا تعتقد بخطورتها عند غياب الضوابط، ولدينا المشكلة اللبنانية كمثال؟

أجاب: أنا قلت إن الديمقراطية هي المسؤولة وهي الضوابط. وبالنسبة إلى التجربة اللبنانية فإنني أذكر بها دوماً. وإذا كان معنى الديمقراطية أن يفعل كل شخص ما يريد وحسب فهذه إسمها فوضى وليست ديمقراطية.

أما بالنسبة إلينا فإن غالبية النواب دخلوا الحياة النيابية للمرة الأولى وهم متعطشون لها. وكل منهم وضع شعارات كثيرة لحملته. ولكننا نعتد على أمر أساسي وهو إيضاح كل أمر لهم ولا نخفي شيئاً عنهم.

وبعد هذه المدة (شهران فقط) تغير النواب أنفسهم ونضجوا نتيجة كشف الأوراق أمامهم وعرفوا ما هو الممكن وغير الممكن. وأشعر الآن أن الثقة تبنى شيئاً فشيئاً بين السلطتين التنفيذية والتشريعية وتتمو يوماً بعد يوم.

قلت لهم أنتم أنتم من أحزاب وإتجاهات مختلفة. كانوا يقولون إنه يجب تغيير نظام الحُكم مثلاً، ولكنهم حتى في حملاتهم الإنتخابية أصبحوا يقولون إن هذا الكيان يجب أن يبقى لأنه صمام الأمان. وقلت لهم إنكم جلستم في هذه القاعة وأقسمتم اليمين على المحافظة على الدستور وهو النظام والكيان، إذاً فلم يبقَ بيني وبينكم نقطة تناقض وإنما بقيت هناك إجتهدات مختلفة ومن هنا فالحوار هو الأسلوب، فإما أن تقنعوني أو أقنعكم، وعلينا أن نتقيد بما نتفق عليه.

قُلت: هل تشعر أن لحكومتك خصوصاً داخل مجلس النواب؟

أجاب: ليس هناك خصوم، بل معارضة. وإذا لم تكن هناك معارضة فيجب أن نخلقها لأن من الخطأ الكبير ألا تكون هنالك معارضة في مجلس النواب. وحتى في المجلس الوطني الإستشاري الذي تحدثنا عنه كنت قد نسبت بأسماء وأنا أعرف سلفاً أنها ستعارضني. ووضعتها لتعارضني. مجلس من دون معارضة لا فائدة منه.

فليس هنالك سياسي أو إنسان منزّه عن الخطأ. ووجود المعارضة ضروري للتبنيه لمثل هذا الخطأ. على أن المعارضة في مجلس النواب الحالي تخالفني حيناً وتؤيدني حيناً، بمعنى أن الحكومة نالت الثقة بأغلبية 65 صوتاً ومعارضة 9 أصوات وإمتناع 6 نواب وهؤلاء لا يُعتبرون مخالفين، بينما أيد الموازنة العامة، وبعد أقل من شهر واحد من الثقة، 57 نائباً.

لا سجناء سياسيين

قُلت: في ضوء هذه الطمأنينة هل من نية لأن تفرغ السجون من السجناء السياسيين نهائياً؟

أجاب: لم يبقَ عندنا أي مسجون سياسي. قد يقول البعض أن هنالك مسجوناً سياسياً ولكن القانون هو الحكم، فالسياسي المحكوم بجريمة غير سياسية ليس محكوماً سياسياً.

قُلت: لا أقصد هذا، بل سجن عناصر عاملة على تقويض نظام الحكم.

أجاب: ليس لدينا الآن أي سجين من هذا النوع. ولكنني أقصد بالجرائم الأخرى، مثلاً أن يكون شخص ينتمي إلى حزب ما قد ارتكب جريمة قتل، فهل يصبح سجيناً سياسياً كونه ينتمي إلى حزب؟ حتى الذي وضع متفجرة ولم تتفجر سامحناه. أما الشخص الذي كان ينوي وضع متفجرة وإنفجرت بيده ثم قتلت طفلاً فكيف اعتبره سجيناً سياسياً كما يطالب البعض؟ والذين جاءوا (بأجرة) من بلد ما وأطلقوا النار في مخيم الوحدات وأصابوا ضابطاً بجراح خطيرة كيف يمكن أن اعتبرهم سجناء سياسيين؟

مؤخراً ظهر شخص (تحريري) في أحد المساجد وبدأ يشتم إمام المسجد وهو على المنبر متهماً إياه بالكفر. إشتكى الإمام وتم إيقاف الشخص وهي الحادثة الوحيدة التي جرت خلال الفترة الأخيرة.

التحقيق في الأزمة الاقتصادية

قُلت: من المقرر أن يكون مجلس النواب قد بدأ التحقيق في الأزمة الاقتصادية والفساد والمسؤولين عنها، لكن بعض النواب عادوا يطالبون بأن تتولى الحكومة هذه المهمة فأين أصبحت القضية؟

أجاب: إذا وجدنا أي مشكلة فساد فليست عندي مشكلة في أن أحول أي متهم، مهما كان، إلى المحكمة لتقول رأيها في التهمة المسندة إليه تماماً مثل أي قضية جزائية، كالمقاتل وغير ذلك.

قُلت: وماذا عن مسألة الحصانة التي يتمتع بها المسؤولون من حاليين وسابقين؟

أجاب: لقد وجّه لي النواب السؤال نفسه وقُلت لهم إن الدستور يعطي الحق لمجلس النواب بإتهام الوزراء ومحاكمتهم وكافة الإجراءات التي تتطلبها مثل هذه الحالات.

عندها أبدى النواب رغبة في تحويل الأمر إلينا فذكرناهم بشعاراتهم الانتخابية. نحن كحكومة نفّذنا ما علينا وتلوت على المجلس 25 كتاباً بتنفيذ كل ما إلترنا به ونعمل على تنفيذ المزيد وبقي الآن دور المجلس.

نحن نعلم بأن اللجنة المالية في المجلس التي تتولى الأمر بحاجة إلى مزيد من الخبراء والمعلومات،

وقد قمنا بتزويدهم بالوثائق والمعلومات الضرورية وتعهدها بتأمين المستشارين للمساعدة في إنجاح مهمتهم. وقمنا بدراسة المديونية بشكل دقيق ومفصل وقدمنا لهم النتائج.

ولكن هذه المعلومات والوثائق قد تتضمن وجهة نظر خاصة وأن إسمك وارد بين المسؤولين عن المديونية بينما حكومتك هي التي تقدّم الأرقام. وقد ظهر خلاف حول أرقام المديونية أثناء مناقشة البيان الوزاري لحكومتك.

أجاب: البنك المركزي فصل في هذا الخلاف وإذا كان المجلس غير مقتنع برأي البنك فليحضر مدققو حسابات دوليون كما فعلنا في بنك البتراء. نحن نعاني من ضغط العمل وإذا إحتسبنا الزمن الذي عملنا فيه منذ حصولنا على الثقة قبل شهرين لوجدنا أنه يعادل عشرة أيام فقط بسبب الإرتباطات وظروف العمل الرسمي، والسفر والزيارات، ما يزال أمامنا عمل طويل يجب إنجازه.

حول إقتراح صدام حسين

قُلت: طرح الرئيس صدام حسين في قمة «التعاون» الأخيرة فكرة الإستثمار في الإتحاد السوفياتي ودول أوروبا الشرقية.

فما رأيك بهذه الفكرة؟

أجاب: ليس لي رأي محدد لأنه ليس لدينا أموال لنستثمرها. رأس المال جبان يركض إلى حيث النمو ويهرب عند توقف النمو. المسألة مسألة قناعات. كمستثمر قد أغامر وأنجح ولكن الكثيرين يلجأون إلى الإستثمار المضمون والمجرب.

هذه كذلك تخضع لإجتهد صاحب رأس المال. من يريد أن يستثمر في دولة إشتراكية بذاتها يحتاج إلى دراسة المناخ الإستثماري وإستقرار تلك الدولة وإستمرارية نهجها. قليلون يحبون المغامرات، وهذه تحتاج من الدول الشرقية إلى طمأننة أصحاب رأس المال.

السياحة.. والطريق إلى الدولار

قُلت: هناك إستثمارات عربية في القطاع السياحي في كل من مصر وتونس والمغرب، لماذا لا توجد مثل هذه الإستثمارات في الأردن؟

أجاب: نحن وضّعنا الإجماعي في الأردن يختلف عن الدول التي ذكرت والتي تقوم فيها تلك المشاريع. أما نحن فأقرب إلى الخليج، لذا تحضر إلى الأردن عائلات كثيرة من الدول الشقيقة لكون المجتمع الأردني يميل إلى المحافظة، بمعنى أن لدينا سياحة محافظة.

قُلت: ولكننا نلاحظ أن دخل الأردن من السياحة متواضع جداً قياساً بحجم الإستثمارات فيه من جهة وفراة الأماكن السياحية فيه من جهة ثانية، فهل لديكم أفكار لتطوير هذا القطاع؟

أجاب: السياحة هي أقصر طريق لجلب الدولار (العملات الصعبة)، لذلك فنحن نركز عليها الآن خاصة وأن البنية التحتية متوفرة لإقامة أي مشروع. والآن زاد الإقبال على السياحة في الأردن نظراً لإنخفاض الدينار، ويُنتظر أن يزيد خلال العام الحالي بعد أن فتح العراق المجال للسياحة إلى الأردن ونعمل حالياً على إصلاح الخط البري لأن الطريق محطم بسبب الشاحنات من أجل سفر السياح الذين نتوقع وصولهم في الصيف.

وسنتوجه إلى التركيز على جذب السياحة العربية لأنها مجدية مالياً أكثر من السياحة الغربية، فالسائح العربي ينفق أكثر من عشرة سياح أجانب ويشترى من الأسواق ويقيم فترة أطول.

ولكننا نشعر أننا مقصرون في الدعاية والترويج السياحي للأردن لدى جيراننا العرب وكنا في السابق نروج في الغرب فقط.

مجلس التعاون: الإنجازات والمخاطر

قُلت: كان إيقاع العمل في مجلس التعاون سريعاً خلال العام الأول من تأسيسه، الأردن تسلّم رئاسة المجلس في دورته الثانية ونرغب في أن نسمع منك تقوياً للسنة الأولى من عُمر المجلس وعما إذا كان لديكم برنامج محدد في السنة الثانية، وهل تجاوز المجلس المخاطر بشكل نهائي؟

أجاب: مجلس التعاون إنطلق إنطلاقة في المشاريع والإتفاقيات في جميع المجالات. كانت الرئاسة للعراق نشطة في التحضير للقاءات والاجتماعات، الآن دور الأردن في المرحلة الثانية وهي الصعبة لأنها مرحلة التنفيذ.

كبدية وأقولها بتواضع إننا لو نفذنا إتفاقية واحدة من الإتفاقات الموقّعة وطبقناها على أرض الواقع نكون فعلنا شيئاً كبيراً بترجمة التوجه المستقبلي إلى واقع. طبعاً إذا نفذنا إتفاقيتين يكون الأمر أفضل بكثير وكلما حدث المزيد من التطبيق يكون النجاح أكبر.

على أننا لا نستطيع تنفيذ جميع الإتفاقيات في عام واحد، لأن كل إتفاقية ستكون وراء تطبيقها قوانين وقرارات وإجراءات في كل بلد من البلدان الأربعة. هذا هو التفكير المبدئي، أي أن نختار عدة إتفاقيات ونركز العمل على تطبيقها كاملة بحيث تعدّل القوانين والإجراءات اللازمة لتطبيقها.

إنطلاقة جلالة الملك الحسين لقيام مجلس التعاون كانت من الأساس جهداً مستقبلياً للتعاون العربي، يجب أن تتوفر قاعدة كبيرة للتعاون، فكيف نقارن أنفسنا مثلاً ونحن بشرياً نشكّل عدة ملايين بالمنظومة الأوروبية؟ إن مجموع سكان دول مجلس التعاون العربي يبلغ نحو 85 مليوناً، فلو قام هؤلاء جميعاً بالتعاقد لشراء أدوية أو قمح أو لحوم أو غيرها فهل أن شروط العقد هي نفسها التي تقوم بها كل دولة على حدة؟ ان مثل هذا التعاقد سيوفر أموالاً كثيرة.

في السابق كانت دول تعتمد على الإتحاد السوفياتي وأخرى تعتمد على الولايات المتحدة في الدعم. أما اليوم فنحن نحتاج إلى قوة لفرض وجودنا.

لم يعد هناك اليوم دولة عظمى تعطي إنذاراً نهائياً في حال تدخل الدولة العظمى الأخرى كما حدث أن أعطى الإتحاد السوفياتي مثل هذا الإنذار في العدوان الثلاثي على مصر.

أما الولايات المتحدة فاللوبي الصهيوني يمسك بكل شيء في الجسم الأميركي بمخالبه وليس بيديه وحسب. وعندما تأتي هجرة يهودية بهذا الشكل فهم يطالبون بخط مباشر. لماذا الخط المباشر؟ معلوماً أن هجرة اليهود كانت تتم في البداية إلى بعض العواصم الأوروبية ومنها ينتقلون إلى حيث يريدون. 10% فقط كانوا يرغبون في الذهاب إلى إسرائيل، لكن اللوبي الصهيوني يطالب بالخط المباشر كي يؤمن «صب» جميع اليهود المهاجرين في فلسطين.

هل حرية الانسان أن يتم وضع المهاجرين في وعاء ويتم وضعهم في فلسطين، ولماذا لا يُترك لهم حق الاختيار في الذهاب إلى حيث يريدون؟

قلنا للإتحاد السوفياتي، لماذا لا تسمحون لمن يخرج بحرية العودة؟ قالوا لا.

أيضاً الولايات ليس لها الحق في تحريض الإتحاد السوفياتي والخط المباشر.

الأردن كان أول من أثار هذه القضية وأثمرت إتصالاته ونداءاته. لم نستطع أن نصلح بيدنا فقمنا بذلك

وبلساننا وأثمرت ولم يصادق الإتحاد السوفياتي على إتفاقية الخط المباشر وإلاً لصب جميع اليهود في فلسطين. القضية لم تنتهِ بعد، والمستعمرات تملأ الأراضي المحتلة والهجرة متوقعة كل يوم وهي خطر ماثل منذ زمن بعيد. ففي عام 1979 إلتقيت هنا بوزير الدفاع الأميركي آنذاك (براون) وتحدثنا عن الهجرة والمستعمرات وكانت آنذاك 42 مستعمرة، فقال الوزير الأميركي: وماذا نفعل نحن؟ قُلت تستطيعون أن تفعلوا الكثير، فردّ بأن هذه المستعمرات غير مكتظة بالسكان ففي كل منها ما بين 30-40 شخصاً فقط. واليوم أصبحت المستعمرات أكثر من 156 مستعمرة.

الآن لماذا كان هذا العدد من المستعمرات وبه القليل من اليهود؟ هي إذاً للتسمين.. وقد يكونون خططوا لهذه الهجرة منذ ذلك الوقت.

ومؤخراً تحدثت مع السفير السوفياتي في عمان وشرحتُ له موقفنا وقُلت له إنني أعرف الضغوط التي يتعرض لها الإتحاد السوفياتي في هذا الشأن ولكنني لم أكن أتصوره بهذه الإستكانة. ثم إن مجيء اليهود السوفيات إلى فلسطين بحجة حقوق الإنسان، فهل نظرتم إلى حقوق الناس الآخرين، ثم أين سيمكث هذا اليهودي ومكان من؟

لنحل القضية الفلسطينية وعندها يمكن أن يعيش اليهود في فلسطين، أما والوضع على هذا الشكل فلا سلام في المنطقة، بل إن الأمل في السلام قد ضاع أيضاً.

أنا من الناس الذين يعتقدون ومنذ إحتلال 1967 أن إسرائيل لا تعيد أرضاً رغم كل الوساطات والجهود المبذولة منذ ذلك الحين أي منذ يارينغ وروجرز وفولبرايت وبيرسي وغيرهم وجميعهم طاروا.

قُلت: ولكن إسرائيل أعادت أرضاً لمصر..

أجاب: مصر ليست ضمن الخطة. وبالمناسبة فقد حضرتُ مباحثات بين جلالة الملك وعبد الناصر وتحدث وقتها الرئيس الراحل عن عرض مقدّم إليه بإعادة سيناء إلى مصر مقابل إنهاء حالة الحرب. وقد قال وقتها الرئيس عبد الناصر إنه رفض العرض قائلاً: إن القدس يجب أن تعود قبل سيناء.

قُلت: ولكن الأردن والملك حسين شخصياً يقوم بتحريك دبلوماسي نشط ومنذ عدة سنوات من أجل عقد المؤتمر الدولي للسلام، فكيف يقوم بذلك ورئيس وزرائه مؤمن بأن الدبلوماسية لا تحل القضية؟

أجاب: هناك فرق، الدبلوماسية يجب أن تتحرك والضغط يجب أن يبقى من أجل أن تبقى القضية حية في الأذهان. ما أقوله ان جميع رؤساء الولايات المتحدة منذ عام 1967 تعهدوا بحل القضية ولم يحلوها. حتى الرئيس ريغان أعطى تعهداً لجلالة الملك الحسين بأنه سيحل القضية مع نهاية مدة ولايته الثانية وسيحشد اللوبي الصهيوني مع الحل، ولكن شيئاً من هذا لم يحدث. لماذا؟ لأن إسرائيل لا تريد السلام مقابل الارض وهم أعلنوا ذلك وهي حالة سياسية معلنة والمطروح الآن هو الحُكم الذاتي فقط.

قُلت: الليكود أعلن بالأمس أنه يمكن أن يقبل مبدأ التفاوض مع فلسطينيين في الداخل.

أجاب: هذا من أجل مبدأ الحُكم الذاتي. وبالنسبة إليّ فمن واقع خبرتي بإسرائيل منذ ما قبل عام 1967 وما بعده فإن ذلك غير وارد. ومنذ مبادرة روجرز ويارينغ وغيرهما حتى عندما جاء يارينغ وأمر قادة نابلس والخليل والقدس في الأغوار وضباطهم وأفرادهم في الجيش من أجل أن يتسلموا تلك المناطق فإن الوحيد الذي كان يقول إن هذا الكلام كذب وغير وارد هو أنا. وعادوا بخفي حنين، ومنذ ذلك والحديث هو نفسه.

قُلت: إذاً نعود هنا لنسأل عن رأيك في كلام الرئيس صدام حسين في قمة عمان عندما قال إن فلسطين إحتلت بتخطيط وتعود بتخطيط؟

أجاب: نحتاج إلى قوة من أجل ذلك لأن العدو عندما يشعر إننا سننتزع منه حقاً يعيد النظر في عناده. وأتساءل هنا لماذا لا تنتهي الحرب العراقية - الإيرانية، ولماذا الأساطيل الأميركية في الخليج كما قال الرئيس صدام؟ الجواب لأن أميركا لا تريد أن تحل المسألة من أجل أن تبقى أميركا مهيمنة وتبقى إسرائيل قوية. ثم لماذا الحلف الإستراتيجي مع إسرائيل؟

وجوابي إنه من أجل النفط فقط وليس ضد الأردن وسوريا فحسب. وقد قُلت للسفير السوفياتي عندما قابلته مؤخراً: إن هذا الحلف خطر عليكم وإذا بقي كذلك فسيأتي الوقت الذي ترجون فيه إسرائيل من أجل الحصول على النفط عندما ينضب نفطكم بعد عشر سنين. وأجد نفسي أتساءل: ماذا لو إستمرت الهجرة وتم الإعتداء على الأردن وما هي مواقف الآخرين؟ هذه أسوأ الشرور ويجب أن نحسب لها.

أنا أقول إن الحل السلمي يحتاج إلى ضاغط. كنا نقول في الأردن إن الضاغط هو الحق الواضح لذلك كان تحركنا لإستخدام أوروبا كضاغط على الولايات المتحدة لكن هذا الضغط لم يحدث. حتى القرار 242 الذي يقول بالأرض مقابل السلام تم الإلتفاف عليه من قبل إسرائيل وأميركا. وقد خرجت نظريات أميركية مؤخراً تفسر الأرض المحتلة بالقوة وتعتبر أن بعض الأراضي لم تُحتل بالقوة وأن المفاوضات هي التي تحكّم هذه المسألة وتقرر إن كانت الأرض إحتلت بالقوة أم لا. وهذه الأفكار ليست أميركية بل إسرائيلية وليكودية بالذات.

وأخلص إلى القول: ليس لدى هذه الدول شيء إسمه الحقوق. إنهم يؤمنون بالقوة وليس للضعيف حق في هذا المجتمع الدولي.

إذاً فلا بد من مجلس التعاون العربي وغيره من التجمعات العربية لنكون لأنفسنا قوة في هذا العالم، إذ أننا مصممون على ألا نكون لقمة سائغة أو طعماً سهلاً.



مضر بدران خلاله لقائه مع "التضامن"، وبيدو رئيس التحرير فؤاد مطر فالزميل فيصل الشبول، ثم عامر فؤاد مطر.

مقابلة مع زيد الرفاعي



زيد الرفاعي «رئيس ما قبل نيسان»
في حديث له «التضامن»
لماذا عمل حكومتني مع روك الناس
مشكلتنا كانت في السيولة
وتواجد العمال الصعبة
نعتبر ايران جباراً طيباً ونأمل
الامانة صدام حسين

١٠٠
 ١٠١
 ١٠٢
 ١٠٣
 ١٠٤
 ١٠٥
 ١٠٦
 ١٠٧
 ١٠٨
 ١٠٩
 ١١٠
 ١١١
 ١١٢
 ١١٣
 ١١٤
 ١١٥
 ١١٦
 ١١٧
 ١١٨
 ١١٩
 ١٢٠
 ١٢١
 ١٢٢
 ١٢٣
 ١٢٤
 ١٢٥
 ١٢٦
 ١٢٧
 ١٢٨
 ١٢٩
 ١٣٠
 ١٣١
 ١٣٢
 ١٣٣
 ١٣٤
 ١٣٥
 ١٣٦
 ١٣٧
 ١٣٨
 ١٣٩
 ١٤٠
 ١٤١
 ١٤٢
 ١٤٣
 ١٤٤
 ١٤٥
 ١٤٦
 ١٤٧
 ١٤٨
 ١٤٩
 ١٥٠
 ١٥١
 ١٥٢
 ١٥٣
 ١٥٤
 ١٥٥
 ١٥٦
 ١٥٧
 ١٥٨
 ١٥٩
 ١٦٠
 ١٦١
 ١٦٢
 ١٦٣
 ١٦٤
 ١٦٥
 ١٦٦
 ١٦٧
 ١٦٨
 ١٦٩
 ١٧٠
 ١٧١
 ١٧٢
 ١٧٣
 ١٧٤
 ١٧٥
 ١٧٦
 ١٧٧
 ١٧٨
 ١٧٩
 ١٨٠
 ١٨١
 ١٨٢
 ١٨٣
 ١٨٤
 ١٨٥
 ١٨٦
 ١٨٧
 ١٨٨
 ١٨٩
 ١٩٠
 ١٩١
 ١٩٢
 ١٩٣
 ١٩٤
 ١٩٥
 ١٩٦
 ١٩٧
 ١٩٨
 ١٩٩
 ٢٠٠
 ٢٠١
 ٢٠٢
 ٢٠٣
 ٢٠٤
 ٢٠٥
 ٢٠٦
 ٢٠٧
 ٢٠٨
 ٢٠٩
 ٢١٠
 ٢١١
 ٢١٢
 ٢١٣
 ٢١٤
 ٢١٥
 ٢١٦
 ٢١٧
 ٢١٨
 ٢١٩
 ٢٢٠
 ٢٢١
 ٢٢٢
 ٢٢٣
 ٢٢٤
 ٢٢٥
 ٢٢٦
 ٢٢٧
 ٢٢٨
 ٢٢٩
 ٢٣٠
 ٢٣١
 ٢٣٢
 ٢٣٣
 ٢٣٤
 ٢٣٥
 ٢٣٦
 ٢٣٧
 ٢٣٨
 ٢٣٩
 ٢٤٠
 ٢٤١
 ٢٤٢
 ٢٤٣
 ٢٤٤
 ٢٤٥
 ٢٤٦
 ٢٤٧
 ٢٤٨
 ٢٤٩
 ٢٥٠
 ٢٥١
 ٢٥٢
 ٢٥٣
 ٢٥٤
 ٢٥٥
 ٢٥٦
 ٢٥٧
 ٢٥٨
 ٢٥٩
 ٢٦٠
 ٢٦١
 ٢٦٢
 ٢٦٣
 ٢٦٤
 ٢٦٥
 ٢٦٦
 ٢٦٧
 ٢٦٨
 ٢٦٩
 ٢٧٠
 ٢٧١
 ٢٧٢
 ٢٧٣
 ٢٧٤
 ٢٧٥
 ٢٧٦
 ٢٧٧
 ٢٧٨
 ٢٧٩
 ٢٨٠
 ٢٨١
 ٢٨٢
 ٢٨٣
 ٢٨٤
 ٢٨٥
 ٢٨٦
 ٢٨٧
 ٢٨٨
 ٢٨٩
 ٢٩٠
 ٢٩١
 ٢٩٢
 ٢٩٣
 ٢٩٤
 ٢٩٥
 ٢٩٦
 ٢٩٧
 ٢٩٨
 ٢٩٩
 ٣٠٠
 ٣٠١
 ٣٠٢
 ٣٠٣
 ٣٠٤
 ٣٠٥
 ٣٠٦
 ٣٠٧
 ٣٠٨
 ٣٠٩
 ٣١٠
 ٣١١
 ٣١٢
 ٣١٣
 ٣١٤
 ٣١٥
 ٣١٦
 ٣١٧
 ٣١٨
 ٣١٩
 ٣٢٠
 ٣٢١
 ٣٢٢
 ٣٢٣
 ٣٢٤
 ٣٢٥
 ٣٢٦
 ٣٢٧
 ٣٢٨
 ٣٢٩
 ٣٣٠
 ٣٣١
 ٣٣٢
 ٣٣٣
 ٣٣٤
 ٣٣٥
 ٣٣٦
 ٣٣٧
 ٣٣٨
 ٣٣٩
 ٣٤٠
 ٣٤١
 ٣٤٢
 ٣٤٣
 ٣٤٤
 ٣٤٥
 ٣٤٦
 ٣٤٧
 ٣٤٨
 ٣٤٩
 ٣٥٠
 ٣٥١
 ٣٥٢
 ٣٥٣
 ٣٥٤
 ٣٥٥
 ٣٥٦
 ٣٥٧
 ٣٥٨
 ٣٥٩
 ٣٦٠
 ٣٦١
 ٣٦٢
 ٣٦٣
 ٣٦٤
 ٣٦٥
 ٣٦٦
 ٣٦٧
 ٣٦٨
 ٣٦٩
 ٣٧٠
 ٣٧١
 ٣٧٢
 ٣٧٣
 ٣٧٤
 ٣٧٥
 ٣٧٦
 ٣٧٧
 ٣٧٨
 ٣٧٩
 ٣٨٠
 ٣٨١
 ٣٨٢
 ٣٨٣
 ٣٨٤
 ٣٨٥
 ٣٨٦
 ٣٨٧
 ٣٨٨
 ٣٨٩
 ٣٩٠
 ٣٩١
 ٣٩٢
 ٣٩٣
 ٣٩٤
 ٣٩٥
 ٣٩٦
 ٣٩٧
 ٣٩٨
 ٣٩٩
 ٤٠٠
 ٤٠١
 ٤٠٢
 ٤٠٣
 ٤٠٤
 ٤٠٥
 ٤٠٦
 ٤٠٧
 ٤٠٨
 ٤٠٩
 ٤١٠
 ٤١١
 ٤١٢
 ٤١٣
 ٤١٤
 ٤١٥
 ٤١٦
 ٤١٧
 ٤١٨
 ٤١٩
 ٤٢٠
 ٤٢١
 ٤٢٢
 ٤٢٣
 ٤٢٤
 ٤٢٥
 ٤٢٦
 ٤٢٧
 ٤٢٨
 ٤٢٩
 ٤٣٠
 ٤٣١
 ٤٣٢
 ٤٣٣
 ٤٣٤
 ٤٣٥
 ٤٣٦
 ٤٣٧
 ٤٣٨
 ٤٣٩
 ٤٤٠
 ٤٤١
 ٤٤٢
 ٤٤٣
 ٤٤٤
 ٤٤٥
 ٤٤٦
 ٤٤٧
 ٤٤٨
 ٤٤٩
 ٤٥٠
 ٤٥١
 ٤٥٢
 ٤٥٣
 ٤٥٤
 ٤٥٥
 ٤٥٦
 ٤٥٧
 ٤٥٨
 ٤٥٩
 ٤٦٠
 ٤٦١
 ٤٦٢
 ٤٦٣
 ٤٦٤
 ٤٦٥
 ٤٦٦
 ٤٦٧
 ٤٦٨
 ٤٦٩
 ٤٧٠
 ٤٧١

[illegible][illegible]

أهداف التنمية والبيئة

تتمثل في التنمية البشرية الشاملة التي يرمي إليها المجتمع الدولي، ومن أجل تحقيق أهداف التنمية المستدامة، يجب أن تكون التنمية البشرية الشاملة والتنمية المستدامة متكاملتين ومتكاملتين.

وتتطلب التنمية البشرية الشاملة والتنمية المستدامة تحقيق الأهداف التالية:

- 1- تحقيق التنمية البشرية الشاملة والتنمية المستدامة.
- 2- تحقيق التنمية البشرية الشاملة والتنمية المستدامة.
- 3- تحقيق التنمية البشرية الشاملة والتنمية المستدامة.
- 4- تحقيق التنمية البشرية الشاملة والتنمية المستدامة.
- 5- تحقيق التنمية البشرية الشاملة والتنمية المستدامة.
- 6- تحقيق التنمية البشرية الشاملة والتنمية المستدامة.
- 7- تحقيق التنمية البشرية الشاملة والتنمية المستدامة.
- 8- تحقيق التنمية البشرية الشاملة والتنمية المستدامة.
- 9- تحقيق التنمية البشرية الشاملة والتنمية المستدامة.
- 10- تحقيق التنمية البشرية الشاملة والتنمية المستدامة.

[illegible][illegible]

خلق جود الفصل لحد مشكلة
وهي استراتيجيتها
فنان: عائلة عربية ننشر

الانفراج الدولي بين
لد

[illegible][illegible][illegible][illegible]

خطب صدام
في مجلس التعاون
وشكك في
الذهن العربي

٤٧

[illegible][illegible]

... والحديث مع زيد الرفاعي

«رئيس ما قبل نيسان»



زيد الرفاعي يتحدث لرئيس التحرير فؤاد مطر

قُلت: كنا نلاحظ شدة إهتمامك بالعمل أثناء توليك المسؤولية كرئيس للوزراء واليوم أصبحت خارج الحُكم، فهل من حق قارئ «التضامن» أن يعرف البرنامج اليومي لرئيس وزراء غادر الحُكم وجلس في بيته؟

أجاب: مسؤولية رئيس الوزراء في الأردن كبيرة وتقتضي منه التفرغ الكامل للعمل الرسمي، كنت أعمل في مكنتي بمعدل 16 - 18 ساعة يومياً. أغادر المنزل في الثامنة صباحاً وأعود إليه عند منتصف الليل بما في ذلك يوم الجمعة، فلا عُطل ولا إجازات..

الآن، وبعد إستقالتي أشعر بأن الإنسان يجد متعة بأنه سيد وقته وذلك أنه في العمل الرسمي لا يملك مثل هذا الشعور الذي لا يدركه من كان في عمل مستمر.

برنامجي اليومي موزع ما بين وقت للقراءة حيث تراكمت لدي مجموعات من الكتب أثناء عمل ولم أجد متسعاً من الوقت لقراءتها آنذاك، واستمتع للموسيقى في أوقات معينة وأخصص ساعات لإستقبال الأصدقاء الذين اختارهم أيضاً وهذه متعة أخرى لا يدركها من في العمل الرسمي لأنه ليس لديه حرية إختيار من يجالسهم. كما إنني أمارس الرياضة وأحب لعبة التنس بالذات، وأشارك في جلسات وسهرات عائلية حيث يتفرغ الإنسان للأمور العائلية، وأتابع شؤون مزرعتي في الأغوار أربعة أيام في الأسبوع.

هناك ساعات أمضيها وحيداً أفكر فيما يجري على ساحتنا العربية، لأن أي إنسان عربي لا يستطيع ألا يفكر في قضايا أمته التي تعيش بوجدان كل منا. وبين هذه وتلك تمضي الايام بمتعة.

ليست عفوية

قُلت: بما أنك تفكر في كل ما يجري على الساحة العربية فلا بد أنك تفكر فيما جرى ويجري في الأردن، هل تكونت لديك رؤية جديدة عن الأحداث التي سبقت إبتعادك عن الحُكم، بمعنى هل كان شيئاً مدبراً أم عفواً، وهل كان يمكن تداركه مثلاً. ما زالت الصورة غير واضحة بالنسبة لنا، فكيف تراها أنت؟
أجاب: لن أدخل في التفاصيل لأنني لست راجباً حتى الآن أن أتكلم عما حصل. وأكتفي بالقول إن ما وقع من أحداث لم تكن كلها بسبب إجراءات حكومية أو قرارات صدرت. كما انها لم تكن عفوية إلى الدرجة التي صورت بها على الأقل.

فوجئت بما حدث ويبدو أنه كانت هناك أمور لم نكن نحن في الفترة السابقة مركزين عليها أو نعطيها الإهتمام الكافي لمعالجتها أو تفاديها.

لكن ما جرى كله تاريخ ولا بد أن تتكشف الأمور أمام جميع الناس.

قُلت: دولة الرئيس، كأنك من خلال هذه الكلمات تشير بالإتهام إلى جهات أو أشخاص معينين عندما قُلت إن الاحداث لم تكن عفوية، فمن هم هؤلاء؟

أجاب: قُلت إنني لا أحب الدخول في التفاصيل، وكنت واضحاً إذ قُلت ان ما حصل لم يكن بسبب قرار او إجراء حكومي، كما أنها لم تكن بالصورة العفوية. أما تفسيراتك هذه...

العمل والخطأ

قُلت: أريد الدخول في التفاصيل، وبغض النظر عما قيل في الأحداث ودور حكومتكم فيها. ومن خلال تأملك في ما يجري هل لي أن أسجل على لسانك أبرز الأخطاء التي حدثت خلال ترؤسكم للحكومة؟
أجاب: مسألة التقويم أحب أن أتركها للناس. إن أي مسيرة حُكم على مستوى حكومة يكون فيها إنجازات وأخطاء، وأي قرار يتخذ يمكن أن يكون صائباً أو يتضمن بعض الأخطاء.

الذي لا يخطيء هو الذي لا يقرر ولا يعمل، والأخطاء هي جزء من أي عمل حكومي. لكن الأهم أن نصحح، أنا أفضل أن أتخذ مائة قرار تكون ستون منها صائبة والبقية عليها ملاحظات من أن أقف مكتوف الأيدي ولا أقرر لأن ذلك سيؤدي إلى الركود وعدم تحمل أمانة المسؤولية.

لا أشعر إنني صاحب الحق في إستعراض كل إجراءات حكومتي على الصعد كافة محلياً وعربياً ودولياً ومن المجالات الإقتصادية والمالية والإجتماعية والتربوية وغيرها. لكن عند التقويم نضع جميع تلك القرارات في الميزان لنرى سلبياتها وإيجابياتها، فإذا رجحت كفة الإيجابيات تكون الحكومة قد قامت بواجبها، وإذا إتضح العكس تكون الحكومة لم توفق في أداء واجبها كما يجب.

عناوين كبيرة

قُلت: في إطار التأمل، وكمواطن متميز كان في أعلى درجات المسؤولية، كيف ترى الوضع الإقتصادي الأردني الذي تبدو صورته غير واضحة، وكيفية حل الأزمة الداخلية؟
ثم ماذا عن التجربة البرلمانية الجديدة التي يبدو أنها تحمل ملامح ديمقراطية جديدة فتحت أبواب جديدة؟

وكذلك ماذا عن الوعكة التي أصابت الدينار الأردني فلم يعد تلك العملة القوية؟

ثم ماذا عن الأردن الذي يبدو الحلقة الأضعف وسط عدة دول قوية من حوله على الرغم من أنه

يبدو قوياً بتماسكه الداخلي؟

وماذا عن الديون والفوائد المستحقة؟

لا بد أنك تتأمل فيما يحصل في الضفة الغربية، وإسرائيل تحاول تبريد مشاعرنا أو تقوم بتمثيلية تمرر من خلالها قضية هجرة اليهود السوفيات.

هناك أيضاً الوضع بين العراق وإيران والوقوف عند حالة الاحرب والاسلم..

وهناك تعثر جهود الوساطات لتحقيق مصالحة بين العراق وسوريا. وهناك الأوضاع في لبنان والنزيف الغريب من نوعه. أن تأمل الانسان المتميز والذي يعرف الكثير من الحقائق لا بد أن يكون مختلفاً عن تأمل الإنسان العادي.

فهل نخبرنا بتأملاتك حول مختلف هذه الأمور؟

أجاب: سأحاول أن أتوقف عند كل من هذه المسائل بشكل موجز بالنسبة إلى الوضع الإقتصادي في الأردن فإن مشاكلنا في أساسها نجمت عن عدم توافر عملات أجنبية لسداد الديون والفوائد وتلبية إحتياجات القطاعين العام والخاص للإستيراد.

لم تكن لدى الأردن في السابق مشكلة توافر العملات الأجنبية وكان المصدر الرئيسي من تلك العملات هو إلتزامات الدول العربية خلال قمة بغداد لدعم دول المواجهة ومن بينها الأردن وخصص له مبلغ (1250) مليون دولار سنوياً لمدة عشر سنين.

لقد دُفع هذا المبلغ كاملاً في السنة الأولى ولسبب أو آخر بدأت الإلتزامات تتناقص وكانت الدولة الوحيدة التي وفّت بكامل إلتزاماتها وبمواعيدها المقررة هي المملكة العربية السعودية اما الدول الأخرى فبعضها توقف نهائياً والأخرى حوّلت جزءاً من إلتزاماتها وفي مواعيد متأخرة.

إن أي خطط تنموية أو دفاعية لا يمكن أن تقرر على أساس سنوي، فالخطط التنموية تقرر لخمس سنوات وبرامج تسليح القوات المسلحة يتم التعاقد عليها لسنوات من أجل تحضير وتجهيز وتوريد الأسلحة والذخائر. لقد تعاقبت الحكومة على خطط تنموية وبرامج دفاعية، وكانت تحسب على أساس الإلتزامات العربية، لأن الدين السنوي كان أقل من حجم الإلتزامات المالية المقررة. وعندما بدأت تلك الإلتزامات تتناقص وتوقف إضطّر الأردن إلى الوفاء بإلتزاماته من موجوداته. حيث أصبح عبء الدين ملقى على الحكومة لوحدها، فاستعملت موجوداتنا من العملات الاجنبية للحفاظ على سمعتنا الدولية وإلى أن وصلنا إلى درجة عدم القدرة على الإستمرار في هذا الأسلوب وضرورة الإعتماد على الذات فقط.

بدأنا في جدولة الديون والتي لا تتم الا عن طريق برنامج لإعادة هيكلة الإقتصاد بما يضمن توافر عملات أجنبية في أوقات محددة لضمان القدرة على التسديد.

مشكلة الدينار

أما ما حدث للدينار، فالمشكلة الاساسية التي كانت توفر العملات الأجنبية في السابق هي أن الدينار كان مدعوماً من الدولة، كان سعر صرفه مبالغاً فيه، بمعنى أن البنك المركزي كان يؤمن الدولار للبنوك التجارية والشركات بسعر لا يعكس السعر الحقيقي للدينار. وأدى هذا الوضع إلى التشجيع على الإستيراد والإستهلاك لأنهما مجزيان.

وبما أن سعر الدينار لم يكن معقولاً فقد أصبحت الصناعات غير قابلة للتصدير بل بالعكس، فقد كان ذلك السعر يشجع على الإستيراد والإستهلاك فحسب فأصبحنا مجتمعاً إستهلاكياً.

هذا كله أدى إلى إعادة النظر بسعر صرف الدينار، أنا أؤمن بأن قوة العملة ليست مرتبطة بسعر الصرف مقابل العملات الأجنبية. كما أن سعر الصرف لا يعكس قوة الاقتصاد المرتبطة بالإنتاج والتصدير وتخفيض الإستيراد وتأمين فرص العمل والنمو الإقتصادي بشكل عام.

وكمثل على ذلك نجد الآن المعارك العنيفة بين الولايات المتحدة من جهة واليابان وأوروبا من جهة ثانية. أميركا تحاول تخفيض سعر صرف الدولار من أجل زيادة تنافسية الصادرات الأميركية في الخارج بينما اليابان وأوروبا تحاولان رفع سعره لتبقى منتجاتهما تغزو الأسواق الأميركية. هنا نجد حالة طريفة حيث أن دولة تريد تخفيض عملتها بينما الدول الأخرى لا تقبل ولكنها حالة مفيدة لدلالة على كيفية التخطيط الإقتصادي.

الآن نحن نسير في الإتجاه الصحيح والوضع جيد والإشكال المالي والإقتصادي سنتغلب عليه، ولدينا برنامج إقتصادي لزيادة الإنتاج والصادرات والحد من الإستيراد والإستهلاك وتخفيض عجز الموازنة.

وفي النهاية فإن إقتصادنا سليم وجيد وبإستطاعتنا التغلب على المشكلة، خاصة إذا نظرنا إلى المديونية في العالم، فالولايات المتحدة مدينة بمبلغ 3 تريليون دولار وحتى الدول الكبرى والغنية والنفطية عليها ديون خارجية، فهي ليست مشكلة كبرى وإذا نظرنا إلى عدونا نجد أن ديونه تبلغ عشرات البلايين ورغم عشرات البلايين التي تتدفق عليه كمساعدات خارجية.

ننتقل إلى النقطة الأخرى وهي وجودنا وسط دول قوية وغنية ووضعها أفضل منا، فهذا الوضع من حُسن حظنا، إذ أن هذه الدول عربية وقوتها قوة لنا وهي ليست مصدر قلق أو إزعاج لنا بل على العكس فكما كانت أوضاعها مستقرة ومنعشة فإن ذلك يقوينا ويشكل سنداً قوياً وداعماً لنا.

أما عن الوضع بين العراق وإيران، فالحرب العراقية الإيرانية كانت حربنا، لأن العراق كان يدافع عن النظام العربي وليس عن أرض العراق فقط. وجمالة الملك الحسين إستخدم تسمية «البوابة الشرقية» للعالم العربي لأن الجيش العراقي كان يحمي النظام العربي من غزوة فارسية كانت تستهدف كل العرب.

وعدم إنتهاء الحرب مصدر إزعاج وقلق لنا مثلما هو مصدر قلق وإزعاج للعراق ولكل العرب. ونعتقد أن النصر الذي حققه جيش العراق كان كبيراً لأن الحرب التي خاضها كانت غير الحروب المألوفة في منطقتنا. كان إنتصاراً للأمة كلها أدى إلى وقف الحرب. ونأمل أن تستجيب إيران لمبادرة الرئيس صدام حسين وتحول حالة اللاحرب واللاسلم السائدة الآن إلى سلام دائم بين الدولتين الجارتين المسلمتين.

نحن نحب أن نعتبر أن إيران هي دولة من دول المنطقة ويجب أن تكون علاقاتنا معها علاقات حُسن جوار ودعم ومساندة وتأييد، وليس حسب أطماع الخميني وثورته ومحاولاته ليحقق لإيران على حساب العرب.

بالنسبة إلى موضوع الهجرة اليهودية نعتبره تحدياً ليس للأردن فحسب بل وللأمة العربية جميعها، فمئات الألوف من اليهود سيأتون من الإتحاد السوفياتي وستحاول إسرائيل أن توزعهم على الأراضي المحتلة في محاولة ليوافقوا الخطر الديموغرافي عليهم بواسطة الهجرة، أي عن طريق إستيراد اليهود من الخارج.

أنا أعلم أن الخطر ندركه جميعاً وهو بحاجة إلى معالجة، ولكن المعالجة الحقيقية في رأيي لا تأتي من الجهود العربية المشتركة للضغط على الإتحاد السوفياتي بمنع الهجرة لأن موضوع الهجرة هو من ضمن «البيروسترويك» أو التجربة الديمقراطية الجديدة للإتحاد السوفياتي التي تسمح بمغادرة أي مواطن، لأن الحكومة السوفياتية لن تتجاوب مع الطلب العربي لأنها سمحت لهم بإعتبارهم مواطنين سوفيات والعالم يتكلم عن حقوق الإنسان والانفتاح وغيرها والهجرة من ضمنها، بل يجب أن يكون التركيز أيضاً على الولايات المتحدة لأن المعروف أن إسرائيل تعيش من الولايات المتحدة وتعيش عليها لأنها الممول والمسلح والحامي لإسرائيل وهي الوحيدة التي تملك النفوذ في التأثير على القرار الإسرائيلي، ولذلك إما أن تسمح الولايات المتحدة لليهود

السوفييات بأن يهاجروا إليها ومعظمهم يرغبون بذلك وهم يأتون إلى إسرائيل لأنه ليس هنالك مكان آخر يذهبون إليه ولا يعقل أن تقوم الولايات المتحدة بالضغط على روسيا للسماح بهجرة اليهود وأن تدرج الموضوع في بند العلاقات الثنائية بين البلدين ثم تقفل باب دخول اليهود السوفييات إليها، ففتح هذا الباب سيحل معظم المشكلة، وإذا لم يتم ذلك فعلى الأقل عدم الإستمرار في تأمين إسرائيل بالمساعدات المالية المطلوبة لإقامة المهاجرين السوفييات في الأراضي العربية المحتلة.

وفي هذا الموضوع، شأن أي تحد يواجه الأمة العربية، يبقى القرار مرهوناً بالإرادة العربية، فهل من قرار عربي موحد يلتزم الجميع به يستطيع أن يفرض نفسه على الساحة الدولية؟ من الواضح أن العالم يتجه نحو التكتل، سياسية أو اقتصادية، ونحن في العالم العربي إذا أردنا أن نتعامل مع الولايات المتحدة من جهة ومع أوروبا التي ستصبح بمثابة دولة واحدة بعد عام 1992 أو مع الإتحاد السوفيياتي كتكتلة ضخمة كبيرة أو مع اليابان ودول شرق آسيا التي أصبحت مجموعة واحدة، فيجب أن نكون كتلة واحدة متماسكة إذ أنه ليس بالإمكان أن نتعامل في السنوات المقبلة كدول منفردة لوحدها لأن إمكانية تأثير أي دولة من دولنا في العالم محدودة جداً وإمكانية التأثير الجماعي لا حدود لها، وفي هذه الحالة مثل الرياضيات المعاصرة التي تقول أن المجموع أكبر وأكثر من حصيلة جمع الأجزاء والموقف العربي الجماعي والملتزم به هو الحل الوحيد لكل التحديات في كافة المجالات وحتى في موضوع المياه الذي أصبح خطيراً في منطقتنا.

بالنسبة إلى موضوع العلاقات بين العراق وسوريا أرى أن إستمرارها على هذا الشكل هو الشيء غير الطبيعي، أما الشيء الطبيعي فهو أن تكون الدولتان في مستوى من العلاقة الذي نتمناه جميعنا. وبخصوص ما يجري في لبنان أرى أنه مأساة على كافة الصعد، فهي مأساة لبنانية وعربية بل وإنسانية من أي جانب تنظر إليها، هناك مجازر يومية يتعرض لها أبناءنا وأهلنا في لبنان يقتلون ليس من إسرائيل هذه المرة بل من أقربائهم، ويمكن وصف ما يجري لهم بأنه عائلة تنتحر وتقتل نفسها بنفسها، هنالك محاولات لتفتيت لبنان وتجزئته وإذا حدثت التجزئة، لا سمح الله، فإنها ستكون سابقة في منتهى الخطورة، فكيف جزراً بلد عربي على أساس الطوائف والمناطق إلى دويلات وكانتونات في الوقت الذي يشهد العالم نقلة نحو التجمعات. يجب ألا يسمح لهذا الشيء بالإستمرار. ونأمل أن تتواصل الجهود العربية التي تمثلت في إتفاق الطائف وأسفرت عن إنتخاب رئيس للجمهورية وإيجاد الشرعية فيتم الحفاظ على وحدة لبنان ويتم وضع حد للمجازر فيه. إن خطورة ما يجري بلبنان يكمن في إمكانية أن تنتقل مشكلاته إلى المنطقة، وبهذا التصور فإن الموضوع ليس لبنانياً فحسب بل يجب أن يكون من القضايا العربية المركزية والأمل أن يستطيع قادتنا السير قدماً لإيجاد حل جذري لهذه المأساة الدامية.

قُلْتُ: ما رأيك بتجربة مجلس التعاون العربي بعد مرور سنة على قيامه؟

أجاب: مجلس التعاون العربي أقيم ضمن توجه جلالة الملك الحسين والرؤساء صدام حسين وحسني مبارك وعلي عبدالله صالح لخلق نواة في المشرق العربي لتتعامل مع العالم كمجموعة، وإذا نظرنا إلى المجموعة نجد أن عدد سكانها أكثر من 80 مليوناً وبالتالي فهي نصف الأمة العربية. وبما أن مجلس التعاون الخليجي قائم منذ سنوات وقطع أشواطاً طويلة إلى الأمام فيصبح التعاون بين المجلسين شيئاً طبيعياً وسهلاً وكذلك الإتحاد المغاربي الذي نعتبره خطوة في الإتجاه الصحيح.

لقد باتت لدينا ثلاثة تجمعات تنسق فيما بينها ويكون هنالك تكامل حقيقي ويبدأ العمل من القاعدة إلى رأس الهرم وليس كما كان يحدث في السابق. ان العمل يتم بعيداً عن القرارات العشوائية حيث بنى القاعدة أولاً

ثم المدماك الأول الصلب ثم نعلي البناء وهكذا.

وفي رأيي ان الأمر الطبيعي هو أن تكون سوريا جزءاً من المجلس ونأمل بأن يأتي الوقت الذي تسوى فيه الخلافات العراقية السورية وتدخل سوريا في المجلس لأن بقاءها خارجة أمر غير طبيعي.

الخطاب الرائع

قُلت: دعا الرئيس صدام حسين إلى توجيه جزء من الإستثمارات العربية إلى الاتحاد السوفياتي ودول أوروبا الشرقية خلال خطابه أمام قمة مجلس التعاون العربي في عمان، فما رأيك بهذه الدعوة؟
أجاب: لقد إستمعتُ إلى خطاب الرئيس صدام حسين التاريخي والقومي الرائع أمام قمة مجلس التعاون، وإعتبرتُ انه وضع يده على كثير من النقاط الأساسية وعكس ما يدور في ذهن كل عربي وإقتراحه ليس حكيماً فقط بل هو عملي ومفيد.

إن تعاملنا مع الكتلة الشرقية كان محصوراً بالتعامل مع أنظمة الحُكم فيها وأهملنا التعامل مع القطاعات المختلفة من الشعب فيها. ويبدو أن إسرائيل في تلك الفترة وعلى الرغم من عدم وجود تعاون على المستوى الرسمي مع أوروبا الشرقية كانت تركز على القطاعات الشعبية المؤثرة.

ولذلك، وبعد الذي حدث في أوروبا الشرقية وزوال الحكومات التي كنا نتعامل معها، وجدنا أنفسنا من دون أي صلة مع أوروبا الشرقية وأصبحت الساحة مفتوحة أمام إسرائيل ووجدنا الحكومات الجديدة كلها تقوم بالزيارات لإسرائيل وتعترف بها وتبدأ في التعامل الإقتصادي معها.

وبإختصار فقد وجدنا فجأة أن الكتلة التي كانت مؤيدة لنا في السابق لم تعد لنا إن لم تكن علينا.
إقتراح الرئيس صدام حسين يعالج هذه النقطة بالذات من أجل أن يكون لدينا توجه جديد مع الحكومات الجديدة في أوروبا الشرقية بشكل يحقق منفعة للشعب، والإقتصاد يأخذ الأولوية الأولى حالياً في هذا المجال، فلماذا لا تستثمر الأموال العربية في الإتحاد السوفياتي ودول أوروبا الشرقية أو في أي مكان آخر في العالم نستطيع أن نكون مؤثرين فيه من حيث المساهمة في مساعدة هذه الدول في التغلب على مشاكلها من جهة، وفي الوقت نفسه هناك مجالات واسعة لإستثمارات تكون عوائدها أفضل من الموجود في الغرب والذين يتلاعبون فيه كل يوم من حيث فوائد البنوك والإجراءات الأخرى لنجد أنه يؤدي إلى خسارة في النهاية.
أتمنى لو توجه هذه الإستثمارات وأعتقد أنه توجه جاء في وقته وهو في المسار السليم والحكيم.

المؤتمر الدولي

قُلت: كنت رئيساً للحكومة الأردنية التي بذلت جهوداً مكثفة من أجل عقد المؤتمر الدولي للسلام في الشرق الاوسط، وبعد أكثر من خمس سنوات نجد أن الصورة ما زالت غير واضحة، كيف ترى هذه الأمور، وهل تعتقد أن المؤتمر الدولي مازال وارداً؟

أجاب: موضوع المؤتمر الدولي كنا قد بحثناه مع إدارات أميركية مختلفة، وكان التحفظ الأميركي الرئيسي دائماً حوله هو عدم رغبة أميركا بإشراك الإتحاد السوفياتي في مسيرة السلام. بمعنى آخر كانوا على إستعداد أن يوافقوا على عقد مؤتمر دولي من دون الإتحاد السوفياتي.

حدث هذا في الطرف الذي كان يشهد تنافساً أميركياً - سوفياتياً على أقاليم مختلفة في العالم. شخصياً أعتقد أنه نتيجة الإنفتاح بين الدولتين العظميين والنقدم في علاقاتهما الثنائية والإنفاق على حل جميع النزاعات الإقليمية في العالم لا أعتقد أن التحفظ الأميركي على مساهمة الإتحاد السوفياتي في المؤتمر الدولي مازالت قائمة. بمعنى أن إمكانية إنعقاد المؤتمر الدولي أصبحت أفضل بكثير في السابق.

هذا لا يعني بالطبع ان المؤتمر سيُعقد غداً. وكما نعلم فهناك محاولات لتنفيذ خطة بيكر والبدء بحوار إسرائيلي - فلسطيني كمرحلة أولى، ولكن يجب أن يبقى المؤتمر الدولي هو الهدف. ومرة أخرى فإن الضغط العربي الجماعي برأيي يكون مؤثراً للوصول إلى هذه المرحلة عندما يأتي بحث تسوية أزمة الشرق الأوسط.

المطروح الآن هو خطوة على الطريق وهو بدء حوار تمهيداً لإجراء إنتخابات، ثم بعد ذلك يأتي البحث عن التسوية الشاملة وتطبيق قرار مجلس الأمن 242. ومازلت أعتقد أن الإنفراج الدولي يخلق جواً أفضل ولا يُعقل أن تُسوى كل المشكلات الإقليمية والدولية وتبقى منطقتنا، وهي من أهم المناطق الإستراتيجية في العالم، من دون حل. وأعتقد أن التوجه سيقود في النهاية إلى عقد المؤتمر الدولي، لكن الأمر كله متوقف على جدية الموقف العربي الجماعي.

الالتزامات العربية

قُلْتُ: نعود إلى مسألة الإلتزامات العربية للأردن. هل يعتقد دولة الرئيس أن من الطبيعي الإعتماد على مساعدات تأتي لمدة عشر سنين والتخطيط على ضوئها من دون حساب لإنقطاعها لأي سبب؟
أجاب: لا أستطيع أن ألوم أي حكومة لأنها وضعت برامج بالإستناد إلى قرار قمة عربية خصوصاً عندما يكون القرار على مستوى القمة عام 1979 ويتكرر في قمة عمان 1980. وتعلم أن الوضع العربي في أعقاب كامب ديفيد والتوجه لدعم دول المواجهة جعلاً أي مسؤول يستبعد أن تنقطع هذه المساعدات أو تحدث مفاجآت. من ناحية ثانية وقد تكون هي الإيجابية، فلو إفتترضت الحكومة الأردنية أن هذه المساعدات قد تتوقف لما كانت وضعت برامج التسليح والتنمية وبالتالي لما كان لمعظم برامج التنمية أن تتحقق وستكون الكلفة أضعاف ما تم إنفاقه. وبالحصيلة فإن المديونية كانت لخدمة المواطن وضمان أمن وسلامة البلد عن طريق دعم القوات المسلحة.

نجد الآن في المملكة شبكة من الطرق تصل إلى كل قرية نائية، ونجد أن بلداً صغيراً بحجم الأردن فيه 6 آلاف كيلومتر من الطرق المعبدة وكذلك المدارس في كل قرية وتجمع سكني ومستشفيات وعيادات ومراكز صحية والجامعات، 97% من المواطنين تصلهم الكهرباء والماء والهاتف والتلفزيون والخدمات على المستويات كافة.



الرفاعي يتوسط رئيس التحرير ثم الزميل فيصل الشبول
وعن يمين الرفاعي يظهر عامر فؤاد مطر

ونجد أن هذا تحقق في فترة زمنية خيالية وبكلفة متدنية. معظم المديونية الخارجية الأردنية تغطي من المساعدات العربية المختلفة وكان الإنفاق ضمن المعقول. المديونية تبلغ نحو 65 مليار دولار. في حين أن المبالغ المتأخرة بحدود 6 مليار دولار.

كان هناك من يقول إن على الحكومة أن تتفق ما يصلها من أموال ولكن هذا مستحيل، إذ أن الحكومة عندما تتعاقد على مشروع لا تستطيع أن تضعه في موازنة واحدة بل في عدة موازنات، لأنه سينفذ على عدة سنوات ولا أستطيع أن أطرح جزءاً من مشروع أنفذه هذا العام ثم أنتظر العام المقبل وهكذا. كذلك برامج التسليح التي تحتاج إلى سنوات للتحرير والتسليم وبالتالي كانت تؤخذ الحصيلة كلها ولا تُجزأ.

وتبقى الحصيلة في النهاية انها كانت في البلد ولخدمة البلد، صحيح إننا عانينا الآن من نتيجتها ولكننا في المقابل لو أردنا أن نقوم بتلك المشاريع الآن لواجهتنا أكثر لأننا لا يمكن أن نصل إلى بنية تحتية كاملة وبمثل تلك الكلفة.

هناك أيضاً من يقول إنه لماذا تكون التنمية في 5 سنوات مثلاً ولا تتم على مدى عشرين سنة. يمكن ذلك ولكن الشعب سيكون من دون هذه الخدمات.

نُشر الحوار في مجلة «التضامن»
بتاريخ 19 مارس/ آذار 1990

مقابلة مع الرئيس ياسر عرفات (1)



في حديث خاص لـ «التضامن»

أبو عمار: كل إمكانياتي تحت تصرف اللبنانيين لمنع التقسيم



السيد ياسر عرفات في مقر القيادة الفلسطينية
في تونس وإلى جانبه الصحفي والكاتب فؤاد مطر

على بُعد حوالي عشرين كيلومتراً من تونس العاصمة يقع فندق «سلوى» الذي كان حتى قبل سنة وبضعة أيام من الفنادق المنزوية التي لا يسمع بها أحد ثم بات بعد إختياره ليكون مقر قيادة منظمة التحرير الفلسطينية من أدق الأماكن في المنطقة العربية. بل قد يجوز الافتراض إن الأقمار الإصطناعية تلتقط لهذا المكان عشرات الصور يومياً.

قبل عشرة أيام توجهت عند منتصف الليل إلى فندق «سلوى» بعدما وافق القائد العام للثورة الفلسطينية السيد ياسر عرفات على أن أزوره في مقره .

وقبل أن أتوجه إلى مقر الأخ أبو عمار كنتُ أضع على الورق مشاريع أسئلة يمكن من خلال طرحتها تكوين صورة واضحة للعالم عن موضوع أود كتابته بعنوان «أحزان أبو عمار». والتسمية ناشئة عن الأجواء القاتمة التي تحيط بالثورة الفلسطينية بدءاً من سوريا وإنهاءً بالولايات المتحدة، وعن أن الذكرى الأولى لمجزرة صبرا وشاتيلا تحل والفلسطيني يعاني في لبنان الكثير. كذلك إن محاصرة العمل الفلسطيني تتزايد في كل مكان وبالذات في الدول العربية إلى حد أنه بات على الجميع وبالذات في لبنان أن يحسبوا الحساب لمشاعر الثأر التي تتراكم في النفس الفلسطينية .

لمجرد أن ودعتُ الصديق الدكتور حموده بن سلامة الأمين العام لإتحاد الاطباء العرب وأحد الوجوه السياسية المرشحة للتألق في ساحة العمل السياسي التونسي الذي أوصلني إلى مقر القيادة الفلسطينية بعدما حدثني عن مشاعر تونسية عظيمة تجاه الثورة الفلسطينية... لمجرد أن ودعتُ الدكتور حموده شعرت

إنني في حي الجامعة العربية في الفاكهاني ببيروت. بل ان هنالك بعض الأصدقاء في القيادة الفلسطينية مضى عليّ زمن طويل لم ألتق بهم وجدتهم هناك.

ولقد إفترضت - إجتهداً أو تخميناً - إنني لمجرد أن أثير في نفس الأخ أبو عمار مسألة الأحرار سيحوّل الجلسة إلى جلسة كربلائية لكن قائد الثورة الفلسطينية بدأ يتحدث ويحلل ولقد كان متألقاً في التحليل .

في نهاية اللقاء الذي إمتد إلى ما بعد منتصف الليل أهدى الأخ ابو عمار «التضامن» صورة حديثة له إلتقطها مصوره الخاص مراد عبد الرؤوف، وتكرّم مشكوراً من أسرة «التضامن» بكتابه عبارة على الصورة بخط يده وبتوقيعه .

ونحن نعتبر الصورة بالعبارة والتوقيع بمثابة تعويذة خير من «الختار» حفظه الله للقضية. والعبارة هي: «إلى مجلة التضامن... معاً على طريق التضامن العربي بإتجاه النصر... بإتجاه القدس بعونه تعالى».

وفيما يأتي الاسئلة التي طرحناها على الأخ أبو عمار وإجاباته عنها:

«التضامن»: بداية لا بد من القول بأننا نطمح إلى معرفة رأي القائد العام لقوات الثورة الفلسطينية في مجلة «التضامن» التي تعتبر نفسها أحد جنود ثورة انت تقودها.

أبو عمار: بودي أن أقول شيئاً واحداً وأساسياً وهو أن النضال بالقلم هو أصعب أنواع النضال خصوصاً في هذا الوقت الذي حاول فيه كثيرون أن يكسروا القلم العربي ويحولونه إلى قلم مأجور في سوق النخاسة، ولذلك فإن كلمة الحق في هذا الزمن الصعب هي كلمة لها ثمن وهي كلمة لها مفعول في الوقت نفسه، وأفضل الجهاد عند الله كلمة حق تقال في وجه سلطان جائر. إن مثل هذه الكلمة ليست هينة ولعلنا يجب أن نتذكر أن أول آية في القرآن الكريم هي (نون والقلم وما يسطرون). وما أود أن أقوله أخي فؤاد هو انني تابعت مجلة «التضامن» من أعدادها الأولى وأهم ما لاحظته فيها هو هذا النفس الوطني وهذا الخط الذي شعرت معه أن فؤاد مطر هو فؤاد مطر ولم يتغير.

«التضامن»: هذا وسام.

أبو عمار: العفو.

«التضامن»: ترد إلينا بعض الإستفسارات أو الأسئلة أو الملاحظات أو الافكار وهي في العادة من قراء يكتبون إلينا أو يتصلون بنا أو من اصدقاء يطرحونها خلال مناقشات، وقد رأينا أن ننقلها إليكم، كقائد عام للثورة الفلسطينية، ونترك لكم أمر الرد عليها. ومن هذه الأسئلة -على سبيل المثال - إن البعض يعتقد أنه على رغم أن محنة لبنان كبيرة جداً إلا أن هناك طرفاً يستطيع أن يلعب دوراً مهماً في إنهاؤها وهذا الطرف هو أبو عمار. كيف؟ بمعنى أن أبو عمار يستطيع أن يكون حكماً بين اللبنانيين ولا يكون مع طرف لبناني معيّن ضد طرف لبناني آخر.

فالبنايون محتاجون إلى حكم فيما بينهم له ثقل أبو عمار ووطنيته ومعرفته بحقائق الأمور اللبنانية.

هل لنا أن نسمع تحليلكم لوجهة النظر هذه؟

أبو عمار: لا بد أن اشير بداية إلى أن ما يحدث في اللبنانيين وحدهم، وما أعطاه هذا الشعب للقضية الفلسطينية والثورة الفلسطينية هو أغلى ما يمكن أن يعطيه، أعطى دمه عندما عزّت في الأمة العربية أشياء كثيرة، فعلى سبيل المثال خسائرها اللبنانية - الفلسطينية في العدوان الإسرائيلي على لبنان في العام الماضي بلغت إثنين وسبعين ألفاً بين شهيد وجريح لبناني وفلسطيني معظمهم من النساء والأطفال، 32 قرية دُمرت في

الجنوب اللبناني أو أصابها التدمير، خمس مدن هي صور وصيدا وحاصبيا والنبطية والدامور إلى جانب بيروت نفسها التي قسّمتها العسكرتاريا الإسرائيلية الى مربعات وكانت في كل يوم تتخلص من مربع، 17 مخيماً من مخيمات اللاجئين الفلسطينيين جرى مسحها من فوق الارض. إذاً كما أشرت في البداية فإننا كلبنانيين وفلسطينيين شربنا سوياً من الكأس نفسها وقاتلنا معاً القتال المشرف الذي لم يكن دفاعاً عن لبنان أو عن فلسطين وإنما كان دفاعاً عن الأمة العربية من المحيط إلى الخليج. ولقد أعطينا معاً بهذا القتال المشرف أملاً جديداً للجماهير العربية من حيث اننا أثبتنا انه ليست التكنولوجيا وحدها التي تمكننا من الانتصار على العدو الصهيوني، فبالرغم من تقدّم التكنولوجيا يبقى أن الثبات والقتال ومقارعة العدو، كما حصل طوال 88 يوماً في ملحمة بيروت، من شأنها أن تؤدي إلى النتيجة نفسها التي تقود الى النصر، وأنا قلّت هذا الكلام في مؤتمر قمة فاس عندما خاطبت الملوك والرؤساء العرب وقلّت لهم إنهم أضاعوا فرصة تاريخية يحدث معها لأول مرة أن ثماني فرق ونصف الفرقة من قوة إسرائيل مشغولة على الجبهة اللبنانية، مشغولة في محاصرتنا، وبالمناسبة تحضرني الآن كلمة للرئيس الراحل جمال عبد الناصر، شهيد أمتنا العربية رحمه الله، عندما قال لي: «أنا مش طالب منك أكثر من أنك تشاغل لواء، مش طالب من الثورة الفلسطينية أكثر من مشاغلة لواء إسرائيلي...» تذكرت هذا الكلام وتذكّره إخواني معي أثناء الحصار ونحن نواجه ثماني فرق ونصف ناهيك عن الطيران والبحرية الإسرائيلية وأثبتنا بما لا يدع مجالاً للشك أنه بالإرادة والإيمان وأمام التضحية ليس من شيء يمكن أن يعترضنا. ولذلك قلّت لهم في مؤتمر قمة فاس: «أضعتم فرصة تاريخية» لأنه عندما يكون ثلاثة أرباع الجيش الإسرائيلي وكل الطيران وكل البحرية في مواجهة الثورة الفلسطينية وحلفائها اللبنانيين وحدهم يكون الطريق إلى القدس مفتوحاً، ومع ذلك قلّت لهم أيضاً في قمة فاس إنه على رغم ذلك فإن الفرصة لم تضع فأمامنا إمكانية اشعال حرب إستنزاف ونحن كثورة فلسطينية وحركة وطنية لبنانية قمنا بحرب إستنزاف إعترف بها العدو بعد ذلك وإعتبرها مكلفة جداً وهي التي أجبرته على إعادة توزيع قواته والإنكماش بها إلى الخلف، إلى نهر الأولي، بل وهي التي أدت إلى إستقالة بيغن، وهي التي أدت قبل ذلك إلى إنتهاء شارون، وهي التي أدت أيضاً إلى إستقالة الكسندر هبغ، والآن للأسف لولا ما يحدث للثورة الفلسطينية من مشاكل لكانت النتيجة أروع بكثير مما نراها. وأعود فأقول إن هذا الشعب الذي أعطى كل هذا العطاء مع الشعب الفلسطيني، القوات المشتركة اللبنانية - الفلسطينية التي أعطت كل هذا العطاء من حقها على الأمة العربية أن تقف معها في هذه المحنة الدائرة الآن، فأنا أعتبر أن هناك مؤامرة إسرائيلية - أميركية متورط فيها بعض الأطراف العربية هدفها التقسيم، تقسيم لبنان، تمهيداً لبلقنة المنطقة. وهذه هي الكارثة وأنا منذ خرجت من لبنان، بل وأثناء الحصار، وقبل الحرب وأنا أقول إننا مقبلون على تغيير في الخارطة السياسية للمنطقة العربية، وقلّت إننا مقبلون على بلقنة للمنطقة، وقلّت إننا داخلون إلى نفق مظلم، قلّت هذا كله ولكن طائر الحي لا يشجي فرعاً... في ضوء ذلك أنا مستعد أن أضع كل إمكانياتي كقائد للثورة الفلسطينية من أجل وقف التدهور ومن أجل مواجهة مؤامرة التقسيم في لبنان .

«التضامن»: مثل هذا الكلام الذي تفضلت به يعني بالنسبة للشعب اللبناني والشعب العربي، الشيء الكثير، إنه يعني الأمل، فإذا طلبنا بعض الإيضاح والتفصيل عما ذكرته بشأن إستعدادكم للعمل على وقف التدهور في لبنان بماذا تجيبنا؟

أبو عمار: أولاً لا يجوز أن يكون في لبنان غالب ومغلوب، وقد قلّت هذا الكلام ولكن يبدو أنه فهم خطأ لأن بعض القوى تعاملت على أساس أن خروجنا من بيروت يعني أن حلفاءنا هم المغلوبون وهذا التعامل كان بمثابة الخطيئة، ولذلك يجب أن يجتمع اللبنانيون من دون قاعدة غالب ومغلوب. وأريد هنا التذكير أنه قبل دخول القوات السورية إلى لبنان وصلنا إلى صيغة من 14 نقطة، حظيت بموافقة جميع الأطراف. ولكن إن

الذي كان يحرك الأمور في ذلك الوقت كان يريد أن يصل إلى ما وصل إليه لبنان، أي إلى التقسيم مروراً إلى بلقنة المنطقة. وأكرر إنني أقرع الجرس... أقرع الجرس وأقول اللهم إشهد فإنني قد بلغت. وتكراراً، وتكراراً أقول إنه ليس من حل للبنان إلا بحوار وطني موسّع يشارك فيه الجميع على قدم المساواة ومن دون عقدة غالب ومغلوب في الماضي، ولا غالب ولا مغلوب في الحاضر... المطلوب إنقاذ. والمطلوب موقف واحد لكل اللبنانيين للوصول إلى الحل وإلا سيبقى الإسرائيليون هناك ولن يخرجوا. وسيبدأ التقسيم و«الكانتونات» و... الخ .

وهذه مناسبة لأن أناشد كل إخواني الذين قاتلت معهم وسأقاتل معهم، كي يعوا جميعاً هذا الخطر الجاثم على صدورنا الآن وفي هذا الزمن العربي الرديء.

«التضامن»: هل إن ما حصل في حركة «فتح» هو جزء من هذه المؤامرة أم أنه حدث بصورة عفوية؟

أبو عمار: عفوية؟ لا. لا. المؤامرة واضحة. إنها محاولة خارجية للسيطرة على حركة «فتح» وشق الثورة الفلسطينية، ولكن بحمد الله فشلت المؤامرة وأنا أطلق عليها اسم «طلق في الریش» أي رصاصة أصابت الریش. صحيح أنها أتعبتنا من حيث أن وراء المحاولة كانت هناك قوة عربية فاعلة ومؤثرة عسكرياً وجغرافياً وسياسياً. الليبيون لا يخفون إشتراكهم في المحاولة، والسوريون إشتراكوا في بعض المواقع، وفي بعض المواقع قاموا بالمحاولة بأنفسهم، وبعض مواقعنا حاصروها. والآن أكثر من أي وقت مضى نفهم أن ما يحدث في جبل لبنان ثم ما يحدث لنا في البقاع هو شيء مترابط مع بعضه، الهدف منه ضرب الثورة الفلسطينية، وأنا أريد أن أقولها واضحة وسجلها عليّ، بدأت الأحداث تكشف أنه على رغم أن ظننا كان ثقیلاً في لبنان إلا أننا كنا عامل توحيد للأرض والشعب... أدرك كيف إنني ذهبتُ إلى طرابلس قبل الحرب ووصلتُ إلى إتفاق بدخول الجيش اللبناني إلى طرابلس، والشيء نفسه كان سيحدث في الجنوب بإتفاق مع المراجع الدينية وبالذات المراجع الدينية الشيعية التي وصلنا معها إلى إتفاق بدخول الجيش اللبناني إلى الجنوب، هذا بالنسبة للأرض وفي الوقت نفسه كنا نمثّل لحمة بالنسبة لمختلف الأطراف اللبنانية.

كنا، إذاً عامل توحيد، لماذا؟ ليس السبب «فذلكة» في الثورة الفلسطينية... ولكن لأنه ليس من مقاتل في الثورة الفلسطينية يستطيع أن يكون غير وحدوي، فهو يعرف أنه من دون الوحدة العربية لا يستطيع أن ينتصر. الوحدة إذاً جزء من أيديولوجية القتال والجهاد داخل الثورة الفلسطينية.

«التضامن»: ما هو المقصود بـ «الظل الثقيل»؟

أبو عمار: المقصود أنه ظل الموت لأننا يجب أن نسلّم بأن إخواننا اللبنانيين لم يشاركوا إلا في الضراء... لأنه أصلاً لم يكن هناك سراء نتقاسمه فإشتركنا فقط في الضراء.

وعلى ذكر السراء والضراء أليس عجباً أن يكون هنا عندي الآن إنذارات إسرائيلية وأميركية وعربية أيضاً؟؟ القوات الفلسطينية الآن موجّه إليها إنذارات أميركية وإنذارات إسرائيلية.. وأيضاً إنذارات عربية. هل هذا كلام؟؟ هل هذه هي صناعة المجد والتاريخ؟ صحيح أن مثل هذا الواقع ليس هيناً... واقع له ثمن... ولكن بعد كل هذه «الدوخة» نجد أن الإنذارات موجهة إلى الثورة الفلسطينية... إلى القوات الفلسطينية. في الـ 96 ساعة الأخيرة الإنذارات موجّهة إلى القوات الفلسطينية فقط، وقبل 15 يوماً وصلنني إنذارات عربية، هل يُعقل هذا الكلام؟ من حقي أن أعلن هذا إلى جماهير أمتي العربية... طيّب وماذا بعد؟ هل تتركني الجماهير العربية أتلقي الإنذارات الأميركية والإسرائيلية والعربية وتقول لي إذهب أنت وربك فقاتلا؟

هناك غيرنا يقاتل فوق الأراضي اللبنانية، لماذا الإنذارات إلينا فقط؟ لأنهم يعرفون أين مكنم الخطر على مصالحهم. يريدون التقسيم وهم يعرفون أن هذه الثورة الفلسطينية هي عامل التوحيد ولذلك لا بد من التركيز

عليها عسكرياً ثم إعلامياً ثم بالإنذارات. أينما تلفتُنا هناك إنذارات علينا.

«التضامن»: هناك سؤال يردده البعض من حين لآخر حول وضع الجيل الثاني في حركة «فتح».

أبو عمار: سأعطيك جواباً عملياً، من هنا، أنظر إلى الرائد الشاب «صقر» الواقف أمامك (كان من ضمن بعض الأشخاص الذين شاركوا في الجلسة). هذا الرائد دخل صفوف الثورة شبلاً وهو اليوم يحمل رتبة رائد بعد أن تخرج من أرقى المعاهد في الإتحاد السوفياتي ويوغسلافيا والجزائر وبعد أن فقد أيضاً إحدى عينيه أثناء التدريب... هذا هو الجيل الثاني في «فتح».

«التضامن»: مطلوب مزيد...

أبو عمار: تريد جواباً أكثر تفصيلاً، حسناً أحدثك عن الجيل الثالث، أشبال الـ «آر. بي. جي». الذين أخافوا إسرائيل وأسماهم الإسرائيليون أطفال الـ «آر. بي. جي».. هؤلاء الأطفال الذين تصدوا للآلة العسكرية الأميركية الإسرائيلية واستطاعوا أن يعيدوا للأمة العربية شيئاً من وهج السلف الصالح. وهذا الكلام لا أقوله من عندي بل إنني أرجو أن نقرأ ما كتبه الإسرائيليون عن هؤلاء الأطفال. الجيل الثاني هو

الذي يقود الآن الجيل الثالث. والجيال الثلاثة تقاتل.

«التضامن»: وأين تقف الثورة الآن؟ من سيققق مهمة التحرير، الجيل الثالث أم الرابع؟

أبو عمار: الأجيال الثلاثة أو الأربعة معاً... أنا أرى النصر كما أراك أمامي. أعطيك مثلاً، تذكر أن شارون عندما نفخ أوداجه وقال في لحظة من اللحظات، بعد أن إتفق مع هيغ على تلك الخطة الجهنمية، إنه يحتاج للقضاء على الثورة الفلسطينية ما بين 48 ساعة إلى ثلاثة أو خمسة أيام على أقصى تقدير، ثم جاء إيتان فقال إنه لا يحتاج إلا إلى أكثر من 48 ساعة لكي يصل إلى مقر القيادة ويضعنا جميعاً في شباك الأسر ويأخذنا أسرى. أين شارون وأين إيتان وأين هيغ؟ كلهم ذهبوا وبقيت الثورة الفلسطينية... بل إن بريزينسكي في يوم من الأيام قال انه سيقضي على الثورة الفلسطينية ولكنه ذهب وبقيت الثورة. تخيل بعض العرب أنهم إذا خلقوا لنا مشكلة فإنهم سينجحون في التخلص منا خلال أسبوعين أو ثلاثة أسابيع. أين هذا التخيل من حقيقة أن قواتنا المحاصرة في البقاع منذ ثلاثة أشهر ونصف تشترك على رغم الحصار في كل العمليات العسكرية ضد العدو الصهيوني بما فيها العمليات التي تمت أمس، ثلاث عمليات في العقبة والنبطية وفي صور. أليس هذا إعجازاً من ثورة محاصرة في هذا الزمن العربي الرديء.



صورة نادرة تنشر للمرة الأولى ويبدو فيها أبو عمار مصوباً سلاحه بينما جلس إلى يمينه الرئيس علي عبدالله صالح والصورة التقطت في اليمن

ثم أن المؤتمر الذي عُقد في جنيف هو أكبر برهان على قوة هذه الثورة. السويسريون يتحدثون عن المؤتمر بإعتباره أكبر مؤتمر تشهده بلادهم منذ جاءت الأمم المتحدة إلى جنيف. قالوا لي هناك إنهم يتذكرون مؤتمراً كبيراً عقد في جنيف ولكنه لم يكن بحجم مؤتمر فلسطين الذي شاركت فيه 139 دولة من أصل 152 دولة عضو في الأمم المتحدة. 104 منظمات غير حكومية، بالإضافة إلى الضيوف. كل هذا يعكس إهتمام العالم بهذه القضية في الوقت الذي تواجه فيه الثورة الحصار والتهديد ويأتيها كل هذا العدد الضخم ويخرج بيان مؤتمر جنيف متضمناً البنود التي أشرت إليها في خطابي. هذا لا يأتي صدفة بل يحدث لأن لهذه الثورة جذورها الفلسطينية والعربية والدولية.

وهناك أيضاً الإستفتاء الذي حدث داخل الأرض المحتلة عندما تضايقتنا ووقع علينا الحصار من إخواننا.. من أحبائنا السوريين، جاءنا المدد من الجماهير التي خرجت في الأرض المحتلة تقول: نعم لمنظمة التحرير الفلسطينية. الإستفتاء الذي تم بعد ذلك بين هذه الجماهير أعلنته "حتى الصحف الإسرائيلية وقد جاء فيه إن 92% ونصف في المئة قالوا نعم لمنظمة التحرير الفلسطينية وخمسة بالمئة لم تعط رأياً و2 ونصف بالمئة قالوا آراء مختلفة... إحنا ما عندناش 99.99 بالمئة على فكرة.

وفي الوقت نفسه أنظر إلى المأزق الذي وصل إليه العدو. هو مأزق ليس هيناً. مظاهرات ضد الحكومة، وحالة إكتئاب يعاني منها بيغن، وشارون يُتهم بأنه الذي أدخلهم إلى المستتقع. أنظر إلى ما يحدث داخل المجتمع الإسرائيلي وما يحدث داخل القيادات الإسرائيلية. أليس بيغن هو الذي قال انه سعيد لأنه يملك في مكتبه صورة أبو عمار وهو يغادر بيروت... أين هي سعادته الآن؟ سأروي لك قصة، حدث أثناء الحصار أن جاءني موفد قال إنه يحمل رسالة من شارون وهي بإختصار إنني إذا رفعتُ العلم الأبيض في صباح اليوم التالي فوق برج المر فسوف تكون هناك شروط من جانبه أفضل من الشروط التي أعطاها الإنكليز للقائد الأرجنتيني في جزر الفولكلاند.

قلت لحامل الرسالة هل ترى هذين الضابطَين، وهما إثنان من الضباط كانا معي، أعلم انني علمتهما شيئاً واحداً وهو انهما مطالبان بأن يكملا المشوار من بعدي. قل لـ شارون ألا يحلم بإنتصار الإنكليز في الفولكلاند وأن أحلامه سوف تتحطم على أسوار بيروت. وأنا أنتظره هنا وإذا وصل عليه ألا يوفرنى.

هناك أناس تواجه زيادة الضغط بالدخول في لعبة التوازنات. وهؤلاء هم الذين دخلوا الثورة بإعتبارها مغنماً، فعندما يحدث الضغط هناك من يحفظ توازنه، وهناك من يفقد توازنه. وهناك بعض القيادات العربية التي تعتقد أننا جننا كما جاؤوا هم. لا... إطلاقاً. هذه الثورة لا تستمر بمجرد قائد أو قيادة، هذه الثورة أمواج جماهير شعبنا الفلسطينية والعربية، وأنا عمري ما قلت «الثائر الفلسطيني» بل أقول «الثوار في الثورة الفلسطينية» لأنها ثورة تضم كل الأحرار والشرفاء في أمتنا العربية. وليس صدفة ان جين كيرباتريك مندوبة أميركا في الأمم المتحدة توجه اليوم السباب إلينا وتتحجج بالتدخل الفلسطيني في اميركا الوسطى. مجرد العلاقة التي تربطنا بأصدقاء في أميركا الوسطى يعتبرونها تدخلاً.

قبل سنة زعموا أننا إنتهينا إلى تسعة معسكرات وسمونا باللاجئين الجدد ولكنني قبل شهر فقط أشرفت على تخريج أشبال مظللين في منطقة (تبسة) وهذه هي صورهم... ثلاثمائة شبل مظلي.

«التضامن»: إلى أي مدى تعلّقون الآمال على القمة العربية المقبلة في الرياض وما الذي تطلبه منها؟ أبو عمار: للأسف أنا لا أعلّق عليها كبير أمل. أنا اتمنى ولكنني لا أعلّق أملاً كبيراً. ففي قمة فاس حدث إجماع عربي بحضور كل القادة ولكن الخلاف العربي مزق القمة ومزق الإجماع. للأسف نحن نعيش الزمن العربي الرديء. وهنا من حقي أن أوجه كلمتي إلى الجماهير العربية: كفى نوماً... كفى نوماً ويجب أن تتحرك

هذه الجماهير لمواجهة هذا الزمن العربي الرديء. إلى متى يترك الفارس الفلسطيني وحيداً... وهل يُعقل أن تنهال عليّ الإنذارات في خلال 48 ساعة ولا يتحرك أحد وكأنه لم يحدث شيء؟ وهل يُعقل أن يجتمع مجلس الجامعة العربية على مستوى المندوبين ولبنان يمر بمحنة التقسيم والبلقنة... هل يُعقل ألاّ ينعقد مجلس الدفاع العربي المشترك على الأقل؟ أو وزراء الخارجية، وكأن ما يحدث في لبنان يحدث في الاسكيمو... إذاً هناك خلل مطلوب من الجماهير العربية أن تصلحه وأنا مضطر إلى أن أخاطب الجماهير العربية مباشرة بعد أن أعيتني الحيلة.

«التضامن»: هل تنوون زيارة الأمم المتحدة؟

أبو عمار: تلقيت الدعوة من رئيسة وزراء الهند السيدة أنديرا غاندي بناء على ما إتفقنا عليه في نيودلهي أثناء قمة عدم الانحياز بأن يحدث إجتماع لمن يتمكن من قادة دول عدم الانحياز مع عدد من قادة الدول الأخرى ونحن ندرس في القيادة الفلسطينية ما إذا كنا سنلبي الدعوة. طبعاً الإشتراك بالنسبة لي ليس فقط إرادة فلسطينية لأن هناك إجراءات لا بد أن تقدّمها الحكومة الأميركية بالنسبة لي مثل الإجراءات التي قدمتها الحكومة السويسرية عندما إنعقد مؤتمر فلسطين في جنيف ومثل الإجراءات التي قدمتها الحكومة الأميركية عندما زرت الأمم المتحدة في العام 1974.

«التضامن»: أين ستؤدي صلاة عيد الأضحى المبارك؟

أبو عمار، مع المقاتلين إن شاء الله.

نُشر الحوار في مجلة «التضامن»

بتاريخ 24 سبتمبر/أيلول 1983

مقابلة مع الرئيس ياسر عرفات (2)



لقاء مع أبو عمار "عميد الصابرين العرب"



منذ خمس عشرة سنة وأنا من الحريصين على التمسك بتقليد أعتز به وهو زيارة عميد الصابرين العرب ياسر عرفات عندما تحل الذكرى السنوية للولادة الثانية للثورة الفلسطينية.

وفي العادة ان الزيارة السنوية تكون للراجلين، إلا أن زيارة الأخ أبو عمار كانت بالنسبة إليّ، وما زالت، وفي المناسبة التي أشير إليها، هي زيارة إلى رمز القضية الباقية... بل القضية الأبقى.

وأذكر زيارات كثيرة قمت بها لعميد الصابرين العرب في بيروت والقاهرة وتونس في أعقاب غارات وإعتداءات وإفتراءات، بعضها إسرائيلي وبعضها عربي، على قيادة ياسر عرفات للعمل الفلسطيني، وكنتُ أخرج بإنطباع أن هذا القائد المتميز يتألق بعد أن تتسع رقعة التحدي له، وكلما إتسعت رقعة التحدي إزداد هو تألقاً.

كذلك كنتُ أدخل مقر أو مكان إقامة أبو عمار وفي تصوري إنني سأجد أمامي قائداً أضنته المطارادات وحالات التآمر والإنقسام، ثم يتبين لي أنه جاهز للمزيد من الصمود، وقادر على أن يوظف براعته في التكتيك في إفشال الخطط والمخططات والمكائد.

وأعترف بأن الأخ أبو عمار بهرني في لقائي الجديد معه يوم الإثنين (5 كانون الثاني - يناير 1987) في مقر إقامته في بغداد. فقد توجهتُ إلى الدارة المخصصة لإقامته في العاصمة العراقية لتقديم واجب التهئة له بالذكرى الجديدة للولادة الثانية للثورة الفلسطينية. وبعدما ألقى التحية على عدد كبير من قيادات حركة «فتح»، وأعضاء اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية، وسمعتُ من التعليقات من معظمهم ما يراوح بين الغضب والعتب لأننا في «التضامن» أفردنا، ومن منطلق حُسن النية، بضع صفحات للأخ أبو الزعيم، أحدث الخارجين على قيادة عرفات، يروي فيها لماذا إنشق وما هي أفكاره.. إنني بعدما ألقى التحية

وسمعتُ التعليقات الكثيرة المتنوعة فوجئتُ بالتصرف الكثير للباقة الذي إعتدته الأخ أبو عمار بعدما إنضم إلى الجلسة التي كانت في إنتظار قدومه. فهو تجاوز المسألة وأبقى على تقليد التهنة في منأى عن المعاتبة وإداء مشاعر الغضب.

ثم بهرني الأخ أبو عمار مرة أخرى في اليوم التالي عندما توجهتُ إلى مقر إقامته لإجراء هذا الحديث معه يرافقتني الزميلان إبراهيم البرجاوي مدير مكتب «التضامن» في بغداد وعامر مطر والزميل الصديق حسن الكاشف. ولقد بهرني عندما إرتأى أن يكون الحديث مباشرة في المسائل الإستراتيجية مكتفياً بالنسبة إلى ظاهرة أبو الزعيم وحديثه المطول في «التضامن» بالقول: «مسيلة الكذاب خرج عن الإسلام. وما أكثر المنافقين على طريق الثورات. وما أكثر الديدان العالقة على طريق الثورات. وكل ثورة تغلق بها ديدان. إن أبو الزعيم وغير أبو الزعيم، من الذين خرجوا، لم يخرجوا عن طاعتي، وإنما خرجوا عن الخط الوطني، وخرجوا على الثورة، وعلى شعبهم. ولا أعتقد أن هنالك بين الشعب الفلسطيني من يهمله رأي أبو الزعيم بإستثناء الذين يشاهدون التلفزيون الإسرائيلي وشاهدوا صورة أبو الزعيم التي أرسلها إلى إدارة هذا التلفزيون طالباً أن يتم عرضها بدل الصورة القديمة الموجودة عندهم، أو الذين شاهدوا صورته في المؤتمر الصحافي لمدوبه في روابط القرى الجديدة في الأرض المحتلة».

وبهرني الأخ أبو عمار أيضاً وأيضاً عندما قال إنه على رغم ما يفعله الحُكم السوري به وعلى رغم المشاكل الكثيرة بينه وبين هذا الحُكم فإنه مع سوريا في أزمتها مع الحكومة البريطانية.

كان وجه أبو عمار مرتاحاً عندما إستقبلنا. فهو أنجز إجتماعاً مثمراً للجنة التنفيذية. وهو تلقى عنبر الهاتف وجهاز «الفاكس» تقارير ومعلومات مهمة تتعلق بالتحرك السياسي في المرحلة الراهنة. وهو أيضاً إستقبلنا بعد قيلولة أتبعها بكأس من الشاي المحلي بالعسل الصافي. وهو، وهذا هو الأهم، يعيش وهج ذكرى جديدة للإنتفاضة الثانية للثورة الفلسطينية، فضلاً عن أنه في بغداد ينأى عن العيون وملء جفونه.

قلت: لقد إعتدنا على أن نردد عبارة «لعبة الأمم» خلال الحديث حول التآمر الذي تتعرض له أمتنا. ثم ها هي «لعبة الثورات» تبدو أكثر إثارة وأكثر دموية. ونود أن نسأل الأخ أبو عمار: هل في إمكان هذه اللعبة.. «لعبة الثورات» أن تستمر بعدما إستطلعت، بالتكتيك أحياناً وبالإستراتيجية عموماً، تعطيل المخططات التي يرسمونها. هذا مع الأخذ في الإعتبار أنك تخسر في عملية التعطيل كثيراً إلا أنهم لا يربحون أبداً؟

وأجاب: إن القضية الفلسطينية هي عنوان أزمة الشرق الأوسط. وكل القضايا الأخرى، سواء كانت مهمة أو غير مهمة، تفرعت عن القضية المركزية الوطنية التي هي القضية الفلسطينية، والتي هي لب الصراع في الشرق الأوسط بين أمتنا العربية وبين الغزاة على إختلاف أسمائهم، سواء كانوا التتار الذين أتوا من الشرق عبر بغداد بعد أن إقتحموا بغداد، أو كانوا الصليبيين الذين أتوا عبر إنطاكية بعدما إحتلوها، أو كانوا الإنكليز الذين أتوا من مصر بعدما إحتلوا مصر. اليوم يقوم الصهاينة بالغزوة الجديدة تحت إسم جديد هو الصهيونية العالمية وليس اليهودية التي هي منهم براء.

ومن أجل ذلك فإنه ليس في إستطاعة أي مناضل في المنطقة أن يتخطى القضية المركزية، التي هي القضية الفلسطينية، وليس في إستطاعة أي سياسي في منطقتنا أن يتخطى القضية المركزية التي هي القضية الفلسطينية، وليس في إستطاعة أي عسكري أن يغفل عن القضية المركزية التي هي القضية الفلسطينية. ومهما إستمرت المحاولات لتجاهل الرقم الفلسطيني ولا أقول (الكارت) الفلسطيني فإن هذا الرقم لن ينتهي. وأنا كمهندس أقول إن هذا الرقم صعب، وصعب جداً.

إن المؤامرة الآن هي محاولة جعل الأمة العربية تنسى قضيتها. وأتذكر الآن إنني عام 1974 كنت أزور الرئيس اليوغسلافي تيتو وقال لي إنه قبل أن أزوره بثلاثة أيام كان الدكتور هنري كيسينجر عنده وانه - أي كيسينجر - قال له إن قرارات قمة الرباط جعلت حساباته ترتبك، وإنه ليس أمامه لكي يعيد الإمساك بالأمور سوى «فتمة الحرب» أو «تعريب الحرب» لإقلاق المنطقة، أي أنه بدل أن يكون الصراع فلسطينياً، يكون عربياً - صهيونياً، وأن تكون القضايا عربية - عربية أي تكون هنالك قضية فلسطينية - لبنانية، ولبنانية - سورية، وسورية - عراقية، وعراقية - أردنية، وأردنية - مصرية، ومصرية - سعودية - وسعودية - ليبية، وليبية - تونسية، وتونسية - جزائرية، ومغربية - ليبية، وجزائرية - مغربية، وسودانية - مصرية. وهكذا.

تلك هي المؤامرة التي تجري في المنطقة. وليس من قبيل المصادفة أنه عندما كانت الأمة العربية خارجة من نصرها الكبير من خلال حرب تشرين الأول (أكتوبر) التي إستطعنا أن نتوازن فيها مع العدو الإسرائيلي حدث التآمر الذي إستهدف إقلاق المنطقة من خلال «تعريب الحرب». ولو تأملنا في أحوال منطقتنا الآن لرأينا أن ما توعده به كيسنجر وأمام المارشال تيتو قد تحقق. ففي المنطقة أربع حروب وبضع مشاكل. في شمال أفريقيا هنالك مشكلة الصحراء بين الجزائر وموريتانيا وليبيا والمغرب. وهنالك مشكلة تشاد مع ليبيا. وهنالك في جنوب السودان من يهدد بالإنفصال. ولنتذكر بدقة ما حدث في عدن. وهنالك الحرب العراقية - الإيرانية، وكذلك الكارثة المدمرة المستمرة في لبنان، ثم القضية الفلسطينية. وهكذا فإنه بدلاً من وجود مشكلة واحدة هنالك سبع مشاكل وحروب لكن تبقى القضية الفلسطينية هي القضية المركزية التي لا يستطيع أي قائد سياسي أو عسكري أن يتجاهلها، وهي أيضاً القضية التي تحاول الولايات المتحدة وإسرائيل إلقاء الظلال عليها بغرض الزرع في عقول العرب مفهوماً صعب الزرع يقوم على جعل إسرائيل تبدو كما لو أنها أمر طبيعي، وأنها ليست مشكلة طارئة على المنطقة، وإنه في ضوء ذلك من السهل التعايش معها، أو فلنقل من الممكن التعايش معها. وقد يكون من المهم التذكير هنا بالوثائق التي حصل عليها الكاتب الهندي كارانجيا من الرئيس (الراحل) جمال عبد الناصر، الذي كان حصل عليها بدوره من حقيبة الجنرال سمحون أحد الضباط الكبار الذي سقطت طائرته في حرب سيناء عام 1956 والذي كان حصل على الوثائق من حلف الأطلسي.

وتشير هذه الوثائق إلى أنه بعد إنهيار حلف بغداد، فإن هدف إسرائيل والإمبريالية الأميركية كان إخراج مصر من حلبة الصراع. وإستطاعوا إخراج مصر عبر مؤامرة كامب ديفيد. أما المنطقة الشرقية - وهذا هو التعبير الذي إستخدمه كارانجيا - فإن الهدف كما تشير الوثائق كان تقسيمها دويلات طائفية تسهل السيطرة عليها. وما يحدث في لبنان حالياً هو الصورة المصغرة لذلك. إن لبنان هو حقل التجارب الذي يحاولون فيه إنشاء «كانتونات» طائفية، وصولاً إلى إنشاء الدويلات الطائفية في المنطقة، وصولاً إلى بلقنة المنطقة على أسس طائفية.

وبما إننا منطقة فيها 73 من فِرَق الإسلام و29 فرقة من فِرَق المسيحيين، فإن ما يتم التخطيط له وإختباره في لبنان معناه القضاء على الأمة. وأجد نفسي أردد هنا قول الشاعر أحمد شوقي

«الدين للديان جل جلاله

لو شاء ربك وحد الأديان».

كذلك أجد نفسي أقول إن دولاً كبرى مثل الاتحاد السوفياتي والصين وأوروبا والهند تتعايش فيها الأديان واللغات والأجناس ضمن إتفاقات ونظم وديساتير. ويبدو أن الأمة العربية مطلوب تقسيمها لكي تسهل السيطرة عليها كونها أهم منطقة إستراتيجية في العالم، حيث إنها ملقاة قارات أفريقيا وآسيا وأوروبا ومن يسيطر على

هذه المنطقة يسيطر على بوابة العالم. وهذا ليس كلاماً منمقاً وإنما يمكن أن نراه بوضوح في كتب التاريخ والجغرافيا والإستراتيجية.

جامعة القدس في الخرموم

قُلت: اللافت للإنتباه أن «جامعة القدس في الخرموم» و «جامعة القدس المفتوحة» قد تم حسم أمرهما في مناسبة الذكرى الثانية والعشرين للولادة الثانية للثورة الفلسطينية. هل معنى ذلك أن الثورة ستتهتم بعد الآن بالعلم والتعليم بدلاً من العمل الثوري والتدريب على السلاح؟ وإلى ذلك هل أن «جامعة القدس في الخرموم» ستكون للجميع ولماذا إختيار الخرموم بالذات مقراً للجامعة، أي في نقطة بعيدة جداً عن القدس وحدود فلسطين؟ وهل ستعنى بالعلوم أم الآداب؟ وأجاب: «جامعة القدس المفتوحة» فكرة قديمة وقد سبقنا إلى اعتمادها آخرون مثل بريطانيا والهند والصين وهي مفتوحة لكل أبناء الأمة العربية وكل الأصدقاء.

أما «جامعة القدس في الخرموم» فإن الاتفاق في شأنها تم قبل حوالي سنة بيني وبين الفريق سوار الذهب ورئيس وزراء المرحلة الإنتقالية في السودان الدكتور الجزولي دفع الله، ثم تأكد بعد الإنتخابات في السودان مع رئيس الوزراء الصادق المهدي الذي تفاهمنا معه على إستمرار ما تم الإتفاق في شأنه مع الرئيس سوار الذهب. ولقد إتفقنا أيضاً على أن تكون هذه الجامعة الفلسطينية - السودانية مفتوحة للفلسطينيين والسودانيين وللعرب والأفارقة، وشددنا على أن تكون هذه الجامعة منبراً علمياً نطل من خلاله على قارة أفريقيا العظيمة والصديقة. أما لماذا الخرموم، فلأن إخواننا وأحباءنا في السودان وافقوا على فتح الجامعة عندهم في حين أن دولاً أخرى كثيرة لم توافق. ولقد بقينا سنوات طويلة نبحث عن مكان لهذه الجامعة وذهبنا حتى إلى قبرص ومالطا لهذا الغرض ولكننا لم نوفق إلى أن وجدنا الصدر الرحب لدى إخواننا السودانيين الذين وافقوا على أن نفتح الجامعة في الخرموم وللمناسبة نحن عندنا 126 ألف طالب جامعي موزعين على كافة معاهد التعليم في القارات الخمس من الفليبين واليابان وحتى آخر ولاية في أميركا الشمالية وأميركا الجنوبية. وعندما وجد المجلس الأعلى للجامعات الفلسطينية إننا نحتاج إلى اقامة جامعة من طراز جديد فإننا إختارنا «جامعة القدس» التي سيتم إنشاؤها في الخرموم والتي سيكون التركيز فيها على التكنولوجيا والعلوم الحديثة والكومبيوتر.

قمة الكويت.. قمة المعتدى عليهم

بعدما تمنيت أمام الأخ عمار ألا تصبح «جامعة الخرموم في القدس» هدفاً لإسرائيل خصوصاً أن هذه الجامعة ستتهتم بالتكنولوجيا والكومبيوتر ويتخرج منها طلبة قد يصبحون علماء، قُلت له: نود ونحن على أبواب إنعقاد القمة الإسلامية في الكويت أن نسمع رأيك في الأمور الآتية: أولاً - هل توافقنا على إعتبار قمة الكويت في حال إنعقادها - ستكون قمة المعتدى عليهم؟ ثانياً - هل أنت خائف على هذه القمة بمعنى أنها ربما لا تنعقد في اللحظة الأخيرة وهل ترى إن المخاطر قد زالت عنها؟

ثالثاً - ما الذي يتضمنه الملف الفلسطيني إلى تلك القمة؟

وأخيراً، هل تشعر أنك في قمة إسلامية ستكون أقوى شأناً مما لو أنك كنت في قمة عربية، على أساس أن لك عمقاً أيديولوجياً إسلامياً يحظى بالتأييد ونكاد نقول بالإلتفاف الإسلامي حولك بدلاً من بعض الإلتفاف العربي عليك أو محاولة الإلتفاف الدؤوبة من جانب البعض؟

أجاب: هذا التحليل الذي أوردته بصيغة أسئلة ليس دقيقاً من وجهة نظري. وأنا سأجيب عن الأسئلة بدءاً

من السؤال الأخير. وما يمكن أن أقوله في هذا الشأن هو أنه ليس لدينا ما نشكوه من أمتنا العربية. إننا جزء من هذه الأمة، لها علينا بقدر ما لنا عليها. وليس من قبيل المصادفة أن الأمة العربية إستجابت لنا هذا العام ولبت دعوتنا إلى إجتماع وزراء الخارجية ثلاث مرات وذلك لبحث موضوع الإعتداء على المخيمات في لبنان كما أن لجنة سباعية تشكلت لمتابعة هذا الموضوع.

لقد إجتمع وزراء الخارجية في شهر تموز (يوليو)، الماضي، ثم في شهر تشرين الثاني (نوفمبر) الماضي ثم إجتمعوا مرتين في شهر كانون الأول (ديسمبر) الماضي. ومثل هذه الإجتماعات تحملني على القول انه ليس لدينا ما نشكوه من أمتنا العربية التي وقفت معنا في السراء والضراء. بل إنني أضيف فأقول الحمد لله إن الثورة الفلسطينية قوية لأن أمتها العربية تعطيها. أموالنا من الأمة العربية. وسلاحنا من الأمة العربية. والإنجازات السياسية التي حصلنا عليها من العالم حدثت بعدما إعترفت بنا الأمة العربية في قمة الرباط باننا الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني، وبسبب هذا الإعتراف حصلنا على عضوية مراقب في الأمم المتحدة، ثم العضوية الكاملة في الجامعة العربية، فالعضوية الكاملة في كتلة دول عدم الإنحياز، وفي منظمة المؤتمر الإسلامي، وفي بعض المؤسسات ذات الأهمية الدولية مثل الأونيسكو.

وعندما أقول إن الثورة الفلسطينية قوية بأمتها العربية، وإن هذه الأمة أعطتها الكثير، وما زالت تعطي، فهذا لا يعني أن رصيدنا في الأمة الإسلامية ليس قوياً. إن هذا الرصيد قوي والحمد لله ونعتز به. وأعتبر إن ذروة التكريم الإسلامي للثورة الفلسطينية كانت عندما تم إنتخابي نائباً دائماً لرئاسة منظمة المؤتمر الإسلامي. وهذه المنظمة لها رئيس وللرئيس نائبان ونائب دائم. ولقد تم إختيارني لأكون النائب الدائم للمنظمة التي تضم في عضويتها 64 دولة. وهذا التكريم ليس لياسر عرفات وإنما هو تكريم لفلسطين وللمسجد الأقصى.

وقد يكون من المناسب هنا الإشارة إلى أن الرصيد الإسلامي للثورة الفلسطينية والناشئ عن دعم الأمة العربية لها ليس الرصيد الوحيد، حيث أن رصيدها في مجموعة دول عدم الإنحياز قوي ومتميز وتأكدت أهمية هذا الرصيد في قمة هافانا وقمة نيودلهي وقمة هاري، كما أن رصيدها قوي جداً - وبسبب دعم الأمة العربية لها - لدى دول الكتلة الاشتراكية.

وأجد نفسي أتوقف أمام مواقف بعض دول العالم لتأكيد ما أقول به في شأن دعم الأمة العربية للثورة الفلسطينية. إن اليابان إتخذت عام 1986 موقفاً متميزاً يتمثل بإعترافها لنا بحق تقرير المصير وبأن تكون للفلسطينيين دولة. ثم هنالك اليونان وإسبانيا والنمسا التي تعترف إعترافاً كاملاً بالحق الفلسطيني. وأنا أعتبر الموقف الذي إتخذته دول السوق الأوروبية المشتركة والبرلمان الأوروبي من حرب المخيمات خطوة في منتهى الأهمية حيث أنها أشارت إلى خطورة الإعتداء على مخيمات الفلسطينيين في لبنان وذكرت بالإسم ميليشيات «أمل» و «القوات السورية الخاصة» فضلاً عن أن دول السوق الأوروبية المشتركة قررت أن تتعامل مع الضفة الغربية وغزة تعاملًا مباشراً، وهذا معناه أنها تتعامل مع الشعب الفلسطيني ومن دون أن يمر هذا التعامل من خلال سلطة الإحتلال الإسرائيلي. وعندما نلاحظ كيف أن الإحتلال الإسرائيلي يعمل من أجل عرقلة هذا القرار الأوروبي المتميز تتبين لنا أهمية القرار. وهذه المواقف هي ليست كل ما تحقّق للثورة الفلسطينية، بسبب الدعم العربي لها في الدرجة الأولى، وإنما هنالك مواقف أخرى تستحق الذكر مثل موقف إيطاليا والقرار الكثير الأهمية الذي إتخذه برلمانها والذي قضى بالإعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية. ومع أن الحكومة الإيطالية حاولت وما زالت تحاول القفز على هذا القرار، إلا أنه قرار إتخذه البرلمان الإيطالي بالأغلبية ولا يبدو أنه من السهل على أي حكومة إزاء ذلك القفز فوقه أو تجاوزه.

قلت: بعدما لاحظت أن الأخ أبو عمار توقّف عن الكلام الذي كان عبارة عن تحليل تألق فيه ولكنك لم

تقل لنا ما إذا كانت المخاطر زالت عن القمة الإسلامية وهالأئك تشاظرنا إعتبار هذه القمة - حال عقدها - هي «قمة المعتدى عليهم»؟

وأجاب: نعم إنها قمة المعتدى عليهم. إنها قمة الفلسطينيين المعتدى عليهم. وقمة اللبنانيين المعتدى عليهم. وقمة الخليجيين المعتدى عليهم بالتهديدات اليومية، وأحياناً بما هو أكثر من التهديد وأقل مما يتعرض له العراق الذي هو أيضاً معتدى عليه.

وهذه القمة يجب أن تتعد على رغم كل الوعيد وكل محاولات التعطيل. ولقد فوجئت الثورة الفلسطينية وكل الأطراف المعتدى عليها أو التي يمكن أن تتعرض للعدوان بالموقف الباكستاني الذي يطلب تغيير مكان الإنعقاد. ردي في هذه اللحظة، وقبل أن أجري الإتصالات والمشاورات في هذا الشأن، هو أنه إذا كانت مسألة نقل مكان إنعقاد القمة لأمر تتعلق بمسألة جوار الكويت من المعركة فهذا معناه ان كل دول الخليج هي في موقع الجار وتركيا في موقع الجار وباكستان نفسها في موقع الجار. إن حجة الجوار ليست مقبلة بل بالعكس إنها لنا وليست علينا.

وأكرر إنه لابد من إنعقاد القمة ولكي تشعر دول الجوار كم أن إستمرار الحرب بين العراق وإيران يشكل خطراً على الجوار في الدرجة الأولى.

نقد ذاتي لأخطاء المرحلة الماضية

قلت: أليس من الضروري ونحن نعيش وهج ذكرى الإنطلاقة الثانية للثورة الفلسطينية أن نسمع من القائد التاريخي لهذه الإنطلاقة نقداً ذاتياً لأخطاء المرحلة الماضية، وتحديدأ خطأ المساهمة الفعالة من جانب بعض قادة الثورة الفلسطينية في ضرب الجيش اللبناني وإنشاء «جيش لبنان العربي».

ثم، ألا يعتقد الأخ أبو عمار أنه على رغم كل شيء فإن قراءة متأنية لخريطة الصراع العربي - الإسرائيلي ولطبيعة التركيبة اللبنانية كانت تتوجب الحيلولة دون شق الجيش لأن التعامل معه يبقى أكثر يسراً من التعامل مع الميليشيات، خصوصاً أن المعروف عنكم أنكم تؤثرن التعامل مع الشرعيات وتفضلونها على الميليشيات؟ وإلى ذلك هل يوافقنا الأخ أبو عمار على أنه في حرب المخيمات ليس هنالك عرب يؤيدون مقاتل حركة «أمل» وفي الوقت نفسه ليس هنالك رأي عام عربي يقف بصلابة إلى جانب أهل المخيمات.. ولم يتركني أكمل سؤالي:

وأجاب: ليس من المصلحة العامة للبنان وللثورة الفلسطينية الخوض في الأحداث الماضية التي هي صفحة طويت بكل ما فيها من سلبيات وإيجابيات.

وقلت: لا أعتقد أنها طويت. إنها صفحة مفتوحة في كتاب كثير الصفحات.

وأضاف أبو عمار: وأنا لدي الشجاعة الكافية لكي أقول: إننا ارتكبنا أخطاء ولكنني أردد في الوقت نفسه قول السيد المسيح «من كان منكم بلا خطيئة فليرمها بحجر».

إن من يعمل يخطئ. ولكن قبل أن نذكر السلبيات - ولن أعددتها - علينا أن نذكر الإيجابيات وسأورد الآن واحدة لها دلالتها الكبرى. لقد حوصرت مرتين في بيروت وكان البنك المركزي ضمن المنطقة المحاصرة أنا فيها. وفي المرتين أمرت بتشكيل قوة خاصة لحماية البنك المركزي. وأنا أعتز بأنه بسبب هذا الموقف الغيور على مصالح اللبنانيين التي هي مصلحة الفلسطينيين ظل الإقتصاد اللبناني معافاً إلى أن خرجنا من بيروت عام 1982.

أما الأخطاء التي تتعلق بالتعامل مع الميليشيات فإنها كثيرة ولقد وقعنا فيها كما وقع غيرنا وكما وقعت

حتى بعض الدول. وتهمني الإشارة هنا إلى أنني إعترضتُ في قمة الرياض وفي قمة القاهرة عام 1976 على أن تبقى قوات الردع في غالبيتها سورية، وحذرتُ من مغبة ذلك، وقُلْتُ إنه إذا كان لابد من قوات ردع تعيد الأمور إلى نصابها فلنكن هذه القوات عربية بالمعنى الكامل لهذه الكلمة. والآن باتت واضحة أهمية هذا الموقف الذي لم يتمسك به حتى رئيس الجمهورية اللبنانية في ذلك الحين. وأنا عندما إعترضتُ وحذرتُ فعلى أساس أنه من غير المعقول أن يكون الرادع خصماً وحكماً في الوقت نفسه.

ما الذي حدَث بعد ذلك؟ لقد وضعت قوات الردع السورية اليد على لبنان من أجل تنفيذ ما تم الإتفاق عليه في القمم العربية وهو حماية الثورة الفلسطينية والمحافظة على وحدة لبنان أرضاً وشعباً. ولكن كم من الجرائم إرتكبت بإسم الثورة الفلسطينية. ولقد إرتكب هذه الجرائم غيرنا ورموها علينا. وأعتقد أنه عندما خرجنا من بيروت إلتضحت الجهات التي نفَّذت تلك الجرائم.

عودة إلى سؤال حول «أمل» و «فتح»

قُلْتُ: اللافت للإنتباه أنك لا تريدني أن أكمل سؤالي مع أن من شأن طُرْحه أن يأتي الرد عليه بما يوضح أموراً كثيرة.

وأجاب أبو عمار: لقد قاطعتك لأنني لم ولا أُسلم معك بهذا الكلام.

قُلْتُ: أستاذك في أن أكمل السؤال لأنني لا أطرحه من منطلق الإثارة، فأنت أعصابك كما عودتنا دائماً قوية والحمد لله. ولكنني أطرح السؤال مقتنعاً بمضمونه.

وعندما وافق أبو عمار أوردتُ طرح السؤال من جديد على النحو الآتي.

في حرب المخيمات ليس هنالك عرب يؤيدون مقاتلي حركة «أمل» وفي الوقت نفسه ليس هنالك رأي عام عربي يقف بصلابة إلى جانب أهل المخيمات.

أليست هذه المفارقة تدعو إلى الإستغراب؟ وهل أن عدم التعاطف العربي ناشئ عن الشعور بأن القتال يدور بين حركة «فتح» وحركة «أمل» التي سبق لحركة «فتح» أن دربتها لتكون سنداً لها، لكن الذي حدَث أنه عندما إشتد ساعد هذه الحركة تحاول أن ترمي حركة «فتح» التي علمتها الرماية؟

هنا أجاب أبو عمار: أكرر إن هذا الطرح غير واقعي. فالموقف الرسمي العربي يؤكد أن التعاطف كان قائماً. وردود الفعل الشعبية العربية من المحيط إلى الخليج، بل ومن بيروت حتى آخر نقطة في العالم يتواجد فيها عرب، تؤكد أن التعاطف حدَث. وهنالك مواقف تعبر عن عمق هذا التأييد أرى أنه ليس من المناسب الكشف عنها. كذلك هنالك مواقف شعبية يصعب على الثورة الفلسطينية أن تتساهل وأخص بالذكر الموقف الشعبي المصري الذي كان رمزاً لمشاعر دفينية.

إن المسألة لا تنحصر في التعاطف. وهذه الحرب ضد المخيمات لم تستمر نتيجة أن التعاطف كان غير قائم، وإنما هذه الحرب إستمرت وما تزال لأنها جزء من مؤامرة وليست بسبب وجود بعض السلاح في المخيمات. إن المؤامرة كبيرة جداً وأكثر خطورة مما يتصور البعض. وأنا أعتقد أن وجود بعض قطع السلاح في المخيمات كان سيبدو أمراً مستغرباً لو أن لبنان خالٍ من السلاح. لكن السلاح موجود في لبنان وفي كل منطقة من كيلومترات العشرة الآف. والمعركة الدائرة هناك ضد المخيمات ليست من أجل تجريد هذا المخيم أو ذاك من السلاح، وإنما هي لشطب هذه المخيمات وتهجير نصف مليون فلسطيني من لبنان لكي تسهل مؤامرة إقامة الكانتونات الطائفية في لبنان. أما إلى أين يتم تهجير الفلسطينيين سكان المخيمات؟ فإنني هنا أتذكر ما قاله شارون عندما كان يحاصرني في بيروت. لقد أعلن بالحرف الواحد، أن الهدف من الحصار

هو ضرب البنية التحتية لمنظمة التحرير الفلسطينية لإنهاء المخيمات وطردها من لبنان إلى الأردن. وكانت الصحف الإسرائيلية أشارت بدورها إلى خطط تقضي بترحيل الفلسطينيين من المناطق التي يتواجدون فيها بين بيروت وجنوب لبنان وبأن يتم الترحيل عبر أرضنا المحتلة ويرمونهم في الأغوار تماماً كما فعلوا عام 1967 عندما رموا بأعداد كبيرة من أبناء قطاع غزة في الأغوار. إن الهدف من حرب المخيمات ليس تجريد سكان هذه المخيمات من بعض قطع السلاح في بلد ينتشر فيه السلاح بكثرة وإنما الهدف هو الترحيل. وأنا أقول ذلك وأضيف: اللهم أشهد إنني قد بلغت. اللهم أشهد إنني قد بلغت. اللهم أشهد إنني قد بلغت.

وإلى ذلك أضيف أن بعض أمراء الأحزاب والمليشيات الطائفية يريدون أن يكونوا أمراء لدويلات طائفية. وإذا كنا مسيحيين ومسلمين بالكاد نستطيع الوقوف في وجه العدو المدعوم من الأمبريالية الأميركية فهل أن أمراء الكانتونات يستطيعون أن يقفوا.

ولهذه المناسبة أتذكر إنني في أحد اللقاءات مع الرئيس حافظ الأسد قلت له: يا سيادة الرئيس أنت وافقت على كانتونات وهنالك محاولات واجتماعات في سويسرا لإيهام اللبنانيين بأن كانتوناتهم ستكون مثل الكانتونات السويسرية. وأنا أرى أن عاصمة أو عواصم هذه الكانتونات لن تكون القاهرة ولا بغداد ولن تكون أيضاً دمشق وإنما في حال قيام هذه الكانتونات ستكون عاصمتها تل أبيب. وقد رد عليّ بعنجهيته المعروفة : لا. لا. لا. إنني ممسك بيديّ الإثنتين بكل الأمور.

وعندما يتأمل المرء في ما يحدث في المنطقة وفي ما يملكه من معلومات يتبين له ان مؤامرة تقسيم لبنان مستمرة وفي اتجاه منطقة تحت النفوذ الإسرائيلي وأخرى تحت النفوذ السوري وثالثة رمادية.

قلت: هل من المعقول أنه ليس في إستطاعة العرب والأصدقاء الدوليين أن يفعلوا شيئاً لوقف حرب المخيمات؟

أجاب: سأوفر عليك مهمة التحديد وأقول إن المملكة العربية السعودية بذلت وما زالت تبذل الكثير من أجل وقف هذه الحرب. والإتحاد السوفياتي بذل هو من جانبه الكثير أيضاً. ولكنها مؤامرة كبرى، بل لعلها المؤامرة الأكبر على الأمة العربية. وإنها الأكبر والأخطر. وصحيح أن أدوات المؤامرة محلية إلا أن المؤامرة دولية والهدف منها إنشاء وطن بديل فلسطيني وتمزيق لبنان من خلال إقامة الكانتونات.



أبو عمار يطفىء شمعة ذكرى الإنطلاقة الثانية للثورة الفلسطينية
ويساعده في إطفاء الشموع رفيق الرحلة الطويلة أبو جهاد

قُلت: مازلنا ننتظر الإجابة حول الحرب التي بين حركة «أمل» وحركة «فتح» وكيف أنها حرب من دون تعاطف؟

وأجاب أبو عمار: القول بأنه في حرب المخيمات ليس هنالك عرب يؤيدون حركة «أمل» وليس هنالك في الوقت نفسه رأي عام عربي يقف بصلافة إلى جانب أهل المخيمات وينظر إلى الأمر على أساس أن حركة «أمل» تحاول بعدما إشتد ساعدها أن ترمي حركة «فتح» التي سبق أن دربتها لتكون سنداً لها... ان مثل هذا القول فيه الكثير من التبسيط. وأنا لا أنظر إلى هذه الحرب على أنها بيننا وبين حركة «أمل» وإنما هي بيني وبين النظام السوري، وبينني وبين إسرائيل، بدليل إن المخيمات في الجنوب تتعرض لغارات الطيران الإسرائيلي، ومدفعية لحد والبحرية الإسرائيلية في الوقت الذي تتعرض المخيمات في بيروت إلى القصف من جانب الدبابات السورية والوحدات الخاصة السورية ومدفعية «أمل». وللأسف الشديد إن الدول العربية المشتركة في هذه العملية هي إحدى الأدوات المحلية في اللعبة الكبيرة.

الخطوة: فصل القيادة عن القاعدة؟

قُلت وكانت الدارة التي يحل فيها أبو عمار إمتلأت بالقياديين الفلسطينيين الذين وفدوا من دول الخليج وبعض العواصم الأوروبية لتقديم واجب التهنة بذكرى الإنطلاقة الثانية للثورة الفلسطينية. ألا يعتقد الأخ أبو عمار ان الخطوة التي إستهدفت فصل القيادة الفلسطينية عن قاعدتها قد تحققت. وأستأذنك في التوضيح على النحو الآتي: إننا عندما نتأمل في واقع الحال يتبين لنا أن القاعدة موجودة في المخيمات داخل ثلاث دول لكن القيادة لا تستطيع دخول هذه الدول فضلاً عن أن العلاقة بين القيادة وقادة هذه الدول سيئة. وزيادة في التوضيح أيضاً نقول إن القاعدة الرئيسية هي الأردن بالمخيمات المتعددة هنالك، والقيادة لا تستطيع دخول الأردن فضلاً عن أن العلاقة بين القيادة والحكم الأردني متوترة.

والقاعدة الثانية هي لبنان بالمخيمات المتعددة فيه، والقيادة لا تستطيع دخول لبنان فضلاً عن أن العلاقة بين هذه القيادة و«الحكومات» المتنوعة فيه من «حكومة أمل» إلى «حكومة القوات اللبنانية» إلى «حكومة الكتائب» إلى «حكومة سليمان فرنجية» ... إلى «حكومات» أخرى كثيرة، سيئة.

والقاعدة الثالثة هي سوريا بالمخيمات الكثيرة هنالك والقيادة ممنوعة من دخول سوريا. وعملياً ان القيادة الفلسطينية موجودة في دول ليس فيها تجمعات فلسطينية وعلاقتها طيبة مع دول يتواجد فيها الفلسطينيون المقتدرون أو العسكريون الفلسطينيون.

وبطبيعة الحال إن القاعدة الأهم هي تلك الموجودة في الأرض المحتلة حيث عدم وجود القيادات الفلسطينية طبيعي ومشروع بسبب الاحتلال الإسرائيلي.

إلى متى في إعتقادك سيستمر هذا الأمر؟ أو فلنطرح السؤال بصيغة أخرى هي: إلى متى ستبقى القيادة الفلسطينية بعيدة عن القاعدة في كل من سوريا ولبنان والأردن؟

وأجاب أبو عمار: لقد وضعت في هذا السؤال كل ما تريد أن تضعه من هجوم على الثورة الفلسطينية. ومع ذلك سأرد على السؤال من النقطة الأخيرة.

ووجدت نفسي أقول: أسأل لأستوضح فيكون التفسير إن ما أقوله هو هجوم على الثورة الفلسطينية؟

وقال أبو عمار: نحن ثورة موجودة خارج أرضها وشأنها في ذلك شأن ثورة الجزائر التي كانت خارج أرضها. وهنالك ثورات كثيرة في العالم تتواجد قياداتها خارج أراضيها. ولولا أن أدوات الاحتلال الإسرائيلي قادرة على الوصول خلال ثماني دقائق إلى أي منطقة داخل وطننا المحتل لكنا نفضل أن نتواجد ونناضل بين شعبنا.

ولكن كيف تكون هذه القواعد بعيدة عن القيادة عندما يتبين لنا من خلال إستفتاء أجرته ثلاث مؤسسات دولية محايدة أن 94.7% في المائة من فلسطينيي الأرض المحتلة هم مع منظمة التحرير الفلسطينية ثم عمّدوا هذه النسبة بالدم عندما إجتمع المجلس الوطني الفلسطيني في عمان، وكيف تكون القواعد في الأرض المحتلة أيضاً بعيدة عن القيادة عندما تعم التظاهرات مدن الضفة الغربية وقراها ويستشهد من يستشهد ويصاب من يصاب دعماً وتأييداً لمنظمة التحرير الفلسطينية؟

وكيف تكون القواعد نفسها بعيدة عن القيادة والانتفاضة الشعبية مستمرة منذ شهرين؟

وكيف تكون القواعد في لبنان بعيدة عن القيادة عندما يستمر هذا الدفاع البطولي عن المخيمات التي تنادي المنظمة بصمودها وتنشط في المحافل العربية والدولية من أجلها؟

وكيف تكون القواعد في سوريا بعيدة عن القيادة عندما تسير في اليرموك تظاهرات تنادي بالإنقاذ حول منظمة التحرير الفلسطينية؟

وصحيح أن سوء تفاهم حدث وأوقف الملك حسين العمل بالإتفاق الأردني - الفلسطيني إلا أن عدداً من أعضاء القيادة الفلسطينية يقيمون بصفة مستمرة في عمان، فضلاً عن أن رئيس المجلس الوطني الفلسطيني يقيم هو الآخر بصفة مستمرة في عمان.

وفي الأردن تتمركز بعض قواتنا العسكرية. أما جماهيرنا داخل المخيمات هناك فإنها تعبر وبشتى الوسائل عن إلتفافها المطلق حول منظمة التحرير الفلسطينية.

إننا من الذين أخرجوا من ديارهم. والله سبحانه وتعالى يعد في كتابه الكريم بنصرة الذين يتم إخراجهم من ديارهم. وإخراجنا من ديارنا نقطة لمصلحة الثورة الفلسطينية ولقيادة هذه الثورة. وأنا أعيب على الذين مكثوا في دمشق أنهم في سبيل المحافظة على المكتب والموقع تصرفوا بقرارهم الفلسطيني المستقل بينما نحن هاجرنا بقرارنا الوطني الفلسطيني المستقل على رغم ما في الهجرة من ألم نفسي ومعاناة.

وأجد نفسي هنا أتساءل: هل أن الطيران الإسرائيلي توجه لضرب هذه المكاتب في دمشق، وهل أن هذه المكاتب أصيبت بأذى خلال عملية الإختراق الإسرائيلية في الشهر الماضي لكل المدن السورية. وإختراق حاجز الصوت يعني أن في إستطاعة الإسرائيليين الوصول إلى أي مكان. ولكن إلى أين ذهب الإسرائيليون وأين ضربوا؟ لقد توجهوا إلى مقر منظمة التحرير في تونس وقصفوا ودمروا بينما المكاتب في دمشق مطمئنة.

شعار 1987: إنبلاج الأمل

قُلت: كل سنة لها شعارها عند الأخ أبو عمار. ما هو شعاره للعام 1987؟

وأجاب: شعاري هو: إنبلاج الأمل.

قُلت: على أي حيثيات تستند في هذا الشعار؟

أجاب: أستند إلى حيثيات بسيطة جداً. فعلى رغم ضراوة الهجمة علينا فإن الوطن الفلسطيني إزداد توهجاً وتألقاً عبر شلال الدم الذي لم يتوقف لحظة واحدة في المسيرة الفلسطينية الصعبة والطويلة. وعلى رغم ان المؤامرة كبيرة وأدواتها كثيرة ومتعددة الرؤوس، إلا أن الرقم الفلسطيني، الذي اثبت قدرته على مواجهة خصومه في كل هذه الجبهات المتعددة والعريضة، يعود مرة أخرى ذلك الرقم الصعب والأساسي في معادلة الشرق الأوسط.

ذكريات ومشاعر ومدن

قُلت: في إطار السؤال، الذي بدا أنك تسجل عدم إرتياح له، حول أن القيادة بعيدة عن قواعدها والذي كان تحليلك حوله كثير التألق، يهمننا لو نسمع منك بعض الذكريات التي تحملها في نفسك عن عمان ودمشق وبيروت كمدن لا تستطيع أن تزورها الآن، وأن نعرف في الوقت نفسه مشاعرك إزاء عواصم تتردد عليها في إستمرار مثل بغداد والخرطوم والجزائر وصنعاء والقاهرة وتونس؟

وأجاب: بالنسبة إلى عمان ودمشق وبيروت أردت قول الشاعر:

وأهلي وإن ضنوا عليّ كرام بلادي وإن جارت عليّ عزيرة

وبالنسبة إلى العواصم الأخرى أقول إن هذه العواصم حمت المسيرة الفلسطينية بقرارها الوطني المستقل لمتابعة طريق الثورة حتى يرتفع العلم الفلسطيني فوق القدس إن شاء الله. وكانت الحماية كريمة وأمينه لهذه المسيرة.

فرص ضاعت على الحل

قُلت: هل من الجائز القول إن هنالك بعض الفرص التي ضاعت على الحل المعقول للقضية الفلسطينية وأهمها الإتفاق الأردني - الفلسطيني؟

وأجاب: إن كنت لا تدري فتلك مصيبة أو كنت تدري فالمصيبة أعظم. إن الذي نسمعه هو أن سبب ضياع الفرص هو أن ياسر عرفات لم يعترف بالقرار 242. إذا كان الأمر كذلك فما الذي يجعل الأردن المعترف بالقرار 242 لا يستعيد الضفة الغربية، وما الذي يجعل مصر لا تستعيد غزة، وما الذي يجعل سوريا لا تستعيد الجولان. إنني لست من المبهورين بالسياسة الأميركية ولا من الذين تخذعهم الكلمات. ومن هنا أقول إنني لم ألتق عرضاً للحل العادل ورفضته. المعروض علينا هو الإستسلام. وبعدما ووجهت منظمة التحرير بإخراج مصر من خلال كامب ديفيد فإن المعروض بإستمرار هو الإستسلام الذي لا يمكن أن نقبل به.

قُلت: متى سيعود الود بالشكل الذي كان عليه بينك وبين الرئيس حسني مبارك؟
أجاب: أنا مصري الهوى ولا أخفي هذا الهوى.

الانتصار العراقي ومبادرات السلام

قُلت: يبدو أن الدار امتلأت وأمامنا الكثير من الأمور لكي نسألك في شأنها. وما دمننا نعيش هذه الأيام وهج إنتصار عسكري كبير حققه العراق في حربته ضد الحُكم الإيراني فإننا نود أن نعرف رأيك في هذا الإنتصار.

وأجاب: أستطيع القول إنني أحد قلائل يتابعون تفاصيل هذه الحرب مع إخواني وأحبائي في القيادة العراقية. بل أستطيع القول إنني أول من حذر من احتمال قيام إيران بالهجوم على الفاو.

وبالنسبة إلى الإنتصار الذي حققته القوات العراقية في «أم الرصاص» أقول إنه إنتصار للأمة العربية وليس للعراق وحده. ولماذا أقول ذلك؟ والجواب هو أن العراق لا يدافع عن أرضه فقط وإنما يدافع عن البوابة الشرقية. وعلى رغم الإنتصارات التي حققها في الفترة الأخيرة إلا أن القائد الفارس صدام حسين لا يعتمد التباهي وإنما يطرح في الوقت نفسه مبادرات السلام.

وأشير في هذه المناسبة إلى أنني في قمة عدم الإنحياز الماضية قُلت للرئيس الإيراني خامنئي إنني على

رغم إعتراضك فسأظل أبذل الجهود مع رئيس كتلة عدم الإنحياز الرئيس موغابي من أجل إيقاف هذه الحرب التي هي ضد الشعب العراقي وضد الشعب الإيراني وضد الأمتين العربية والإسلامية. وأضيف بعد الإنتصار الذي حققه جيش العراق في معركة «أم الرصاص» وهي المعركة التي باتت إسمها «اليوم العظيم» فأقول: في اليوم الذي تتوقف فيه هذه الحرب سأكون قد أقتربتُ أميلاً من القدس وسيكون طرُق أبواب القدس أمراً ممكناً.

* * * *

كان في ودي أن اسأل الأخ أبو عمار عما إذا كان بات مطمئناً إلى أن حركة «فتح» إستقرت وأن عهد الإنقسامات قد ولى ولا مجال بعد الآن أمام أي إنفصال. ووجدتُ نفسي أتساءل مع نفسي: وهل هذا سؤال يجوز طرحه على قائد يطفئ مع الاكثريّة الساحقة من قادة الحركة التاريخيّة 22 شمعة تمّ وضعها فوق قلب جاتوه جيء به لهذه الغابة. أطل الله في عمره.

نُشر الحوار في مجلة «التضامن»
بتاريخ 17 يناير/كانون الثاني 1987

مقابلة مع رئيس الوزراء العراقي طه ياسين رمضان

الوزير الأول

الملك الأول لرئيس الوزراء عضو مجلس قيادة الثورة في العراق ينضم للقائمين ببحثهم حول الحرب والسلام والاشقة

طه ياسين رمضان

ما حدث في مكة مؤامرة لا مظاهرة وما كشفوا عنه ليس كل شيء

أبو القديس في بغداد

الوزير الأول

الملك الأول لرئيس الوزراء طه ياسين رمضان، عضو مجلس قيادة الثورة في العراق، ينضم للقائمين ببحثهم حول الحرب والسلام والاشقة. في هذه المقابلة، يتحدث عن تجربته في السياسة العراقية، التحديات التي تواجهها البلاد، ودوره في تعزيز الديمقراطية والشفافية. كما يتناول القضايا الملحة مثل الوضع الاقتصادي، التعليم، والصحة، ويؤكد على التزامه بالعمل من أجل مستقبل أفضل للشعب العراقي.

الوزير الأول

في مقابلة مع طه ياسين رمضان، رئيس الوزراء العراقي، تحدث عن التحديات التي تواجه العراق في ظل الظروف الصعبة. أكد على أهمية تعزيز الديمقراطية والشفافية في العمل الحكومي، ودعا إلى مزيد من المشاركة الشعبية في صنع القرار. كما ناقش الوضع الاقتصادي، التحديات التي تواجهها البلاد، ودوره في تعزيز الديمقراطية والشفافية.

هناك أطراف عربية لم تعمل شيئا من أجل العراق

بموجب ضمها، وانظر الخسائر مع القديسين. ولكن الحرب من منظور آية بين دولتين مستعمرتين، وهو مهم. يمكنه سنسوي في مشايخا من الوحي.

كل شيء، وبين موسم الحج، تنابيع أخلاقيات

السؤالين الإبراهيميين، وخلصت قاضها هذه القضية. والذاتية أن هناك مؤامرة لا مظاهرة، ولكن كانت المؤامرة كبيرة وما جرى الكشف عنه ليس كل شيء.

أبو القديس في بغداد

الملك الأول لرئيس الوزراء طه ياسين رمضان، عضو مجلس قيادة الثورة في العراق، ينضم للقائمين ببحثهم حول الحرب والسلام والاشقة. في هذه المقابلة، يتحدث عن تجربته في السياسة العراقية، التحديات التي تواجهها البلاد، ودوره في تعزيز الديمقراطية والشفافية. كما يتناول القضايا الملحة مثل الوضع الاقتصادي، التعليم، والصحة، ويؤكد على التزامه بالعمل من أجل مستقبل أفضل للشعب العراقي.

حديث شامل مع طه ياسين رمضان حول الحرب والسلام والمنطقة



النائب الاول لرئيس مجلس الوزراء في العراق طه ياسين رمضان

يستقبل الصحفي والكاتب فؤاد مطر

الذي يتابع النشاط الرسمي للسيد طه ياسين رمضان، النائب الأول لرئيس الوزراء في العراق وعضو مجلس قيادة الثورة، تستوقفه هذه الدينامية التي يتميز بها الرجل. هكذا كان قبل الحرب. وهكذا خلال الحرب. ثم هكذا مع دخول الحرب السنة الثامنة التي من المؤمل أن تكون السنة الأخيرة لبيدأ بعدها النهوض الكبير.

وطه ياسين رمضان، مثل بقية الصف المتقدم في القيادة العراقية الذي يضم مجموعة إكتسبت في خمس عشرة سنة تجربة لا مثيل لها في ميداني التنمية والحرب، وهي تستعد الآن لإضافة تجربة النهوض الإقتصادي في مرحلة ما بعد الحرب هدياً بالثورة الإدارية، التي أعطى الضوء الأخضر لتطبيقها الرئيس صدام بينما المدافع تواصل النطق ويواصل المقاتلون مهمتهم في الميدان. وهذه المجموعة جاهزة على مدى أربع وعشرين ساعة لتأدية أدوار كثيرة مطلوبة منها ثلوج بين المشاركة في واجبات الجبهتين، الجبهة الداخلية وجبهة الحدود وبين التوجه إلى عواصم العالم في مهمات معظمها من النوع غير التقليدي.

وفي مكتب النائب الأول كان هذا الحديث يوم الخميس (1987/9/10) مع أحد رموز عملية التحضير لمرحلة ما بعد الحرب. وكان طه ياسين رمضان كريماً بتخصيصه ساعتين من وقته إستغرقها الحديث في وقت تبدو كل الأنظار متوجهة إلى ما سيحدث من تطورات بين اليوم الذي أجري فيه الحديث، وبين يوم

20 أيلول (سبتمبر) وهو اليوم الذي سينعقد فيه مجلس الجامعة العربية في نصف دورة إستثنائية بعدما كان عقد النصف الاول من هذه الدورة يوم 23 آب (اغسطس) الماضي.

وبما أن الأنظار متوجهة نحو تونس، وهل سيكون مجلس الجامعة مستعداً لإتخاذ قرار بمقاطعة إيران إذا كان نظامها لن يوافق على القرار 598 فإن الحديث بدأ بسؤاله عما هو متوقع من الإجتماع المقبل لمجلس الجامعة العربية على مستوى وزراء الخارجية، مع الإشارة إلى أن هذا الحديث سينشر في «التضامن» بتاريخ 1987/9/19 أي قبل يوم من إنعقاد المجلس طبقاً لما تم الإتفاق عليه.

وأجاب: عندما نتأمل في البيان الذي أصدره مجلس الجامعة في إجتماعه الماضي يتبين لنا أنه يتميز عن بيانات سابقة من حيث الصيغة واللهجة والمضمون. حتى في إطار وجهات النظر المتباينة جاء متميزاً. ولو أن البيان تضمّن قراراً بقطع العلاقات مع النظام الإيراني لكان أمكن القول إن التضامن العربي بدأ، وبمستوى متقدم. وكان ذلك سيبدو بمثابة مؤشر للجماهير بأن الأمة عندما تتعرض للخطر تعود إلى أصلاتها. وعلى رغم أن ذلك لم يتحقق بسبب تباين وجهات النظر، إلا أن إقتراح البعض بأن يتم الإنتظار حتى يوم 1987/9/20 كان معقولاً، أو بالأحرى إنه كان تعويضاً مقبولاً، إلى حد ما، عن الأمر الأفضل، والذي هو خروج الإجتماع ببيان حاسم لا يتضمن الإشارة إلى أنه إجتماع مفتوح. وما ننمناه من الإجتماع المقبل هو أن يكون خطوة متقدمة. فإذا عاد الأمين العام للأمم المتحدة من إيران ليقول انها مازالت على موقفها وترفض قرار مجلس الأمن، فإن على مجلس الجامعة أن يقرر قطع العلاقات معها، بل إن قطع العلاقات قبل أن يعلن الأمين العام الموقف من شأنه أن يفيد لأنه سيكون بمثابة ضغط على إيران وعلى الدول التي لابد ستتأثر عندما ستجد الموقف العربي موحداً ضد إيران إلى درجة إتخاذ قرار بقطع العلاقات الدبلوماسية.

قُلت: هل إن هنالك خطة تقضي في حال إتخاذ الدول العربية قراراً بقطع العلاقات الدبلوماسية مع إيران بالطلب من الدول الاسلامية أن تفعل الشيء نفسه تماماً كما حدث مع الدول الإسلامية في أعقاب قرار الدول العربية بقطع العلاقات مع نظام الرئيس (الراحل) أنور السادات؟

أجاب: ليس هنالك خطة، لكن من المؤكد هنالك مشاورات في هذا الشأن. ومن المؤكد أيضاً أن أي قرار عربي يتم إتخاذه بالإجماع سيلقى قبولاً عندما يتم طرحه على مؤتمر إسلامي. ومن المهم أن لا يغيب عن البال إن الدول العربية تشكّل نصف أعضاء الدول الاسلامية. ولكن إذا كان لم يتحقق إجماع عربي على قرار، وبالذات قطع العلاقات الدبلوماسية مع النظام الإيراني، فإن من الأفضل عدم طرحه على المؤتمر الإسلامي.

العرب وحقائق الصراع مع إيران

قُلت: هل يعتقد النائب الأول أنه في ضوء أحداث مكة ستتبدل نظرة العرب إلى العلاقة مع إيران، وهي نظرة تقوم على أن ما جرى بين العراق وإيران هو حرب بين نظامين وليس صراعاً بين قوميتين؟ وإلى ذلك ألا يرى النائب الأول أن العراق لم يشرح للعرب ما فيه الكفاية طبيعة هذا الصراع ومن أجل ذلك كان هنالك الكثيرون بينهم الذين لم يقموا إلا بإبداء الأسف لأن مسلمين من الجانبين يذهبون ضحية الحرب؟

أجاب: لقد ضحى العرب كثيراً وفي طليعتهم العراق من أجل أن تتولد قناعة بأن نيات الفرس هي نيات شريرة، وأن إيران هي ضد أقطار الخليج وضد العرب. وإذا كانت ألوان الحُكم تتغير فإن ذلك لا يلغي الحقيقة المشار إليها، مع الأخذ في الاعتبار أن حكام إيران الحاليين هم الأكثر خطورة لأنهم يطرحون الأمر بالصفة الدينية. وقاتل إيران للعرب بإسم الإسلام يشق الصف ويحدث شرخاً في الموقف العربي. وأجد نفسي هنا أقول

إن العدو الإيراني هو أخطر من الصهيونية لسببين، الأول لأن أرض إيران وإمكاناتها أكبر مائة مرة على الأقل من إسرائيل، فضلاً عن أنه إذا كانت إسرائيل تتكل على الولايات المتحدة فإن إيران دولة كبيرة لها سواحلها ونفطها وحديدها وزيادة مستمرة في عدد سكانها البالغين أصلاً خمسين مليوناً.

أما السبب الثاني فهو أنه في حين أن العدوان الإسرائيلي على أي بلد عربي يحقق تضامناً، حتى إذا كان هذا التضامن نسبياً، فإن العدوان الإيراني على العرب لا يحقق هذا التضامن. وأقول ذلك مستنداً إلى تجربة الحرب التي خضناها، ذلك أنه بدلاً من أن يكون هنالك تضامن فعّال مع العراق وجنّنا من يقول إن إيران ثورة إسلامية، وستحرر القدس، ومن أجل ذلك لا ضرورة للمواجهة معها. كذلك رأينا البعض الآخر، الذي وقف لسنوات على الحياد بحجة إنه لا يجوز إقتتال المسلم مع المسلم، من دون أن يأخذ هؤلاء في الاعتبار أن إيران هي التي تحرشت وهي التي إعتدت. وبفضل مشيئة الله أمكن العراق أن يكشف خطر أهداف الزمرة المتأمرة ويؤكد لأقطار عربية كثيرة أنه ليس هنالك ما يمكن أن يقي هذه الأقطار مخاطر الزمرة الإيرانية.

وأضيف أن القول بأن طبيعة الصراع غير واضحة للعرب قول يفتقد إلى الدقة. ونحن عندما نتأمل في المواقف العربية نجد أن أكثر المواقف خطورة هو الموقف السوري علماً بأن دول الخليج بعد إحتلال الفاو بدأت تتأكد بأن الأسد لا هم له سوى الإستفادة من الفتات الإيراني. فهل أن ذلك ناشيء عن عدم فهم لطبيعة الصراع، أم لأسباب أخرى؟

إنني أعتقد أن طبيعة الصراع مفهومة، ولكن حاكم سوريا هو السبب. وأضيف إلى ذلك فأقول إن الشعب السوري يفهم الصراع مع إيران تماماً كما يفهمه الشعب العراقي، وفي كثير من الأدبيات هنالك تحديد واضح لطبيعة الصراع. وحتى في كتب الجغرافيا السورية فإن مدينة المحمرة ترد ضمن المدن العربية. كما أن الأسد نفسه ندّد بإتفاقية العراق مع إيران بحجة أن العراق تخطى عن عربستان. وعندما يأتي حافظ الأسد ويبدل المحمرة بخرمشهر، ويهنيء الخميني بدخول «الفاو» هذا لا يعني أن ذلك ناتج عن عدم فهم طبيعة الصراع، الذي هو من وجهة نظرنا صراع عربي - فارسي. ومع الأخذ في الاعتبار الموقف الرسمي والموقف الشعبي فإننا على ثقة بأن الموقف الشعبي في سوريا سيكون في النهاية لمصلحة الموقف العراقي.

إن هنالك أطرافاً عربية لم تعمل شيئاً من أجل العراق، وذلك بسبب ضعفها، ولكن المشكلة مع القادرين والذين رأوا في الحرب الدائرة بيننا وإيران أنها كانت مجرد حرب بين دولتين مسلمتين وذلك يعكس مستوى متدنياً من الوعي. إضافة إلى أن ما هو في إيران ليس إسلاماً، وهو إسلام بالياقة فقط.

الدروس المستفادة من حادثة مكة

قُلت: ما هي الدروس المستفادة من حادثة مكة؟ وهل تعتقدون أن الصراع مع إيران يمكن أن يتحول إلى صراع طائفي بعدما أمكن في سبع سنوات - والفضل في ذلك للعراق - الإبقاء عليه صراعاً بين قوميتين؟

أجاب: أكرر القول إن الصراع هو عربي - فارسي وليس مذهبياً. وما هو في إيران ليس مذهباً إسلامياً وليس هو المذهب الشيعي ذلك أنه لا فرق بين سُني وشيعي، وإن كانت هنالك إجتهدات كثيرة. وفي تقديرنا أن ما هو حاصل في إيران هو أن ديناً آخر يفعل هذه الأحوال تحت ظل الإسلام والجعفرية. وإذا كانت إيران تدفع بإتجاه أن يكون الصراع مذهبياً فإن المطلوب التنبه إلى هذه المكيدة، وأعتقد أن هنالك الكثير من التنبه لها. إن الذي حدّث في مكة كان مؤامرة وليس مظاهرة على الإطلاق، وهي مؤامرة كبيرة وما تم الكشف عنه ليس كل شيء. وبالنسبة إلينا فإننا في كل سنة قبل موسم الحج نتابع أحاديث المسؤولين الإيرانيين. وكنت قناعتنا هذه

السنة منذ البداية أن هنالك مؤامرة تستهدف المقدسات العربية والاسلامية وجاءت حادثة مكة لتؤكد البعد الحقيقي لهذه المؤامرة. ومع ثقتنا بأن المملكة العربية السعودية عندها من القدرة ما يكفي للقضاء على الفتنة، إلا أننا كنا نتمنى أن يكون الموقف العربي بشكل عام أفضل، ليس دعماً للسعودية وإنما إحتراماً للمقدسات العربية. وصحيح أن حماية هذه المقدسات من واجب السعودية إلا أن مسؤولية العرب أكبر. وأكثر ما يدعو إلى الإستغراب هو أن بعض الأطراف العربية ما زالت حتى هذه اللحظة ترى أن إستمرار الصلات مع إيران من شأنه أن يحقق مع الوقت علاقة طيبة. وردُّنا على ذلك أن هذا الرأي يخدم إيران. ولعل وعسى ينتبه الأشقاء العرب لذلك.

كذلك لعل وعسى يقتنع الذين يعتمدون المرونة ويتمسكون بأخلاقيات التعامل يتأكدون من أن الذين يحكمون في إيران يعتبرون أن الطرف العربي الذي يناادي بالتعايش معهم إنما هو خائف وضعيف. وهذه ليست أخلاقاً على الإطلاق.

مشاعر القيادة ورموز الوفد التضامني

قلت: كيف كانت مشاعر القيادة العراقية عندما بلغتها أنباء حادثة مكة، وهل شعرت بالقلق عندما بلغكم ذلك؟ وإلى ذلك هل إننا بعدما إستوقفنا في تشكيل الوفد العراقي التضامني إلى المملكة العربية السعودية قبل أيام أنه يضم رموزاً ذات معنى عسكري (ضم الوفد الفريق الطيار حميد شعبان قائد القوة الجوية والدفاع الجوي العراقي)، يجوز لنا أن نتوقع يوماً من المعارك الجسورة يكون عنوانه «يوم مكة» على غرار يوم الكويت الذي سمغنا البيان العسكري يعدد الضربات التي وجهها أمس (الأربعاء 9 - 9 - 1987) إلى مناطق في العمق الإيراني؟

أجاب: من الطبيعي أن نقلق عندما بلغنا ما حدث في مكة، خصوصاً أنه كان من وجهة نظرنا مؤامرة وليس مظهرة. لكننا في الوقت نفسه كنا متأكدين بأن المملكة العربية السعودية قادرة على أن تهدئ الأمور. ولقد عبّرنا عن موقفنا وقلقنا بمستويات مختلفة، وأردنا أن يكون التعبير بشكل عملي فتوجه وفد حزبي ورسمي ليقول للأخوة في السعودية إن أي عدوان على مدينة أو قرية سعودية هو بمثابة عدوان على قرية أو مدينة عراقية، وإن العراق سيتعامل مع هذا العدوان بالطريقة نفسها.

وفي العادة ان التعبير عن التأييد العربي درج على أن يكون بشكل بيان إلا أننا بالنسبة إلى حادثة مكة وبالنسبة إلى السعودية بالذات أردنا التعبير بشكل عملي فكان الوفد المشترك من قيادة الحزب ومجلس قيادة الثورة، لتأكيد إننا على إستعداد لترجمة مواقفنا ومعاونتهم إذا ما طلبوا منا.

ومن المهم التوضيح هنا إن عمليات الطيران العراقي في عمق إيران، وهو ما أطلق عليه الناطق العسكري «يوم الكويت»، جاءت تعبيراً أو ترجمة لعهد أورده الرئيس صدام حسين خلال لقائه قبل أيام بالطلبة العراقيين الدارسين في الكويت. وفي هذا اللقاء قال الرئيس «بلغوا الكويتيين إن الاطلاقة الواحدة التي تُطلق عليهم من هناك ستطلق عليها ألف إطلاقة من العراق». ولقد نفّذت قوتنا الجوية توجيهات الرئيس التي كانت عبارة عن موقف تضامني قوي وعلني وخطوة نأمل أن تجعل المواقف العربية تصيح أفضل.

كان من الطبيعي بعد إنقضاء ساعتين على الحديث مع النائب الأول لرئيس مجلس الوزراء طه ياسين رمضان أن أستفسر منه عما إذا كان بالإمكان إكمال الحديث معه وذلك لأن مشاغل الرجل لا حضر لها. وفي الوقت الذي كنت أجمع أوراقى لأنصرف وجدت نفسي أستأذن النائب الأول في طرح مسألتين معه. الأولى

حول دور الإعلام العربي في هذه المرحلة التي يواجه فيها التضامن العربي تحديات لا مثيل لها. والمسألة الثانية هي حول مرحلة النهوض الإقتصادي بعد الحرب.

بالنسبة إلى المسألة الأولى قال هل من المعقول أن يحتل الإيرانيون «الفاو» ولا نجد خمسة مواطنين عرباً يسيرون في تظاهرة؟

وهل من المعقول أن تطوق القوات السورية مخيم تل الزعتر لمدة 65 يوماً ولا تسير التظاهرات العربية في الشوارع كما كان يحدث عام 1956؟

وقد يقال إن التكنولوجيا الحديثة جعلت قدرة الشعوب أخف مما كانت عليه قبل 20 سنة. ولكن ذلك ليس مبرراً لهذا السبات العميق لأبناء شعبنا العربي. وأجد نفسي هنا أقول إن الاعلام الحر الوطني القومي له تأثيره في عملية الوعي المطلوبة. وأعني هنا بالاعلام ذلك الذي يزرع الثقة في نفس المواطن وينتشله من حالة اليأس واللامبالاة. ومثل هذا الأمر من شأنه أن يحقق حداً أدنى من التضامن.

وفي ضوء التجربة العراقية نجد أن الحرب الدائرة منذ سبع سنوات تكفي لإستهناض حقيقي للهمم العربية. وفي حروب 1956 و 1967 و 1973 كانت الحروب التي خاضها العرب لا تستغرق الواحدة منها ساعات، أو إذا جاز التعبير إن معارك صغيرة خاضها العراق إستغرقت وقتاً يفوق أحياناً الوقت الذي إستغرقت حرب من تلك الحروب الثلاث. وعندما يكون هنالك شعب على هذا الصبر الذي هو عليه شعبنا وعلى إستعداد للنضال والتضحية، فإننا نزداد ثقة بالنفس وبمستقبلنا. وإذا أمكن للإعلام العربي الحر أن يعكس الحالة العراقية بالموضوعية المتوخاة فإن حالة الكسل القومي السائدة في الوطن العربي لن تستمر وسنجد في كل مكان من هذا الوطن من يتفاعل مع الأحداث بالإندفاع الوطني الذي كان يحدث في الماضي. ومثل هذا الأمر يجعلنا أكثر ثقة بمستقبل أمتنا وبنهوضها المعنوي، أو فلنقل بنهوض كبريائها. هذا على صعيد النهوض في بعده القومي العربي. أما على صعيد النهوض في الداخل فإن ما يمكن قوله إن سبع سنوات من الحرب ساهمت في بناء الإنسان العراقي، بحيث أن هذا الإنسان سيكون قادراً على إستيعاب عملية التطور التي حققتها الثورة الإدارية بقيادة الرئيس صدام حسين. وعندما نلاحظ أن هذه الثورة بدأت بينما الحرب مستمرة فهذا يعني أنه لن يكون للخمول والبرود فرصة لمجرد إنتهاء الحرب.

وبفضل هذه الثورة التي تستهدف تطوير الكفاءة الإدارية وزيادة الإنتاج فإن العراق سيكون قوياً بل وأكثر قوة بعد الحرب.

وفي ضوء الثورة الإدارية، وقرارات أخرى تتسم بالجرأة، فإن العراق في أول يوم من أيام السلام سيكون أقوى وأفضل من آخر يوم سبق بدء الحرب. وذلك لأن المرتكزات التنموية موجودة فضلاً عن أن هنالك قوات مسلحة عراقية تكمن أهميتها في خبراتها وفي إختصاصها، وكذلك هنالك شعب سيخرج من الحرب مدرباً وضعته وحدة الدم في موضع المستعد للدفاع عن الوطن وجعل التنمية بعد الآن في مأمن عن أي طامعين.

وما يمكن أن أقوله أيضاً بهذا الشأن هو أن إسرائيل تريد الحرب لأنها ترصد تزايد خبرة العراق وتجربته التي تقلقها بالفعل ومن أجل ذلك تتشط في اتجاه إبقاء الحرب مستمرة عن طريق مساندة إيران.

وتستوقعنا بين الحين والآخر بعض التفسيرات المتعلقة بتجربتنا الإشتراكية. وهو أمر يستحق لوحده حديثاً طويلاً (تمنيث على النائب الأول أن أجري معه هذا الحديث في أقرب فرصة، ووعد خيراً)، ولكن ذلك لا يمنع

القول الآن بأن إشتراكيتنا خاضعة للتطور مع تطور الحياة.

ومن أجل ضمان هذا التطور نحتاج إلى دور نشيط للقطاع الخاص وبالذات في مجالات السياحة والتجارة والصناعة والزراعة. وفي ضوء الثورة الإدارية التي أطلقها الرئيس صدام حسين فإن الدولة ماضية قدماً في خططها لإزالة الروتين والبيروقراطية.

وموعدنا مع النهوض قريب بإذن الله.

نُشر الحوار في مجلة «التضامن»

بتاريخ 19 سبتمبر/ أيلول 1987

مقابلة مع عبدالله فاضل

وزير الأوقاف والشؤون الدينية العراقي



مقابلة مع عبد الله فاضل وزير الأوقاف والشؤون الدينية العراقي

هنالك أكثر من دافع لإجراء هذا الحديث مع وزير الأوقاف والشؤون الدينية العراقي عبد الله فاضل، لعل أهمها أنه الرمز إلى أسلوب حزب البعث في التعاطي مع المسائل الدينية والعتبات المقدسة، وهي كثيرة في العراق، فضلاً عن أنه يترأس للسنة السادسة بعثة الحج العراقية. وبالنسبة إلى الدافع الثاني يمكن القول إن عبد الله فاضل، بصفة كونه من أعضاء القيادة المتقدمة في العراق، فإن تحليله للمسائل الدينية أمر يبدو لافتاً للإنتباه، خصوصاً أن الحُكم الايراني يطلق على الحُكم في العراق تُهماً من بينها أن «هذا الحُكم كافر»! وإلى ذلك إنه من المهم أن نعرف كيف ينظر البعثي إلى قضايا الدين بالمقارنة مع نظرة الإيرانيين الكثيرة الحدة.

إلى ذلك أيضاً ان كون عبد الله فاضل من رموز الصف المتقدم في حزب البعث، الذي يحكم في العراق، يجعله يتصرف وهو يترأس بعثة الحج بيقظة، ويجعله يرصد ياهتمام شديد ممارسات بعثة الحج الإيرانية، والحجاج الإيرانيين الذين درجوا على أن ينشطوا منذ أن بدأت الحرب من أجل توظيف موسم الحج لخدمة ثورتهم بأفكارها الكثيرة التطرف.

وهو يفعل ذلك وفي ذهنه أن يقترح على القيادة في العراق، عندما يعود، الأفكار التي تستنبط الموقف الذي يحول دون تمثُّد الإيرانيين في موسم الحج. وبإختصار، إن عبد الله فاضل كان أكثر حاج تنبُّهاً للتصرفات الإيرانية في مكة المكرمة، وكان بالتالي شاهداً على الذي حدث في طرقاتها المحيطة بالحرم من قبل ميليشيات الحج الإيرانية .

ومن أجل ذلك بدأت الحديث معه من هذه النقطة من دون أن أدري أنه يترأس بعثة الحج العراقية للسنة السادسة على التوالي. أما كيف عرفت أنه حاج عريق فلأنني سألتته عن مشاعره كبعثي، ومشاعره كمسلم، وهو يتابع من موقعه الوزاري في بغداد ما حدث في مكة ومتى سيؤدي فريضة الحج.

وكان جوابه: إنني لم أتابع ما حدث وأنا في بغداد لأنني كنت هناك في مكة المكرمة مرتدياً ثياب الإحرام .

ثم أوضح أنه كان هناك مترسلاً بعثة الحج العراقية وأنه يقوم بإداء الفريضة منذ أن تم تعيينه وزيراً للأوقاف في 1982/6/28، وأنه شاهد تفاصيل ما فعلته ميليشيات الحج الإيرانية.



وزير الأوقاف العراقي عبد الله فاضل يرتدي ثياب الإحرام

«الحاج الرفيق عبدالله» يتذكر

وفي معرض الحديث عما جرى كان عبدالله فاضل الذي يناديه البعض بـ «الحاج الرفيق» يتذكر ويقول: إنني شخصياً لم أفاجأ بما حدث في مكة المكرمة، لأنني عاشرت طوال السنوات الماضية ما يخطط له الإيرانيون. وكنت ألاحظ السلوك أو المنهج المعادي للإسلام الذي يمارسه الإيرانيون خلال موسم الحج الذي يقول فيه الله سبحانه وتعالى: ﴿لَا رِفْثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾، أي أن الله حرم الجدل في الحج. هناك لا يفصح الإنسان المسلم عن شيء قدر الدعوة لله والإعلان عن وحدانيته... ولا شيء غير ذلك. كما جعل الله مكة محرمة، ليس في هذا الوقت بل قبل الإسلام كانت كذلك. وجاء الإسلام ليؤكد حرمتها، لا يجوز القتال فيها ولا يجوز قتل الطير ولا يجوز قص النبات، وحتى الحيوان المؤذي لا يجوز قتله. فمكة محرمة ولم تُحلل إلا للرسول لساعة واحدة، ومع ذلك فإنه (ص) لم يُرق فيها دماً، بل قال إذهبوا فأنتم الطلقاء.

إذاً كل المسلمين يعرفون هذه الحقيقة، بينما خرج الإيرانيون على ذلك، بأمر الخميني في الشهر الحرام وفي البلد الحرام. وأعيد القول إنني لم أفاجأ بما قام به الخمينيون في مكة، لأنني منذ العام 1982 كنت أشاهد الطقوس والممارسات الغريبة والبعيدة عن الحج وعن الوحدانية وعن الإسلام ولا تمت حتى إلى المذهب الجعفري بصلة، وإنما هي محاولة لتمجيد خميني باعتباره صاحب التفويض الإلهي، ذلك أنه أعلن نفسه بأنه أعلى مرتبة من الأنبياء، وكانت الممارسات الإيرانية في مكة تستهدف تكريس تلك المفاهيم وتجسيدها في العقول، وصوّروا للناس أن كل من لا يمارسها هو بعيد عن الإسلام. لقد شاهدتهم وكانوا يُحدثون الفوضى ويرفعون الصور ويجمعون أنفسهم في تظاهرات بغية فرض هيمنتهم على الحجاج وعلى الأجهزة السعودية. إنني أجزم بأنهم لم يكونوا حجاجاً بل غزاة، لقد كانت جموع الإيرانيين محاطة بمعبيين من أفراد الحرس لهذا الغرض. وكانت التظاهرات تعكر صفو الحجيج في مكة نظراً لما يُحدثه إزدحامهم من إنقطاع الطرق وإغلاق المحال التجارية.

محاولة فاشلة لتمديد الوقوف على عرفة

وكانت أمور كثيرة من هذا النوع تحدث سنوياً، وأتذكر أنهم في سنة سابقة حاولوا تأجيل الوقوف على عرفة يوماً آخر.

قُلت: وهل من المعقول تمديد الوقوف على عرفة يوماً آخر؟

أجاب: نعم معقول. كان ذلك سنة 1985، وثمة تفاصيل لم يكشفها الأخوة السعوديون، وأنا كنت أعرف حكاية المتعجرات الإيرانية منذ العام الماضي وأبلغني الاخوان المسؤولون السعوديون بذلك. ولكن بحكم سياستهم التي تتسم بالحكمة والنفس الطويل فإنهم سكتوا عنها.

قُلت: إن مسألة تمديد الوقوف على عرفة يوماً آخر تحتاج إلى بعض التوضيح كي لا تبدو أمراً مستغرباً.

أجاب: كانوا يخططون للبقاء في عرفة وعدم النزول.

قُلت: ما قصدهم من ذلك في تقديرك؟

أجاب: لكي يعلنوا للمسلمين نهجهم. ما الذي أراده الخميني من عملية الحرم الشريف؟ لقد كان يريد الإعتصام.



وزير الأوقاف ممسكاً بمظلته الواقية من شمس عرفات
يحيط به حجاج يحملون مظلاتهم

قُلت: هل لنا ببعض التفاصيل والتحليل لعملية الحَرَم؟

أجاب: الخميني هو صاحب منهج ويريد أن يعلن للعالم أنه ينبغي أن يسود منهجه وفهمه وفلسفته للإسلام. إنه لا يريد أن يكون جزءاً من الأمة الإسلامية بل يريد أن يقول إنه هو الإسلام، وإن الآخرين يجب أن ينقادوا إليه. أي يريد أن يصوّر للعالم أن الحالة الإسلامية هي ما يدعو إليه. أما بقية المسلمين فيجب أن يعيدوا النظر في إسلامهم. ولذلك فهو لا يعتبر الحكومات لوحدها تابعة له، بل وأيضاً الناس الآخرين والعاملين في الحركة الإسلامية. على أساس أن ما يسمى بالثورة الإسلامية الإيرانية تلغي وجودهم.. كيف؟ إنه يرى أن ثورته هي الهدف الأسمى لكل مسلم في العالم، وعلى العاملين في الحركة الإسلامية سواء كانوا سلفيين أو إخوان مسلمين جميعهم، أن يكونوا تحت رايته أو جزءاً من هذه الثورة. أما الذي يريد الإستقلال فهو خارج على الإسلام. وهذا ليس تحليلي بل ما قاله الخميني بالذات. لقد قال إنه لم يعد ثمة مبرر لوجود الحركات والتيارات الإسلامية، إلا أن تكون جزءاً من الثورة الإيرانية. وفي حالة رفضها فلا وجود لها. والخلاصة إنه يريد أن يأتي بدين جديد، بدليل أن المذهب الجعفري أساساً لا يعترف بولاية الفقيه، التي هي بدعة من صُنعه، يطمح بواسطتها إلى إحلال نظرية التفويض الإلهي. وبالتالي يدعو الناس إلى عدم مناقشة تصرفاته أو السؤال عن شيء. عملية منظمة منسوجة الخيوط في إيران.

قُلت: كيف تم كشف المؤامرة؟ وهل تعتقد أنه لو نجح الإيرانيون في مخططهم فإن بقية الحجاج المسلمين كانوا سيتصدون لهم وبقساوة؟

أجاب: عليّ أن أذكر أن العملية كانت منظمة وأن خيوطها نُسجت في طهران بدقة. وكانت العادة أن يتم توزيع بيانات، قبل عدة أيام، تدعو إلى المشاركة في مواعيد إنطلاق مسيرات «البراءة من المشركين». وكان مفهومهم أن كل حاج لا يشارك فيها فهو مشرك!!

لقد إكتشفت السلطات السعودية أيضاً أن الإيرانيين حملوا مسدسات كذلك، وهذه المسدسات كانت مع النساء على أن يأخذها رجال الحرس منهن بعد الهجوم. وكانت التظاهرات تتم في سياق منتظم يقوم على وضع زهاء عشرة آلاف امرأة في المقدمة يليهن 20 ألف مدرب على أعمال التخريب. ثم يسير خلفهم بقية المتظاهرين الذين يقودهم حرس الثورة ويشرف على الأمور شخصياً (مهدي كروبي) مندوب خميني. والمسيره بدأت بكلمة لكروبي ثم أخذ الغوغاء يحطمون كل شيء يصادفهم كالمتاجر والسيارات. لقد قتلوا أبرياء من الحجاج ومن رجال الأمن السعودي وإستطاعوا بالفعل أن يكسروا الطوق الأول للأمن السعودي وبدأوا بالطوق الثاني. ولو قُدر لهم أن كسروا الطوق الثالث فمعناه أنهم كانوا يستطيعون دخول الحرم المكي.

وكانت لديهم خطة تقوم على زرع جماعات مدربة أخرى داخل الحرم لكي تساعد على دخول الجماعة في الخارج إلى الكعبة أو تمهّد لها، وذلك لغاية واحدة أساسية هي الإعتصام في الحرم الشريف وإحتجاز الإمام ووضع الموجودين من الحجاج المسلمين كرهائن والمساومة مع الحكومة السعودية وإعلان إمامة خميني من هناك.

وكانت هذه العملية تسير في خطط غالباً ما يجري التأكيد عليها من خلال نداءات تصدر من خميني نفسه. وكان قد حدّر الحكومة السعودية من التعرض للمسيرة التي يقوم بها الحجاج الإيرانيون، وذلك قبل يوم واحد من إنطلاقها. وإلى ذلك فأنا أجزم أنها عملية مهياً لها منذ شهور، ومخطّط لها بإحكام. ولو قُدر لا سمح الله أن دخلوا الحرم لسُفكت دماء غزيرة.

العناية الإلهية ثم الحزم السعودي

قُلت: في تقديرك كيف تم إفشال المسألة رغم هذا السيناريو الخطر؟

أجاب: تم إفشال المخطط بجهود المسلمين الذين تصدوا للغوغاء الإيرانيين بالتعاون مع السلطات السعودية. وبمعنى آخر إن المخطط فشل بفضل العناية الإلهية أولاً، ثم حزم السلطات السعودية.

قُلت: هل كان الهدف شق وحدة المسلمين؟

أجاب: كانوا يريدون إنهاء قدسية المكان المحرّم، وإفهام الناس أن لا وجود لمكان آمن، لا في بلد الإسلام ولا في غيره. ثم كانوا يريدون تعطيل هذه الشعيرة (الحج).

قُلت: هل ترى أن الإيرانيين سيعاودون هذه الأعمال في السنة المقبلة؟

أجاب: أنا لا أستبعد وجود أصابع صهيونية دفعت إيران إلى ذلك، وأعتقد أنه إذا لم يتم تحجيم الوجود الإيراني في موسم الحج فإنهم سيعاودون هذا النهج مرة أخرى. ولذلك فإن كل المؤسسات الإسلامية طالبت الحكومة السعودية بتقليص هذا العدد الهائل من الإيرانيين الذي يُعد في حد ذاته صفة إرهابية.

قُلت: أليس من المستغرب ألا ينعقد مؤتمر إسلامي يعالج هذه المسألة ويؤازر المملكة العربية السعودية؟

إن مثل هذا الأمر لم يحدث لا على صعيد رسمي ولا صعيد غير رسمي؟

أجاب: لقد دعونا إلى مؤتمر إسلامي شعبي، لأن أشد ما يخافه خميني هو المؤتمرات الإسلامية الشعبية وليس الرسمية، التي يعتبرها «إمتداداً للطاغوت» أي السلطة.

لقد دعونا الى مؤتمر شعبي ينعقد في الأزهر أو يدعو إليه الأزهر ويكون هدفه فضح وتعرية هذا النهج، ويضم هيئات الإفتاء والمجامع الإسلامية والعلماء.

قُلت: هل تعتقد أن الأزهر قادر على تبني الدعوة إلى مثل هذا المؤتمر، وأطرح السؤال من منطلق أن

وجود إتفاقية كامب ديفيد ربما يُعقّد الأمر؟

أجاب: إن للأزهر موقعه المهم كمؤسسة إسلامية لعبت دوراً تاريخياً في نشر الدعوة. والمطلوب من مثل هذا المؤتمر أن يُصدر قرار إدانة للنظام الذي يتصدى للعقيدة ويعادي الأمة الإسلامية في تاريخها وأمنها ومقدساتها. وبالتالي عزله. وأظن أن الخمينية ستضطر إلى التراجع أمام مثل هذا الموقف.

قُلت: هل هي مبادرة عراقية يفضل العراق أن يدعو إليها؟

أجاب: العراق وبلدان أخرى، وقد دُعينا جميعاً إلى المؤتمر. وثمة خطوات جدية.

قُلت: هل يمكن مثلاً أن ينعقد هذا المؤتمر في القاهرة؟

أجاب: من الممكن في القاهرة أو في المملكة العربية السعودية أو أي بلد إسلامي آخر.

قُلت: حبذا لو يكون المؤتمر في المكان نفسه أي في مكة؟

أجاب: نعم. الأفضل إنعقاده في المكان المقدس.

قُلت: بات لافتاً للإنتباه إهتمامكم بالاحتفالات الدينية وبالذات ذكرى المولد النبوي. هل إن هذه الظاهرة

سببها ظروف الحرب. وهل أنها تلقى من جانب قيادة البعث التشجيع؟ وإذا كان الرد بالإيجاب فهل إن هذا التشجيع يبدو أمراً طبيعياً؟

أجاب: إن الإسلام في مفهوم حزبنا لا يتعارض مع العروبة. وكثيراً ما أكد الرئيس صدام حسين على الصلة

التي بين الدين والتراث، وعلى الترابط بين العروبة والإسلام وكذلك على الصلة التي بين البعث والإسلام .

أما الإحتفال بالمناسبات الدينية فإنه حالة صحية وبالذات عندما يكون الإحتفال بالمولد النبوي .

والى ذلك إن العرب والمسلمين عندما يحتفلون بعيد المولد النبوي فإنما يحتفلون بالقائد الذي وحد الأمة وإستطاع أن يفجر طاقاتها. إن الرسول لم يكن نبياً فقط بل أيضاً قائد أمة نجح في توحيد كلمتها وتفجير الطاقة التي ظلت كامنة في نفوس أبنائها بسبب الصراعات والتكتلات التي كانت على شكل بيوتات وقبائل. لقد إستطاع الرسول (ص) أن يقود الأمة من خلال وحدتها حتى حملها الله شرف الإسلام. وإذا فإننا عندما نحتفل بعيد المولد النبوي لا نفعل ذلك من أجل أن نرفع عنا التهمة التي ألصقها الخمينيون وأعداؤنا بنا، وإنما نحتفل بالمولد إنطلاقاً من الإيمان بالدور العظيم الذي قام به الرسول (ص) ولكي نتأسى بسيرته. إن الأمة في أمس الحاجة إلى الإقتداء بالرسول، وبسيرته الحسنة لأن الرسول (ص) حالة فريدة يبقى عبر التاريخ الأسوة الحسنة التي يُحتذى بها .

قُلت: كل وزارة في العراق قدّمت شيئاً في الحرب. بعضها قدّم تضحيات وشهداء وأعمالاً كبيرة، وبعضها قدّم مساهمات عادية. وبالنسبة إلى وزارة الأوقاف ماذا كان دورها في الحرب وما الذي قدّمته من شهداء وأعمال؟

أجاب: على مستوى الشهادة قدّمت شهداء من بين منتسبيها بدءاً من رجال الدين وحتى العاملين في بقية المؤسسات. وللعلم إن وزارة الأوقاف هي من أقدم الوزارات العراقية، فقد تأسست منذ أول حكومة عراقية إبان تشكيل الحُكم الوطني في العراق وهي إذاً عريقة في تاريخ الوزارات .

ولقد إشتراك منتسبو الوزارة أيضاً في دعم المعركة من خلال كونهم جنوداً أو تطوعوا في تشكيلات الجيش الشعبي. وقدّموا أيضاً شهداء كثيرين. كما أن بعضهم الآخر مازال مقاتلاً يؤدي واجبه. وتطوع قسم من المنتسبين في قواطع الجيش الشعبي سبع أو ست مرات، وهناك شهداء وأسرى ومفقودون .

قُلت: مثل الذين يحجون ست أو سبع مرات؟

أجاب: بالضبط .

وأضاف: كذلك لعبت الوزارة دوراً عبّر رجال الدين على إختلاف طوائفهم في التصدي للإفتراءات الخمينية. لقد مارس الحُكم الإيراني أساليب خداع وكان رجال الدين في العراق يردون بأباطيله وتحملوا صعوبات مصدرها ما كان متداولاً عن خميني بعد تسلّطه على إيران بإعتباره صار «منقذاً للمستضعفين»، وإدعى أنه «المهدي المنتظر»، ويمكن تصوّر حجم مهمتهم من إدراك حقيقة هي أن صورة خميني كانت ترهب حتى بعض المفكرين اليساريين. كما أن بعض أقطاب اليسار أخذوا يتمسحون بالخميني وكانوا يتصورونه أنه المنقذ. ولكن نحن نفخر أننا إستطعنا كشف المنهج التضليلي لخميني وأهدافه ومنطلقاته، وذلك بجهود العلماء ورجال الدين ومن خلال حضورهم المؤتمرات واللقاءات الإسلامية. وقد حرصت وزارة الأوقاف على حضور جميع هذه اللقاءات بغية فضح نهج خميني وتوضيح الحقيقة. وأقول الحق أن النتائج لم تأت بشكل سهل بل بجهود مضنية. حتى ان رجال الدين في العراق كانوا بسبب ذلك يتعرضون لمحاولات إفتراء ظالمة من خميني. وأظن أن ما نشاهده الآن من عزلة إسلامية لخميني ولنهجه يعود لجهودهم وبفضل جهود المفكرين والكتاب الذين كانوا يتصدون للإدعاءات الخمينية سواء بأقلامهم أو فتاواهم أو بحوثهم. أقول أيضاً إن علماء ورجال الدين في العراق لعبوا هذا الدور مشتركين بمختلف طوائفهم ومذاهبهم، سواء في الداخل أو الخارج. وقد حرصوا أيضاً على زيارة جبهات القتال. ولا يكاد يمر شهر من دون أن يكون وفد من رجال الدين هناك، كانوا يوضحون للجنود أنهم مجاهدون وأنهم يضطلعون بالدور نفسه الذي لعبه الصحابة في صدر الرسالة. كما لعب المنبر الإسلامي من خلال صلاة الجمعة دوراً متميزاً، حيث تؤكد الخطب على أهمية تعزيز روح الحماس والثبات ومساهمة المواطنين في دعم المجهود الحربي، هذا فضلاً عن الدور البارز لعلماء العراق في المؤتمرات والفعاليات

والإحتفالات الدينية والإسلامية الأخرى. ولا شك في أن المؤتمرات الإسلامية الكبيرة التي إنعقدت في العراق ساهمت في توضيح صورة العراق الناصعة. ولقد إستطاع المؤتمران الإسلاميان اللذان إنعقدا في بغداد في عامي 1983 و1985، أن يخلقا أرضية جماهيرية شعبية واسعة في الوسط الإسلامي بأحقية ومشروعية العراق في قتاله ودفاعه عن أرضه وسيادته، بعد أن إستجاب السيد الرئيس صدام حسين بشكل كامل للمؤتمر الإسلامي قبل أن يتخذ قراراته. لقد قال لهم أنا رئيس الدولة موافق مسبقاً على أي قرار تتخذونه لأنني أعرف أن ما تتخذونه من قرار حتماً سوف ينطلق من مسؤوليتكم وإيمانكم ووعيكم كقادة ومسلمين ومؤمنين تقدرّون حق الأمة الإسلامية ومصحتها. هذا الحديث كأن له صدى واسع. ولم يحدث في تاريخ الأمة الإسلامية أن زعيماً أو أميراً أو سلطاناً يوافق مسبقاً على قرار يتخذه مؤتمر شعبي إسلامي بينما هذا المسؤول في حالة نزاع مع طرف آخر.

قُلت: لعل أهم ما في الأمر أن أصحاب القرار هم غير رسميين أيضاً.

أجاب: نعم. وهذه الحالة هزت المؤسسات الإسلامية، ذلك أن الرئيس صدام لو لم يكن على حق لما فوّض العلماء هذا التحويل المطلق.

وبذلك تأكد العلماء بفراسة المؤمن أن العراق على حق. وللتاريخ أقول إن ذلك هز حتى الذين كانوا مؤيدين لـ خميني بين الممثلين أو المشاركين في المؤتمر. ولكن رُفض خميني وعدم إستجابته لنداء العلماء المسلمين وتشهيره بهم ساهم في فضح منهج خميني العدوانية بطريقة تجاوزت حتى وظيفة الدور الإعلامي التقليدي لبعض الوسائل.

زوار العتبات المقدسة

قُلت: هل إن أعداد الذين يزورون العتبات المقدسة في العراق إستأنفت حيويتها كما كانت الحال في

السابق؟

أجاب: الآن أستطيع القول إن الناس الذين يزورون العتبات المقدسة أكثر بكثير من السابق سواء كانوا عراقيين أو غير عراقيين. ولو توفرت لك الفرصة لزيارة العتبات المقدسة في كربلاء أو النجف أو الكاظمية ستشاهد حجم الذين يتوافدون للزيارة. كما تشاهد حجم الرعاية المتميزة التي أخذ المواطن العراقي يرتاح لها كثيراً.

قُلت: إنني أقصد الزوار غير العراقيين.

أجاب: غير العراقيين معظمهم يتوافدون في إطار وفود أو مؤتمرات. أما غيرهم فإن الحرب قد قلّلت نسبة وجودهم بسبب قيود السفر المشروعة. ولكن الحرية مطلقة للزوار ما عدا الإيرانيين، حيث تصلنا مجاميع من الهند وباكستان ومن دول أفريقية.

قُلت: من الطبيعي أن الرئيس صدام حسين يعطي لكل وزير توجيهات معينة. وأنت كوزير للأوقاف والشؤون الدينية ما هي التوجيهات التي تصلكم عادة من الرئيس صدام أو تجدونه حريصاً على تزويدكم بها؟

أجاب: الحقيقة وهذا ليس سراً أن الرئيس صدام حسين من أولى إهتماماته رعاية العتبات المقدسة والإهتمام بها. ولذلك فهو يتابع عمل الوزارة مباشرة وشخصياً وخاصة ما يتعلق بإعادة بناء العتبات المقدسة وتطويرها وتوسيعها. ففي كربلاء والنجف على سبيل المثال أوعز الرئيس صدام حسين بإستملاك الدور المحيطة بالروضتين الحسينية والعباسية. وكان التقدير أن يأخذ موقعاً الروضتين أبعادهما، وأن تشمخ المآذن، ويكون الطريق ما بينهما واسعاً لمنح الزائرين حرية أكبر في الحركة وممارسة طقوس الزيارة بأكبر قدر من

الإلتحام بالروضتين. وتم تذهيب قبة الإمام الحسين، قبل بضعة أشهر، وكلف ذلك مئات الكيلوات من الذهب الخالص. كما تم تجديد وتذهيب منائر الروضة العباسية التي أخذت تتآكل بسبب عوامل الجو ومثلها أيضاً بالنسبة للروضة الحيدرية. كما تم إكساء أرضيات العتبات المقدسة في كل من كربلاء والنجف والكاظمية وسامراء بالمرمر الإيطالي المستورد.

وعلى الرغم من ظروف الحرب، التي أوجبت بعض إجراءات التقشف إلا أن المشاريع الوحيدة في القطر التي إستمرت وتأثرها هي مشاريع الأوقاف حيث أمر الرئيس صدام حسين بعدم شمولها بأي إجراء يتضمن تقشفاً، ويرعى الرئيس صدام حسين مباشرة تأمين حاجات الحجاج وتقديم الخدمات للزائرين وإعادة تعمير العتبات المقدسة وأماكن العبادة في كل مناطق العراق، ومن توصياته أن على وزارة الأوقاف أن ترعى المواطنين ولا تتدخل في حرية العبادة، أي أن تعتمد المساواة وتترك لهم حرية إقامة الشعائر الدينية.

إهتمامات تراثية وطبع المخطوطات

قُلت: هل كانت هذه الخطط موجودة قبل الحرب؟

أجاب: كانت موجودة ولكنها كثفت بعد الحرب. وشملت إهتمامات الرئيس أيضاً عملية صيانة وإحياء المساجد التاريخية، أو التي تنطوي على قيمة إسلامية عظيمة لدى المسلمين في العالم كالروضة القادرية ومرقد أبي حنيفة والمسجد النوري في الموصل. كذلك شملت رعاية الرئيس للوزارة نواحي الكتاب الديني والمخطوطات التراثية، إنطلاقاً من أن العراق يمتلك ثروة وكنوزاً فكرية وثقافية كبيرة محفوظة سواء في خزانات وزارة الأوقاف حيث تمتلك قرابة 30 ألف مخطوطة أو في خزانات المكتبة الوطنية ببغداد. وقد وجّه الرئيس صدام حسين منذ توليه الموقع القيادي الأول للدولة في تموز/ يوليو 1979 بأن يتم دعم المحققين والباحثين من أجل طبع وإعادة نشر المخطوطات الإسلامية والتراثية. وقد شكّلنا هيئة خاصة تضم علماء وباحثين ورجال دين وأساتذة جامعات وإختصاصيين في شؤون التراث لهذه الغاية. وسيُرصّد لها سنوياً من مليون إلى مليوني دينار. وتم حتى الآن طبع أكثر من 150 عنواناً للكتاب. وأستطيع التأكيد بأن للكتاب العراقي والإسلامي مكانة طيبة في نفوس المؤلفين المسلمين.

وتبقى الإشارة إلى أن عبد الله فاضل، ينتمي إلى الرعيل الثاني للبعث، حيث أنه إنتظم في صفوف الحزب عام 1958، وأمضى فترات قيد الإعتقال. تخرّج عام 1976 من كلية القانون والسياسة، وتدرّج في مناصب حزبية إلى أن تم إنتخابه عضواً في القيادة القطرية لحزب البعث في الإجتماع الطارئ الذي عقده المؤتمر القطري الثامن للحزب في 1977/1/10 وفي الشهر نفسه عُيّن وزيراً للدولة ثم بعد بضعة أشهر عضواً في مجلس قيادة الثورة قبل أن يتم تعيينه يوم 1982/6/28 وزيراً للأوقاف والشؤون الدينية. وهو متدين من دون عبادة أو عمة أو لحية. متحدث لبق وصاحب أفق واسع ومستنير في أمور الدين والدنيا. يرتدي ثياب حالة التأهب التي يرتديها المسؤولون العراقيون منذ أن بدأت الحرب ونادراً ما إستبدلوها. وهو كذلك من مدينة سامراء مواليد عام 1941، وهي المدينة التي كانت العاصمة العباسية للخليفة المعتصم والتي فيها مرقد الإمام العاشر علي الهادي، والإمام الحادي عشر الحسن العسكري، والمئذنة الملوية الفريدة من نوعها بين مآذن المساجد في مختلف أنحاء العالم بسبب شكلها الحلزوني.

وتشاء المصادفة أن هذا الحديث مع عبد الله فاضل جرى قبل يوم من زيارة قام بها الرئيس صدام حسين إلى سامراء وشملت تأدية مراسم الزيارة إلى مرقد الإمامين علي الهادي، والحسن العسكري العزيزين

جداً على قلب كل مسلم جعفري (شيعي). وهذان المرقدان لن يتمكن الخميني من زيارتهما والتبرك بهما مادام لا يوقف الحرب، وبذلك يحرم الألوفا المؤلفة من الإيرانيين الذين يذوبون شوقاً من أجل زيارة المرقاد المقدسة في العراق من كربلاء إلى النجف إلى سامراء إلى الكاظمية وغيرها. وزيارة هذه المرقاد تشكل وحدها سبباً ليس فقط لوقف الحرب وإنما بناء أفضل العلاقات مع الجار العراقي.

نشر الحوار في مجلة «التضامن»
بتاريخ 10 أكتوبر/ تشرين الأول 1987

مقابلة مع الرئيس صدام حسين



باجل الآفاق

في حديث المجلات الفكرية
صدام حسين... «التصانيف»

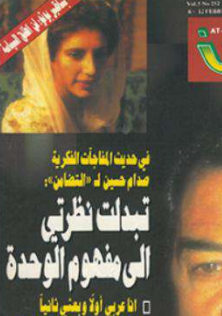
تبدلت نظرتي إلى مفهوم الوحدة

أنا عربي أولاً وبغيت تانيها
وما محتاجه هو وحدة القلوب والمثول
الوحدة التي بين العراق والسعودية
والكويت واليمن والأردن أقوى من الوحدة
الدستورية بين مصر وسوريا لشيئ الأضلال

أجرى الحديث في بغداد
فرؤات كرسلي

□ اقتراح الشعب بالخطوات
الحدوية هو أهم إلّا أنا وحدة
قوية مصرية للأشغال
□ توقيع الثقة بين العرب
هو الأساس للنيل لتحقيق
الوحدة العربية
□ تتشاور بقرقر مع الذين يتفقون
الموقف حتى ولو اختلفوا معاداً
وتشعر بالبعد عن المتفقين
وإنما القوي والقيم





التصانيف

العدد 112 - 11 فبراير 1996
A. 11 FEBRUARY 1996
A. 11 FEBRUARY 1996

تبدلت نظرتي إلى مفهوم الوحدة

أنا عربي أولاً وبغيت تانيها
وما محتاجه هو وحدة القلوب والمثول
الوحدة التي بين العراق والسعودية
والكويت والأردن واليمن
الأقوى من الوحدة الدستورية
بين مصر وسوريا يا شيل الأضلال

أجرى الحديث في بغداد
فرؤات كرسلي

باجل الآفاق

في حديث المجلات الفكرية
صدام حسين... «التصانيف»

تبدلت نظرتي إلى مفهوم الوحدة

أنا عربي أولاً وبغيت تانيها
وما محتاجه هو وحدة القلوب والمثول
الوحدة التي بين العراق والسعودية
والكويت والأردن واليمن
الأقوى من الوحدة الدستورية
بين مصر وسوريا يا شيل الأضلال

أجرى الحديث في بغداد
فرؤات كرسلي

□ اقتراح الشعب بالخطوات
الحدوية هو أهم إلّا أنا وحدة
قوية مصرية للأشغال
□ توقيع الثقة بين العرب
هو الأساس للنيل لتحقيق
الوحدة العربية
□ تتشاور بقرقر مع الذين يتفقون
الموقف حتى ولو اختلفوا معاداً
وتشعر بالبعد عن المتفقين
وإنما القوي والقيم



باجل الآفاق

في حديث المجلات الفكرية
صدام حسين... «التصانيف»

تبدلت نظرتي إلى مفهوم الوحدة

أنا عربي أولاً وبغيت تانيها
وما محتاجه هو وحدة القلوب والمثول
الوحدة التي بين العراق والسعودية
والكويت والأردن واليمن
الأقوى من الوحدة الدستورية
بين مصر وسوريا يا شيل الأضلال

أجرى الحديث في بغداد
فرؤات كرسلي

صدام حسين في حوار المفاجآت الفكرية: تبدلت نظرتي إلى مفهوم الوحدة



الرئيس صدام حسين يستقبل رئيس التحرير الصحفي والكاتب فؤاد مطر

... ويبقى من جولات حواراتي مع صدام حسين ذلك الأخير بتاريخ السبت 30 يناير/ كانون الثاني 1988 ونُشر في مجلة «التضامن» عدد السبت 6 فبراير/ شباط من العام نفسه. وفي هذا الحوار الذي كان «حديث المفاجآت الفكرية» بدا تطلُّع صدام حسين إلى ممارسة الوارث لدور عبد الناصر واضحاً، بدليل قوله: «تبدلت نظرتي إلى مفهوم الوحدة» • «أنا عربي أولاً وبعثي ثانياً وما نحتاجه هو وحدة القلوب والعقول» • «الوحدة التي بين العراق والسعودية والكويت والأردن واليمن أقوى من الوحدة الدستورية بين مصر وسوريا قبل الانفصال».

كم هو عميق إيمان هذا القائد بأمنه. وكم هو بار هذا الإبن لها. بالرغم من كل شيء ما زال إيمان القائد عميقاً. وبالرغم من كل شيء ما زال الإبن باراً. بهذا الإقتناع خرجت من لقائي بالرئيس صدام حسين يوم السبت 1988/1/30. وخرجت أيضاً بحقيقتين:

الأولى هي أن الإيمان بالأمة هو أحد عوامل الصمود العراقي الذي بات مضرب المثل. وأما الحقيقة الثانية، فهي أن الرئيس العراقي في صدد تصميم أسلوب تعامل مع الأشقاء أو فلنقل أيديولوجية تعامل تأخذ في الاعتبار الواقعية التي لم تنل في سنوات التأهيل العقائدي فرصتها. ونتيجة لذلك، تعمقت بعض الشيء مشاعر التهيب لدى هذا الجار القريب، والإحساس بالخوف لدى ذلك الطرف البعيد، والخشية لدى ذلك الشقيق الأبعد... وهكذا.

وربما لا تنقضي بضعة أشهر إلا وتجد الأمة نفسها أمام أسلوب التعامل المشار إليه، وهو أسلوب قائم على ضرورة أن تبدأ الأمة مرحلة الترميم النفسي، وهي مرحلة تراعي الخصوصية ما دام كل شعب لا يريد

التفريط بها.

وعندما يأتي هذا السعي من الرئيس صدام الذي أعطى العمل القومي والوحدوي أحلى سنوات العمر فإن سعيه يصبح مقبولاً ولا مجال للمزايدة عليه.

ويبقى أن اللقاء مع الرئيس صدام يبدد مشاعر التشاؤم عند صحفيي مثلي ينتقل من هذا البلد العربي إلى ذاك فلا يسمع من بعض الذين يلقاهاهم سوى الكلام الذي يشكّل في مجمله ما يبدو كما لو أنه مرثاة للأمة.

تحتار في أي سؤال تطرحه على الرئيس صدام، هل تسأله عن توقعاته، عن وضع الجبهة، وعن التماسك، عن العلاقة مع الإتحاد السوفياتي، عن أسئلة كثيرة من شأن الأجوبة عنها أن تزيل عشرات علامات الإستفهام المرتسمة فوق الموقفين العربي والدولي؟

العيب ليس في الكيانات

ثم أجد نفسي أسأل الرئيس صدام: هل إن الذي يحدث للأمة سيجعلها قادرة على النهوض بعد الآن، أم أن هذا التعثر الذي يرافق حركتها أمر طبيعي سبق أن واجهته أمم من قبل ونهضت بعد ذلك، بمعنى أن ما تعيشه الأمة العربية الآن عاشته أمم أخرى في العالم، وأنه عندما كانت تلك الأمم في أسوأ أحوال الصراعات والتجزئة كانت الأمة العربية في ذروة التآلق.

أجاب: لم تعش أمة في العالم ما عاشته الأمة العربية من تجزئة عبر تكوينها التاريخي لأغراض وأسباب شتى بعضها خارجي وبعضها الآخر محلي.

إن الأمة العربية عندما توحدت حركتها السياسية في الإسلام على زمن الرسول (ص) وبعده في عهد الخلفاء الراشدين وفي ظل الأمويين والعباسيين تجزأت بعد ذلك، ليس فقط ككيانات لتمضي في إتجاه واحد، وإنما ككيانات يُضعف بعضها البعض الآخر. فنحن الآن كيانات مستقلة عن بعضها، وليس عيباً في ذلك ولكن العيب أن يأخذ من قوة بعضنا، ليس من أجل أن يأخذ أي كيان من فرص الكيان الآخر في التطور والتقدم فحسب، وإنما بهدف أن تبقى كل الكيانات متخلفة وتراوح في مكانها.

إن كل الأمم التي نهضت وكوّنت حضارات، فإنها عندما تتعرض إلى التجزئة ينتهي دورها المؤثر وتتحوّل إلى حالة بسيطة ضمن المحيط العالمي... إلّا الأمة العربية التي تميزت عن هذه الأمم بقدرتها على النهوض وأداء دورها في بناء صرح الحضارة الإنسانية. وإذا لم تكن لدينا أسباب، وحقائق أخرى، نستشهد بها على عظمة أمة العرب وممارستها لدورها الإنساني والحضاري حتى في أحلك الظروف، فإن الحقيقة التي ذكرناها هي وحدها كافية لتجعلنا نقول إن الأمة العربية من طراز آخر يختلف عن بقية الأمم. وهذه الحقيقة تشجعنا على التفكير الأبعد وتجعل تفاؤلنا راسخاً لا ينتهي في أحلك الظروف والأحوال.

الأمة العربية تمر الآن في مرحلة مخاض لولادة كبيرة تختلف عن مجرد التطور الطبيعي. وإنها هكذا ليس بمنظورنا فقط، وإنما بتشخيص أعدائها التاريخيين. ولذلك فإن ردود الفعل تأخذ طابعاً متصاعداً، إذ كلما إقترّب المخاض من الولادة، لجأ الأعداء إلى تصعيد حالة المجابهة العنيفة وزجّوا بإحتياط لم يكونوا قد إستخدموه من قبل.

وعندما تتحوّل إيران إلى عدوة مفضوحة في أساليبها العدوانية الدنيئة والشريرة، فإن هذا ليس معناه أن الأمة في حالة ضعف. وعندما يتكالب الأعداء لمنع عملية نهوض الأمة وسحق نماذجها فإن ذلك يعني أنها في حالة قوة وتنبؤ بولادة جديدة ناهضة ومتطورة.

ولذلك لم يكفِ معسكر أعداء الأمة وجود الكيان الصهيوني لمجابهة الأمة في محاولة منهم لأن يزجوا أمماً حول الأمة العربية ويحركوا حالات عقيمة من الضغائن إحتوتها بطون التاريخ، وكل ذلك بسبب شعور أعداء الأمة العربية بأن ما إستخدموه سابقاً من قوة ضدها ليس كافياً لإجهاض حالة الولادة الكبيرة التي تنتظرها الأمة.

إن كل هذا قد يجعل البعض من أبناء الأمة يبتئس من حيث الرغبة في بناء الحياة، وما يتصورونه بأن التحديات والمخاطر تخلق حالة معاكسة للبناء. إننا جميعاً لدينا الرغبة في بناء الحياة المتطورة للأمة، ولكن البعض يستاء من المخاطر والتحديات والواقع الراهن الذي تعيشه الأمة إلى درجة أنه لا يأمل معها أن يكون المولود من مخاض الأمة تاريخياً.

عربي أولاً... وبعثي ثانياً

قُلت: كيف تتوقع أن تكون حالة المولود المنتظر؟ هل على سبيل المثال سيكون مكتمل النمو؟ وهل سيكون موفور الصحة. وهل سيكون إذا جاز القول البذرة الوحدوية الجديدة؟

أجاب الرئيس صدام: إن المخاض سينتهي بمولود أرى أنه سيكون هذه المرة قوياً وقادراً على المضي قُدماً من أجل تطبيق أهداف الأمة العربية.

يكون المولود وحدوياً. الرد على ذلك هو: كيف ننظر إلى الوحدة؟

أنا كعربي أولاً وكبعثي ثانياً، وهذا التسلسل ليس فنياً لأن البعثية تفكيراً وسلوكاً كما أراها في مرحلة النضج هذه، حالة متطابقة مع العروبة كما كانت دائماً، فضلاً عن أن البعثية هي في جانب منها تعبير سياسي. ومن أجل ذلك فإنه من الطبيعي أن نضع الأمة والعروبة حسب التسلسل قبل البعثية.

وبموجب هذا الفهم، كعربي أولاً، وكبعثي ثانياً لم أعد أنظر إلى تحقيق الوحدة العربية بالطريق السابق نفسه، ولم أعد أنظر إلى إمكانية تحقيق الوحدة بموجب ما كنا نتصور كمناضلين قبل الثورة، أو في السنوات الأولى للثورة. وأنا في ذلك أنظر إلى ما هو مفيد لنضالنا على طريق الوحدة والمفيد من الوسائل والصيغ هو الذي يحقق نتيجة مفيدة وأي أسلوب وصيغة يعبران عن المبادئ. ولكي يحقق الأسلوب نتيجة مفيدة لا بد أن يأخذ في الاعتبار إمكانات الواقع كما هي، وما هو موجود من جهد وإمكانية لتغييره نحو الأفضل، ومنها حماسة العربي. ولكي يكون هذا الأسلوب مجدياً ومؤثراً فلا بد أن يساهم فيه العربي مساهمة فعالة.

نحن في حقيقتنا الآن عدة كيانات، بعضنا له تاريخ عميق، هو جزء من الأمة، ولكنه حالة متميزة فيها ككيان سياسي وحضاري، بالرغم مما مر بالأمة من كيانات سياسية واحدة. وبموجب هذا، مع بقاء الحماس للمبادئ قائماً، والتطلع لصيرورتها الموحدة، أجد أن الوحدة يجب أن تتجه إلى القلوب والعقول قبل أن تتجه للبحث عن صيغ قانونية ودستورية. بموجب هذا الفهم أيضاً أرى أن الوحدة الآن وعلى سبيل المثال بيننا وبين السعودية أو بيننا وبين اليمن الشمالي، أو بيننا وبين الكويت والأردن أقوى من الوحدة الدستورية بين سوريا ومصر قبل الانفصال.

وعندما يعتقد الشعب بأهمية بناء خطوات العلاقات في الحاضر، وكذلك في ضوء حقيقة أن أفق المستقبل يقترب بقدر بناء الخطوات المشتركة بفعل أخوي صافي السريرة، فعند ذلك نحقق الوحدة.

إنني أجد أن العلاقات بين أغلب الأقطار العربية تتقدم إلى أمام في اتجاه الوحدة، ولا تتراجع، ولكن الوحدة بموجب الأسلوب القديم لتحقيقها تتراجع، أي أننا لا نرى كما هو التصور القديم أن تتحقق الوحدة بإعلان سياسي للوحدة بين نظامين كخطوة أولى نحو الوحدة الشاملة ويتبع ذلك وضع دستور مشترك للبلدين. وأجد أن

الوحدة في مثل هذه النظرة تبتعد. ولكنها الآن، أي الوحدة، تقترب من حيث جوهرها، وبمفهومها الواقعي الثوري المعاصر... أي أن صيغ الوحدة القديمة تبتعد ولكن جوهر الوحدة بمكوناتها الحقيقية يقترب. وعندما يأتي يوم تتطور فيه العلاقات الأخوية بين قطرين، أو أكثر، ويحصل التشابك والتطور إلى درجة يكون معها مهيناً لكي يتم تأطيره بصيغة دستورية، علينا ألا نتردد في هذا، وعند ذلك نتوج الوحدة بين أبناء الأمة التي نمت نمواً صحيحاً وسط أجواء مناسبة بالصيغ الدستورية المعبرة عنها وعن ضمير الشعب. وسيكون الشعب حارسها الأمين. والمهم في كل هذا إقتناع الشعب أولاً وأخيراً، لأن أية خطوة فوقية في اتجاه الوحدة، حتى عندما توجد حماسة لها بين قيادتين أو أكثر، فإنها معرضة للإنتكاس. وعند ذلك تكون أضرارها أكثر من فوائدها بكثير، وعليه لا يجوز أن تقع خطوة من هذا النوع قبل أن يتأكد المعنيون بأنها تتصل بضمير الشعب الواعي ورضاه المستقر.

ظروف الحرب... أم سُنّة التطور

قُلت: هل أن هذه الرؤية الواقعية ناشئة عن ظروف الحرب أم أنها سُنّة التطور، ولا أخفي السيد الرئيس شعوري بأن ما يطرحه الآن من خلال «التضامن» يبدو كما لو أنه أيديولوجية الوحدة لما تبقي من سنين القرن العشرين وبحيث يكون هنالك إستعداد عربي أكثر واقعية للقرن الجديد الذي نحن - أو جيل الأبناء والأحفاد - على موعد معه بعد إثني عشر عاماً، وهي مدة ليست طويلة إذا نحن أخذنا في الإعتبار أن الحرب العراقية - الإيرانية مضى عليها 8 سنوات وأن عمر الحرب اللبنانية باتت في عمر السنوات المتبقية من القرن العشرين.

وأجاب الرئيس صدام: هذا الفهم موجود لدينا قبل الحرب بل إنه بدأ منذ العام 1974 وهو مدوّن في كراريس كتبته. لكن ما يمكن قوله هو أن كل السنوات بعد العام 1974 وحتى الآن قدّمت أمثلة يومية وتفصيلية على صحة هذا الطريق وهو طريق العمل للوحدة بين العرب وعدم تحقيق الوحدة على أساس الطريق القديمة. إن الذي يحقق الوحدة هو الإستعداد للتضحية من أجل العرب، والنفس الطويل، وتهيئة الجو الأخوي والصحي البعيد عن التشنج، وإخلاء الجو من النزعات التي تبغي قطف الثمرة قبل نضوجها.

رسالة طمأنينة إلى من يهمه الأمر

قُلت: يبدو السيد الرئيس كمن يريد من ذلك إشاعة الطمأنينة في النفوس العربية وتحديداً في نفوس الذين يرون أن العراق القوي يريد أن يضع اليد ويبسط النفوذ من خلال شعار الوحدة الذي يرفعه ويريد أن يذيب هذا الكيان ويلغي تلك الشخصية.

وأجاب الرئيس صدام: لا بد من توفير الطمأنينة الكاملة في العلاقات العربية. إن توفير الثقة بين العرب تجاه بعضهم البعض هو الأساس المتين لتحقيق الوحدة العربية. وإذا تولدت حالة الشك بين العربي وأخيه فإن كل الحديث عن التاريخ والجغرافيا لا ينفع لأن الشك يولّد التباعد، ويُغلق باب التفاعل، وعند ذلك تختفي فرص بناء الشخصية العربية الموحدة.

إننا نريد أن نبني بيتنا الكبير فوق بيوتنا المبنية في أقطارنا. ونريده بيتاً يعطي بيوتنا الحالية قوة. وحالة من العمق والرسوخ. وتحقيقاً لهذا ينبغي أولاً أن نطمئن لبعضنا، ونتجنب أساليب وكلام المداورة التي تُخفي الباطن من المواقف. ولذلك نحن نشعر بالقرب حتى من الذي قد يبدو ظاهرياً بالموقف السياسي المؤقت بأنه غير قريب منا عندما لا يكون في قلبه وضميره ما يبعده عنا، بينما نحن نشعر بأننا بعيدون عن الباطنيين وباعة المبادئ والقيم في سوق النخاسة الذين يُظهرون شيئاً ويضمرون شيئاً آخر.

الإعلان القومي وظروف التطبيق

قُلت: تشاء الصدف أن هذا اللقاء معك يتم قبل أيام قليلة من حلول الذكرى الثامنة للإعلان القومي الذي طرّحته على الأمة يوم 8 فبراير 1980.

وعندما نتأمل منذ ذلك الحين في أحوال الأمة وما جرى لها نتساءل: أليس كان من الأفضل في لحظة وجدان يتم فيها الأخذ بالإعلان القومي توفير سنوات العذاب على الأمة وعلى حياة الناس من المحيط إلى الخليج؟

ونتساءل أيضاً: هل إن هذا الإعلان يجب ألا يحظى بالموافقة الاجتماعية ثم بالتطبيق فقط لأن رئيساً عربياً ابتكره أو فنقل لأن الرئيس صدام بالذات هو الذي ابتكر هذه الصيغة الوفاقية؟ ولمناسبة الذكرى الثامنة لهذا الإعلان هل لي أن أعرف من الرئيس ما إذا كان ما زال متمسكاً به، أم أنه بات مجرد أوراق من أدبيات الحُكم التي يتم المحافظة عليه في إضرابة إلى حين توافر ظروف أفضل لمعاودة طرحها كمشروع؟

وأجاب الرئيس صدام: سيظل الإعلان القومي حياً إلى عشرات السنين من الآن. وسنظل نتمسك باتجاهاته ونزداد إيماناً بمبادئه لما يؤسسه من مستقبل حي ومشرق للأمة العربية. وإنا مؤمنون بأن مستقبل الأمة العربية لا بد أن يكون حياً ومشرقاً.

قُلت: عندما يقرأ الواحد منا في القرار 598 الذي أصدره مجلس الأمن الدولي في شأن الحرب العراقية - الإيرانية فإننا نلاحظ، أو فنقل، إننا نتلمس ونستشف روحية الإعلان القومي في ذلك القرار. وإلى ذلك نتساءل: لماذا لم يتم الأخذ قبل سنوات بذلك الإعلان ما دام هو صيغة مثالية للوفاق؟ أجاب الرئيس صدام: إن الدول الكبرى بعدما رأت أن الإعلان القومي يعبر عن روح العرب لا بد أن تكون إستقادت منه على عكس أعداء الأمة العربية.

قُلت: من هم أعداء الأمة العربية؟

أجاب: دعنا نصف الأعداء.. كل من يحاول أن يعرقل حال تقدّم الأمة التي وصفنا حالها، هو عدو للأمة.

أحياناً تكون العرقلة جزئية لتحقيق مصلحة جزئية وهذا شكل آخر. ولكن عندما تكون العرقلة مقصودة، فإن الذين يمارسونها هم أعداء الأمة العربية الذين أخذوا أسماء أو صفات معيّنة، أو الذين سيأخذون أسماء أو صفات معيّنة أخرى بعد خمس عشرة أو عشرين سنة، وربما ستُحذف أسماء وصفات لأناس وستظهر أسماء وصفات لأناس آخرين. إن الموضوع المهم في كل هذا هو كيف يقترب العرب من بعضهم، ويتفاعلون ليكونوا حالة جيدة مشرقة، تفهم الخصوصيات وتأخذها بعين الاعتبار على طريق بناء البيت الكبير من الثقة والعمل المشترك، بما في ذلك العمل الوحدوي بين أقطار أمة العرب وليست حالة بديلة عن الخصوصيات المشروعة.

إنني واثق أن الكثير من أشقائنا العرب يفهموننا الآن أكثر مما كانوا يفهموننا قبل عشر سنين، وعدد الذين يطمئنون لنا، بحسابات المستقبل وليس الحاضر فحسب، يتزايد. وهذا هو المهم.

وأقول لك إن المهمة رقم واحد الآن هي تحقيق الطمأنينة للعرب فيما بينهم وهي مع بقية المستلزمات المطلوبة تُمثّل الأساس الراسخ لبناء الوحدة العربية المنشودة على المدى الأبعد، وكل عمل عربي يفيد الأمة ويمنح مزيداً من الإقتدار والإزدهار والحصانة لكل أبناء الأمة العربية.

* * * *

ودعْتُ الرئيس صدامَ متمنياً له المزيد من التألق الذي يليق به.
ومع التمنيات بالتألق رغبة بقاء لا يكون بعيداً يُلقي فيه الرئيس المزيد من الضوء على الأفكار الجديدة... لا بل على هذه الأيديولوجية الجديدة للعمل القومي المقبول والوحدة التي تتسع رايتها للجميع تحت مظلة مرحلة لا مجال فيها للشكوك ولا ضغوط فيها على الطمأنينة ولا مخاطر منها على الكيانات... الكبير منها والصغير والأصغر... وبالذات الأصغر.

نُشر الحوار في مجلة «التضامن»
بتاريخ 19 فبراير/ شباط 1988

مقابلة مع أمير البحرين الشيخ عيسى عن المؤتمر والاجتماعات الكثيرة والنتائج القليلة



من هموم حرب الخليج التي دامت ثمانية أعوام بين العراق وإيران، إلى الإهتمام بالسياحة. هذه حال البحرين الآن بعد دخول وقف إطلاق النار بين العراق وإيران الذي نص عليه القرار 598 سنته الثانية . ويشعر الزائر للبحرين بأن هذه الجزيرة الوداعة تقوم بدور يشبهه، في بعض جوانبه، ذلك الدور الذي كانت تقوم به بيروت في الستينات والسبعينات: المزيد من البناء . والمزيد من التشجيع لرجال الأعمال . والمزيد من المرونة في التعامل .

ولا خوف أن يصيب البحرين ما أصاب بيروت لأن الذين يتولون مسؤولية الأمن ساهرون، وفي الوقت نفسه على درجة من الإستنارة والتفهم للظروف التي تسود المنطقة وكذلك لخصوصية التركيبة السكانية، كما أن الصحافة البحرينية التي تتمتع بجو مدرّوس من الحرية الذي يتيح لها أن تنشر ما لا ينشره آخرون في منطقة الخليج، لا تتجاوز الخطوط التي تكهرب الرأي العام، وهذا ما مارسه الصحافة اللبنانية التي أظهرت انها قادرة على دفع أجواء التناقضات السياسية والمذهبية إلى الإشتعال لكنها عاجزة بعد إندلاع الحرائق على أن تساعد على الإطفاء .

وفي سعي حثيث تحاول البحرين الإستفادة من أجواء الانفراج منذ وقف إطلاق النار وتتنجه نحو تنشيط السياحة خصوصاً أنها تملك الكثير من المقومات، حيث لا تزلت ولا أثر للقيود التي تجعل السائح الأجنبي لا يأتي وتجعل العربي وبالذات الخليجي الراغب في السياحة يتوجه إلى بلاد أخرى. وإلى ذلك إن البحرين غنية بالآثار لمن يحبها. وفي لقاء لأعضاء مجلس إدارة شركة المشاريع السياحية مع رئيس الوزراء الشيخ خليفة بن سلمان آل خليفة يوم 1990/3/24 أوضح الشيخ «إن السياحة أصبحت رافداً مهماً من روافد الدخل القومي وقاعدة لتوظيف المزيد من الأيدي العاملة البحرينية».

والمؤمل من هذا التشجيع الذي توليه الدولة لمسألة السياحة أن تصبح البحرين خلال خمس سنوات جزيرة السياحة الخليجية تدر عليها المال الوفير. وفي ضوء نتائج الإجراءات التي أقرتها إدارة الهجرة والجوازات في وزارة الداخلية والقاضية بإصدار تأشيرات بين 72 ساعة وأسبوع فإن المردود كان جيداً، خصوصاً أن هذه الإجراءات لقيت إقبالاً كبيراً من الأجانب الذين زاروا البحرين عبر المطار أو جسر الملك فهد. وعلى سبيل المثال فإنه طبقاً لتأشيرة 72 ساعة دخل البحرين خلال الربع الأخير من العام الماضي 31868 من ضمنهم 1817 عربياً و4312 أميركياً و5395 أوروبياً و18021 أسيوياً و1323 من جنسيات أخرى.

والذي يزور البحرين يلاحظ حركة عمران تتزايد، ويلاحظ أن مساحة الأرض إزدادت إتساعاً بعدما تم ردم جزء من الشواطئ. كذلك يلاحظ الذي يزور أن حركة الأسواق تسترد عافيتها وهي مكتظة بمعظم الألوان والجنسيات حالها في ذلك مثل حال مطار البحرين الذي يربط شرق آسيا بالعالم العربي وبالدول الأوروبية، وتجني البحرين من هذا الموقع الفريد كنقطة اتصال بين القارات أموالاً تشكّل إضافة إلى العوائد التجارية والنفطية دخلاً قومياً متوازناً ومستقراً وتجعل بالتالي الدينار البحريني إحدى أقوى العملات العالمية إلى درجة أن الدينار الواحد يساوي حوالى ثلاثة دولارات.

ولكن ذلك لا يعني أن الهموم ليست موجودة. ولكن تبقى أقل حدة من هموم آخرين. ولعل أبرز الهموم أن الاكثرية الساحقة من البحرينيين مدينة وهي في ذلك حالها مثل حال الأميركيين حيث هنالك غنى حاد وحيث الاكثرية من المواطنين مدينة للدولة ولشركات الإقراض وبطاقن الإئتمان. أما الدعم الحكومي للسلع فإنه يسري بنسبة واحدة على الاغنياء وعلى الفقراء، الأمر الذي يستوجب إعادة النظر بما يحقق توازناً مفقوداً.

ومن المشاكل التي تواجهها البحرين أن المواطنين يرغبون في تخضير دولتهم بينما الحكومة تدعو إلى التريب وتلك مفارقة لافتة للانتباه حيث أن المألوف في معظم دول العالم الثالث هو أن الحكومة تحث المواطنين على الإهتمام بالزراعة والتخضير. أما لماذا الأمر يختلف بالنسبة إلى البحرين فلأن الزراعة على حد قول وزير الأشغال والكهرباء ماجد جواد الجشي «تستنزف كميات كبيرة من المياه وعلينا ضبط عمليات التشجير، وأنا ضد تغطية البلاد بالأشجار من كل نوع، وأرى التركيز على الزراعات التي لا تستهلك مياهاً كثيرة وذات مردود مثل النخيل».

وإلى ذلك، يضيف الوزير: «إن الوضع المائي خطير جداً ولا بد من ترشيد الإستهلاك لأن الحكومة لا تستطيع إنشاء محطات تحلية إلى ما لا نهاية». ويدعو الوزير إلى اعتماد أسلوب التجميل الجاف. لكن في الوقت نفسه نجد أمير البلاد الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة يبدو سعيداً بالإخضرار ونجده يفتتح بنفسه يوم 1990/3/22 المعرض السنوي للزهور والخضراوات ويشجع من خلال تقديم جوائز على الزراعة.

وتجدر الإشارة هنا إلى أنه حدث للبحرين ما سبق أن حدث في القاهرة عندما بدأ تقطيع الأشجار لتشييد البنايات والأبراج السكنية والتجارية وفي سنوات لم تجد القاهرة الفاكهة والخضار لتأكل وصارت تستورد من الخارج. وفي البحرين تعرضت ألوف أشجار النخيل لهجمة مماثلة من الإسمنت والحديد. وها هم الآن يغرسون من جديد لعلهم يعوضون ثروة جميلة ضاعت.

ويبقى أن هذه الأسطر هي تمهيد لبضعة لقاءات صحافية أجريتها في البحرين كان أولها مع امير الدولة الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة وتلاه لقاء مع وزير الخارجية الشيخ محمد بن مبارك ولقاء مع وزير التنمية والصناعة يوسف الشيراوي ولقاء رابع مع وزير الاعلام طارق المؤيد. وعلى هامش هذه

اللقاءات كانت لي مناقشات مع كثيرين. ولقد أفادتني هذه المناقشات عند وضع الأسئلة التي أوجهها إلى أهل القرار البحريني وإلى الذين يشاركون في صنع القرار.

بعد التحية على سمو الشيخ عيسى بحضور وزير الداخلية الشيخ محمد بن خليفة ووزيري الخارجية والإعلام بدأ أمير الدولة يسأل عن لبنان وأحواله.

وقلت له: أنا في حضرة عميد حكام الخليج الذي هو شاهد على تاريخ حافل بالأحداث والتطورات والإنجازات. ومنه نود أن نعرف رأيه في ما سيحدث للبنان.

وأجاب: لا يحل قضية لبنان إلا أهل لبنان. ما أنجزته المملكة العربية السعودية كان طيباً وكان جهداً جباراً لكن يبقى أهل لبنان وما الذي سيفعلونه لحل قضية تخصهم في الدرجة الأولى.

لقد عملت اللجنة الثلاثية ما عليها وبذلت المملكة العربية السعودية الكثير ويبقى على أهل لبنان أن يؤكدوا أنهم يرغبون بالفعل في إنهاء هذه المحنة.

وقلت للامير: سموك شاهد تاريخي على التحولات التي عاشتها منطقة الخليج من مرحلة الفقر قبل النفط إلى مرحلة الطفرة بعد الازدهار التي شهدها أسواق النفط إلى الإنكماش الذي حدث نتيجة التراجع الحاد في أسعار النفط. هل تعتقد أن أبناء الخليج استفادوا من دروس المراحل المشار إليها؟

أجاب: في تقديري أن الاستفادة حدثت. وقيام «مجلس التعاون لدول الخليج العربية» هو تأكيد لذلك، بمعنى أن المراحل التي مرت على منطقة الخليج وما حفلت به كل مرحلة من مفاجآت سارة أو غير سارة أوجبت على قادة دول الخليج إستنباط الصيغة التي تصون منطقتنا من المفاجآت وتضعها في جو الإستقرار. وهذه الصيغة كانت مجلس التعاون.

قلت: وكيف تنظر إلى مستقبل منطقة الخليج في السنوات المتبقية من القرن العشرين:

أجاب: كان مجلس التعاون خطوة جبارة إلا أننا نتطلع نحو الأهم. وفي اعتقادي أن ما نتطلع إلى إنجازه في ما تبقى من سنوات القرن العشرين لن يخدم منطقة الخليج فقط وإنما المنطقة العربية.

قلت: هل أنت مطمئن إلى الإستقرار في منطقة الخليج لاسيما وأن الحُكم الإيراني لا يبدي النيات الطيبة في شأن الحل الشامل والدائم مع العراق؟

أجاب: لقد كان وقف إطلاق النار بداية طيبة ونحن نرى ونتمنى أن يعيش الجانبان في وئام من دون أن يتدخل أحد في شؤون الآخر. ونحن نؤمن بأهمية الإستقرار، ونرى أن التنمية ستكون سريعة لمجرد أن يحصل الإستقرار بالشكل المنشود.

قلت: في السنوات الخمس الأخيرة إنعقدت إجتماعات ومؤتمرات عربية كثيرة شاركت فيها. ما الذي تحقق من هذه الإجتماعات والمؤتمرات؟

أجاب: الإجتماعات والمؤتمرات كثيرة أما النتائج فإنها قليلة. وما نتمناه هو أن يحدث العكس أي أن تكون الإجتماعات والمؤتمرات قليلة إنما ذات نتائج كثيرة ومهمة. لعل وعسى يتحقق ذلك.

قلت: لا بد أن سموك لاحظ ضراوة الحملة البريطانية ضد العراق لأنه نفذ حُكم الإعدام بالجاسوس بازوفت. ما الذي تقوله في هذا الشأن؟

أجاب: لكل بلد قوانينه ونظامه التي يجب أن تكون موضع إحترام الآخرين. ونحن في البحرين على سبيل المثال لنا قوانين نطبّقها بحذافيرها عندما يكون هنالك موجب للتطبيق ونرفض أن يتدخل أحد في شأننا أو يثير التساؤلات حول سبب التنفيذ. وما نريده لأنفسنا نريده لغيرنا.

قلت: نحن على أبواب الشهر الفضيل شهر الصوم. ما الذي تتمناه من الله سبحانه وتعالى في هذه

المناسبة لشعبكم ولشعوب منطقة الخليج وللشعب الفلسطيني والشعب اللبناني؟

أجاب: ما نتمناه هو الوفاق والتآخي للعرب عموماً. أما أبناء فلسطين فإن ما نتمناه لهم هو وحدة الصف لأن صفهم مع الأسف غير موحد. وأما لبنان فإننا ندعو إلى الله أن يحميه ويوحد شمله. لقد إنعكست تناقضات السياسة العربية في لبنان لكن أملنا كبير في التغلب على هذه التناقضات. وأعود فأكرر أن ما توصلت إليه اللجنة الثلاثية وبدعم كبير من المملكة العربية السعودية كان امراً طيباً ويجب الأخذ به.

... وبقية للحوار مع شيخ الدبلوماسية محمد بن مبارك

ودعْتُ سمو الشيخ عيسى الذي أنهى الحديث بعبارة: «إن الصراحة في العالم العربي معدومة وإن الذي يصارك هو الذي يودك». وبعد ساعات كنت في مكتب وزير الخارجية الشيخ محمد بن مبارك آل خليفة الذي يقود الدبلوماسية البحرينية بعقلية أبقت بلاده بعيداً عن التعقيدات في فترة كانت حافلة بالتعقيدات والتشابكات.

وفي مكتبه في وزارة الخارجية تم هذا اللقاء الذي شمل كل القضايا الساخنة وبعض القضايا العالقة. قُلت للشيخ محمد: الآن وقد بات الوضع العربي على صورة جديدة غير مألوفا هل لي أن أنقل إلى قراء «التضامن» تقويمك لهذا الوضع، وهل أنت الذي عرفناك دائماً متفائلاً ما زلت على تفاؤلك؟

أجاب: نحن نعيش في عصر من التحديات تسود العالم بشكل عام وإن كانت التحديات التي تعيشها منطقتنا من النوع الكبير وبالذات التحدي المتمثل بمسلسل العدوان الإسرائيلي منذ 1948 والذي لم ينته. هنالك ثلاث حروب. وبعد الغزو الذي تعرّض له لبنان وما زلنا نعيش ظروف بشاعة هذا الغزو، ها إننا نعيش الآن ظروف هجرة اليهود السوفيات إلى فلسطين. إنها وغيرها قضايا كبرى يواجهها العالم العربي، والتعامل معها يكون بأسلوب واحد وهو أسلوب التعاون الجماعي الذي ينظر إلى الأمور بشكل علمي وبجدية ويواجهها أيضاً بكل جدية.

هنالك مواجهات بعضها يتعثر وبعضها ينجح ولكن المواجهات الأكثر جدوى هي تلك التي تتم بجدية ومنها المواجهة العربية المتمثلة باللجنة الثلاثية التي توجت جهودها بوثيقة الطائف، وهي وثيقة وضعت أساساً عميقة لإعادة الأوضاع في لبنان إلى ما كانت عليه قبل محنته التي تتواصل فصولها المأساوية.



أمير البحرين الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة يستقبل رئيس تحرير مجلة «التضامن» فؤاد مطر بحضور وزير الخارجية الشيخ محمد بن مبارك ووزير الإعلام طارق المؤيد

هناك سلبيات كثيرة في الوضع العربي، لكن هناك أيضاً إيجابيات. ويبقى التفاؤل وارداً مادامت هناك إيجابيات، ومادامت حدثت إفرازات طيبة من بينها مجالس التعاون العربية. لكن من المهم أن يبقى واضحاً أمامنا وهو أن أمام العالم العربي أسلوباً واحداً بصرف النظر عن النتائج وهو: التعامل بجدية.

الحيوية ترافق عودة الجامعة

قُلت: هل بعد القرار الذي إتخذتموه كوزراء خارجية خلال إنعقاد مجلس الجامعة في تونس قبل حوالي شهر فإن العمل العربي سيشهد حيوية على أساس أن الدولة الأكبر مصر لم تستعد فقط عضويتها، بعد تجميد إستغرق حوالي عشر سنين، وإنما عادت القاهرة مقراً دائماً للجامعة العربية؟

أجاب: الأمر الذي أجمع عليه الأشقاء العرب هو أن عودة مصر لا بد تعطي العمل العربي حيوية. أما عودة الجامعة إلى القاهرة فإنه عمل إجرائي وذلك لأن الميثاق ينص على ذلك. ومن الطبيعي أنه عندما يزول تعليق عضوية مصر أن تنتهي مسألة بقاء الجامعة خارج مصر، وهذا لا يمكن أن يحدث إلا في حال تغيير الميثاق. وفي أي حال إن مجرد إستعادة مصر عضويتها ستعطي العمل العربي زخماً سواء عاد المقر إلى القاهرة أم كان خارجها.

قُلت: إن مسألة الميثاق مطروحة منذ زمن بعيد وهناك دعوات لتعديل الميثاق. بالنسبة إلى البحرين كيف تنظرون إلى مسألة التعديل وأي مواد هي التي ترون ضرورة تعديلها؟

أجاب: مما لا شك فيه أنه بعد مضي خمسة وأربعين عاماً على إنشاء الجامعة لابد من تقويم لهذه المسيرة. وما دام العمل يتم بموجب الميثاق فإن التقويم المطلوب يبدأ في ضوء ما أنجزته اللجان من دراسات. ولقد شاركت البحرين في هذه اللجان وكل ما يهمنا أن تكون الجامعة قادرة على مواكبة الأحداث ولم الشمل العربي والتنسيق إقتصادياً وإجتماعياً وثقافياً ودفاعياً أكثر من الماضي. وإلى ذلك هناك مسألة إتخاذ القرار وتنفيذه وعلينا أن نفكر فيها جدياً للمرحلة المقبلة. هذه عناصر أساسية في الميثاق يجب أن تُعطى مزيداً من التفكير والتعمق حتى تؤدي الجامعة مهمتها.

قُلت: هل تعتقد أن قيام مجالس التعاون كان نتيجة أن الجامعة بدأت تتزلزل، أو أن قيام هذه المجالس يمكن أن يساعد الجامعة؟

أجاب: نعتقد أن قيام هذه التجمعات في إطار الجامعة والتزامها بميثاقها والتزامها بالمبادئ السامية للجامعة يقوي الجامعة لأن يقصر مسيرة التعاون العربي. فعندما تكون هناك ست أو خمس أو أربع دول هنا وهناك تتسق مع بعضها التنسيق المطلوب، فإن ذلك يكون أفضل على الصعيد العربي فضلاً عن أنه سيقوي من دور الجامعة أيضاً. وعندما نذهب وتكون هناك تجمعات عندها رؤية واضحة للأمور وقادرة على أن تدفع الأمور إلى الامام فهذا أفضل بكثير من أن تكون هناك أفكار بعيدة عن بعضها البعض.

قُلت: هل تقصد أن دور الجامعة سيكون دور «المنسق» بين هذه التجمعات؟

أجاب: أعتقد أن دور الجامعة في تنفيذ قرارات يكون أقوى بهذه التجمعات أكثر مما كان عليه في الماضي، خصوصاً أن هذه التجمعات وضعت نُصب أعينها مبدأ التعاون الإقتصادي. والأمة العربية أحوج ما تكون إلى الربط الإقتصادي، وهذا قد يختصر مهمة مشوار التعاون.

قُلت: لاحظنا أن هناك ترحيباً متميزاً من جانب البحرين تجاه إتفاقية الحدود السعودية - العُمانية، فهل أنكم تعتبرونها إتفاقية إستثنائية؟

أجاب: إن أي إتفاقية تنهي قضايا معلّقة بين أي شقيقتين في الوطن العربي هي في نظرنا مكسب للعرب

جميعاً، ونعتبر أي تصفية لأي قضايا عالقة شيئاً جيداً نرجّب به ونسانده ونرى أنه مثال يجب أن يُحتذى به. ان إنهاء الخلافات أو القضايا العالقة هي من أهم الأمور التي يجب التركيز عليها لأن عدم حسمها يؤثر على مسيرة العمل المشترك. ومن هنا نرى أن ما تم بين السعودية وسلطنة عُمان كان خطوة مباركة ومسؤولة وشاملة بين الشقيقتين لترسيم الحدود.

قُلت: هذا يدفعنا إلى أن نسأل عن توقعاتكم بالنسبة إلى البحرين متى في تقديركم سيتم حسم هذه القضايا؟ وقضاياها العالقة؟

أجاب: بأسرع وقت ممكن. نحن نسعى بكل ما نستطيع كي لا يكون لدينا مع أي من إخواننا أو أشقائنا أي شيء عالق. وتسعى البحرين بكل طاقاتها وكذلك المملكة العربية السعودية ودول مجلس التعاون الخليجي للوصول إلى إنهاء القضايا العالقة بين جميع دول المجلس.

قُلت: وهل هناك من خطوات جديدة يمكن أن نشير إليها في هذا الصدد؟

أجاب: ليس لدي جديد أقوله غير ما إتفقنا عليه من أن المملكة العربية السعودية تقوم بدور الوسيط. **قُلت: هذا الأمر ينقلنا إلى مسألة العلاقات العربية - الإيرانية. وما نلاحظه هو أنه على رغم المرونة من جانب العراق وترحيب الأشقاء العرب بهذه المرونة فإنه لا يوجد أي تقدم في الموقف الإيراني في شأن المفاوضات المباشرة، ولا حتى في شأن الموضوع الملح وهو الأسرى. في الوقت نفسه لا يوجد نوع من التنشيط العربي لمهمة السلام ولا توجد ضغوط في اتجاه بعض الأصدقاء أو لدى إيران نفسها. ألا تعتقد أن الموقف يحتاج إلى بعض التحرك؟**

أجاب: صحيح أن الحرب توقفت وصدر قرار من مجلس الأمن ولكن الأمر إنتهى إلى لا حرب ولا سلم، بينما المطلوب هو السلام الدائم والشامل. وهذا الوضع لا يخدم السلام في المنطقة وهو غير مقبول ولا يناسبنا ويجب أن يكون هناك نشاط عربي مكثف في هذا الإتجاه. دول مجلس التعاون الخليجي تسعى بإستمرار

وزير خارجية دولة البحرين الشيخ محمد بن مبارك يتحدث إلى رئيس التحرير الزميل فؤاد مطر

للمساهمة مع الأمين العام للأمم المتحدة لتنفيذ القرار 598، ونحن على إتصال دائم في هذا المجال ولم نتوقف لحظة من اللحظات. كما أن الأمين العام للأمم المتحدة يبذل جهداً. ولكن لا شك أن المحادثات المباشرة هي من الركائز التي لا بد منها للتوصل إلى الحل النهائي. وأعتقد أن إعادة الثقة هو المهم. إن إتفاقية السلام هي إعادة ثقة وهو أمر يجب أن يتأتى من جانب الطرفين. الرئيس صدام حسين قدّم مبادرات جيدة ونأمل أن تقدّم إيران مواقف في هذا الإتجاه. ونحن نسعى من أجل أن يكون موقف الجانبين متقارباً.



قُلت: ألا تعتقد أنه على الأقل يمكن إنجاز بعض التقدم إزاء موضوع الأسرى؟

أجاب: موضوع الأسرى نصت عليه إتفاقة جنيف والإتفاقات الدولية، وأعتقد أن إطلاق الأسرى خطوة كان يجب أن تتم عند وقف إطلاق النار. الأمين العام للأمم المتحدة قدّم مجموعة من النقاط في هذا المجال ونأمل أن تحوز خطته التي قدّمها مؤخراً على رضى الجانبين وتعطي كل طرف ما يستوفي شروط أولوياته. وخطة الامين العام مدخل لكي يُنفذ كل من الطرفين رغباته في الأولويات.

قُلت: نسمع كلاماً من جانب إيران حول «الخيار العسكري»، هل تعتقد أن المجال لا يزال مفتوحاً لمثل هذا الخيار أم أنه سقط أو أنه يجب أن يسقط؟

أجاب: يجب أن يسقط. وأنا لا أعتقد أن أي إنسان عنده تجربة يرى أن الخيار العسكري أمر مفيد. هذا الخيار ضار وليس آمناً سوى الخيار الودي والتعايش لأننا نحن دول نامية تحتاج إلى كل إمكانياتنا للتنمية وليس للمواجهة. للتعاون وليس للمجابهة. نتمنى ألا تعود الحرب. ونأمل أن تكون ولّت إلى غير رجعة. ونحن الآن في مرحلة ترتيب البيت الخليجي والتعايش في هذه المنطقة على أساس الواقعية وعلى أسس حُسن الجوار وعدم التدخل في الشؤون الداخلية. هذه مبادئ أساسية.

قُلت: هل تقصد بترتيب البيت الخليجي كل الخليجين بما في ذلك إيران؟

أجاب: نعم.. أنا أتحدث بشكل عام عن الخليج، فتلك الحرب أثّرت على الخليج ككل ويجب أن يكون هنالك تفاهم في المنطقة ككل. إن أسلوب المجابهة قد إنتهى والهدف الآن هو التعاون، لأن الحرب أفرزت أضراراً ليس على الدولتين المتحاربتين فقط وإنما على كل دول المنطقة.

قُلت: موضوع الساعة الآن، هو ما حصل بين العراق وبريطانيا بسبب الجاسوس بازوفت؟

أجاب: شيء مؤسف هذا الذي حدث بين العراق وبريطانيا. الدول ذات سيادة ولها قوانين. ومن يدخل بلداً يجب أن يحترم قوانينه، وعملية التجسس من أخطر العمليات التي يمكن أن تواجه أي دولة، وتصعيد الحملة الإعلامية في الصحافة البريطانية لم يسهم في تهدئة الأوضاع. وكما تعرف فهناك صحافة تريد دائماً أن تشوّه الموقف العربي وتسيء إليه من أهداف ليست لصالح تلك الدولة التي تنتمي إليها الصحيفة ولكن الصهيونية العالمية كما تعلم لها نفوذ كبير في هذا المجال، ودائماً تحاول أن تسيء إلى العلاقات مع العرب، أمل أن نتخطى هذه المرحلة، ويجب أن تتوقف الحملة الإعلامية وتعود العلاقات العراقية - البريطانية إلى طبيعتها. وطبيعي أن تعالج الأمور بروية وليس بتصعيد.

قُلت: التصعيد من ناحية بريطانيا؟

أجاب: بالطبع من ناحية بريطانيا.. التصعيد ليس له أي موجب.

قُلت: فجأة تتعزز العلاقات بينكم وبين الصين الشعبية ويزوركم وزير خارجيتها ويتم توجيه دعوة إلى سمو الأمير لزيارة الصين.

هل لمستم لدى الصين الشعبية أي مبادرة، أو هل هي البديل للإتحاد السوفياتي الذي لم يعد دولة كبرى بسبب التطورات التي ما زالت تحدث فيه؟

أجاب: الصين الشعبية دولة كبرى بكل معنى الكلمة وهي عضو دائم في مجلس الأمن ومسؤولة عن الأمن والسلام في العالم. وهي تتحرك على أسس التعاون وتبادل المصالح المشتركة وإبعاد مبدأ الخلافات الأيديولوجية وإبعاد مبدأ التدخل في الشؤون الداخلية وتريد أن تقيم علاقات مبنية على الإقتصاد والإحترام المشترك، وهذه أمور طيّبة نلتمسها في دولة كالصين. ونحن في البحرين بلد تجاري ونتعامل مع الصين في هذا المجال ونعتقد أن هذا التعامل قد يزداد مستقبلاً، كما نعتقد أن الصين ستكون سوقاً مهماً لمنتجاتنا من مشتقات النفط.

وفي الجانب السياسي فإن مواقف الصين تجاه قضايانا العربية جيدة، وكل هذا يعطي الصين فرصة جيدة لأن تبني علاقات حسنة مع الدول العربية.

قُلت: يتزامن هذا مع الأحساس لدى المواطن العربي بأن الاتحاد السوفياتي إبتعد..

أجاب: كجزء منه، فالتغيير الذي حدث في أوروبا كبير جداً ومنه الموقف في أوروبا الشرقية ككل، ولكن يجب أن لا نأيس ونعتقد أن هذا الدور المؤيد للقضايا العربية قد إنتهى، علينا الآن أن نسعى لكيلا نخسر تلك الدول ومواقفها المؤيدة لقضايانا العربية لأنه يجب أن يكون تأييدها لهذه القضايا مبدئياً وليس تكتيكياً.

قُلت: هل تشعرون بإستقرار في الوضع في منطقة الخليج أم تشعرون بخوف على الإستقرار؟

أجاب: نحن مطمئنون لأوضاعنا ولكن يجب أن نكون حذرين بالمستوى نفسه، وقبل ذلك علينا بناء قاعدة صلبة لمواجهة الرياح والمتغيرات التي تهب. فتحسين البيت الخليجي وتحسين إمكاناته الإقتصادية وتحسين وضْعنا الدفاعي أمور أساسية، وقبل أن نطلب من الآخرين أن يغيّروا، يجب أن نكون مستعدين لمواجهة الأحداث. وأول شيء هو مسؤوليتنا الذاتية. وأنت سألْت سمو الأمير بالأمس عن تجربة المنطقة في مراحل عديدة وما إستفادته من ذلك، والجواب هو أن دول المنطقة بعد تفكير عميق توصلت إلى الإطار المستقبلي وهو قيام مجلس التعاون الخليجي، هذا الإطار هو البناء الذي نقوم به للمستقبل، أن تكون هذه المنطقة متعاونة ومتكاملة وإقتصادها موحّداً.. ودفاعها كذلك، حتى نستطيع مواكبة التغييرات، وحينما نتحدث عن أوروبا موحّدة العام 1992، فالأولى أن نكون قادرين على أن نقيم كياناً قادراً على مواكبة ذلك، فمجلس التعاون الخليجي هو إفراز طبيعي للتطورات في المنطقة لبناء المستقبل، والمجلس قادر على دعم جهود السلام وعلى بناء التنمية وبناء الإنسان ومسيرتنا في خلال السنوات العشر الماضية في مجلس التعاون هي طريقنا إلى المستقبل.

قُلت: لقد قال سمو الأمير أن ما حصل هو المهم، لكن المطلوب الآن الأهم.. فماذا كان سموه يقصد؟

أجاب: أعتقد أن مجلس التعاون هو مرحلة لها بداية وليس لها نهاية، فرغم ما حققناه فإننا نحتاج إلى الكثير لتحقيقه في المستقبل، هناك أشياء كثيرة حصلت، وأماننا أشياء مهمة. وطريقنا طويل. لكن الأهم هو هل الطريق الذي نسير عليه هو الطريق الصحيح أم لا؟ بالطبع هو الطريق الصحيح.

قُلت: سمعتُ كلاماً مهماً من سمو الأمير عن أزمة لبنان والمنطقة، فأين يكمن الحل اللبناني في رأيكم؟

أجاب: لبنان بلد عزيز علينا جميعاً ويجب أن يكون في أفضل وضْع ليسهم في دوره الطليعي مع الدول العربية، ولبنان له دور مميز وهو مكسب للعرب جميعاً ونتمنى عودته معافى وسليماً. وكما قال سمو الأمير فإنه يحز في نفوسنا ما يجري في لبنان ويجب أن نسعى جميعاً لإنهائه. في حقيقة الأمر هناك دور لبناني.. ودور عربي..

الدور العربي يحاول أن يجمع الأطراف حول منظور مشترك للوصول إلى حل مشترك، ونعتقد أن اللجنة الثلاثية بذلت جهداً كبيراً وحققت خطوات أساسية، ولذلك فإن الفئات اللبنانية نفسها مطالبة أن تسعى لإزالة خلافاتها، فإذا تزامن المفهوم العربي للحل مع المفهوم اللبناني فإن المهمة ستكون سهلة. ما حدث في بيروت الشرقية شيء مؤسف حقيقة لأنه لا يوجد فيه أي منطق أو عقل، إذ اننا في هذه المرحلة نتكلم عن الوفاق بين الطوائف فكيف ونحن نرى أن الطائفة الواحدة تنقسم على نفسها!

قُلت: عُقد أخيراً مؤتمر الحوار الخليجي - الأوروبي، ووضح أن هناك حماساً خليجياً للفكرة. ما أرغب معرفته منكم، هل هو بديل للحوار العربي - الأوروبي التقليدي، وهل في الإجتماع أو محاوراته كان تركيز على طبيعة الإستثمارات الخليجية في أوروبا على أساس أن هنالك نظرة للإستفادة من هذه الإستثمارات، لأنه إذا لم تكن هناك حروب في منطقة الخليج أو المنطقة العربية، فبالتالي يجب أن تنشط هذه الإستثمارات

في منطقتنا بدل أن تكون في الخارج، ويقال إنها وصلت إلى 400 مليار أو 650 ملياراً. ثم ما هو المتوخى من الحوار الإقتصادي الخليجي - الأوروبي؟

أجاب: في حوارنا مع الأوروبيين كنا واضحين، فهو ليس بديلاً عن الحوار العربي - الأوروبي ولكنه مكمل له، نحن في دول مجلس التعاون بدأنا الحوار وخطونا خطوات ملموسة ونأمل أن تنعكس هذه الخطوات على التعاون العربي ككل، لكن هذا لا يمنع إننا كدول نامية لها مصالح مع أوروبا التي ستكون موحدة وحدودها مفتوحة وإقتصادها موحّد، علينا أن لا نترك هذه الفرصة قبل أن نقيم الحوار معها ونوقع إتفاقات تضمن تسويق صناعتنا الناشئة، وكذلك نحن سوق كبير لأوروبا، ونلاحظ أن ميزان المدفوعات يميل لصالح أوروبا على دول مجلس التعاون بـ 5 مليارات دولار سنوياً، ونعتقد أن علينا تعديل الميزان التجاري بيننا.

نحن في الحوار نتكلم سياسة، ونتكلم في إقتصاد، فعلى الجانب السياسي فإن البيان المشترك الذي صدر عبّر عن الموقف العربي كله من حيث المطالب العربية وإتخذ في شأنها موقف إيجابي وهذا جاء بإرادة دول السوق الأوروبية المشتركة ذاتها، لكن الموقف السياسي مرتبط بالموقف الإقتصادي. فكلما تكاملت مصالحنا الإقتصادية فإنها تكون متكافئة وسينتهي حصر إستفادة جهة على الجهة الأخرى، والشيء المهم في خطتنا هو أن تكون أهدافنا متكافئة وبذلك تعم الفائدة الجميع. ولا تستطيع أن تحقق ذلك إلا بالحوار وإتفاقيات، وهذا هو منطق العصر الذي نعيش فيه.

قُلت: الإنتفاضة الشعبية الفلسطينية مستمرة. والحركة لإيجاد حل دولي للقضية الفلسطينية متعثرة، ما الذي تراه في هذا الشأن؟

أجاب: الإنتفاضة من الأحداث المهمة في هذا القرن وهي أهم حدث في الخمسين سنة الماضية، لقد هزت العالم، وبنيت له أن هناك شعباً مضطهداً يطالب بحقوقه وقُدّم هذا الشعب تضحيات كبيرة. الموقف العربي كان موقف المساندة للإنتفاضة، أما الموقف الدولي فقد تراجع مع الأحداث الأوروبية، وغيرها. مع ذلك فهناك محاولات للوصول إلى حل، وهناك مساعي دعم للجانب العربي وللجانب الإسرائيلي. المطلوب منا كعرب أن نستمر في الحوار وأن نقوي موقفنا لأنه هو القادر على الإسراع في الوصول إلى حل، الموقف العربي يجب أن يكون أكثر تماسكاً، وهو الرادع لأي إستهتار من جانب عدو يريد أخذ كل شيء وعدم إعطاء شيء.

قُلت: إسرائيل الآن تدعو إلى حرب أو تخطط لها، ويمكن فرض هذه الحالة على العرب وهم في حالة إنتظار السلام. هل يشاركنا معالي الشيخ هذا الإعتقاد؟

أجاب: في الوقت الذي يفكر فيه الإنسان بالسلام عليه أن يأخذ الحيطة لمواجهة العدو، وأن يتسلح بجميع الأسلحة الفتاكة في الدنيا. وإسرائيل تملك هذه الأسلحة بالطبع.

فالقوة العربية العسكرية الآن لا يستهان بها، وموقف العرب العسكري قوي الآن، ولكن ينقصه التنسيق القوي، وإذا تم مثل ذلك فإن التصلب الإسرائيلي يتراجع، وإذا كان التنسيق ضعيفاً فإن التصلب الإسرائيلي يزداد. نحن أمام خيارين، إما أن نقوي صفنا ونزيد التعاون الإقتصادي والعسكري بيننا، وإما أن تظل إسرائيل على تصلب مواقفها وإستمرار برامجها الإستيطانية ونهب الأرض. الموقف العربي يجب أن يكون دائماً متحركاً نحو المتانة والصلابة والتعاون.

نُشر الحوار في مجلة «التضامن»
بتاريخ 9 أبريل/ نيسان 1990

